

المهدي المنتظر

عجل الله تعالى
فجده الشرف

رؤية استشرافية



د. رباح صمصع عنان

| سلسلة دراسات استشراقية |

عبدالله
عبدالمعز

المهدي المنتظر رؤية استشراقية

د. رباح صعصع عنان



وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ



صدق الله العلي العظيم

سورة القصص: آية 5

الشمري، رباح صعصع عنان، مؤلف.
المهدي المنتظر : رؤية استشرافية / د. رباح صعصع عنان - الطبعة الأولى - النجف، العراق
: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1440 هـ = 2019.
368 صفحة ؛ 24 سم - (سلسلة دراسات استشرافية ؛ 9)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة 329-368.
ردمك : 1-04-625-9922-978
1. المهدي المنتظر. 2. الاستشراق والمستشرقون أ. العنوان.

LCC : BP166.93 . S55 2019

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرس المحتويات

9	المقدمة
18	مبحثٌ تمهيدىٌّ
18	أولاً - الإستشراق والمستشرقون
22	ثانياً - المهديّ المنتظر
26	ثالثاً - النقد
27	الفصل الأول: الفكر الاستشراقىّ - قراءةٌ في المناهج والموارد والمصادر
29	المبحث الأول: بليوغرافيا المصادر والدراسات الاستشراقية
30	المطلب الأول: سردُ المؤلفات الاستشراقية عن المهديّ المنتظر
43	المطلب الثاني: مناهج المستشرقين في العقيدة المهديّة
51	المبحث الثاني: التمذهب في عقيدة المهديّ المنتظر
51	المطلب الأول: الأسباب والدوافع
51	الدافع العقائدي
57	الدافع السياسي
58	دافعٌ بحثيٌّ، علميٌّ، موضوعيٌّ
61	المطلب الثاني: العوامل والمنطلقات التي أدت إلى نشأة انتظار المهدي
61	العامل الأول: اضطهاد الحكام لجمهور الشيعة
63	العامل الثاني: منطلقاتٌ سياسيةٌ أفلاطونيةٌ

العامل الثالث: نزع الثأر ولا سيّما ثأر كربلاء 67

الفصل الثاني: العقيدة المهدويّة في المرقاب الاستشراقي 71

المبحث الأول: حول أصل العقيدة المهدويّة 73

المطلب الأول: عقيدة المهديّ المنتظر من مختصات عقائد الشيعة 73

المطلب الثاني: عقيدة المهديّ المنتظر من المخترعات والإيديولوجيا الشيعيّة 81

المطلب الثالث: مناقشة أقوال وكلمات المستشرقين 84

المبحث الثاني: شبهة عدم وجود الأصل القرآني والحديثي للعقيدة المهدويّة 101

المبحث الثالث: مناقشة الأصل القرآني وجواب الإشكالات 107

المطلب الأول: الأدلّة على شمول النصوص القرآنية للعقيدة المهدويّة 111

المطلب الثاني: الآيات الدالة على عقيدة الإيمان بالمهديّ المنتظر 116

الفصل الثالث: الأصل الحديثي للأطروحة المهدويّة ومناقشة شبهات المستشرقين 147

المبحث الأول: أحاديث العقيدة المهدويّة 150

المطلب الأول: أحاديث فيها تصريحٌ بلفظ (المهدي) 150

المطلب الثاني: أحاديث في المهديّ المنتظر غير مصرحة باسمه 165

المبحث الثاني: أحاديث العقيدة المهدوية درجتها، روايتها، تخريجها 173

المطلب الأول: تواتر الأحاديث 173

المطلب الثاني: سردٌ بأسماء الرواة والتخريج 179

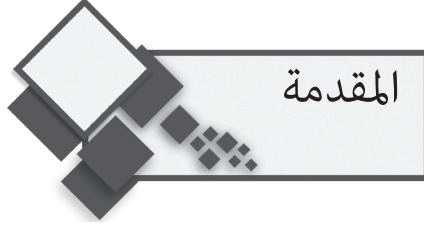
أولاً: أسماء الذين رووا أحاديث المهديّ المنتظر، عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من

أهل بيت النبيّ والصحابة 179

ثانياً: أسماء من خرّج أحاديث المهديّ المنتظر، وبعض من صرّح بصحتها 182

- المبحث الثالث: إشكالان حول أحاديث المهدي المنتظر 191
- المطلب الأول: المستشرقون وإشكال عدم ذكر المهدي المنتظر في صحيح البخاري
ومسلم 191
- المطلب الثاني: المستشرقون وإشكال ابن خلدون 197
- الفصل الرابع: أهم شبهات المستشرقين حول الأطروحة المهدويّة**
- عرضاً ونقداً وتحليلاً 205
- المبحث الأول: شبهة التأثير بالديانات الأخرى 206
- المبحث الثاني: التأصيل الديني للأطروحة المهدويّة في الأديان الأخرى 217
- ديانة مصر القديمة 217
- الديانة الهندوسية 219
- الديانة الهلنستية 222
- الديانة البوذية 223
- الديانة الزرادشتية 226
- الديانة اليهودية والديانة المسيحية 235
- مفهوم وراثّة الأرض 236
- مفهوم المنقذ والمخلص 238
- مفهوم الانتظار 239
- علامات المسيح المنتظر 242
- الفصل الخامس: مسائل مرتبطةً بعقيدة المهديّ المنتظر** 249
- المبحث الأول: الفارقليط 251

- 258 النصوص الإنجيلية التي ذكرت البارقليط
- 269 المبحث الثاني: مدعو المهديّة
- 278 المبحث الثالث: المستشرقون والإسماعيلية
- 286 المبحث الرابع: ولادة الإمام المهدي المنتظر وغيبته
- 291 جواب إشكالات المستشرقين
- 294 عوامل التشكيك في وجود وحياة الإمام المهديّ المنتظر
- 301 مجموعة روايات عن ولادة وحياة الإمام المهديّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 301 الروايات الدالة على أنه من ذرية الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 303 روايات صريحة بولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 305 روايات دالة على رؤية أصحاب الأئمة للإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 306 روايات تعين بأنه ابن الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 307 الروايات التي تُصرّح بغيبته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبل وبعد وقوعها
- 307 السفراء الأربعة والغيبة الصغرى ودلالاتها على المطلوب
- 311 روايات التوقيعات التي صدرت من الإمام المهديّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
- 312 شهادات من غير الشيعة الإمامية
- 326 خلاصة التحقيق في مسألة الولادة
- 329 قائمة المصادر والمراجع



المقدمة

كتب المستشرقون في مجالات عدة، بل في المجالات المعرفية كلّها، الدينية، والثقافية، والتاريخية، والعلمية، تخصصية كانت أو غير ذلك، فكتبوا في كل ما يخص الشرق ولأجل ذلك سُموا بالمستشرقين، فهم أقرب للأنثروبولوجيا (علم الإنسان) من غيرها من العلوم، ما دعاهم (أي قربهم للأنثروبولوجيا) إلى الكتابة في مجالات متعددة، فلا عَرَوْا أن يكتبوا ويبحثوا عن عقيدة المهدي المنتظر عند المسلمين، لما لها من ثقل كبير في مناحي عقائد المسلمين، وتدخلها وارتباطها بالأديان السماوية الأخرى من جهة، والتصاقها بأشراط الساعة وآخر الزمان من جهة أخرى.

فكانت بحوثهم وكتاباتهم، سبباً في لفت الانتباه وشدّ الفكر تجاه قضية عقديّة مهمة، لكنها كانت في ما جرت عاداتهم، تحمّل النهج السيئ عند أغلبهم، وهو أن ينظروا للمسألة بعينٍ بحثية واحدة (عوراء) من جهة عدم رجوعهم إلى المصادر التي من شأنها أن تغني البحث بصورة شاملة، واعتمادهم الأحادية في انتقاء المصادر التي تخدم أغراضهم المعدّة سلفاً، فكتبوا وأدلوها بدلوههم في هذا المجال بمناهج عدة وأساليب وطرق متنوّعة؛ فقسم منهم كان منصفاً محايداً، وقسم كان مغرضاً، والآخر كان حاقداً متجنياً، يكتب بعداء واضح وصريح هذا التعميم في الكتابات والأقوال أدّى إلى غموض المسألة لدى المتلقي وتشويش في فهم الحقائق كما هي.

هذا الكتاب يتناول دراسة آراء المستشرقين في القضية المهدوية، دراسة نقدية موضوعية، فكانت هذه الدراسة محاولة جادة للوقوف على ما كتبه المستشرقون عن مسألة المهدي المنتظر وما يكتنفها من ورائيات وغيبيات حول الشخص

الذي اتفقت حوله كلمة علماء المسلمين، ونطقت الأحاديث الصحيحة الصريحة، بأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وسيحقق نتاج وثمرة وجهود جميع الأنبياء والمرسلين.

الموضوع وأهميته وأسبابه:

لما كانت المقدمة هي المرآة الصغيرة العاكسة للكتاب الكبير، سيُعرضُ فيها توضيحٌ لما هو كامنٌ في وريقاته، وإذكاءٌ لما هو دفينٌ تحت رماده، على أنه يجب لحظٌ أن هناك فرقاً، يبدو غير واضح بين أهمية الموضوع وأهدافه وأسبابه، غالباً ما يحدث التداخل الذي لا يضرُّ بين هذه المصطلحات الثلاثة، وسيتبين هذا الفارق عن طريق المثال التالي: لو أن شخصاً أراد أن يبني مسجداً جامعاً في مدينة ما، نسأله عن الأسباب: لم تبني هذا الجامع؟ ما السبب في بنائه؟ يجيب لعدم وجود مسجدٍ في هذه المنطقة، ورأيت الناس يقيمون صلواتهم وشعائرهم في الشارع.

ونسأله ما أهميته؟ هل توجد له أهميةٌ معتدُّ بها؟ يجيب بأن أهميته تأتي من ارتباطها بعبادة الله تعالى، وما دامت عبادة الله تعالى مهمةٌ بصريح القرآن لأن الله خلق الجن والإنس حتى يعبدوه، فهذا مكانٌ للعبادة.

ونسأله: ما الأهداف التي ترمي لها من وراء بنائه والتي ستحققها عن طريقه؟ يجيب: تحقيق السلام والأمن والأمان والتراحم والتواصل والألفة والمحبة بين الناس. ويكمل إجابته قائلاً: لأن الناس عندما ستتردد وتزداد أعدادها في المجيء للمسجد وسيقرأون القرآن ويسمعون الخطب على المنبر والوعظ والنصيحة، سيتجهون جماعياً لله تعالى، وسيتأثرون بكل ذلك، فينعكس على سلوكهم وتعاملهم وستحسر حوادث السرقة والقتل وغيرها من المشكلات.

لذا كان لاختيار موضوع الدراسة أسباب:

السبب الأول: وجود الإشكالات المتعددة والمثارة من المستشرقين حول عقيدة المهدي المنتظر وتأليفهم الكم الهائل من الكتب والبحوث والدراسات، لكن بقراءة خاطئة لهذه العقيدة، ومحاولة التشكيك بما هو متفقٌ عليه ومشاركٌ بين المسلمين، وهو خروج المهدي المنتظر وبشارة النبي لآخر الزمان، والاستهزاء بعقيدة المسلمين بانتظاره. وكذلك الرؤية

القاصرة للثقافة الاستشراقية المرتبطة بفلسفة الحضارة الغربية التي تستند على التحليل المادي الذي لا يؤمن بالغيب، بل يؤمن بالتفسيرات الحسّية والتحليل العلمي المادي.

السبب الثاني: عدم وجود الدراسات الكافية والمستفيضة التي من شأنها إغناء البحث وإشباعه، مما يختص بالمستشرقين حول هذه المسألة بالذات، ولا سيّما لمناقشة مستشرقين اختصوا بالكتابة عن المهدي المنتظر إنّ هذه محاولةٌ جادةٌ لإيضاح وعرض شبهات المستشرقين بمناقشات موضوعية بعيدة عن التعصب بكل أشكاله، ولإعطاء صورة إيجابية عن اتّفاق الاتجاهات الإسلامية في النظر إلى حقيقة عقيدة المهدي المنتظر، وإنّ كانت التفسيرات مختلفة، إلا أنّ الاتفاق حاصلٌ على حقيقة هذه العقيدة التي استفاضت أخبارها في السنّة المشرفة بما لا يدع مجالاً للإنكار، وبما يعطي أملاً للتفسير الإسلامي مع شدة ظلام الفتن.

السبب الثالث: عدم وجود نظير وتعبئة ثقافية كافية لهذه المسألة العقديّة الأساسيّة، على مستوى العالم عموماً، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص، ومع كثرة الدراسات والكتب والبحوث التي ألّفت لها، تبقى تفتقر إلى جوانب عدّة لم تُبحث فيها.

أهمية الموضوع:

1 - تأتي أهميته بوصفه مرتبطاً بعقيدة تخص وتهمُّ جميع المسلمين في شتى نَحَلِهِمْ، فقد يتوهم بعضهم أنّ عقيدة المهدي المنتظر هي عقيدةٌ خاصّةٌ بطائفةٍ معيّنة من المسلمين، بينما هي كمفردةٍ إيمانيةٍ أصيلةٍ متجدرةٍ يجب الإيمان بها كباقي الواجبات الإيمانية، لا فرق بين الجميع في ثبوت البشارة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) بخروج المهدي المنتظر في آخر الزمان ولا في مهمته العالمية، بأنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ولا في صفات شخصيته المتميّزة، ولا في علامات خروجه ومعالم ثورته، نعم توجد هناك مختصاتٌ وفروقاتٌ لكل طائفةٍ من المسلمين؛ لكنّها لا تؤثر على أصل العقيدة والإيمان بها. منها مثلاً: أنّ الشيعة الإمامية يعتقدون بأنّه هو الإمام الثاني عشر من أئمتهم، المولود سنة 255هـ وأنه حيٌّ وغائبٌ الآن، بينما يعتقد أهل السنّة بما توافر لهم من معطيات، أنه غيرٌ مولودٍ بعد، ولا موجودٌ الآن، بل سوف يولد يوماً ما، ويحقق ما بشر به النبي (صلّى الله عليه وآله).

2 - تكمن أهميته العالمية، بوصفه تشارك به الأديان السماوية أيضاً، بل تشارك به باقي الملل والنحل من غير الأديان - على ما سيثبت لاحقاً - فالأطروحة المهدوية أطروحة إنسانية نعم، الإنسانية جمعاء بانتظار القائد، المنقذ، المصلح، المخلّص، الفادي، المسيح، المهدي، المنتظر، الذي سيحقق ويجني جهود جميع الأنبياء والصالحين وثمرة دعوات الأنبياء والمرسلين، فهو حتماً القائد الذي سيملاً الأرض عدلاً.

3 - تنبعث أهمية الموضوع بوصفه يبحث في نتاج كبير وثقيل، لا يُستهان به من المستشرقين المتخصصين، ويناقش ويوضح مغالقاتهم التي مألهاً شبهات، والتي سيطرت عليها الضبابية وأحاطها الغموض، وهي مؤطرة بإطار وغلاف علمي مُبطن، قد يخفى على بعض المتبعين. وزيادة على ذلك أنّ المستشرقين، لهم المقبولية والشعبية في بلدانهم، عند شعوبهم وقرائهم. وفي العالم الإسلامي هناك فئة من المثقفين ممن تأثر بالخطاب الاستشراقي وفكره.

فمن الأهمية بمكان الإجابة على تلك الشبهات، لأن الشبهة المغلوطة إذا لم تبين وتتوضح ستبقى عالقةً تتأرجح في عقل المتلقي وستأتي بنتيجة سلبية حتماً على كافة الأصعدة.

مشكلة الدراسة:

1 - المشكلة الأساسية، هي محاولة المستشرقين تهميش وإنكار وجود هذه العقيدة عند المسلمين، فهم يحاولون إن لم يستطيعوا أن ينكروها أو يهمشوها، أن يضيفوا عليها ضبابية، ويعملون على تشويشها عند عقل المتلقي، عن طريق تعمد الفهم الخاطئ والقراءة غير الصحيحة لما تحويه مادة العقيدة. هؤلاء يحاولون تبييض وتشيت وتقطيع وتفصيل هذه المسألة العقدية بحسب أغراضهم الدفينة وأهوائهم ونزعاتهم التبشيرية والعنصرية والفتوية.

2 - إنّ أغلب المستشرقين قد أظهروا عقيدة المهدي المنتظر كأنها مختصة فقط بفئة معينة من المسلمين وهم (الشيعة) وهذه المسألة تكمن وراءها أغراض وأهداف من أهمها وأخطرها أن يوقعوا شرحاً كبيراً في النسيج الإسلامي، عن طريق بيان أنّ هذه العقيدة شاذة وغريبة عن المفردات الإيمانية الأخرى، ومن ثمّ فإنّ من يعتقد ويؤمن بها، سيكون غريباً عن حضيرة الإسلام والمسلمين، وليس منهم.

فالعقيدة المهدوية - بحسب الزعم الاستشراقي - مقترنةٌ بعقائد وأصول المذهب الشيعي، دون غيرهم من الطوائف والمشارب الإسلامية. فإذا كان هناك نقدٌ على مبتنيات هذه العقيدة وتفرعاتها وما يرتبط بها وبمدعيها، سيتوجه صوب تلك الطائفة، لأنها هي المعنية بذلك، ولا يوجد أحدٌ يؤمن ويعتقد بها غيرهم، لذا سوف لا تجد ذكراً لهذه العقيدة في مؤلفات المستشرقين وكتاباتهم، إلا عندما يكتبون عن الشيعة، ولا سيما الشيعة الإمامية، كما سيظهر جلياً بحسب ما ترشّح من كتاباتهم. فهم يحاولون الولوج من هذا الباب لاستغلال وانتهاز موطنٍ قدم فكري، للتفريق وتعميق الهوة بين فرق المسلمين ومذاهبهم، معتمدين بتصورهم، بوصف مسألة المهدي المنتظر. مسألةً خلافيةً بامتيازٍ بين المسلمين بحسب فهمهم وقراءتهم لها، ولا يؤمن بها إلا من شدّ منهم.

وللأسف فإنّهم قد نجحوا في ذلك بنسبةٍ معيّنة، لأن المتلقي والشباب العربي المسلم عموماً يستهوي البضاعة والأفكار المستوردة الجاهزة والمغلقة بإطارٍ غربيٍّ حدثويٍّ.

لقد نجحوا في ذلك بإيهام عقل المتلقي عن طريق مغالطةٍ ومصادرةٍ للمطلوب اعتمادها المستشرقون، وهي ذكر الموارد والنقاط والتفاصيل والمختصات، المختلف فيها بين المسلمين في موضوع القضية المهدوية، وتغيب وتضيع البحث في النقاط المشتركة فيها، ومحاولة نفي وتشويه صورة تلك النقاط المختلف فيها، وحاولوا كذلك أن يجعلوا من نفي موارد الاختلاف منطلقاً ومبدأً لنفي نقاط الاشتراك والاتفاق، ومن ثمّ تبعاً لذلك ستنتفي العقيدة المهدوية برمتها.

وسيتبين في طيّات الكتاب هل إنّ هذه العقيدة فعلاً لا يؤمن بها المسلمون بجميع أطرافهم؟ أو هي عقيدةٌ إسلاميةٌ أصيلةٌ لدى جميع المسلمين بكل مشاربهم ومذاهبهم؟ باتفاق المدارس الإسلامية على جوهرها وإنّ اختلفت أساليب التعبير عنها، أو بعض الجزئيات فيها.

أسئلةٌ مثيرة:

1 - ماذا قال أو كتب المستشرقون عن عقيدة المهدي المنتظر؟ ولم يكتبون هذا الكم الهائل عن عقائد المسلمين وركزوا على هذه العقيدة خاصةً؟ وهل يجب أن نقرأ للمستشرقين ونهتم وندقق ونحلل ونناقش ما كتبوا؟ وما الضير إذا لم نقرأ ونناقش ولم نُولهم الاهتمام؟

2 - هل مفردة (المهدي المنتظر) الإيمانية، من العقائد والمفردات الإيمانية المشتركة بين المسلمين، أو هي عند فئة دون أخرى؟ وما هي نقاط الاختلاف فيها بين فرق المسلمين؟ ومدى نقاط الاشتراك فيها؟ وأيُّ النقاط مرجحة فيها؟

3 - هل وجود أطروحة (المهدي المنتظر) على أنها مفهومٌ عامٌ للمنقذ والمصلح والمخلص في النحل والملك وأهل الكتاب من الأديان السابقة على الإسلام، هل وجودها يفيد ويخدم القضية الإيمانية الدينية الإسلامية، أو يزيد الأمور تعقيداً باعتبارها ستعدُّ اقتباساً من تلك الديانات السالفة؟

4 - هل تأصيل هذه الأطروحة والعقيدة المهديّة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، كاف في الرد والإجابة على شبهات المستشرقين؟ وهل يكفي فقط وجود الأحاديث النبوية الشريفة للتأصيل لمثل هذه العقيدة الحيوية في الجسد الإسلامي؟ أم يجب أن يؤصّل لها أصل قرآني يُعتدُّ به؟

فرضيات مطروحة:

- أقوال المستشرقين ومؤلفاتهم يجب ألا تهمل في هذا المجال، لأن مجرد التغاضي عن الشبهات، لا يصنع حلاً للشبهة نفسها.

- يجب ألا يحتكم المسلمون لأقوال المستشرقين ومؤلفاتهم في صحة عقائدهم أو عدمها، أو حتى جعل أقوال المستشرقين وآرائهم تأييداً لتلك العقائد.

- أشار القرآن الكريم لعقيدة المهدي المنتظر، والسنة الشريفة صرحت تصريحاً مباشراً بها، والأديان أو الشرائع السابقة أشارت لها في الكتب والألواح والصحف السماوية.

- بعض المستشرقين لهم كلمات منصفة في هذا المجال يمكن استثمارها والاستفادة منها في مناقشة وجواب بعض آخر منهم.

- الأخذ بنظر الاعتبار أن توجيه وإثارة أي شبهة حول مسألة وعقيدة ما، من عقائد المسلمين، أو قد تكون مختصة بأي اتجاه أو مذهب من مذاهب المسلمين، إنما هو ضربٌ وتوجيه للإسلام بصورة عامة، لأن المستشرقين عندما يكتبون ويتحدثون للمتلقي بقولهم (المسلمون يعتقدون كذا، أو الطائفة المعينة من المسلمين تعتقد بكذا) كأنهم يتحدثون

عن جميع المسلمين، فلا مناص من مواجهتهم فكرياً، والدفاع عن الإسلام برمته من غير تبغيضه، بلحاظ أنّ المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

منهج الدراسة:

لمّا كانت الدراسة تدخل في مجال الدراسات الوصفية الاستقرائية التي تتطلب نوعاً من الدراسة المسحية، بحيث تشمل أقوال المستشرقين في هذه القضية، فيكون المنهج المناسب هو المنهج الاستقرائي التبعي، وذلك عن طريق جمع أقوال وكتابات المستشرقين وتتبعها. ومن ثمّ بعد دراسة مناهجهم فإنّ المنهج المناسب هو التحليلي وقد يحتاج إلى توظيف جزئيٍّ للمنهج التاريخي، فكان ذلك عند الحديث عن استقراء مؤلفات المستشرقين. وأحياناً أحتيج للمنهج البيليوغرافي، لذكر ووصف مجموعة كبيرة من أسماء لشخصيات أو مؤلفات ووصفها وصفاً عاماً. ولا يخفى بأنّ المنهج النقدي كان حاضراً أكثر من غيره.

خطة الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة ومبحث تمهيديّ وخمسة فصول وقائمة بالمصادر. المبحث التمهيدي تم فيه شرح وتوضيح الكلمات الرئيسة للعنوان والتعريف بها، مرةً باختصارٍ غير مُخلٍّ، وأخرى بتطويلٍ غير مُملٍّ.

وبعده يأتي الفصل الأول، الذي جاء للتعرف على المصادر والمؤلفات والدراسات التي أنتجها المستشرقون حول المهدي المنتظر، فجاءت فيه قائمة بأسماء المستشرقين ومؤلفاتهم بالتفصيل، وتطرق هذا الفصل أيضاً إلى مناهج المستشرقين التي ساروا عليها في العقيدة المهدوية، وعن الأسباب والدوافع التي جعلتهم يتجهون هذا المنحى، وكذلك أقوالهم في العوامل والمنطلقات التي أدت إلى نشأة انتظار المهدي برأيهم.

الفصل الثاني جاء مباشرةً في صلب الموضوع وهو عرضٌ لآراء المستشرقين وأقوالهم وكلماتهم ومناقشتها والجواب على ما اشتبه فيها. جاء هذا الفصل هكذا في صميم الموضوع، فنوقشت فيه محاولاتٍ في إقصاء هذه العقيدة وجعلها مختصةً بالشيعنة فقط وتصوير الحالة كأنها مؤدلجةٌ شيعياً ضمن إطار معين. بحسب الزعم لا يوجد أصلٌ قرآنيٌّ أو حديثيٌّ للعقيدة المهدوية. وجاء الجواب عنه عن طريق عرض محاور الاشتراك والاتفاق

بين المسلمين في عقيدة المهدي المنتظر، والآيات التي يمكن أن تشير إلى عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر، بما جادت به قريحة مفسري المسلمين، والقرائن والأدلة التي تؤيد إشارة تلك الآيات.

ويأتي الفصل الثالث تبعاً الذي استوجب إتيان مكانه هنا - أي بعد الفصل الثاني - لأنه مكمل لما قبله في إثبات الأصل الحديثي لأطروحة المهدي المنتظر، في مقابل إنكارها وتضعيفها حديثاً من قبل المستشرقين، وكان هذا الفصل أسهل من سابقه، لأن الأحاديث جاءت صريحة في ذكر اسم المهدي المنتظر، أو شأن من شؤونه، فتم ذلك بذكر أحاديث فيها تصريح بلفظ (المهدي) وأحاديث فيه غير مصرحة باسمه، ومحاولة إثبات تواترها، ودكر فيه أسماء وعدد الرواة بالتفصيل من أهل بيت النبي والصحابة الكرام، وكذا إكمالاً للحجة، ذكر أسماء من خرّج أحاديث المهدي المنتظر من علماء المسلمين، من أرباب علوم الحديث وبعض من صرّح بصحتها، ومناقشة وجواب إشكاليين مهمين، أو ردهما المستشرقون، الأول: عدم ذكر المهدي المنتظر في صحيح البخاري ومسلم، والآخر: إشكال تضعيف ابن خلدون لمجمل الأحاديث في هذا الشأن.

الفصل الرابع، جاء شبيهاً ملاصقاً للفصل الثالث من جهة عرضه لأهم شبهات المستشرقين حول الأطروحة المهدوية، وهي شبهة التأثير بالديانات الأخرى التي طالما أوردها المستشرقون في مناسبات عدّة عند التطرق للإسلام والمسلمين وعقائد الإسلام، فهي أسهل وأسرع شبهة يمكن أن يأتوا بها، فتم عرضها ونقدتها وتحليلها، والجواب عليها، في مبحث التأصيل الديني للأطروحة المهدوية في الأديان الأخرى.

والفصل الخامس كان لا بد أن يكون هو الفصل الأخير، لأنه يبحث عن مسائل مرتبطة بعقيدة المهدي المنتظر، وليست هي المهدي المنتظر، فلا بد من بحثها ولا يمكن تعديها، وهو مناقشة الإشارات في الكتب المقدسة في الأديان التي تتفق مع التفسير الإسلامي للموضوع، كمبحث (الفارقليط) الذي دُكر في كتب العهدين للمسيحيين واليهود، ويُقصد به النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) أو يُقصد به المهدي المنتظر على رأي آخر، أو يمكن أن يُقصد به الوجود. وهذا المبحث جاء مرتبطاً بالفصل السابق وكأنه انتقال من الكلي إلى الجزئي، إذ كان الفصل السابق تأصيلاً دينياً للأطروحة المهدوية في الأديان الأخرى، ولا سيما المسيحية واليهودية.

وأيضاً بُحِثَ في هذا الفصل مسألة مُدَّعي المهدوية على مر التاريخ، وكيف حاول المستشرقون توهين عقيدة المهدي المنتظر بسبب ادعاءات المهدوية من مجموعة من الكذبة ومدعي الإيمان والنفعيين، مع أنه لا ملازمة بين الأمرين، بين ادعاء الشيء كذباً، وبين أصل صحته وصدوره من الله تعالى. وبحث كذلك مسألة الإسماعيلية، إذ كان قوام وملاك مذهبهم ومحوره، الوعد برجوع المهدي الذي تجسد بإسماعيل أو ابنه محمد، على شرح سيفصل في محله.

وكذا بُحِثَ ولادة الإمام المهدي المنتظر وغيبته، وهي من أهم النقاط المفصلية بين الشيعة الإمامية وبين عموم المسلمين، باعتبار أن عموم المسلمين من أهل السنة والجماعة، بحسب المعطيات والأدلة المتوافرة يؤمنون بأن المهدي المنتظر غير مولود بعد وليس موجوداً الآن، وأنه سوف يولد في ما بعد عند أجل غير مسمى، بخلاف الشيعة الإمامية الذين يعتقدون بولادته ومن ثم فإنهم يؤمنون بوجوده وإمامته ما دام مولوداً، وبغيبته بالتبع، وانتظاره إلى أن يظهر آخر الزمان.

هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، سيمثل مطارحات علمية لعرض وتحليل ونقد موضوعي بناءً لكلمات المستشرقين حول القضية المهدوية، وكيف فهموا هذه القضية، ومن ثم توصلهم إلى تلك النتائج، ومحاولة نقد هذا النتاج الفكري ومدى استيعابه لمفهوم العقيدة المهدوية، وسيمثل مطارحةً بحثيةً مع علماء الغرب من المستشرقين المختصين، الذين لا يُستهان بنتائجهم الفكري، لخوض غمار البحث والفكر والعلم فيها ﴿وإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: 24.

في النهاية، قلبي يرجو السماح والاعتذار لهفواته لأنه غير معصوم وما دام هذا العمل من نتاجي وأنا إنسان من عامة البشر، إذ أسوف يكون عملاً غير كامل لأن الكمال لله وحده.

وحسبي الله ربي ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

المؤلف د. رباح صعصع

مبحثٌ تمهيدِيّ

الكلمات المفتاحية: وتعني الكلمات الرئيسية، التي تدور حولها المحاور:

أولاً - الاستشراق والمستشرقون:

إذا تمّ هنا تعريف الاستشراق لغةً واصطلاحاً، سيكون إعادةً وتكراراً، ممّلاً، ذلك لأنه ما من كتاب كتب في هذا المجال، إلّا وابتدأ بتعريف الاستشراق لغةً واصطلاحاً، وبتفاصيلٍ مُسهبيةٍ^[1].

فإن كان ولا بدّ من الكماليات، أو قلّ من مكملات التمهيد، لا بأس بذكر بعض الأسطر تتناول الاستشراق من زاويةٍ أخرى حادّة، من غير إسهاب. على كل حالّ من الصعوبة بمكان تحديد تعريف خاصّ بالاستشراق يكون جامعاً مانعاً وذلك لتطور العلوم وتغيّر مفاهيمها بتقدمها وكثرة المشتركات والاختلافات في ما بين مفاهيمها، لا سيّما وأنّ الاستشراق ليس من العلوم التجريبية الحسيّة، كذلك لوجود الطبقات المتعددة من المستشرقين، والمدارس المتشعبة والدول التي تختص به، والأهداف والدوافع المتغيرة، وهناك أيضاً ما يقابله مصطلح الاستغراب والمستغربين، ومفهوم الاستعراب والمستعربين، فيمكن أن يقال هنا: ((فهو أحياناً يُراد به: ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبَل علماء الغرب. وأحياناً يُقصد به أسلوبٌ للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرفي والأيدولوجي بين الشرق والغرب. ومرةً أخرى يحدد مفهومه بالناس الذين يقومون به ونعني بهم المستشرقين، وهم الكتّاب الغربيون))^[2].

وكذلك اختلاف تحديد جهة الشرق جغرافياً؛ لأن صيغة كلمة (استشراق) فيها صيغة طلب، أي طلب الشرق، يأتي السؤال هنا من أين يتم تحديد الشرق وفي أي نقطة من مركز الكرة الأرضية؟ حتى ينحصر منّ المستشرقون؟ هل هم الذين يسكنون جهة الغرب فقط؟

[1]- فقد عرف جبور عبد النور، في كتاب المعجم الأدبي: ص 17. الاستشراق: هو "دراسةٌ يقوم بها الغربيون لقضايا الشرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته".

[2] - سالم، د. الحاج ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي: ج1، ص: 20.

وهل يسمّى غير المسلم وغير العربي الذي يسكن الشرق، مستشرقاً أم لا؟

فضلاً عن أنّ المستشرقين أنفسهم بدأوا يتملصون من لوازم المصطلح، فيسمّون كتاباتهم مثلاً بدراسات الشرق الأوسط، أو الدراسات العربية، كل هذا جعل من تعريف المصطلح أوسعً ومختلفاً بحسب هذه التنوعات، ذلك بما ادّعوا وقرروا بأنّ ((تعبير (الاستشراق والمستشرقون) قد انسدل عليه الستار المعرفي في عام 1973 أي في المؤتمر المئوي الأخير الذي عقده المستشرقون في باريس ... قد وصلوا إلى قرار مفاده لزوم التوقف عن استعمال أو ترديد هذا التعبير في المؤتمرات اللاحقة، وذلك لكونه غير موائم فكرياً وسياسياً لطبيعة المرحلة ولتطور العلاقات بين الغرب والشرق أو بين الغرب والإسلام أو بين الثقافة الغربيّة-الأميريكية وبين العلماء والعرب المسلمين من الشرق الأوسط))،^[1] أو لأسبابٍ أخرى:

منها: حركة الاستهجان والردود والنقود الهائلة والحادة من علماء الشرق والمهتمين ولا سيّما الإسلاميين منهم. ومنها: مثلاً لكي يأتي المستشرقون مرةً أخرى، بثوب ولباسٍ جديدٍ مقبول، لتقديم أبحاثٍ قد تكون معاصرةً، لكنها ما من شكٍّ، عيالٌ على ما كتب المستشرقون الأوائل من أجيال نولدكه وغولد تسيهر وجفري وغيرهم. ومنها: أنّ هذا المصطلح بات يشكّل عبئاً على أذهان ومسامع العرب والمسلمين، كما أفصحت بذلك ناديا أنجيليسكو عندما قدمت رفضها بأن تُنعت بالمستشركة بقولها: ((خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدمتي الصحف أكثر من مرة بـ (المستشركة الرومانية ناديا أنجيليسكو) واحتججت أكثر من مرة على هذه التسمية. طبعاً كان من أهم الأسباب لاحتجاجي أنّ شخصية المستشرق أصبحت مشؤومة إلى حدٍّ ما في الوطن العربي...))^[2].

ولسائلٍ أن يسأل هنا: لم حرصوا على مثل هذا القرار وقد عاشت هذه المصطلحات على أمد سنين، وهي أسبابٌ غيرٌ كافيةٍ ومقنعةٍ لترك تلك المصطلحات التي تحدد طبيعة عملهم البحثي والتحقيقي؟ وهل فعلاً لم يُستعمل المصطلح، ولم يكن هناك نتاجٌ على مستوى الدراسات التي كانت في السابق؟ كل هذا لم يحصل بل إلى الآن ثمّة استعمالٌ للمصطلح - وإن كان بشيءٍ أقلّ من ذي قبل - ولا زالت الدراسات والأبحاث تترى وتتوالى أكثر فأكثر، لا سيّما وأحداث الشرق

[1] - ناجي، عبد الجبار، الأبتمولوجيا العربيّة والإسلاميّة، بحثٌ منشورٌ في مجلة دراساتٍ تاريخيّة، مجلةً فصليةً محكمةً تصدر عن قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة - بغداد: ص: 106، العدد 37 لعام 2014.

[2] - ناديا أنجيليسكو، الاستشراق والحوار الثقافي: ص 17 - 18، نقلاً عن: النملة، علي بن إبراهيم، كنه الاستشراق - المفهوم، الأهداف، الارتباطات: ص 40.

الأوسط بتغييرٍ وحَرَكَ مستمرّين، على المستوى السياسي والديني والثقافي والمعرفي.

أما بالنسبة لتعريفه، فنجد تعاريف كثيرةً فيُعرّف بأنه: ((دراسةٌ يقوم بها الغربيون لقضايا الشرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته))^[1] فهو تعريفٌ من جهة الجغرافيا والجَنْبَةِ العلمية، أما المفكر إدوارد سعيد فيعرّف الاستشراق بأنه: ((نمطٌ من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه))^[2]، والواضح منه أن التعريف جاء من جهة الدوافع الاستعمارية والاحتلالية، في المقابل كما لا يخفى على المتتبع، هناك من المستشرقين من لديه دوافعٌ علميةٌ نزيهةٌ بعيدةٌ عن النزعة الاستعمارية.

وهناك من عرفه بالمفهوم الإجماعي الذي شاع بين الأوساط العلمية الأكاديمية الآن، هو تصدي علماء غير المسلمين - سواءً أكانوا من الشرق أم من الغرب - لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم وآثارهم^[3]. إذاً هنا خرج عن دائرة الجغرافيا والأمكنة ولم تحدده كلمة أو مصطلح الاستشراق بما تعني من جهة الشرق، فصار يدخل تحت عباءة هذا المصطلح كلُّ من كتب عن المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وكل ما يتعلق بهم، وإن كانوا يقطنون البلاد العربية والإسلامية ك (فيليب حتي: مستشرقٌ أمريكيٌّ من أصلٍ لبنانيٍّ، من أبناء الطائفة المسيحية). ولا يصمدُ هذا الرأي في الحقيقة هنا، لأن الغالبية العظمى من المستشرقين هم ليسوا من الشرق، كذلك منشأ ومبدأ وعراقة وأصالة الاستشراق بدأ من ها هناك، كذلك مؤلفات وكتابات المستشرقين التي تلهج وتنطق بعدم انتمائها لأيِّ شرقٍ كان، إلا إنه ستواجهنا مشكلةٌ واضحةٌ لا يمكن التغاضي عنها، وهي ماذا نعمل للاستشراق الروسي والياباني وأيضاً الاستشراق اليهودي الإسرائيلي، إذ إنهم من الشرق لكنهم ليسوا بمسلمين ولا عرباً، هل ينطوون تحت مسمى المصطلح أو خارجه؟ ويمكن أن ينطووا تحت مسمى: (الاستشراق بالمعنى الأعم) لا الاستشراق بالمعنى الأخص، أي كل من يكتب من الغرب عن الشرق فهو مستشرقٌ لا العكس.

لذا حاول المستشرقون منذ البداية تعلّم وإجادة اللغة العربية، بدليل قرار أحد المؤتمرات

[1] - عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ص: 17.

[2] - سعيد، إدوارد: الاستشراق، ص: 120.

[3] - ظ: الأسعد، محمد، مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ: ص: 246. نقلاً عن: النملة، علي بن إبراهيم، كُنه الاستشراق - المفهوم، الأهداف، الارتباطات: ص 25.

جاء بتنصيب أستاذين في كل جامعة من الجامعات الأوروبية الخمس لتدريس اللغات، اليونانية، العربية، العبرية والكلدانية، حيث فهموا وعرفوا مقدار أهمية مكانة الإلمام باللغات ولا سيّما العربية منها، في مجال النشاط التبشيري^[1].

يُذكر أنّ تعبير (Orientalist-المستشرق) هذا إنّما يدل على أنّ المصطلح، له جذورٌ وبصماتٌ غربيّةٌ أضفت عليه هذا المعنى الموجود اليوم، مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم تسمية كلِّ من كتب أو قال شيئاً ولو يسيراً عن الشرق وتاريخه وإسلامه وأدبه، عدم تسميته بمصطلح (مستشرق) عالم بعلم الشرق؛ فهناك من غير المتخصصين والعلماء من يكتب مقالةً صغيرةً، فهذا لا يجعله عالماً متخصصاً بالشرق، كغيره ممن أفنوا أعمارهم في تعلم اللغة العربية، كي تأتي بحوثهم وتحقيقاتهم على الوجه المراد منه إيصال الحقيقة.

ولهذا يُعرّف المستشرق الألماني ألبرت ديتريش، المستشرق: ((هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق^[2])). إذاً، وعلى هذا النمط من التعريف (الفضفاض) العريض للمستشرق، الذي يمكن أن يدخل فيه كل من قام بدراسات وبحوث بمختلف الصفات والتخصصات وباختلاف المراحل التي تخطاها الاستشراق، من الرحّالين، والمبشرين، والضباط، ورجال الاستعمار، واللغويين، واللاهوتيين، وعلماء الفن والآثار، والإنسانيين الأنثروبولوجيين، ومؤرخي الحضارات، والتربويين، ورجال المخبرات، والاقتصاديين ومدوبي الشركات، وخبراء الأسواق التجارية، والسياسيين والمهتمين بالشرق كافةً.

لكن لا يصح ذلك بالمعنى الأكاديمي، فكثيرٌ منهم جواسيسٌ وخبراءٌ متخصصون في الشرق، وغير متمكنين في دراساتهم من إتقان لغات الشعوب الشرقية، ولا تتعدى دراساتهم التقارير الصغيرة التي يكتبونها^[3].

كان لفظ المستشرق يُطلق في الغالب على الشخص الذي يحمل هويّةً غربيّةً أوروبيّةً أو أميركيّةً، ولكن لما خاض عدد من الدارسين في الإسلام من المنتمين إلى أقطار غير

[1] - ظ: فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، ص: 36.

[2] - ظ: ديتريش، ألبرت، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي: ص: 7، نقلاً عن: الصغير، د محمد حسين، المستشرقون والدراسات القرآنيّة: ص: 11.

[3] - ظ: سالم، د. الحاج ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي: ج: 1، ص: 23.

مسلمة مثل: الصين والهند واليابان على غرار المستشرقين من الغربيين، إذ عمدوا إلى البحث والتحقيق بشأن الإسلام والقرآن والمسلمين وخصائص البلدان الإسلامية، فكانت جهودهم تحمل الطابع الملحوظ في الجهود الغربية، وكانت آثارهم العلمية قد خضعت لنفس ملاكات نقدها من علماء المسلمين، فلم يكن لهويتهم أو رقعتهم الجغرافية أيّ دور في تمييزهم من غيرهم، لذلك تمّ إلغاء خصوصية (الانتماء الغربي) للمستشرق، ليحل محلها عدم الانتماء إلى الإسلام.

والاستشراق على أنه فكرٌ غربيٌّ، كَتَبَ وأنتج وصدَّر، ضمن بيئة تنظر إلى الشرق نظرةً غربيةً، وحاول الاستشراق نقد الشرق وتحليله ودراسته ووضع المقدمات والنتائج، بعقلية غربية علمانية، ولذلك ينبغي أن يُدرس الفكر الاستشراقي على وفق القراءة الواعية، وبمنظرة واقعية محايدة تأخذ بنظر الاعتبار خصوصية شعوب المنطقة ودينها وعاداتها.

ثانياً - المهديّ المنتظر:

لا يُراد هنا في الكلمات المفتاحية الرئيسة للعنوان البحث عن لفظ المهدي المنتظر في معناها اللغوي والاصطلاحي، من قبيل أنه جاء من الفعل هدى، وأنه اسم مفعول، أو اسم فاعل، فلا داعي لها، ليس لوضوحها فحسب، بل لعدم جدواها، وعدم إضافتها شيئاً جديداً للبحث، وإنما المراد من عنوانه المطالب هنا، لبيان ماذا يُقصد من المهدي المنتظر في العنوان الرئيس ومن هو المهديّ المبحوث عنه هنا؟

هل الذي ذكرته أحاديث المسلمين بشتى صحاحهم وموسوعاتهم الحديثية، بصورٍ عامّةٍ وخاصّةٍ، بكل مشاربهم وأنواعهم وأطرافهم؟ أهو المهدي (الخاص) الذي تناولته رواياتٌ خاصّةٌ بفريقٍ معيّن، لأنه يتناسب مع توجهٍ معيّنٍ وأسلوبٍ ونتائجٍ ممنهجةٍ، في إطار بحثٍ مرسومٍ الخريطة، بنتائجٍ قبليّةٍ لا تقبل التغيير والحياد؟ أو هو المهدي الذي تأطّر بأطرٍ استشراقيةٍ، وصاغته أفكارٌ ورؤىٌ تحركت بأناملٍ بحثيةٍ بعينٍ غربيةٍ، تريد فرض رؤيتها وتسليمها وجعلها مسلّماتٍ لدى الآخرين، وتريد أن تجرّ البحث إلى (قرصها)، لتجعلنا تحت وطأة طاولة نقاشها، والمهاترات البحثية التي جعلتها كمطبّاتٍ بحثيةٍ تجبرك على التوقف عندها؟

الجواب:

لا هذا ولا ذاك! إنما سيكون البحث عن (المهدي المنتظر) سيراً على وفق آثار الخطوات التي تقف على أرض صلبة من الأمور المشتركة في هذه المسألة؛ فأينما يكون هناك مشتركات، ستكون هناك انطلاقةً بحثيةً متجددةً في عقيدة المهدي المنتظر بين المسلمين، بل حتى بين أتباع الديانات السماوية، وذلك إنصافاً للعقيدة بما هي عقيدة مهديّة، بعيداً عن أيّ شؤون أخرى، أو قل عناداً - إن جاز التعبير - وحجاجاً ولجاجاً مع المستشرقين الذين حاولوا كما سيتضح في جميع طيات الكتاب (طيّة طيّة) وأوراقه (ورقةً ورقةً) بأنهم أرادوا إثبات غير ذلك بزعمهم: لا وجود ولا أصل لعقيدة المهدي المنتظر إلا عند الشيعة، وإنهم مبتدعة يغردون خارج السرب الإسلامي، وذلك عن طريق الخوض وبسط الكلام في المختصات والاختلافات من غير المشتركات، أو عن طريق النقولات المغرضة في هذه العقيدة، لنفي ما يشترك بها المسلمون فيها، ومن ثمّ نفيها جميعاً وإنكارها بوصفها خارجةً عن المفردات الإيمانية، ولا تمثل إلا فئة قليلة من المسلمين.

والمشتركات على ما يبدو كثيرة، من قبيل المثال لا الحصر:

الخروج الحتمي وبعثه في آخر الزمان.

ب - وأنه من أهل البيت (بأي معنى كان).

وأن الأرض تمتلئ بالجور والظلم، ويُبعث المهدي فيملأها بالقسط والعدل ((... عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْراً))^[1].

وأنه يشبه اسم النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^[2].

[1] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ): أول كتب المهدي: ج6، ص: 341، رقم الحديث: 4283. صححه محقق كتاب السنن شعيب الأرنؤوط في الهامش قال: (إسناده صحيح. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي). و صححه الألباني قال: صحيح. في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج4، ص: 41.

[2] - سنن الترمذي: ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2230. أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: باب ما جاء في المهدي. وحكم بصحته الترمذي: قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح. و صححه الألباني كما أشار محقق الكتاب لذلك قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 505.

سيجري البحث سيراً مع ما تتطلبه حدود الدراسة النقدية لرأي هذا المستشرق أو ذاك، على وفق معاييرَ بحثيةٍ مُتَزَنَةٍ مُتَّسِقَةٍ بميزان وسياق القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومحاکمتها عن طريق القرآن والسنة الشريفة.

والسؤال هنا: هل ذُكر لفظ (المهدي - المنتظر) بعينه في القرآن أو لم يُذكر؟ أو هل ذُكر هذا اللفظ في الأحاديث والروايات؟

وهذا السؤال مرتبطٌ بالعنوان الرئيس، إذ ذكرت الأحاديث لفظ المهدي نفسه، إذ جاء في الحديث: ((عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَذَاكَرْنَا الْمَهْدِيَّ فَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَى آلِهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْمَهْدِيُّ مِنْ وَكْدِ فَاطِمَةَ))^[1]. ولم يُذكر هذا اللفظ نفسه في القرآن.

وقد اشتهر هذا الاصطلاح (المهدي) بحيث صار عند الإطلاق، يُراد به المهدي المنتظر الذي يخرج آخر الزمان، أما لفظ المنتظر فقد ذكرته الأحاديث والأدعية الواردة عن طريق العترة الطاهرة من أهل البيت، حيث جاء في الكافي للكليني بسنده ((عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله [الصادق] عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ لِلْغُلَامِ غَيْبَةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، ... ثم قال: يا زرارة وهو الْمُتَنْظَرُ، وهو الذي يُشَكُّ فِي وِلَادَتِهِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَاتَ أَبُوهُ بِلَا خَلْفٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: حَمَلٌ [أَي مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ حَمَلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ] وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ وَلِدٌ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسِتِّينَ، وَهُوَ الْمُنْتَضِرُ))^[2]. الرواية صحيحةٌ كما جاء في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني.

وتناقل المسلمون هذا الاسم عبر الأجيال، فهو يعبرٌ عن انتظار تلك البشرية التي بشر بها الرسول الأكرم، وذلك القائد الذي يحقق آمال البشرية وتحقيق جهود الأنبياء، حيث سيملاها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما بشر به الرسول الأكرم، من هنا كان

[1] - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): ج5، ص: 412، رقم الحديث: 4086. أبواب الفتن، باب خروج المهدي.

[2] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328هـ)، الأصول من الكافي: ج1، ص: 337، باب في الغيبة. والرواية معتبرةٌ ومعتمدةٌ؛ فقد جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني: ج2، ص: 320. وحققتها ودرس سندها وصححها الشيخ أحمد الماحوزي، قال: ((مرتبة الحديث: حسنٌ، بل صحيحٌ، رجاله أجلاء)). الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص: 22.

للفظ المنتظر هذا المعنى؛ لذا من البدهي أن نقول بأنه صيغة اسم مفعول (مُنْتَظَرٌ) وليس اسم فاعل، لانتظار البشرية ذلك المخلص الموعود، الذي يحقق العدل الإلهي الكامل ويحقق حلم وجهود جميع الأنبياء والمرسلين، أما إذا تأكد وجوده وأنه حيٌّ غائبٌ، بحسب اعتقاد الإمامية، فيمكن أن يكون اسم (المُنْتَظَر) على صيغة اسم الفاعل باعتبار أنه ينتظر الإذن والأمر الإلهي بخروجه وظهوره لتحقيق العدل الإلهي المنشود، ونقلت الأحاديث هذا المعنى بأنه المُنْتَظَر (بصيغة الفاعل) لأمر الله بالخروج، ما جاء في آخر رسالة لآخر سفير له (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، روى الشيخ الصدوق ذلك في خبرٍ طويلٍ: ((حدثنا أبو محمد الحسن ابن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام... فأخرج إلى الناس توقيعاً [من الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ] نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا عليُّ بن محمد السمري... لا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً...))^[1].

من هنا ظهرت مؤلفات بهذا المعنى وهذا اللفظ، لجملة من أعلام المسلمين، مثل: (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) لابن حجر الهيتمي، وأيضاً (عقد الدرر في أخبار المنتظر) وهو كتابٌ للشيخ يوسف بن يحيى السلمى الشافعي، وغيرها كثير.

من جهةٍ أخرى يظهر أنه صيغَ بهذه الصياغة عن طريق ما ذكر في الأحاديث في ما نقلته مصادر المسلمين - ولا سيما الإمامية - من الحث على انتظار الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو الحث على انتظار الفرج، كما في (عيون أخبار الرضا) بأسانيد ثلاثة معتبرة عن الشيخ الصدوق بإسناده: ((... قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَرُ فَرَجَ اللَّهِ))^[2] وجاء مثله في سنن الترمذي.^[3]

[1]- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص: 516. رقم الحديث: 44، باب ذكر التوقعات الواردة عن القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

صحح الرواية الشيخ الماحوزي، قال: (سنده الصحيح) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص: 610.

ومما يؤيد صحة الرواية أن السيد الخوئي أخرجها في ترجمة (علي بن محمد السمري). ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج13، ص: 182 - 183.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، عيون أخبار الرضا: ص: 39. الرواية أسانيداً ثلاثة معتبرة كما في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة للشيخ محمد آصف محسني: ج2، ص: 343.

[3] - سنن الترمذي: بإسناده: ((... قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ... وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَرُ الْفَرَجَ))

ثالثاً - النقد:

المعروف لدى بعضهم أو غالباً، عند من يمارس النقد عملياً، هو إظهار العيوب والمثالب وكل أمر سيئ، وبثها على لسان العدو والصديق، كما يفهم من إطلاق قول أبي الدرداء الذي استشهد به ابن منظور في لسانه: ((إِنَّ نَقَدْتَ النَّاسَ نَقَدُوكَ وَإِنْ تَرَكَتَهُمْ تَرَكَوكَ، معنى نقدتهم أي عبتهم واعتبتهم قابلوك بمثله))^[1] لكن في الحقيقة كما أن النقد، هو كشف للعيوب وإبرازها، في المقابل هو إظهار الإيجابيات والجانب الجيد فيها أيضاً، كما فهم ذلك من بعض معاني التعريفات اللغوية لمفردة النقد واستعمالاتها، حيث جاء النقد في اللغة: تَمَيَّزُ الدَّرَاهِمِ وَإِخْرَاجُ الزَّيْفِ مِنْهَا كَذَا تَمَيَّزُ غَيْرِهَا كَالْتَنَقُّادِ وَالتَّنَقُّدِ وَقَدْ نَقَدْنَا يَنْقُدُهَا نَقْدًا وَانْتَقَدَهَا وَتَنَقَّدَهَا إِذَا مَيَّزَ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا، وَ (نَقَدُ الدَّرَاهِمَ) هُوَ أَنْ يُكْشَفَ عَنْ حَالِهَا فِي جَوْدَتِهَا أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَإِبْرَازُهُ وَبُرُوزُهُ^[2].

أما النقد اصطلاحاً، كما هو معروف في التعريفات الاصطلاحية التي لا بد وأن تأخذ شمةً - إن صحَّ التعبير - وجنبهً من التعريف اللغوي، وأن تكون هناك مناسبة بين الجذر اللغوي والمعنى الاصطلاحى، وعلى ذلك جاءت أنسب التعريفات تناغمًا مع التعريف اللغوي، فإنه ((النقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها))^[3].

من هذا وذاك سوف تكون منهجية هذه الدراسة، أي مناقشة الآراء ومحاولة تحليلها ومقابلتها وموازنتها مع غيرها، ليميز الخبيث من الطيب منها، ويجعل الخبيث بعضه على بعض ليركمه فيجعله في خانة الإدانة، بعد ما كان في قدسية ساحة النقاش والحوار.

سنن الترمذي: ج 5، 565، رقم الحديث: 3571. أبواب الدعوات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، باب: في انتظار الفرج. حكم الحديث: ضعيف، قال محقق السنن أحمد محمد شاكر، في الهامش: ضعفه الألباني.

أقول: وإن كان ضعيفاً ألا يمكن أن يكون شاهداً له؟ أو يكون مؤيداً لما جاء في الحديث أعلاه في كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، للشيخ الصدوق. لأنه يندرج ضمن ما اجتمعت عليه كلمة علماء المسلمين، وأمة النبي الأكرم لا تجتمع على ضلالة.

[1] - ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب: ج 3، ص: 425.

[2] - ينظر: ابن فارس، أحمد أبو الحسين (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة: ج 5، ص: 467. وكذا ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب: ج 3، ص: 425، مادة (نقد). وينظر: الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس: ج 5، ص: 282.

[3] - الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص: 115.

الفصل الأول

الفكر الاستشراقي

قراءة في المناهج
والموارد والمصادر

المهدي المتظن

المبحث الأول: بليوغرافيا المصادر والدراسات الاستشراقية

المبحث الثاني: التمدب في عقيدة المهدي المنتظر

المطلب الأول: سرد المؤلفات الاستشراقية عن المهدي المنتظر

المطلب الثاني: مناهج المستشرقين في العقيدة المهديّة

1 المبحث الأول

ببليوغرافيا المصادر والدراسات الاستشراقية

توطئة:

في هذا المبحث لا بدّ من التعرف عن كُتب على المصادر والمؤلفات والدراسات الاستشراقية التي اهتمت وكتبت عن المهدي المنتظر، وذلك بعملية مسح للمراجع والدراسات، قدر ما أمكن ذلك، مع عدم الاهتمام بذكر الآراء هنا بالتفصيل - فسيتم تفصيلها لاحقاً إن شاء الله تعالى فضلاً عن مناقشتها - وسيتم هنا ذكر هذه المصادر، سواءً أتشابهت وتقاربت هذه الدراسات أم لا، أم كانت مؤلفاً خاصاً عن المهدي المنتظر، أم خُصّص له فصلٌ ضمن كتاب، أم غير ذلك. مع الإشارة إلى وجود مصادر ودراسات أخرى في ذات الشأن، لكن لم يتسنّ الوصول لها أو الاستفادة والتطرق لها، لأسباب مختلفة، أهمها: لتكرارها نفس المنهج والأسلوب الذي يميل إليه المستشرقون. كذلك تجدر الإشارة والتنويه إلى أنّ المستشرق عندما يتناول قضية المهدي المنتظر، غالباً ما يتناولها عند الشيعة وعقيدتهم بالمهدي الموعود، لذا تجد آراءهم عن المهدي المنتظر ضمن مؤلفاتهم وكتبهم عن الشيعة، لأنهم تصوروا أو هكذا أرادوا أن يصوروا المسألة، واعتقدوا عن عمدٍ أو عن غير عمدٍ أنّ مسألة المهدي المنتظر، من مختصات وعقائد الشيعة فقط.

من هنا إذا أراد أيُّ باحث أن يبحث، فعليه أن يتحرى مصادر المستشرقين وكتاباتهم عن الشيعة والتشيع وعقائدهم، لأنهم أثبتوا وجعلوا عقيدة المهدي المنتظر من مختصات عقائد الشيعة فحسب. وكذلك ينبغي مراعاة الخلفية العقديّة للمستشرقين، الذين غالباً ما يعبرون عن رؤية توراتية، أو مستمدة من عقائد النصرانية في هذه المسألة.

سردُ المؤلفات الاستشراقية عن المهدي المنتظر

المستشرق غولد تسيهر، اليهودي المجري.

ألّف كتاباً بعنوان (العقيدة والشريعة في الإسلام) تحدث فيه عن تطور العقيدة ونموها في العالم الإسلامي وعن الزهد والتصوف والصوفية، وقد كان القسم الخامس منه عن (الفرق) الإسلاميّة والقسم السادس (الحركات الدينيّة الأخيرة) وخصص شطراً منه عن التشيع وعقائدهم وعن عقيدة المهدي المنتظر.

وذكر الدكتور عبد الجبار ناجي أنّ تسيهر له (دراساتٌ إسلاميّةٌ) تقع في جزأين أتى فيهما على مناقشة موضوع الشيعة الإمامية، وتطرق لعقيدة المهدي المنتظر، وكذلك له بحثٌ آخرٌ موسومٌ (موجز تاريخ أدب الجدل الشيعي السني) خصص فيها شطراً عن المهدي المنتظر^[1]

وألّف غولد تسيهر بحثاً بعنوان (تجيل الميت في الإسلام والوثنية) تطرق فيه عن الأثر الفارسي القديم -الساساني- على العقائد الشيعية ومنها عقيدة المهدي المنتظر، وقد نشره في مجلة دراسات إسلاميّة عام 1967^[2].

وأيضاً له كتابٌ بعنوان (مدخلٌ إلى الفقه والشريعة الإسلاميّة) ضمّنه معلوماتٌ عن فلسفة الإمام عند الشيعة وطبيعة الإمام المهدي، وطُبع في جامعة برنستون^[3].

وكتب بحثاً آخرَ عن العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية الموجودة في الحديث، وتطرق فيه إلى الحديث (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً) وذلك بهدف

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 206 - 210.

[2] - ظ: المصدر نفسه، ص: 206 - 210.

[3] - ظ: المصدر نفسه، ص: 206 - 210.

إظهار أثر عددٍ من العناصر الأفلاطونية المحدثة وتأثير الأسفار اليهودية في ذلك الحديث^[1].

هاينس هالم (Heinz Halm)، ألماني:

صدر له كتابٌ (التشيع الإسلامي من الدين إلى الثورة) وطبع سنة 1944، بالألمانية وتُرجم إلى الإنجليزية في أمريكا سنة 1996م. وكان قد نشر (كتابٌ شيعيٌّ للمفضَّل بن عمر، أحد أصحاب الإمام الصادق [عليه السلام]) وإنَّه قد وقف فيه على عقيدة الإمام المهدي^[2].

ب - له كتابٌ بعنوان (الشيعية)^[3] تضمن عنواناتٍ رئيسةً منها: (الأئمة في سامراء) و (غيبة الإمام الثاني عشر) و (عودة المهدي).

ت - وكذا له مؤلَّفٌ بعنوان (الغنوصية في الإسلام) تطرق فيه إلى التراث الشيعي والسني وجاء فيه على الفرق الغلاة، وعلى مدعي المهودية من الفرق.

ث - ولديه كتابٌ مهمٌّ جدًّا في هذا المجال بعنوان: (إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين 875م-973م)^[4]، لكن الكتاب في الحقيقة لا يتحدث عن المهدي المنتظر بالخصوص، إنَّما عن مدعي المهودية في الدولة الفاطمية وعن الدعوة الإسماعيلية وانتشارها الواسع السريع، ويعود سبب هذا الانتشار إلى فكرة المهدي أو القائم، وهو يُعدُّ الإمام السابع والأخير للإسماعيلية، الغائب المستتر.

ج - هناك بحثٌ (أطروحة) له بصورة كتابٍ عنوانه: (الفاطميون وتقاليدهم في التعليم)^[5] وفيه عن مناهجهم في الدعوة لمذهب الإسماعيلية، وفي سبيل نشر البشائر بقرب ظهور المهدي، واعتقاد الإسماعيليين بما يُعرف لديهم بالإمام المستور (المهدي المنتظر). وعن

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 206 - 210.

[2] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 216 - 217.

[3] - DIE SCHIITEN ترجمه للعربية: محمود كبيو، أُلّف هذا الكتاب عام 1988م، وصدر الكتاب الأصلي عام 2005م، الناشر: دار الوراق للنشر عام 2011م، يتحدث الكتاب عن الشيعة الإمامية الإثني عشرية، دون باقي فرق الشيعة الأخرى.

[4] - عنوانه بالألمانية: Der Aufstieg der Fatimiden (875 - 973) Das Reich des Mahdi

ترجمه للعربية: محمود كبيو، الناشر: دار الوراق للنشر عام 2013م.

[5] - أصل هذا الكتاب، بحث أطروحة ثانية يتطلبها نظام الجامعات الألماني لإتمام التأهيل العلمي، فطلَّب منه في جامعة طوبنجن سنة 1969 - Heinz Halm - The Fatimids and Their Traditions of Learning - ينظر: هالم، هاينس، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، مقدمة الكتاب ص: 3 وما بعدها.

الدولة الفاطمية (المهدية) وأساليهم في نشر دعوتهم المرتكزة على أخذ العهد للإمام المهدي المستور عندهم.

يوليوس فلهاوزن، ألماني:

كتب عن عقيدة المهدي المنتظر في أكثر من مناسبة، له كتابٌ مهمٌ جداً في الدراسات الاستشراقية الألمانية بعنوان: (أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام-الخوارج والشيعة) ترجمه عن الألمانية عبد الرحمن بدوي.

أيضاً له إسهامٌ آخرٌ تمثل بكتاب (تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) تضمن شيئاً يسيراً عن المهدي المنتظر.

رودولف شتروثمان، ألماني:

اشتهر بكتاب له مهمٌ في هذا الشأن بعنوان (الشيعة الاثنا عشرية) والذي درس فيه العقيدة الشيعية ومن ضمنها عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر^[1].

كما أُلّف بحثاً عن (تاريخ البدع والغلاة في الإسلام) وقف فيه على الآثار الغنوصية والأفلاطونية المحدثة على بعض معتقدات الشيعة^[2].

وكتب شتروثمان بحثاً في دائرة المعارف الإسلامية، مادة (الشيعة) تضمن بحثاً عن المهدي المنتظر.

وله كتابٌ مهمٌ بعنوان: (فرقة الزيدية) تضمن عقيدة المهدي المنتظر أيضاً. وتطرق فيه عن مدعي المهديوية.

جرهارد كونسلمان، كاتبٌ وصحافيٌّ ألمانيٌّ معاصرٌ اهتم بالشؤون العربية والشرق أوسطية من مؤلفاته (سطوع نجم الشيعة):

في كتابه (سطوع نجم الشيعة) تحدث عن أئمة الشيعة الإمامية واحداً بعد واحد، ومن ضمنهم آخرهم، الإمام المنتظر. بعنوان: (الإمام الثاني عشر - المهدي الذي اختاره الله).

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 210 - 211.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص: 210 - 211.

تيودور نولدكه (Noldeke)، ألماني:

له كتابٌ عن الإمام الحسين وواقعة كربلاء، أشار فيه إلى النتائج العقديّة المهمة للفاجمة في عقيدة المهدي المنتظر. أيضاً له دراسة بهذا الصدد وتبحث في حركة التشيع وتطورها ونُشرت في مجلة Der islam عام 1923^[1].

ولفرد مادولنك، ألماني:

يُعد مادولنك، من المختصين في هذه الدراسات:

فقد ألف كتاباً بعنوان (محاضراتٌ عن تاريخ التشيع) وكذلك كتاباً آخرَ عنوانه (اتجاهاتٌ دينيةٌ في إيران الإسلامية في الفترة المبكرة).

وكذلك نشر كتاباً (دراسةٌ في الخلافة بعد وفاة رسول الله) وقف فيه على موضوع عقيدة المهدي في النصف الأول منه.

وألف بحثاً بعنوان (الولاية عند الشيعة الاثني عشرية في فترة غياب الإمام).

وكذلك ما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية - والمكتوبة بأيدي المستشرقين - كتب بحثاً بعنوان (المهدي)، تتبع فيه الحديث الشريف بشأن المهدي عند السنة والشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية.

وأيضاً في دائرة المعارف الإسلامية كتب بحثين آخرين، البحث الأول بعنوان: (الإمامة) ركز فيه على افتراق عقيدة الشيعة والسنة فيها، ومنها عقيدة المهدي المنتظر، والبحث الآخر مخصصٌ لذات الشأن، بعنوان (قائم آل محمد).

وله مشاركاتٌ أخرى في الشأن ذاته، منها بحثه الذي خصصه للبحث عن السلطة (الولاية) عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية بعد غياب الإمام المهدي.

وكذلك ناقش عقيدة الإمام الغائب في بحثه الموسوم (جدال الشيعة حول شرعية الخراج) وموقف علماء الشيعة من الوكالة والسفارة في عهد الغيبة^[2].

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 207.

[2] - الفقرات من حرف (أ) إلى حرف (خ) ينظر فيها المصدر نفسه: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 214 - 215.

كارل بروكلمان (Carl Brocklman)، ألماني:

كتاب بروكلمان الكبير والمشهور، (تاريخ الشعوب الإسلامية)^[1]، جاء فيه ذكر واستعراض تاريخ الفرق، كفرقة القرامطة وفرقة (الحشاشين) والإسماعيلية، فتطرق بذلك إلى مدعي المهديّة.

آدم متز (Adam Metz) مستشرق ألماني:

في كتابه المعروف بمجلدين (الحضارة الإسلامية)، عنونَ الفصل الخامس منه في المجلد الأول (الشيعة) وتطرق فيه إلى العقيدة المهديّة وتأثرها بالديانة المسيحية.

بيتر هاينه، ألماني معاصر.

ألّف كتاباً بعنوان (الإسلام) طُبِعَ سنة 2012م ترجمة أسامة الشحمان، خصص جانباً منه عن عقيدة المهدي المنتظر لدى المسلمين عامّة، والشيعة الاثني عشرية بوجه خاص، في فصلٍ سمّاه: (طوائف وأشكالٌ خاصّة) تحدث فيه عن الانشقاق العقائدي، والسنة والشيعة وفرقٍ أخرى كالإسماعيلية والزيدية، وعن استشهاد الحسين (عليه السلام) في العقيدة الشيعة، وعن الأئمة وعنونَ مبحثاً بارزاً (المهدي).

أوغست مولر، مستشرق ألماني:

له دراسةٌ خاصّةٌ حول عقيدة المهدي المنتظر بعنوان: (حول موضوعيّة المهديّة في الإسلام) وتمّ طبعها عام 1901.

ب - وقام بتحقيق وترجمة وطبع كتابٍ شيعيٍّ مهم في هذا المجال، عنوانه (كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة) للشيخ الصدوق بن بابويه القمي^[2].

جوزيف فان إس (Josef Van Ess)، ألماني:

كتاب (التوحيد والنبوّة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام) جاء فيه عن عقيدة الانتظار ضمن فصلٍ عنوانه (السنة والشيعة).

[1] نقله للعربية: نبيه أمين فارس - ومنير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، وقد طُبِعَ الكتاب خمس طبعات آخرها الطبعة الخامسة، تموز 1968.

[2] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 207.

فون كريمر (Kremer)، نمساوي:

لديه كتابٌ عن الفرق الإسلاميّة تناول فيه عقائدها ومن بينها فرقة الشيعة وعقائدها، ولا سيّما عقيدة المهدي^[1].

هنري كوربان (Henry Corbin): فيلسوفٌ ومستشرقٌ فرنسيٌّ.

بحكم سفره إلى إيران وإقامته هناك مدّة من الزمن، وسلسلة حواراته الطويلة مع علماء الشيعة، فقد اهتم بدراسة الفلسفة الإسلاميّة واختصّ أيضاً بدراسة التشيع وعقائده:

فألّف سلسلته الدراسية الضخمة (في الإسلام الإيراني، مشاهدٌ روحيّةٌ وفلسفيّةٌ) بأربعة أجزاء لسبعة كتب.

ب - الجزء الأول، هو كتاب (التشييع الاثنا عشري) وكانت عقيدة المهدي المنتظر قد أخذت حيزاً كبيراً منه، وعن فلسفة فكرة الإمامة ومفهومها ومعنى الإمام للروحانيّة الشيعيّة.

ت - والجزء الثالث والرابع منه بحث فيه عن التصوف والتشييع والفلسفة في كتاب عنوانه: (تاريخ الفلسفة الاسلاميّة) فقد ضمّن قسماً منه عن الإمام الغائب والإمام المستور، وأكد أنّ فكرة الانتظار هي شعورٌ فطريٌّ يدفع الانسان لانتظار الأفضل والأصلح. وتحدّث عن مفهوم الإمام بالتحديد وأوجه الاشتراك بين الروحيّة الصوفيّة والوجدان الشيعي، وكذلك ما سمّاه اللاهوت الشيعي مع الفكرة اللاهوتيّة المسيحيّة.

ث - وأيضاً ألّف كتاباً آخر من هذه السلسلة بعنوان: (الشيعة الاثنا عشريّة) عن مفهوم الشيعة في الاثني عشر إماماً، وتطرق عن خاتم الولاية المحمدية -بحسب تعبيره- المهديّ المنتظر، في فصلٍ سمّاه: دورة النبوة ودورة الولاية.

أخيراً خصّص كوربان الكتاب السابع والأخير من سلسلة دراسته لبحث بعنوان: (الإمام الثاني عشر)، عرض فيه بتفصيلٍ أكثر من تلك الكتب التي سبقته، سيرة الإمام، والغيبة الكبرى، وعقد فصلاً بعنوان: (الإمام الثاني عشر وعصر البارقليط)، تحدث فيه عن المماثلة في البشارة الإنجيليّة، بين الإمام الثاني عشر المنتظر، والبارقليط الروح القدس الذي أنبأ

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 206 - 607.

به يسوع في إنجيل حنّا، وأنّ فكرة البارقليط (المؤيد، المدافع) هي التي تبدو محاطة بهالةٍ بالنسبة للرؤية الشيعية.

فرانسوا توبال (Francois Thual)، فرنسي:

له كتابٌ عنوانه (الشيعية في العالم، صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم) جعل قسماً منه عن عقيدة المهدي المنتظر وعنوانه: (شيعُ الشيعة).

المستشرق دار مستتر (Darmstater)، فرنسي:

من المستشرقين الفرنسيين القدامى الذين كتبوا عن عقيدة المهدي المنتظر، ألف كتاباً بعنوان (المهدي من بداية أصوله الإسلامية وحتى أيامنا هذه) وقد تعقّب المهدوية عبر التاريخ في دراسته، ووقف على العقيدة المهدوية بشكلٍ مستفيضٍ^[1].

يان ريشار، مستشرق فرنسي:

له كتاب بعنوان (الإسلام الشيعي) يتحدث فيه عن المعتقدات والإيديولوجيات، أكثر من الحديث عن العقائد، بضمنها قسمٌ عن عقيدة الإمام المخفي. وتناول فيه الحياة الدينية الإيرانية بشيءٍ من التفصيل^[2].

المستشرق الفرنسي البارون كارا دي فو (Carra de Vaux):

درس الإسلام بصورة عامة والأصول السامية والآرية في كتاب بعنوان (المحمدية) ويقصد الإسلام، لكنه لم يكن مخصّصاً عن عقيدة المهدي المنتظر، وإنما أشار إليها إشاراتٍ، واكتفى بنصوصٍ قليلةٍ بينَ فيها ذلك^[3].

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 222. طبع هذا الكتاب مرتين الأولى سنة 1885م. وعنوانه بالفرنسية:

Mahdi depuis les origines de L`islam jusqu`a nos Jours (Paris 1885) وقد اعتمده المستشرق الألماني مادولنك في بحثه (المهدي) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة حديثة).

[2] - عنوان الكتاب في الأصل: L`ISLAM CHI`ITE

[3] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 222. عنوان الكتاب وصاحبه بالفرنسية:

Carra de L`Islam (Paris 1898). Veaux: Le Mahometisme, Le genie semitique et le genie Aryen dans

ونشر في باريس سنة 1895م.

المستشرق غارسين دي تاسي (Garcin De Tassy)، فرنسي:

وقف على العقيدة المهدوية بوجه غير مفصل في كتابه الشامل (الإسلاموية)^[1].

دومينيك أورفوا (Dominique Oorvoa)، مستشرق فرنسي:

ألف كتاباً تاريخياً واسعاً بعنوان (تاريخ الفكر العربي والإسلامي) ضمّنه كلاماً عن عقيدة المهدي المنتظر، ضمن عناوات فرعية عنوان: (الشيعة) والفصل السادس منه عنوان: (توطد الفكر الشيعي).

هنري ماسيه (H. Masse)، فرنسي:

لديه دراسة مهمة في ميدان عقيدة انتظار المهدي، والتي اعتمدها عددٌ من المستشرقين، وهي بعنوان (المسيحية في الهرطقة (البدع) الإسلامية)^[2].

هو لم يتخصّص في الدراسات العقائدية، إلا أنه كتب في هذا الشأن في كتابه المعروف (الإسلام) ضمن الفصل الخامس (التطور الديني والفلسفي) عناواتها: (المهدية، الشيعة، الإسماعيلية، القرامطة، المعتزلة الأشعرية، الصوفيون).

لويس أرنولد، فرنسي:

له دراسة عن عقيدة المهدي المنتظر بالفرنسية عنوانها (عقيدة الإمامية الاثني عشرية)^[3]

بيلفونديز (Y. Linant de Bellefonds)، فرنسي:

نشر بحثاً في كتاب الشيعة الإمامية المطبوع في باريس عام 1970 بعنوان (الإمام الثاني

عشر)^[4].

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 223. (Garcin de tassy, L'Islamisme (Paris) 1874). نشر في باريس عام 1874م. وقد اعتمده المستشرق البريطاني دونالدسون عند تطرقه إلى عقيدة المهدي.

[2] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 223: نشره في باريس عام 1903. تحت عنوان:

(Blochet.è, Le Messianisme dans L'hétérodoxie musulmane (Paris 1903).

[3] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 226.

[4] - ظ: المصدر نفسه: ص: 227.

كليمنت هيوار (Cl. Huart)، فرنسيّ:

كتب بحثاً في دائرة المعارف الإسلامية بعنوان (الإثنا عشرية)، وقف فيه على عقيدة المهدي المنتظر بأنه (hojtn) اختفى) وسيظهر في آخر الزمان معلناً قيام الساعة فيملاً الأرض عدلاً.^[1]

لويس غاردي (Louis Gardi)، فرنسيّ:

لديه كتابٌ بعنوان (أثر الإسلام في العقلية العربية) تناول هذا الموضوع ضمن القسم الثالث من الكتاب تحت عنوان (إسلام واحد أم أكثر) في الفصل الثالث منه، بعنوان (العوالم الشيعية) وتعرض أيضاً فيه لعقائد الزيدية.

دومينيك سورديل (Dominique Sourdel) فرنسيّ تخصص في المذاهب والفرق.

في كتابه (الإسلام، العقيدة .. السياسة .. الحضارة) جاء على ذكر عقيدة الإمام الغائب، بضمن عنوان (الحركة الشيعية)

جيمرت ومونو (Gimaret and G. Monnot):

لهما دراسةٌ عن كتاب في الفرق الدينية وقفا فيها على عقيدة المهدي^[2].

بندلي الجوزي: مستشرق فلسطيني / روسيّ.

عقد فصلين عن فرق الاسماعلية والقرامطة فيهما عن عقيدة المهدي المنتظر الإمام المحجوب، في كتاب له بعنوان (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام).

وليم مونتغمري وات: بريطانيّ:

كتب في مجال الفلسفة وعلم الكلام والعقائد، منها:

كتاب (العقائد الإسلامية) و (الفلسفة وعلم الكلام) وخصص قسماً منها عن العقيدة

[1]- ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص:

243 Cl. Huart (Ithna Ashariyya) in Encyclopedia of Islam (First Edition) - volume I.429 - 31.

[2]- ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص:

228. Gimaret and G. Monnot. Livre des religions et des sects (Peters - Unesco/ 1986).

المهدوية في كتابه (الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي) في الفصل التاسع منه (استقطاب المذهب السني والمذهب الشيعي) والفصل السادس عشر بعنوان (تطور علم الكلام الشيعي).

ب - في كتاب (إعادة قراءة التشيع في العراق-حفريات استشراقية) لخبذة من المستشرقين، لديه بحثان: الأول بعنوان (التشيع في العهد الأموي) والآخر (إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي) تطرق فيهما لمدعي المهدوية، وعن الشبه بين الأفكار المسيحية والعقيدة المهدوية.

ت - في كتابه (الإسلام واندماج المجتمع) تطرق لذكر عقيدة الإمام الغائب، ضمن عنوانٍ لقسمٍ منه (حركة الشيعة الأولى).

المستشرق المبشر المٌبجلّ كانون أدوارد سيل (Canon sell): بريطانيٌّ:

له إسهاماتٌ مباشرةٌ في هذا الشأن منها:

كتابه المطبوع عنوانه (الشيعة الاثنا عشرية)^[1]

ب - وكتابه المهم الآخر (عقيدة الإسلام)

ت - وهناك مؤلّف آخرٌ له يشير بوضوحٍ إلى اهتمامه وتخصّصه في الكتابة عن التشيع بصورةٍ عامّة، وعن عقيدة المهدي المنتظر بصورةٍ خاصّة، وهو بعنوان (The Cult of Ali) وقد يقصد المبشر سيل (عبادة علي أو إعجاب الشيعة بعلي)^[2].

ث - وفي دراسة له عن القرآن بعنوان (تدوين القرآن) فقد تطرق فيها بذات الشأن.^[3]

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 232. عنوانه بالإنكليزية: Rev Canon sell. Ithna Ashari- (yya or The Twelver Shi'as (Madras 1923).

[2] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق: ص: 232.

[3] - تفاصيل الدراسة بالإنكليزية: CHRISTIAN LITERATURE SOCIETY. LONDON, MADRAS AND COLOMBO

CANON SELL, D.D., M.R.A.S. Fellow of the University of Madras CHRISTIAN LITERATURE SOCIETY LONDON, MADRAS AND COLOMBO 1909.

دوايت م. دونالدسون (Donaldson D.M)، بريطاني، مبشر، دكتور في اللاهوت، ودكتور في الفلسفة:

تناول هذا الموضوع في كتابه المهم والمعروف (عقيدة الشيعة)، الذي تضمن الباب الحادي والعشرين منه (الإمام الغائب المنتظر)، وجاء فيه ذكر المهدي عند أهل السنة، والمهدي عند الشيعة وعلامات مجيء الدجال، ونزول المسيح، وأكمل في الباب الثاني والعشرين منه (سامراء مدينة أواخر الأئمة) وجاء الباب الثالث والعشرون لیتتم بحثه في الباب الرابع والعشرين (وكلاء الإمام الغائب الأربعة).

برنارد لويس (Bernard Lewis)، بريطاني من أصل يهودي:

ألّف كتاباً مختصاً بعنوان: (أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية) وكتب قسماً بعنوان (فكرة المهدي) وحاول إرجاعها إلى أصول يهودية، وبيان أصول فرقة الإسماعيلية وارتباطها بالإمام المستور. وكذلك لديه كتاب مستقل بعنوان: (فرقة الحشاشين) وهي فرقة منشقة عن الإسماعيلية، تضمن فيه مسألة مدعي المهديّة.

المستشرق الرحال جيمس فريزر (B. James Fraser)، أسكتلندي:

كتب رحلة في خراسان نشرها في لندن عام 1825م وتحدث فيها عن عدد من عقائد الشيعة، ومنها عقيدة مهدي في عيون رحال إنكليزي^[1].

المستشرق الأمريكي دوغلاس كريم كرو (Douglas K. CROW):

له بحث مهم بعنوان (مقتل الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة) في كتاب (إعادة قراءة التشيع في العراق-حفريات استشراقية) لنخبة من المستشرقين، وتطرق في بحثه عن تقارب المسيحية والمهدية وعن مدعي المهديّة ومحمد بن الحنفية، تحت عنوان (ابن الحنفية، اليسوع والقرآن).

إيرام. لابيدس (Ira M. Lapidus)، أمريكي:

في كتاب له بعنوان (تاريخ المجتمعات الإسلامية)، جاء على وصف عقيدة المهدي المنتظر، في قسمين منه، حملاً عنوانين (الإسلام الشيعي) والآخر (الجماعات الإسلامية ومجتمعات الشرق الأوسط-الفرق الشيعية).

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 228. عنوان الكتاب بالإنكليزية: James Fraser B. Journey into Khorasan (London 1825).

كولن تيرنر (Colin Turner)، مستشرقٌ أمريكيٌّ معاصرٌ:

تطرق للعقيدة المهدويّة في كتابه (الإسلام الأسس) في قسمين منه، تحت عنوان (أزمة الخلافة ومولد الشيعة) والآخر ضمّنه تحت عنوان (الشريعة عند الشيعة) وربط العلاقة والشبه بين المهدوية ودور المسيح.

وله كتابٌ مهمٌّ في هذا الباب (التشيع والتحوّل في العصر الصفوي)، في الفصل الخامس منه ضمن عنوان (عقيدتا الانتظار والرجعة عند الإماميّة)، الذي تضمّن محاورَ عدّة منها ما سمّاهُ (الأحاديث السنيّة حول المهدي) و (المهدي في الأحاديث الشيعة) وغيرها.

جون إل. إسبوزيتو (John L. Esposito)، أمريكيٌّ، معاصرٌ:

جاء في كتابه (مستقبل الإسلام) على ذكر عقيدة المسلمين بالمهدي المنتظر ضمن عنوانين (السنة والشيعة- فروعٌ متعدّدةٌ لدينٍ واحدٍ) و (هل يستطيع التفرقة بين السني والشيعي؟).

فيليب حتي: مستشرقٌ أمريكيٌّ من أصلٍ لبنانيّ.

في كتاب له كتبه بالإنكليزية، عنوانه: (الإسلام منهج حياة) كتب عن العقيدة المهدويّة، وأنّها متأثرةٌ بالعقائد اليهوديّة والمسيحيّة.

المستشرق ميلر (Miller):

كتب بحثاً تناول فيه عقيدة المهدي بعنوان (التصوف الشيعي) نشره في مجلة عالم الإسلام.^[1]

بيتر فون سيفرس (Peter Von Sivers):

كتب فصلاً بعنوان (قرن النضال ضد الكولونيالية وأوهام المهدي المنتظر في المغرب والسودان). وكان هذا جزءاً من كتاب عنوانه: (الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية).

[1] - ظ: ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، ص: 243. Miller, William "Shia mysticism" in Moslem World.

فان فلوطن (G. Van Vloten)، هولندي:

كتب كتاباً كاملاً خصصه بما سمّاها المعتقدات المهديّة وعنوانه: (السيطرة العربيّة والتشيع والمعتقدات المهديّة في ظل خلافة بني أمية) وفصّل فيه محاورَ عديدةً في صلب الموضوع، من المسيح الدجال إلى نزول عيسى، ومدعي المهديّة، ونقّل الأحاديث وناقشها، وأنها من آمال وأمني المسلمين الخيالية، ومن التأثير اليهودي على المعتقدات الإسلاميّة ولا سيّما الشيعيّة منها، وغيرها. فالكتاب عبارة عن ثلاثة أقسام: الأول: السيطرة العربيّة، والثاني: التشيع، والثالث: المعتقدات المهديّة.

ميرسيا إلياد/ ميرتشا إلياده (Mircea Eliade) روماني:

في كتاب له بعنوان (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينيّة) كتب في الجزء الثالث من الفصل الخامس والثلاثين تحت عنوان (علوم دينيّة وروحانيّة إسلاميّة) بضمن عنوان فرعيّ (الشيعيّة والتأويل الباطني).

ألبرت حوراني (Albert Hourani)، إنكليزيّ من أصل لبنانيّ:

تطرق ألبرت في كتابه (تاريخ الشعوب العربيّة) إلى ذكر عقيدة المهدي المنتظر، وربطها بمقتل الحسين (عليه السلام) وذلك ضمن فصل حمل عنوان: (الخلافة).

جفري (S.H.M)، مستشرق أسترالي:

في كتابه (أصول التشيع الإسلامي وتطوره المبكر) تطرّق إلى مدعي المهديّة في الفصل الحادي عشر منه تحت عنوان (عقيدة الإمامة).

وهناك كثيرٌ من المؤلفات للمستشرقين بهذا الشأن والخصوص، لا يمكن ذكرها هنا جميعاً، لطول المقام فيها، ولقد تم ذكر الأهم منها فقط.

مناهج المستشرقين في العقيدة المهدوية

ويُقصد بالمناهج هنا في هذه الدراسة الطريقة أو الطرق التي عبرت عن رؤية الاستشراق لعقيدة المهدي المنتظر، وهو أمرٌ يحتاج إلى تحليلٍ ودراسةٍ، إذ إنَّ المستشرقين لم يكونوا متطابقين في الرؤية لهذه العقيدة.

فالمناهج يُعبّر عنه بالاصطلاح: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مطلوبة^[1]. لكن أغلب المستشرقين لم تكن طرائقهم واضحةً وبيّنةً -على ما سيتضح - بل في بعض الأحيان، هذه التي تسمى مناهج، يكتنفها الغموض والتشويش، أو أنها لا تستند إلى دليلٍ علميٍّ صريح، فهي غير واضحةٍ وغير بيّنة، ولا تصلح لأن تبين حقيقةً من الحقائق، وإن كانت تُعدُّ حقيقةً بالنسبة لهم. ((ومع غياب الدليل يكون غياب المنهج، فالمناهج يراد به الدليلية بنحو ما، فكما أنَّ الدليل هو الطريق الواضح لإثبات المدعى فكذلك المنهج. ومعنى كون الإنسان يُفتي أو يدعي بدون دليلٍ هو أنه بدون منهج))^[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنهم عندما يريدون أن يشككوا أو ينفوا، إنّما يمسّون أصل العقيدة المهدوية بحد ذاتها، حتى وإن كان نقدهم وتشكيكهم موجهاً إلى طائفةٍ بعينها من طوائف المسلمين، فإنهم يقصدون المساس والتشكيك بأصل العقيدة الإسلامية المشتركة. هذا إذا كان نقدهم وتشكيكهم ونفيهم لمسائلٍ عموميةٍ في عقيدة المهدي المنتظر، مثلاً كقولهم (عدم وجود أحاديث تدعم هذه العقيدة) فلا يضر ولا يهيم إن كان رأيهم ونقدهم موجهاً صوب طائفةٍ أو فرقةٍ من فرق المسلمين التي تعتقد وتشارك بأصل الفكرة والعقيدة مع باقي الفرق والطوائف الأخرى، حينها سيُنظر إلى النقد أو النفي والتشكيك من المستشرقين بأنّه متوجهٌ إلى هذا المشترك الأصل، لا إلى تلك الطائفة أو الفرقة، أما إذا عرفنا بأن ذلك النقد

[1] - ظ: بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي: ص: 5.

[2] - الحيدري، سيد كمال، مناهج تفسير القرآن: ص: 25.

والتشكيك والنفي يخص تفاصيل وجزئيات تختص بها طائفة أو فرقة معينة، فالأمر مختلف. وهنا نقف عند جملة من الأساليب أو السمات التي يشترك فيها المستشرقون في نظرتهم إلى الاعتقاد بالمهدي المنتظر:

أولاً - أنهم جعلوا الاعتقاد بالمهدي المنتظر من مختصات الشيعة، (فهو مرتبطٌ برجعة الإمام الغائب... لكن هذه الرجعة صارت معتقداً خاصاً بالمذهب الشيعي وحده)^[1]، ولا يوجد أحدٌ يؤمن ويعتقد بها غيرهم، لذا لا تجد ذكراً لهذه العقيدة في مؤلفات المستشرقين وكتاباتهم، إلا عندما يكتبون عن الشيعة، ولا سيما الشيعة الإمامية كما ظهر جلياً في المطلب السابق عند ذكر قائمة بمؤلفاتهم ودراساتهم حول المهدي المنتظر.

إذاً وبحسب ما ترشّح من كتاباتهم فهي مقترنةٌ بعقائد الطائفة الشيعية وأصولها، دون غيرهم من الطوائف والمشارب الإسلامية. وإذا كان هناك نقدٌ على متينات هذه العقيدة وتفرداتها وما يرتبط بها ومدّعيها، فهو يتوجه صوب تلك الطائفة، لأنها هي المعنية بذلك.

ومثالٌ لذلك بلا حصر، قولهم أنّ الشيعة وضعوا لأنفسهم مبدأ (الزعيم الأوحد fuhror prinzip -) وأطلقوه على كل من كان عندهم موضع عبادة الأبطال، أي (الإمام المهدي)^[2] وقال آخر: يمكن القول إنّ الشيعة احتكرت فكرة المهدي لمصلحة خلافة علي، عضو عائلة النبي وأولاده^[3]، وبذلك مصادرةً واضحةً للمطلوب، لإثبات عدم وجود العقيدة المهدوية عند المسلمين وجعلها من عقائد فئةٍ خاصّةٍ منهم، حتى لا يتم النقاش بعدها في التفاصيل الأخرى، كوجوده من عدمه، وحياته وولادته من عدمها، وانتظاره وتهيؤ أفراد الأمة لمقدمه وخروجه، بل ونصرته في مهمته العظيمة ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً، على حدّ سواءٍ من

[1] - غاردي، لويس، أثر الإسلام في العقلية العربية، ص 224.

[2] - ظ: نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص 217. وينظر: فان إس، جوزيف، التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، ص 38. عنوان الكتاب الأصل هو: (المسيحية وديانات العالم - Chris-) tentum und Weltreligionen تأليف البرفيسور هانس كونغ Hans Kung وجوزيف فان آس وآخرين. وأصل هذا الكتاب، إحدى ندوات الحوار التي نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ما بين عام 1982م - 1984م بين أحد أشهر مستشرفي ألمانيا المعاصرين مع أحد أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية (هانس كونغ) ونشر هذا الكتاب دار بيبر (Piper) للنشر بمدينة ميونخ بألمانيا الاتحادية سنة 1984م وطبع في فيينا، وقد عرضه لنا معرباً لأهم ما ورد في النص الأصلي الدكتور السيد محمد هاشم، بعنوان: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام.

[3] - ظ: ماسي، هنري، كتاب الإسلام: ص: 199.

القائلين بوجوده وأنه مولودُ الآن، أو أنه سوف يولدُ بعد. ومن ثمَّ سوف يتم نفي وإقصاء كل ما يرتبط بالمسألة المهدوية.

ويزاد على ذلك أنَّ نسبة العقيدة المهدوية إلى طائفة الشيعة فقط، يمكن تفسيرها بأنها محاولةٌ من بعض المستشرقين لإثبات الاختلاف بين فرق المسلمين وتعميقه في مشاعر أتباع الفرق والطوائف الإسلاميَّة.

ثانياً - إنكار كل ما يخالف العقل (الجمعي) ولا سيَّما الأمور المرتبطة بالغيبيات - وإن كان ما يظنونه من إشكالاتٍ عقليَّةٍ هو في الحقيقة وجهات نظرٍ شخصيَّةٍ تتبع طبيعة الثقافة الذاتية - ومنهج الإنكار والتشكيك للقضية المهدوية، تمثَّل في إنكار الحقائق الواضحة والجلية في العقيدة المهدوية لدى المسلمين، بحيث جعلوها بأن لا وجود ولا أصل ولا حتى إشارة لها، في القرآن ولا في السنة الشريفة، ولعل من الواضح أنَّ مناهج المستشرقين عموماً هي اعتمادهم على العقل والاستدلال العقلي، فهُم يؤمنون بما يقبله العقل، لإيمانهم بالمادة والحس أكثر من الغيب والماورائيات، وأما ما ينكره الحس فلا يؤمنون به، ومن الأمور التي ادَّعوا عدم قبول العقل لها، هي مسألة الإيمان بوجود الإمام الذي يخرج آخر الزمان سواءً أكان موجوداً مولوداً وقد غاب ثم يظهر، أم إنه يُولد في آخر الزمان ليحقق العدل الإلهي الموعود، فإنكار ذلك لاستحالة تحقُّقه عقلاً من وجهة نظرهم.

فعدُّ هذه المسألة من المستحيلات بزعمهم، وقالوا أنَّها من المختلقات وأنَّها لا يوجد لها ارتباطٌ تاريخيٌّ بكل الوقائع الغابرة في التاريخ أو التي ستقع لاحقاً^[1].

وقد أخضعوا هذه القضية إلى العقل الغربي والبيئة الغربية التي ترتبط بالفلسفة المادية وإنكار الغيبيات، والتشكيك فيها، ومن ثمَّ إنكار ورودِ أحاديثٍ صحيحةٍ عن النبي في هذه العقيدة، وقالوا إنَّها من أمانى وأوهام المسلمين أنفسهم، ولا سيَّما الشيعة منهم، يُمُنون بها آمالهم بالخلاص من الظلم والطغيان الذي يجري في هذه الدنيا، فمن ((المحتمل جداً أنَّ الفشل الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلاميَّة في توطيد أركان العدل والتساوي على زمن دولة الأمويين (41 - 132هـ) كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمان ... ومما

[1] - يراجع كتاب ميرسيا إلباد، بعنوان (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية) ص: 136. وكذا كتاب أنتوني نتنج بعنوان: (العرب، انتصاراتهم وأمجاد الإسلام): ص: 217. وكتاب جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 196.

[هو] جدير بالملاحظة أن استعمال هذا المصطلح [المهدي المنتظر] سَبَقَ تدوين الحديث بنحو مائتي سنة، وهي فترة كافية لتبلور فكرة المهدي واتخاذها شكلاً قطعياً^[1].

ثالثاً - (منهج اجترار الآراء والأفكار): هو منهجٌ اتخذهُ بعضهم، وهو ترديد المستشرقين لآراء وتفسيرات بعضهم لبعض وإعادة صداها، وإن كانت خاطئةً مُجانبَةً للصواب، ومثاله قضية تأثر المسلمين بالأديان الأخرى، كما نلاحظُ المستشرق غولد تسيهر عندما ينقل نصّاً بالفكرة والمضمون عن (فلهاوزن) بعدما ذكر الأخير في كتابه (أحزاب المعارضة الدينية والسياسية)^[2] قوله ((وفكرة الرجعة^[3] ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اختصوا بها، ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية^[4])) فيؤيده (تسيهر) معتقداً أن الإسلام والمسلمين تأثروا بالعقائد اليهودية والمسيحية، مردداً الرأي ذاته، بقوله: ((فعند اليهود والنصارى أن النبي إيليا قد رُفِعَ إلى السماء، وأنه لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل))^[5]، وإنَّ الفكرة المهديّة ترجع في أصلها إلى العناصر اليهودية والمسيحية^[6]. وهذا كلام مجافٍ للحقيقة وليس كذلك بالضبط - كما سيتضح لاحقاً - لأن الأديان، المسيحية واليهودية والإسلامية مصدرها واحدٌ، فلا بدّ من تشابه عقائدها ومفرداتها وتفصيلاتها، وهذه اللائحة متأتية بوصفها صدرت من مصدر التشريع الواحد وهو الله تعالى، فلا غرابة من هذا التشابه، وليس كل ديانة متأثرة بالأخرى كما يحلو لهم أن يسمّوه (تأثراً).

وشبيهٌ بهذا الرأي - رأي غولد تسيهر - ردّه وتأثر به المستشرق مونتغمري وات^[7] وبذلك

[1] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص: 231.

[2] - يراجع: فلهاوزن، يليوس، أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، الصفحات 234 - 254 تحت عنوان: العلاقة بين الشيعة وبعض الفرق اليهودية.

[3] - هذا خلطٌ بين الرجعة عند الشيعة الإمامية والتي تعني رجوع الحياة لعدد من الأموات وبين العقيدة المهديّة، وهنا عند ذكره الرجعة، يقصد بها العقيدة المهديّة.

[4] - تسيهر، غولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 192.

[5] - المصدر نفسه: ص: 192.

[6] - ظ: المصدر نفسه: ص: 195.

[7] - ظ: وات، مونتغمري، إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، بحثٌ ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق، حفریات إستشراقية، لنخبة من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي: ص: 132.

أيضاً ردّد ما يتناغم وهذا الرأي، المستشرق (آدم متز) في كتابه الحضارة الإسلامية، بأنّ الرجعة - ويقصد بها العقيدة المهدوية - توجد في مذاهب الغنوصيين والمسيحيين^[1].

رابعاً - المنهج أو الأسلوب الموضوعي، ولا أعني بالموضوعية، هو القول بترجيح رأي على آخر، ولكن الموضوعية هنا تعني الحياد بالنقل وعدم التجني بالآراء وإطلاق الأحكام الجزافية والفتاوى البحثية غير الصحيحة، وعدم تحميل النصوص فوق ما لا تحتمل، فعلى سبيل المثال نجد بعضاً منهم يقوم بنقل النصوص والحقيقة كما هي بدون زيادة أو نقيصة تُوهِمُ القارئ المتلقي، فينقل الصورة كما هي للمتلقي - الغربي خاصة - بدون أيّ تلاعب أو تمويه. أو يعطي رأياً لكن بدون تليق أو كذب أو تزوير للحقيقة الأصلية، وإن أعطى رأياً أو انحاز إلى رأي دون آخر، فالمهم أنه يجب ألا يكون لجهة على حساب جهة أخرى والتعامل مع الرأي الحيادي نفسه، من غير الركون إلى التليق والتزوير في الحقائق.

فحينما يأتي المستشرق (بيتر هاينه) بشيء من الإنصاف والموضوعية ليقرر: أنّ فكرة ظهور المهدي على أنه منقذ ومخلص، كما هي موجودة في الإسلام الشيعي، هي ليست غريبة على الإسلام السني، وكثيراً ما يُشار إلى المنقذ المنتظر في السنة النبوية صراحةً، وينقل من ذلك نصين نبويين^[2].

بالتأكيد (بيتر هاينه) لا يعني هنا أنّ كلّ ما يؤمن به المذهب الشيعي من تفاصيل في القضية المهدوية، كذلك أيضاً يؤمن به الطرف أو المذهب السني بالتحديد، وإنما الواضح يُراد منه وجود أصل العقيدة والمشاركات فيها.

وهكذا كما هو الظاهر من طرح (هاينس هالم) المستشرق الألماني المعاصر عندما يتحدث عن مفهوم الخلاص بأنّه لا ينبع من موروث خارج عن الإطار الإسلامي بقوله: ((فالشيعية، شأنها شأن الإسلام السني، لا تعرف الخطيئة البدئية أو الخطيئة الموروثة، أي لا تؤمن كالمسيحية بأنّ الإنسان يولد خاطئاً، وهي بالتالي [من ثمّ] لا تعرف مفهوم (الخلاص)

[1] - ظ: متز، آدم، الحضارة الإسلامية، ج1، ص: 125.

[2] - ظ: هاينه، بيتر، الإسلام: ص 227 - 228 فينقل النصين (يخرج في آخر أممي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً يحيي المال حثياً ولا يعده، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة) والنص الثاني (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً).

ولا يوجد في علم المصطلحات الإسلامية كلمة مناسبة له^[1]. لكن هناك معتقدات وتفاصيل خاصة عند الشيعة تختلف عن سائر المسلمين، وأنَّ الإمام الثاني عشر لديهم موجودٌ غائبٌ ومتخفٌ في مكان ما، ولا أحد يعرف ساعة عودته المظفرة ولكن يجب توقعها في أيِّ لحظة، وإنَّها ليست مصادفةً أنَّ يحمل الإمام الثاني عشر اسمَ (محمّد) فهو يأتي ليكمل رسالة جده النبي بحسب التسلسل الذهبي للأئمة واحداً بعد الآخر وهو الذي يحمل الاسم نفسه^[2].

إلى أن يقول: ((فالاعتقاد بمجيئ منقذ ومجدد للإسلام يسمى المهدي موجودٌ لا فقط لدى الشيعة، بل هو منتشرٌ في جميع أرجاء العالم الإسلامي لكن فكرة انتظار المهدي لا تتخذ عند السنة مثل هذه المكانة المركزية، بل إنَّ التصورات المرتبطة بذلك تتخذ عند الشيعة فقط أشكالاً نموذجيةً محدّدةً تماماً)).^[3] وهكذا لويس غاردي عندما يقول: هناك مرحلةٌ خاصّةٌ تسبق يوم القيامة والدينونة، فقط للأولياء والعادلين، والتي تفتح وتزدهر في (عودة المسيح) تحت قيادة المهدي المنتظر. سيكون ذلك هو عهد العادلين المصلحين في الأرض، قبل الانعدام الكبير والفناء في نهاية العالم، والقيامة العامة^[4].

وهكذا عندما ينقل أيضاً آراء الإمامية وعقيدتهم بظهوره: ((إنَّه غائبٌ) لكنه لم يمت أبداً. فالاعتقاد الإمامي يؤمن ببقائه حيّاً في الخفاء، ويأمل رجعه ويتنظرها. فهو الذي سيكون البرهان الأعظم، المهدي/ الراشد/ لآخر عمر العالم (والي الزمان). والذي سيملاً الأرض عدلاً، عند الرجعة الألفية للمسيح، قبل أن تقوم القيامة. فغيابه وهو يمدد انتظار المخلصين، إنّما (يمدّد) يوم العالم الأخير. لأنَّ الأمة لا يمكنها أن تعيش بلا إمام. وهكذا يظل (محمد المهدي) حيّاً وحاضراً حضوراً غير منظور، لكنه حضورٌ حقيقيٌّ^[5])).

برنارد لويس، البريطانيُّ ذو الأصل اليهودي، والذي لم تكن كتاباته منصفةً بعض الأحيان،

[1] - هالم، هاينس، الشيعة: ص: 51.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص: 53.

[3] - هالم، هاينس، كتاب الشيعة، ص: 53.

[4] - ظ: غاردي، لويس، أثر الإسلام في العقلية العربية: ص: 224.

[5] - غاردي، لويس، أثر الإسلام في العقلية العربية: ص: 227.

قد يكون من الموضوعية أن يكتب عن استمرار توارث إمامة الأئمة - أعني الوراثة الإلهية^[1] لا الفقهية - وتخفيف شدة الوطء للخلاف العقيم بين السنة والشيعة، قائلاً باستمرار خط الإمامة: ((حتى الإمام الثاني عشر الذي اختفى - عام 873م - وما يزال الإمام المنتظر أو المهدي الذي يؤمن به أغلبية الشيعة وهم يمثلون الخط الأكثر اعتدالاً في المذهب، وإنَّ خلافاتهم مع السنة محدودةٌ جداً وتقتصر على نقاطٍ قليلةٍ في الشريعة، وأصبحت في السنوات اللاحقة أقل أهمية))^[2].

لكن يا تُرى هل مجرد النقل بالنص فقط، يُعدُّ من الحيادية والموضوعية؟ كما فعل توماس آرنولد عندما ينقل حديثاً أو حديثين عن النبي الأكرم بشأن المهدي المنتظر في كتابه (الخلافة)^[3]. إنَّ النقل بالنص قد يعزز الإيمان بالقضية ولكنه يبقى بحاجةٍ إلى دعمٍ وموقفٍ واضحٍ، لترجيح الإيمان بالمسألة على الشبهات والشكوك التي أُثرت حولها. وكذلك يبقى في الحيادية أن ينقل الباحث عقيدة الآخر بلا تزييفٍ وبلا دعمٍ وتأيدٍ، نعم لو نقل رأياً سلبياً عن جهةٍ مناوئةٍ لذلك الرأي وجبَ أن ينقل الرد والدفاع عن معتنقي ذلك الرأي المُنتقد.

[1] - ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ النمل: 16 وقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتَبِي وَيَرِّثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ مريم: 6 - 5. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: 105.

[2] - لويس، برنارد، فرقة الحشاشين: ص: 39.

[3] - ظ: آرنولد، توماس، الخلافة: 46.

المبحث الثاني: التمذهب في عقيدة المهديّ المنتظر

المطلب الأول: الأسباب والدوافع

المطلب الثاني: العوامل والمنطلقات التي أدت إلى نشأة انتظار المهديّ

المبحث الثاني 2

التمذهب في عقيدة المهدي المنتظر

المطلب الأول:

الأسباب والدوافع

السؤال هنا: ما الذي يجعل هذا العدد الهائل من المستشرقين يكتبون حول المهديّ المنتظر، ويطبقون الدراسات والمؤتمرات لذلك؟ ما الذي يجعل هؤلاء العلماء من الغرب يخصصون الاهتمام بمثل هذا الموضوع؟ ولم لا نكتب نحن أهل الشرق والمسلمين مثلهم، بمثل هذه التفاصيل الواسعة والإسهاب الطويل والبحث المتشعب؟

ما الأسباب والدوافع التي حفّزت تلك الثُلّة من العلماء المخصّصين إلى خوض غمار الكتابة عن عقائد الأديان الأخرى وتفاصيل عقائديّة دقيقة قد لا يدركها حتى بعض معتقبيها، من هنا يمكن التكهن ببعض ما يجول في خاطر البحث من أسباب ودوافع، إلا إنها - الأسباب والدوافع - أيضاً تشبه إلى حدّ ما دوافعهم وأهدافهم في الكتابة عن الإسلام والقرآن وعن نبي الإسلام عموماً:

1 - الدافع العقائدي:

قد يكون من الدوافع التي جعلت المستشرقين يخوضون في هذا الكم الهائل الضخم في كتابتهم عن العقيدة المهدوية وما تعلق بها، هو دافع عقائديّ، دينيّ، لأن المستشرقين هم ليسوا ملحدين بأيّ نوع من الإلحاد، لا الإلحاد بالمعنى الأعم ولا الأخص، وإنما هم أناس مؤمنون، كلٌّ بحسب ما تغدّى من موائد أديانهم وعقائدهم.

وإذا ما عرفنا أنّ تواريخ الأديان تزخر بفكرة المنقذ والمخلص والمنجيّ والفداء والمستقبل السعيد من الديانة اليهودية والمسيحية وغيرها من النحل والملل الأخرى غير

الرسمية أو غير الإلهية السماوية، كالوثنية وغيرها، وأنها مسألة عقديّة دينيّة، كان من الطبيعي أن يتصدوا للبحث والتنقيب، كما حدث مع قضايا ومساائل دينيّة أخرى.

وكذلك لا ننسى الجانب التبشيري الذي سارت عليه الأجيال من الرهبان والأجيال من المستشرقين، إذ ذهب المستشرق (رودي بارت) إلى أنّ الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية له هو التبشير^[1].

وعرفه (باريت) بأنّه: إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي، أو بما يسمى بتعليم الدين المسيحي ونشره^[2].

وقد كشفت مصادرٌ عدّة لإحصائيات بتزايد أعداد المبشرين في العالم والحركات التبشيرية في السنوات الأخيرة بصورة مروعة ومذهلة لم يسبق لها مثيل، وتؤكد بأنّه تمّ تنصير خمسة ملايين مسلم في أندونيسيا - أكبر دولة إسلاميّة - بواسطة ستين ألف مبشّر مزوّدِين بالمؤنّ والمال والسفن^[3].

ومن الواضح وبلا إشكال أنّ مسألة المهدي المنتظر هي من صميم الحركة التبشيرية - التبشير بإيجاد بديلها - حتى وإن لم يصرحوا بالإسم، إذا ما عرفنا أنّ من أبجديات اللاهوت المسيحي هي عقيدة الخلاص وأنّ المخلّص والمُنْجِي والفادي الوحيد في هذه الدنيا هو السيد المسيح ولا يوجد غيره، كذلك عند اطلاعهم على الأحاديث المعتبرة عند عموم المسلمين التي تؤكد بأنّ النبي عيسى هو الذي يصلي خلف المهدي المنتظر، فلا شكّ ولا شبهة من باب أولى أنّ يحاولوا نفي هذه العقيدة وإحلال أخرى مكانها، أو إثبات بطلانها أو إثبات أنها مما كان لعقائد المسيحيين بنزول المسيح لخلاص العالم، وقد انتزعا واقتبسها المسلمون.

كذلك لو تتبعنا المقارنة والمواءمة بين تبشير النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ عَلَى يَدِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، فِيمَا لُ الْأَرْضِ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَمَا مُلَّتْ ظُلْمًا

[1] - ((التبشير: من البشرى والبشارة، واصطلاحاً يستعمل مصطلح التبشير على تلك الحملة التي تولتها الصليبية في ما يسمى بتعليم الدين المسيحي ونشره)) ديدات، أحمد، كتاب حوار مع مبشّر: ص: 11.

[2] - ظ: بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه): ص: 14.

[3] - ديدات، أحمد، كتاب حوار مع مبشّر: ص: 17.

وجوراً، وتبشير السيد المسيح بما يُعرف (البارقليط Parakleton - المَعَزِّي) ما جاء في إنجيل يوحنا ((حيث وردت كلمة باراقلط paraklhton، حرفياً باراقليتوس - Parakltos، في العهد الجديد وبالتحديد في الإنجيل بحسب القديس يوحنا والرسالة الأولى للقديس يوحنا خمس مرات فقط، أربع مرّات في الإنجيل ومرّة واحدة في رسالته الأولى. ولم ترد ثانية في بقية العهد الجديد))^[1].

فجاء ذكره في عدة ظروف من العهد الجديد منها المذكور في إنجيل يوحنا: ((وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًّا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ))^[2].

وهنا في هذا التبشير قد يُعنى به المهدي المنتظر على وجه من الوجوه، لا الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله) كما هو المشهور من تفسير كلمة البارقليط^[3]* عند المسلمين ((وفي هذا المضممار تقول دائرة المعارف الفرنسية الكبيرة في جزئها 23/ ص 4174 عند شرحها لكلمة محمد (صلّى الله عليه وآله) هو مؤسس الدين الإسلامي [هو رسول الإسلام وليس مؤسس الإسلام] ومبعوث الله وخاتم الأنبياء وجاءت كلمة محمد من الحمد واشتقاقها من حَمَدَ يَحْمَدُ الذي هو معنى التمجيد والتجليل. ومن الصدفة العجيبة أنّ هناك اسماً آخر مشتقاً من الحمد وهو مرادف للفظ (محمد) وهو كلمة (أحمد) التي يغلب على الظن أنّ المسيحيين في الجزيرة العربية كانوا يستعملونها مكان فارقليط. وأحمد معناه المحمود كثيراً والمحترم جداً وهو ترجمة لكلمة (بريكلتيوس) التي أخطأوا فوضعوا مكانها كلمة باركلتيوس))^[4].

لأنّ التصريح في القرآن الكريم بالبشارة للرسول محمد (صلّى الله عليه وآله) جاء بصراحة لا بالإشارة فقط لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ

[1] - القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطر، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص 155. موقع: الأنبا (تكلا هيمانوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[2] - إنجيل يوحنا الإصحاح 14/ 16 - 18.

[3] - سيأتي في مبحث لاحق بالتفصيل عن مفهوم البارقليط وارتباطه بعصر المهدي المنتظر.

[4] - موقع الأبحاث العقائدية، الشبكة العنكبوتية الإنترنت.

اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ^[1] فهو وإن لم يكن يعني به بالذات للتبشير بمخلص آخر الزمان المهدي المنتظر؛ فهو متضمن لذلك باعتبار أن نبي آخر الزمان سييشر بمنقذ ومخلص آخر الزمان، ما ورد عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ((لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جُورًا))^[2].

وهذا المعنى وهذا التفسير المطلوب إثباته هنا، تحمله النصوص بدلالاتها ويتفق بالأساس مع مهمة الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولا سيما إذا ما عرفنا أن رواد التبشير المسيحي يحاولون إبعاد هذا التفسير، أي ما فسره المسلمون (البارقليط) بالنبي أحمد كما جاء في كتاب عنوانه: (هَلْ تَنَبَّأَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ نَبِيِّ آخَرَ يَأْتِي بَعْدَ الْمَسِيحِ؟) محاولاً في هذا الكتاب، الرد على المسلمين بكل ما أوتي من (فَذَلِكَةَ) بحثية جدلية، وأن المسلمين تصوّروا، أو هكذا أرادوا أن يتصوّروا، أو يُصوِّروا لأنفسهم ولغيرهم، أن الباراقليط مشتق لغوياً من الحمد ويعني (الحماد) المحمود أو الممدوح أو المُمجَّد، ويُشير إلى نبي يشق اسمه من الحمد، وأن ما أطلقه المسيح من صفات على الباراقليط هي صفات هذا النبي وتشير إلى أعماله وشريعته وما شهد به المسيح عنه!! وتخليهم أن الباراقليط الذي وُعدَّ بمجيئه، حجة على صحة مزاعمهم وقالوا أن الباراقليط هو ترجمة له ويشير إلى ذلك النبي الموعود!! ونقول لهم إن الروح القدس لم يحل على التلاميذ إلا بعد هذا الوعد الذي وعدهم به لا قبله.^[3]

وكذلك مما ورد في هذا الكتاب للرد على المسلمين، قال: بأن المسلمين متأثرون بما سمَّاهُ الكتاب المزيّف والمدعو زوراً بإنجيل (برنابا) والذي أكّد زيفه كلّ العلماء المسيحيين وبعض الكُتَّاب من الأخوة المسلمين وتجاهلته الغالبية العظمى من العلماء المسلمين إمّا لثقتهم بأنه كتابٌ مزيّفٌ أو على الأقل لشكّهم في صحّته أن المسيح يسوع ليس هو المسيح المنتظر، إنّما المسيح المنتظر هو نبي المسلمين!! وأنّ كل نبوءات التوراة عن محمد مذكورة

[1] - الصف: 6.

[2] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ): أول كتاب المهديّ ج 6، ص: 341، رقم الحديث: 4283. صححه محقق كتاب السنن شعيب الأرنؤوط في الهامش قال: (إسناده صحيح. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي). صححه الألباني قال: صحيح. في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 4، ص: 41.

[3] - ظ: الفس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص 146 - 154. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

في كتب اليهود، في دائرة المعارف تحت كلمة المسيا أو كلمة المسيح، أما المسلمون من قبل ظهور إنجيل برنابا فإنهم كانوا يعرفون آيات من النبوءات، ويفسرونها على محمد تحت لقب (النبي) لا المسيح ولا المسيا^[1].

من ذلك يتماهى مع ما أشار إليه المستشرق الفرنسي هنري كوربان من فهم النصوص الشيعية بأنَّ ((فكرة التأويل الشيعية لا تنفصل عن الفكرة البرقراطية))^[2] بعد شرح كلمات النبي (لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم...) وأنَّ البارقليط بلسانهم هو (الإمام المنتظر المهدي) لأنه هو الذي سيأتي بتأويل القرآن وتحقيقه لأن للقرآن ظاهراً وباطناً وتفسيراً وتأويلاً^[3]. قد يكون هذا إشارةً إلى قول السيد المسيح في إنجيل يوحنا: ((وَأَمَّا الْمُعْزِّي - Parakletos الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سِيرِسِلُهُ الْأَبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتَهُ لَكُمْ))^[4].

كل ما تقدم يمكن أن يشير لنا بأنَّ الدافع من تناول القضية المهدوية بهذا الإسهاب والتفصيل، هو دافعٌ تبشيريٌّ عقديٌّ، وعموماً التبشير المسيحي لا يحدد التفاصيل التي يريدتها ويصبو إليها عن طريق دورته المكوكية ببذل الجهود لتغيير معتقد المسلمين بعقيدة فرعية من عقائده، إنما يحاول هدم المنظومة الرئيسة ببطان الإسلام، ومن ثمَّ سوف تبطل كل الفرعيات والعقائد المرتبطة به.

نعم فإنه ((ينشأ عن المعتقد القوي يقينٌ لا يزعه شيءٌ، ومن مثل هذا اليقين تشتق أكثر حوادث التاريخ أهميةً، فقد أيقن (محمد) أنَّ الله أمره بالدعوة إلى دين جديد أوحى به لتجديد العالم. فاستطاع بفضل يقينه أن يقلب الدنيا، وأيقن (بطرس) الراهب أنَّ الرب يريد استرداد قبر المسيح من يد الكفار فاستطاع بقوة إيمانه أن يسوق ملايين من الرجال إلى الهلاك))^[5].

ولا ننسَ عقيدة اليهود بشعب الله المختار وأنَّ المسيح المخلص الذي ينتظرونه، هو

[1] - ظ: القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرده، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص 98. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[2] - كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر، ص: 221.

[3] - ظ: المصدر نفسه: ص: 221.

[4] - إنجيل يوحنا الإصحاح 14/26.

[5] - لوبون، غوستاف، الآراء والمعتقدات: ص: 181 - 182.

أيضاً الذي يبشر به الإسلام، سيسود العالم ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. ((والمسيح المنتظر عندهم من نسل داود النبي في رأي، وقيل بل هو داود نفسه بيعته الله ليعمل سيفه البتار في أعداء شعب الله المختار وليقيم دولتهم))^[1].

وقد ورد مفهوم المخلص عند اليهود بعدة عنوانات ((لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونٌ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ))^[2]. أي إنه سيكون صاحب الأمر والنهي وتخضع له كل الشعوب.

هذا وقد تنبأ اليهود وآمنوا ببقاء ملكهم بمخلص ومسيح موعود وقيل أنه سليمان الذي سيبعث، وقيل بل اسمه داود من غير أن يكون نفسه النبي داود، وأنه ولد في أورشليم يوم خراب المعبد، وهو لا يزال على قيد الحياة في مكان خفي لا يراه الناس، وسيظهر آخر الزمان^[3].

وعن طريق نبوءات جميع الأنبياء يتبين أن هؤلاء (المسحاء) جميعاً، سواء الكهنة أو الأنبياء أو الملوك، كانوا ظلاً ورمزاً للمسيح الآتي والذي دُعي منذ عصر داود فصاعداً بـ(المسيح) مُعرِّفاً بالألف واللام، وكانوا جميعاً متعلقين بهذا المسيح الآتي والذي سوف يكون له وظائف الكاهن الكامل والنبي الكامل والملك الكامل، ووارث عرش داود النبي والملك على حسب عهد الله الذي قطعه مع داود النبي والملك^[4]. كما جاء: ((قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ مُخْتَارِي. حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي. إِلَى الدَّهْرِ أُبَيِّتُ نَسْلَكَ وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيِّكَ.... وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بَدُهْنُ قُدْسِي مَسْحَتُهُ. إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يَثْبُتُ لَهُ. وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ وَكُرْسِيَهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي أَنِّي لَا أَكْذِبُ لِدَاوُدَ. نَسْلَهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ وَكُرْسِيَهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. مِثْلَ القَمَرِ يَثْبُتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ))^[5].

2 - الدافع السياسي:

وهو مرتبط بالدافع العقائدي، بل وكل الدوافع يمكن أن تعود بالضمن إليه -أي إلى الدافع

[1] - الغندور، نبيل أنسى، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ص: 17.

[2] - سفر التكوين، الأصحاح 48.

[3] - الغندور، نبيل أنسى، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ص: 17.

[4] - ظ: القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص: 99. موقع: الأنبا تكلا هيمانوت (القبطي الأرثوذكسي)، رابط الموقع: st-takla.

[5] - العهد القديم، مزمو 30 / 89 - 37.

العقائدي - لأن المستشرق وهو لا يكاد يخلو من عقيدة أو قاعدة دينية يعتقد بها وينطلق منها، فد(إن آثار التعصب الديني الغربي لا تزال ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين وبعضها لا يزال مستتراً وراء الحواشي المرصوفة في الأبحاث العلمية)^[1]، وقد صرح بذلك المستشرق الهولندي فان فلوتن (Van Vloten) بأن الدافع ذو تأثير سياسي بتصريحه: ((أما عندنا نحن الغربيين، فالمهدية -أو المهدي المنتظر تحديداً- استأثرت باهتمام المستشرقين منّا، لما لها من تأثير على سياسة الشرق حتى اليوم))^[2]. وهو يعني أنّ المهدوية تحرك جماهير عريضة في الشرق، فتحتم دراستها والاهتمام بها.

والمعتقدات الدينية كالمعتقدات السياسية في عدم التسامح، فكلما كان المعتقد قوياً قلّ تساهله، فالناس بعد أن يدخل الإيمان في قلوبهم لا يصطبرون على من ليس عليه. فليس من يجهل الشدة التي أباد بها رجال العهد الذين اعتقدوا أنهم على الحق المطلق، خصوصاً إيمانهم السياسي، وستظل كلمة القديس (طوماس) مبدأً لكل مؤمن حقيقي وهي: إن الإلحاد إثم يستحق صاحبه القتل^[3].

لذا عندما تتوالى الأخبار والأحداث بأن هناك منقذاً ومخلصاً في آخر الزمان، يُسمى بعدة أسماء، الفداء والمنجي والمسيح، وأكثرها انتشاراً هو اسم المهدي المنتظر، ((ولتساءل بعد، عن مدى ما تُسهم به العقيدة الخاصة بالإمام الخفي في الحوادث الدنيوية، وأثر هذه المساهمة في التصورات السياسية والدينية للكون عند الشيعة))^[4]. وجاء هذا الانتشار الواسع لأنه صار على لسان الديانة الإسلامية واسعة الانتشار، وبوصفهم -أي المستشرقين- ديدنهم العام هو أن ينظروا إلى التاريخ الإسلامي من زوايا خاصة، ((الزاوية المادية التي يؤمنون بها.. إيمانهم بالحضارة الغربية ووجهة نظرها إلى الكون والحياة، تلك الواجهة التي نتجت بعد عصر النهضة [أو قل بعد الثورة الفرنسية] وأنتجت فصل الدين عن الدولة والكفر بسائر القيم الروحية والأخلاقية))^[5].

كل ذلك يمكن أن يكون دافعاً لمعرفة هذا القائد التي تتنبأ به جميع الأديان والملل

[1] - لويس، برنارد، العرب في التاريخ (The Arabs in History) ص: 63.

[2] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص: 97.

[3] - ظ: لوبون، غوستاف، الآراء والمعتقدات: ص: 176.

[4] - تسيهر، غولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 197.

[5] - الصدر، السيد محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)، الكتاب الأول، تاريخ الغيبة الصغرى: ص: 33.

وَالْحَلْ؛ وَأَنَّهُ سَيَقُودُ هَذَا الْعَالَمَ بِأَجْمَعِهِ وَيَقَعُ تَحْتَ سَيِّطْرَتِهِ؛ كَيْ يَسْتَعْدُوا لِمُوَاجَهَتِهِ عَسْكَرِيًّا، وَلَا سَيِّمًا إِذَا مَا عَرَفْنَا أَنَّ الْقَائِدَ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ سَيَقُومُ بِالسَّيْفِ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ. مَعَ الْاِلْتِفَاتِ إِلَى أَنَّ الْقِيَامَ بِالسَّيْفِ، لَيْسَ هُوَ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَإِنَّمَا قَدْ يَضْطَرُّ إِلَى اسْتِخْدَامِهِ فِي مُوَاجَهَةِ مَنْ يَعِصِي وَيَتَمَرَّدُ وَيَقَاوِمُ وَيَعْتَدِي.

نعم فيبقى المعتقد الديني مرتبطاً بالدافع السياسي ((وبفضل المعتقدات التي تُخَرَّبُ أحياناً. وتُبدع غالباً، وتتصر دائماً تتأسس [تؤسس] دول التاريخ الرهيبة. ودعائم الحضارات الصادقة. ولولا المعتقدات لما عاشت الأمم))^[1]. نعم فجملة من المستشرقين ينظرون إلى الأمر من ((الزاوية الاستعمارية، فإنَّ جملة منهم عملاء من حيث يعلمون أو لا يعلمون، للدول التي ينتمون إليها أو للحضارة التي يعيشون فيها. فالمستشرق هو إما مأجورٌ حقيقةً، أو (عضو شرف) في قائمة الدس والتلفيق، حيث يشعر بضرورة الانتصار لدولته أو مصالح دينه أو قومه أو لأي شعاع من الشعاعات المعادية للإسلام على أن الأجر المبدول للتبشير الاستعماري المسيحي، ليس بالقليل ولا الضئيل، بل هو مما يعد بالملايين، يسيل لها لعاب كثير من المفكرين وتُشترى بها عقول عدد من الباحثين. ومن ثم لم تصلح كتب المستشرقين لإعطاء الباحث صورة واضحة سليمة عن التاريخ الإسلامي))^[2]. وعلى هذا الأساس فإنَّ نظرة المستشرقين إلى العقيدة المهدوية يشوبها كثير من التشويه والغموض والتشكيك.

3 - دافعٌ بحثيٌّ، علميٌّ، موضوعيٌّ:

وهو يكاد أن يكون الدافع المشترك بين الموضوعات التي يبحث ويكتب عنها المستشرقون في أغلب الأصدعة، القرآنية، التاريخية، الاجتماعية، وغيرها؛ ذلك لأن ساحة العلم والعلماء تُقام فيها أشرف وأجلُّ المباريات، وهي مباراةُ البحث والنقد العلمي الموضوعي ومحاولة بيان مَنْ علمه أسبق وحجته أنصع وأصدق، عن طريق التأكيد على عراقة الحضارة والعلوم على كافة الأصدعة، وقد تكون بوسائل غير منهجية تبررها الغايات كما فعله وأكده المستشرق بيكر عندما يسمي حضارة العرب ((بأسطورة حضارة العرب))^[3] لا بالحضارة الحقّة. وأيضاً على تلك الشاكلة المستشرق (دي بور) محاولاً إنكار الفلسفة

[1] - لوبون، غوستاف، الآراء والمعتقدات: ص: 179.

[2] - الصدر، السيد محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)، ج1، الكتاب الأول تاريخ الغيبة الصغرى، ص: 34.

[3] - فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص: 35.

الإسلامية بقوله: ظلت الفلسفة العربية على الدوام فلسفةً انتخابيةً قوامها الاقتباس الصِّرف من ترجمات الإغريق^[1].

وأكثر حدةً وأشدُّ لهجةً منهما المستشرق برنارد لويس إذ قال: ((إنَّ ما تعودنا عليه في الغرب هو أن يزداد تمسكنا بمثلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقيين إلينا، وذلك بجعل أنفسنا مثلاً للفضيلة والتقدم الحضاري. فإذا تشبَّه الشرقيون بنا فذلك جيّدٌ والعكس يُعدُّ عندنا شراً. فالتقدّم هو في محركاتنا والتفهم والسقوط هو في عدم التشبّه بنا))^[2].

فمعرفة عقيدة أو قضية إسلامية كالعقيدة المهدوية، شغلت الفكر الإنساني والديانات السماوية على أمدِّ عصور وأزمان، لا بدَّ وأن تستفزَّ حفيظة الفكر الاستشراقي بما فيه من نهمٍ وشوقٍ وقدراتٍ بحثيةٍ كتابيةٍ، وتُحرِّكُ الأقلام المنصفة منهم. ولا سيّما أنها مرتبطةٌ بالفكر الإسلامي ومن القضايا العقدية التي أكدت عليها الأحاديث المعتمدة.

لا أن تبقى وتهمين النظرة العدائية لكل كلمة تخرج من أفواه كتاباتهم، فهناك الجيل المنصف منهم كما صنّفهم أربابُ الاستشراق من مفكري العرب والمسلمين، أمثال د. عمر فروخ، عندما صنّف تحت عنوان: (نماذج من طبقات المستشرقين، مستشرقون محسنون-مستشرقون مسيئون)^[3]. كما حاول بذلك المستشرق مكسيم رودنسون، حاول أن يطمئن شارع الفكر العربي والإسلامي بأسلوبه الخاص الصريح، وإبعاد فكرة التجني السافر على الإسلام والمسلمين قائلاً: وهوسُ المرء بوجود مؤامرةٍ عليه، يتولد بشكلٍ لا يقل حتميةً عن المنافسة والصراع، وهذا الهوس يمثل نوعاً جماعياً من أنواع الذهان الهذيان، والمسلمون ليسوا وحدهم المصابين به. في الواقع إنَّ الاعتقاد بوجود مؤامرةٍ كونيّةٍ على الإسلام ليس حديث العهد بل له سوابقٌ تعود إلى القرون الوسطى، وبالتأكيد فإنَّ كلَّ معارضةٍ حقيقيةٍ وكلَّ هجومٍ محسوسٍ يقوِّي من هذا الاعتقاد أو التوهم. وتزداد الفكرة رسوخاً عندما يأتي الهجوم من جهتين أو من عدة جهات دفعةً واحدةً، فيبدو وكأنَّ هناك اتفاقاً أو تواطؤاً بينهم، أو أنَّ هناك مؤامرةً جماعيةً. والهوسُ بوجود مؤامرةٍ كونيّةٍ ودائمةٍ يضرب بجذوره عميقاً في تربة الحقد الشرير فقط، هذا الحقد الذي يكُنُّه الآخر لنا

[1] - ظ: المصدر نفسه، ص: 35.

[2] - لويس، برنارد، الغرب والشرق الأوسط: ص: 60، نقلاً عن: فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي: ص: 35.

[3] - ظ: فروخ، د. عمر، (المستشرقون ما لهم وما عليهم) بحثٌ منشورٌ في مجلة الاستشراق، عدد: 1 لسنة 1987: ص: 7، نقلاً عن: ناجي، د. عبد الجبار، كتاب التشيع والاستشراق: ص: 62.

ولجماعتنا قد جرّ أناساً أذكاء وعليمين إلى تبني تصوراتٍ خاطئةٍ ومبالغٍ فيها^[1].

ف نجد - على سبيل المثال لا الحصر - من المدرسة الألمانية أمثال: هاينس هالم، والمستشرق يوليوس فلهاوزن، ورودولف شتروثمان، ويتر هاينه المعاصر، تلحظ من كتاباتهم السردية والوصف، ومحاولة التعريف بمسألة المهدي المنتظر، وظاهرها أنّها خالية من النزعة التبشيرية، وقد يُعزى ذلك - وقد تفيد التقليل هنا- لكون الألمان بحسب الظاهر لم توجد لديهم أطماعٌ استعماريّةٌ توسّعيةٌ كما كان عند بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط، ولا سيّما بعد الحربين العالميتين.

وكذلك سلسلة الأبحاث والمؤلفات للمستشرق هنري كوربان الفيلسوف الفرنسي الذي أفنى سنواتٍ من عمره لتعلّم وإتقان اللغة الفارسيّة وحاول أن يكتب بإسهابٍ غيرٍ مُخلٍ عن المهدي المنتظر، بحكم سفره إلى إيران وإقامته هناك مدة من الزمن وحواراته الطويلة مع علماء الشيعة؛ فأتج كتاب (التشيع الإثنا عشري)، وكانت عقيدة المهدي المنتظر قد أخذت حيّاً كبيراً منه، وكتاباً عنوانه: (تاريخ الفلسفة الإسلاميّة)، خصّص قسماً منه للإمام الغائب والإمام المستور، وأشار إلى وإنّ فكرة الانتظار شعورٌ فطريٌّ يدفع الإنسان لانتظار الأفضل والأصلح، وكتاباً عنوانه: (الشيعة الاثنا عشرية) والكتاب الأخير من سلسلة دراسته أفرده عن عقيدة المهدي المنتظر، بعنوان: (الإمام الثاني عشر).

وكما يرى د. عبد الجبار ناجي في كتابه «الاستشراق والتاريخ»، ليس كل الكتابات أهدافها تبشيريّةٌ فحسب، ويتساءل بأنّ المستشرق البريطاني دونالدسون المبشر الذي قضى سنين من حياته العلمية ليؤلف أطروحة دكتوراه، يبين فيها مثل هذه العقائد، وكانت بعنوان: عقيدة الشيعة، فهل اندفع بدافع تبشيريٍّ فقط؟ قد يكون الجواب كذلك ولكنه قد قدّم خدمةً كبيرةً للقارئ المسلم والعربي وغير المسلم عن المنبع الأساس في التدوين والكتابة لمثل هذه العقائد في أوائل سنة 1930 في الوقت الذي لم يظهر آنذاك عالمٌ مسلمٌ يتناول هذا الموضوع بأسلوبٍ وصفيٍّ تارةً وتحليليٍّ تارةً أخرى^[2].

[1] - ظ: رودنسون، مكسيم، كتاب الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، لمجموعة من المؤلفين: محمد أركون - مكسيم رودنسون - آلان روسيون - بيرنارد لويس - فرانسيسكو غابرييلي - كلود كاهين، جمعها وترجمها هاشم صالح: ص: 117 - 118، نقلاً عن: ناجي، د. عبد الجبار، كتاب التشيع والاستشراق: ص: 70 - 71.

[2] - ظ: ناجي، د. عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، ص: 127.

العوامل والمنطلقات التي أدت إلى نشأة انتظار المهديّ

بعد إنكار المستشرقين لحقيقة وجود المهديّ المنتظر في آخر الزمان، كان عليهم أن يجدوا الأسباب والأعذار والعوامل التي أدت إلى نشوء هذا الإيمان والاعتقاد عند المسلمين وكيف وصل إلى ذروته، فابتدع المستشرقون وأدلجوا لها عدة عوامل وأسباب منها:

1 - العامل الأول: اضطهاد الحكام لجمهور الشيعة:

بحسب مدعياتهم من أهم الأسباب، اضطهاد سواد أهل السنة وحكامهم لجمهور عامة الشيعة، بما يتصور المستشرق الفرنسي (ألفرد بل) فمنذ البدء ((اغتيال عليّ يد الخوارج في سنة 661م ثم ذبح الحسين، ابنه الثاني، في كربلاء بعد ذلك بقرابة عشرين عاماً، وذبح قرابته علي يد قوات الحكومة التي أرسلها الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية في سنة 680م كل هذا أثار نائرة الشيعة ضد حكام أهل السنة. ومنذ ذلك التاريخ عدّوا هذه الكارثة المزدوجة (مصرع علي ومصرع الحسين) علامة على الاستشهاد الذي ينتظر أئمتهم وعلامة على آلام جماعتهم، ما سيفتح لهم الطريق إلى الجنة))^[1]. لذا نجد برنارد لويس عندما يحث ويدعو للانتقام للدماء التي تستصرخ يقول: دائماً ما نرى اغتيال الحكام نتيجة الخلافات داخل الأسر الحاكمة أكثر من كونه استجابةً لدوافع ثورية، ((وعلى عكس ذلك، يقول الشيعة أن أئمتهم وسائر أهل بيت النبي هم الذين تعرضوا للاغتيال بتحريض من الخلفاء السنيين وتضم أدبياتهم لوائح كبيرة بأسماء الشهداء العلويين الذين تستصرخ دماؤهم الانتقام))^[2].

وأكثر وضوحاً ما نظره المستشرقان دومينيك وجانين سورديل: عندما انتشرت عادة زيارة قبور الأئمة في أوساط الشيعة وكانت زيارة التبرك إلى كربلاء كانت عرفاً جارياً، حتى أن المتوكل اتخذ قراراً بهدم مشهد الحسين ومنع الناس من التجمع هناك. كذلك أضيف إلى

[1] - بل، ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم: ص: 152.

[2] - لويس، برنارد، كتاب فرقة الحشاشين: ص: 153.

هذه العادة عادة تكريم قبري اثنين من الأئمة المدفونين في بغداد، وأيضاً شرعوا بزيارة القبور الذي اختفى منه الإمام الثاني عشر في سامراء. وفي بلدة قم في إيران مشهد فاطمة أخت الإمام الثامن علي الرضا، استهدفته السلطات السنيّة غالباً، وفي وسط خضم هذه الأحداث السياسية المختلفة تبلورت المعتقدات الخاصة بالإمامية، ولا سيّما تلك المتعلقة بغيبة الإمام ورجوع هذا الإمام المنتظر^[1].

نعم يقول في ((البلاد السنيّة، فقد كان الاثنا عشرية عرضةً لأن يُطردوا من المساجد ويُوضعوا على هامش المجتمع، إن لم يكونوا عرضةً للملاحقة ولأقصى العقوبات الهادفة إلى كبح نمو الفرق والعقائد المنحرفة داخل أمة الإسلام... وإذا ما حظرت السلطة ممارساتهم المعتبرة بدعاً، أخفى الشيعة معتقداتهم لتفادي الملاحقة، وذلك عملاً بمبدأ (التقية) واسع الاستعمال... فإنّ مبدأ التقية نفسه يفسر سرعة اختفاء الإمامين [الإمام المهدي] ظاهرياً على الأقل)).^[2] أقول: إن حصل هذا فعلاً، ففِعِل الحكام الطغاة المستبدين لا من غيرهم، وغالباً ما يحدث هذا الفعل بدافعٍ سياسي لا بدافعٍ ديني، إذ إنّ العلماء، علماء المسلمين بتنوعهم، كانت الصلات والتبادل المعرفي قائماً في ما بينهم على أمد السنين والأعوام.

عودة إلى ما أكد عليه دومينيك أورفوا، من منطلقات وعوامل ظهور العقيدة المهديّة بقوله: ((أفضى تضافر القمع الذي قام به الخلفاء وإنهاء التحشيد الذي إليه الانقسام إلى دفع حركة الشيعة نحو شكلٍ من التسامي العقدي. بعد ثورة المختار... ظهرت حركاتٌ خلاصيّة. فقد أعلنت مجموعةٌ محبطةٌ لاختفاء إمامها بأنه (مستورٌ) مؤقتاً فحسب))^[3].

لذا قد برز تمادي أحد المستشرقين الواضح عندما يرمي اللوم على السُنّة بحدّ زعمه وتعبيره بقوله: ((وكان المنتظر وهو آخر الباقيين على قيد الحياة من سلالة علي، قد كسب لنفسه في عام 878 م مركز الشهيد بسبب اختفائه بطريقة غامضة في أقبية مسجد سامراء، وما من شكّ أنه كان ضحية الحرس التركي السني))^[4].

[1] - ظ: دومينيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلاميّة في عصرها الذهبي: ج1، ص: 136 - 137.

[2] - المصدر نفسه: ج1، ص: 138 - 139.

[3] - أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص: 85.

[4] - نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام: ص: 217.

من هنا عوداً على بدءٍ، يمكننا معرفة ما تقرر في مطلب أهداف وأغراض المستشرقين، الهدف من وراء كتاباتهم الهائلة، حول مثل هذه الموضوعات الحساسة التي تمس صميم القلب العقدي للمسلمين، وكان من بين تلك الأهداف، إيجاد الفرقة وتعميق الهوة بين الفرق والطوائف الإسلامية، وتعزيز مشاعر الكراهية بين مختلف المسلمين.

إذ توالى الظلم والاضطهاد والقتل والملاحقة على الشيعة والتشيع، من طغاة حكام الدولة الأموية والعباسية - وهم يمثلون حكماً من أهل السنة في مقابل الشيعة - بحسب ما يرى المستشرق فلوتن، ما جعل هذا الأمر حافزاً للتمسك بفكرة المنقذ والمهدي، بقوله: ((ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حافزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره))^[1]. من هنا وأمثال هذا، تتبين أغراض وأسباب خوض المستشرقين غمار الكتابة والبحث في مثل هذه المجالات، فهي أغراضٌ ليست على مستوى البحث والنطاق العلمي الموضوعي، كما يدعي بعضهم ويصور أنه يريد عن طريق خوضه البحث، الخدمة العلمية وطلباً للحقيقة الموضوعية، وحاولوا أن يصوروا الحال على غير ما هي عليه، وليس كذلك، فالأمر ليس مقصوراً على الشيعة، إذ إنَّ كثيراً من الفرق وعلماء أهل السنة، يؤكدون وجود عقيدة الإمام المهدي (عليه السلام)، ويعتقدون به كما مرَّ آنفاً، واستنادهم على أحاديث كثيرة مشتهرة ويعضد بعضها بعضاً.

2 - العامل الثاني: جاء من منطلقات سياسية أفلاطونية:

السياسة يجب أن تكون حاضرة في كل شطرٍ من الحيات الدينية والتاريخية، لأن عزو الأسباب وإرجاعها للسياسة يحسم كثيراً من القضايا العالقة الشائكة، سهلة كانت أو صعبة، لذا من السهل أن يرى ماسي رأيه في قوله: ((إنَّ الإخفاق السياسي للمذهب الشيعي نشأ عنه أحد عناصر هذا المذهب التكوينية: فكرة الألم والفداء - الفكرة القائدة لمؤلفات دراماتيكية... إنَّ الإمام يجب بالضرورة أن ينتهي بالشهيد - وبالفعل، فإنَّ الجميع ماتوا موتاً غير طبيعي - إذا صدقنا المؤرخين - ولكن وجود الإمام ضروري للعالم في كلِّ

[1] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص: 132.

زمان، والأخير من الأئمة لم يمت، إنه غائبٌ فقط ويجب أن يعود ذات يوم))^[1].

من جانب آخر، يُعدُّ المنطلق الفلسفي الهلامي بعد أن يمتزج بالعامل السياسي كما يراه غولد تسيهر ((من أقوى المؤثرات التي ساعدت على تطور الأفكار الإسلامية ما أتى عن طريق الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، فقد نَقَدَتْ نظرياتها إلى أرحب ميادين الفكر الإسلامي، بل تسربت إلى الوثائق الدينية التي كانت أساساً لما نما وازدهر من التعاليم الإسلاميّة ذات الطابع السُّنِّي الأكيّد... وقد ظهرت أيضاً في البيئات الشيعيّة محاولات رمت إلى مزج عقيدتي الإمامة والمهدية بنظريّة الفيض في الأفلاطونية المحدثه))^[2]. وهذا الكلام محاولةٌ صدرت من عقلٍ استشراقيٍّ، نظر إلى الإسلام خليطاً من عقائد الديانات الأخرى السابقة، ويؤكد أيضاً هذه الأفكار، بالنسبة للشيعّة أيضاً والإسلام بصورةٍ عامّةٍ، ولما جمح بالشيعّة الخيال إلى تصوّراتٍ وهميّةٍ في مهديهم المنتظر، ((ففي مجال المحتوى الديني لجأ الشيعة وتفرعاتهم، بعد فترةٍ، إلى تطوير اجتهاداتهم اللاهوتية المستوحاة غالباً من الفلسفة الأفلاطونية المحدثه))^[3]. وإنّ مفكريهم غالباً ما تأثروا ببعض الأفكار الخاصة بالفلسفة الهلنسية وسهّلوا بذلك انتشارها. فالنظرة السياسية وتداخلها بتطور فكرة الحكم في إسلام العصر الوسيط، لم تكن مشربةً بالفلسفة القديمة وحدها بل بالفكر الشيعي ورئيس مدينته الفاضلة يشبه الحكيم والفيلسوف والإمام المنتظر في الوقت نفسه^[4].

وإنّ هذا المبدأ من الحكم، أي مبدأ الحاكم العادل المطلق الذي يمثل خليفة الله في

[1] - ماسي، هنري، كتاب الإسلام: ص: 196.

[2] - تسيهر، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 213.

يُذكر أن تسيهر المتحامل على الإسلام، صاحب الغرض والهدف العنصري الفتوي الصريح، المُعلن لكتابه عن الإسلام وعن الفرق الإسلامية خاصةً، شبّه أكثر من مرة التعاليم الإسلامية بمدينة إفلاطون الفاضلة، عند بحثه عن التفرقة بين المسلمين ((ولعل أعظم الفروق المذهبيّة بين فقه السنة وفقه الشيعة تتجلى في أحكام النكاح، وهي فروق نراها -ونحن بصدد بحث التعاليم الشيعية وتقديرها - أعظم خطراً من تلك الفروق التعبدية التافهة... وهي: صحة النكاح المعقود لمدةً زمنيّةً معيّنة أو بطلانه، وهو ما نسميه بالنكاح المؤقت. لقد أباح أفلاطون الزواج المؤقت في كتابه الجمهورية، متأثراً باعتباريّاتٍ تختلف في الحقيقة اختلافاً جوهرياً، عن تلك التي يمكن أن نقدر أهميتها في الحياة الإسلامية؛ وقد أباحه للنخبة المختارة من المجتمع الذين أطلق عليهم الفيلسوف اسم (الحراس) تسيهر، غولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 201.

[3] - تويال، فرانسوا، كتاب الشيعة في العالم: ص: 37.

[4] - ظ: دومينيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي: ج1، ص: 137.

الكون، ظهر في الدوائر الفلسفية الإسلامية، والذي يحاول المسلمون ولا سيّما الشيعة منهم، أن يروّجوا وينظّروا إليه لمكاسبٍ سياسيةٍ سلطويةٍ وينفذوا عن طريقه إلى قلوب المستضعفين من الناس، وهذا المبدأ ((وراءه مؤثراتٌ أفلاطونيةٌ، سعى إلى أن يعدل نظرية الملك -الفيلسوف بنظرية الإمام- الخليفة عند المسلمين الذي ينفذ أحكام الشريعة بتوجيه من الحكمة الإلهية))^[1].

ويؤكد (جب) قوله: ((فالحاكم يتميز على غيره من الناس بتعصيد الله له، حتى يتسنى له أن يقود الأشخاص في طريق الكمال، ويوفر لهم نظاماً يكفل دفع الأذى عنهم. يقول عنه الفلاسفة أنه (ملكٌ مطلقٌ) ويطلق عليه المُحدّثون (بمعنى الفلاسفة المسلمون) اسم الإمام وعلى وظيفته اسم الإمامة، ويسميه أفلاطون (المهيمن على الكون))^[2].

هذه الصياغة لمفهوم الإمامة والإمام المختبى والتي تعتقد برجعته تجعلنا نقبل بوجود تأثيراتٍ غير إسلاميةٍ عرفانيةٍ مانويةٍ موروثه عن الأفلاطونية الوسيطة والجديدة^[3]، هذه الصياغة ((ووفرت سياقاً ماورائياً (ميتافيزيقياً) جديداً وفتحت الباب في إطار الشيعة الإمامية لصيغٍ عرفانيةٍ... مع حلول منتصف القرن الحادي عشر كانت الفرقة الشيعية الإمامية قد خلقت حياةً دنيويةً معيشة في انتظارٍ أبديٍّ للعالم المنتظر، وفي معارضةٍ دائمةٍ للأنظمة السياسية القائمة، كانت الإمامية قد أصبحت دينَ خلاصٍ. وكان من شأن هذا الخلاص أن يتحقق عبر العيش على وفق ما ورد في أحاديث محمد والأئمة))^[4].

وأقول باختصار:

أولاً - إن أقوال المستشرقين هذه وكلماتهم قد تبدو لأول وهلة، صحيحةً وقريبةً للذهن الذي لا يؤمن بالغيب والقرآن، فما تمثله نظرية وفكرة المهدي المنتظر من خيال وأحلام المدينة الفاضلة التي يسودها العدل والقسط والمساواة بعد آلاف السنين من الظلم والجور

[1] - هاملتون جب وهارولد بون، H. Gibb - Harold Bowen، المجتمع الإسلامي والغرب: ج1، ص: 50.

[2] - المصدر نفسه: ج1، ص: 50.

[3] - ظ: ماسي، هنري، (H. Massé)، كتاب الإسلام: ص: 192. وينظر: غاردي، لويس، أثر الإسلام في العقلية العربية: ص: 223.

[4] - لايبس، أيرا م. Ira M. Lapidus، تاريخ المجتمعات الإسلامية: ج1، ص: 255.

وآلام المستضعفين، تمثل الجانب الهلامي الذي لا يتحقق إلا بالأدوات الحسيّة المادية، وتبدو كلماتهم مضبوطةً وجليّةً وقريبةً فكرياً لمن لا يؤمن بما جاء به الرسول الأكرم والأئمة الأطهار من أحاديث في شؤون المهدي المنتظر، فقد فاقت حدّ التواتر على ما سيثبت لاحقاً، ولو تنزلنا جدلاً - أي للجدال والنقاش فقط - بعدم وجود آية أو إشارة في القرآن، تدل على مهدي آخر الزمان أو على شأن من شؤونه، فتكفي آية واحدة في كتاب الله فقط، قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^[1] وقد أتت أحاديثٌ صحيحةٌ وصریحَةٌ متواترةٌ عنه (صلّى الله عليه وآله) في ظهور المهدي المنتظر، فما نحن فاعلون؟ وما موقفنا إزاء هذا الكم الكبير من الأحاديث النبويّة الشريفة؟

ثانياً - يلحظُ معي المتتبع للبحث، هنا التركيز على ما أردت إثباته في طيّات هذه الوريقات، وهو تركيز المستشرقين وصَبُّ جامِ بحوثهم ونتاجهم حول مسألة إثبات أنّ القضية المهدويّة لا تخص إلا الطائفة الشيعيّة فقط.

مع النظر إلى أنّ عموم المسلمين من أهل السنّة لم يكونوا بمنأى عن ظلم الحكام الطغاة وظلم الظالمين، إذاً هذه العقيدة جاءت لظروفٍ ربما تكون سياسيّة قهريّة، لكل المسلمين وليس للشيعيّة فحسب، ((وهذا المعتقد سرعان ما استوعبته أيضاً وبالتدرّج مخيِّلة أهل السنّة؛ لأنهم أيضاً اضطروا لتحمل حكم خلفاء غير جديرين بالخلافة وحكام غير صالحين منذ موت خليفتهم الرابع، علي بن أبي طالب))^[2].

فالعقيدة المهدويّة، هي عقيدةٌ من صميم الإسلام، فالله تعالى شأنه، أراد للدين أن يستمر ويبقى تليغاً وتطبيقاً، في الحاضر والمستقبل ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْفِي ضَلُّوا مُبِينًا وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^[3] فقله تعالى: (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) إشارةٌ إلى الأجيال المتلاحقة، فإذاً هي عقيدة مستقبلية حتمية لكل المسلمين، بل لكافة الناس وإن لم يؤمنوا بها حاضراً، نعم قد يكون للظروف القهريّة الآنية، دورٌ في الانسحاب

[1] - الحشر: 7.

[2] - روجرسون، برنابي، ورثة محمد - جذور الخلاف السني الشيعي: ص: 349.

[3] - الجمعة: 2 - 3.

الجزئي من الساحة أو الغياب، لحين توافر الظروف الموضوعية الخارجية لعملية قيادة المجتمع والعالم.

3 - العامل أو المنطلق الثالث: نزعة الثأر ولا سيما ثأر كربلاء:

عندما ينكر المستشرقون عقيدة إيمانية من عقائد المسلمين، وهي ثابتة بصريح الأحاديث الشريفة ودلالة الآيات القرآنية، كان لا بد أن يوجدوا أسباباً واقعيةً لنشوء وبلورة هذه المفردة وأنها جاءت نتيجةً لظروف معينة طارئة أنتجتها وصاغتها بهذه الصياغة، فمن بين هذه الظروف الطارئة هي قضية واقعة كربلاء ومقتل الحسين (عليه السلام) والثأر لها ولقضايا أخرى عقدية كالخلافة ومقتل الأئمة واحداً بعد واحدٍ على أيدي الطغاة الظالمين وأعاونهم.

كان هذا الرأي وهذا الدافع، قد أخذ حيزاً من جانب المستشرقين بالقول: إن إخفاق الشيعة في مساعيهم إلى تولي الأوضاع - أي التمسك بالسلطة - وذكرى استشهاد الحسين في كربلاء، أنتج نظرةً مستمرةً من الإحساس بالظلم والحاجة إلى المعارضة، وأصبح حلم الشيعة دائماً هو تحقيق نظام اجتماعي عادل^[1].

وإن بوادر تبلور عقيدة انتظار المخلص والمهدي، ظهرت عند مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وظهور المختار ومحمد بن الحنفية على الساحة السياسية^[2].

من جهة أخرى يُردلج القضية دومينيك أوفوا، للفوز بمكاسب على مستوى الأحداث، بأبرز حدث تاريخي مهم، وهو مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وكأن القضية ضمن تخطيط مسبق، وهناك ما يبرر للشيعة ذلك على حد فهمه لذا ((على الصعيد الإيديولوجي، يمكن أن نلاحظ أن الموضوعات المؤسسة عريضة بصورة نموذجية: فكرة أن العائلة) تمتلك مزايا خاصة؛ موضوعة (الثأر) بعد كربلاء التي تبرر التمرد على الأمويين والتي تستعيد في مواجهتهم الحجة نفسها التي استعملوها بصدد اغتيال عثمان. لكن تتميز موضوعة نوعية تسيطر على ذلك: فكرة امتلاك إمام عيئه سابقه لفضيلة خاصة تنحدر من سلالة وتنفوق

[1] - ظ: إسبوزيتو، جون إل Esposito، John L.، مستقبل الإسلام: ص: 81.

[2] - ظ: حوراني، ألبرت، تاريخ الشعوب العربية: ج1، ص: 71.

عليها في الآن عينه ... فقد أعلنت مجموعةً محبطةً لاختفاء إمامها بأنه (مستور) مؤقتاً فحسب: اختبأ في جبلٍ وسيعود في الوقت المناسب)).^[1] ولم يقرأ هذا المستشرق أدنى قراءة تاريخية، ويعد نفسه باحثاً تاريخياً، فلم يذكر التاريخ الواقعي ولا الاجتهادي أن عائلة النبي قُتلت أو حتى شاركت بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. فهذا الطرح من البحث إذا أراد أن يكشف، فإنما يكشف شيئاً واحداً أساسياً، هو أخطاء ومجانبة أغلب المستشرقين للحقائق الواضحة المشهورة، فكيف بالأحداث المختلف بها والتي وردت بعدة اتجاهات.

إذاً فمسألة الثأر الحسيني شكلت هاجساً كبيراً في تبلور عقيدة المهدي المخلص على حد زعم دوغلاس وقسم كبير من المستشرقين ((فالإيديولوجيا الأخروية الخصوصية أو المتميزة المسيحية [أي عقيدة المخلص]... الجديدة قد ميزت أو حددت بالتوجه والنزاعة الثوريتين إزاء الفوضى الخفية - وأقصد دافع الثأر والتوقعات السياسية الملموسة أو العينية تلك التي كانت قد تغلفت كلاهما ضمن عقيدة المهدي - والتي أدت إلى انفجار متوالف مع الشرعية العلوية، وهكذا ضمنت الإغراء أو المناشدة الواسعة الدائمة والمستمرة للتوقعات السياسية الألفية في الإسلام. فإنها هي التوليفة التي جمعت بين الفكر والإيديولوجيا المسيحية وبين العناصر الأرستقراطية العربية، تلك التي تموضعت وراء أو خلف الثورات العلوية)).^[2] إشارة منه وتلويحاً بأنها جاءت عن أصولٍ مسيحية فكرة الخلاص والمخلص بالصلب والقتل، وهكذا إدعاءاتٌ أخرى بشأن العقيدة المهودية وغيرها.

مع أن دوغلاس لم يقدم دليلاً أو توثيقاً لذلك، ما ذكره في هامش بحثه حيث قال: ((أمل أن أوفر توثيقاً لمثل هذه الادعاءات في دراسةٍ لاحقةٍ عن التعاليم العلوية الحسينية)).^[3]

والمستشرق الهولندي فان فلوتن عندما يقدم من ضمن عناصرٍ رئيسةٍ كانت وراء خلفية سقوط الدولة الأموية وانتصار القضية العباسية - على حدّ تعبيره - منها: التشيع (Le

[1] - أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص: 84 - 85.

[2] - كرو، دوغلاس Douglas K - crow، المستشرق الأمريكي، مقتل الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة، ورقة بحث ضمن كتاب حفريات استشراقية - إعادة قراءة التشيع في العراق، لنخبة من المستشرقين، ترجمة د. عبد الجبار ناجي: ص: 186 - 187.

[3] - ظ: كرو، دوغلاس Douglas K - crow، هامش رقم 11 في أصل البحث، وهامش رقم 184 ص: 188 ضمن كتاب حفريات استشراقية - إعادة قراءة التشيع في العراق، لنخبة من المستشرقين.

(Chitisme) أو الاتجاه الموالي لبيت النبي، رائد المعارضة السياسيّة، والذي كانت لديه المقدرة على تحريك الفئات المضطهدة، وتبلور فكره السياسي، نتيجةً للاضطهاد والملاحقة والقتل وذلك منذ سقوط الحسين في كربلاء، متجسداً فيه الرمز المأساوي لنضال الشيعة، وكذلك انتظار المنقذ أو المسيح المخلص Messie الذي أسهم باعتباره فكرةً غيبيةً، في التأثير على عواطف الجماهير وحقنها بدماء جديدة، حتى لا يفترسها القنوط واليأس، وتبقى القضية السياسية دائمة التوهج في النفوس^[1].

وعقدة الثأر لم تأت طارئةً، وارتباطها جاء بتبلور عقيدة المهدي المنتظر، على حد الزعم القائل: ((إنَّ عدم استطاعة الشيعة الاحتفاظ بالخلافة بعد موت علي بن أبي طالب جعلهم يعيشون في انتظار الخلاص المنتظر ولا ينظرون إلى هذه الحياة بعين الاعتبار وقد زكَّى ذلك [أي جعله يَنمِّي] القدرة على تحمّل المكاره عندهم إلى أن يأتي المهدي المنتظر - المخلص))^[2].

وهذا القول فيه مجافاةٌ لحقائق عدّة منها: أن عقيدة المهدي المنتظر موجودةٌ لدى المسلمين قبل الخلافة العلوية بتصرّيات واضحةٍ وجليّةٍ بأكثر من مناسبةٍ، بتصرّيح النبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ومنها: أنها بشارة النبي الأكرم كما قرأنا بشر بها الناس المستضعفين عموماً، ووعد ربانيّ عامٌ لا يخص فئةً من غير أخرى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^[3] وأن أمير المؤمنين نفسه قد بشر بها في عدة أقوال ومناسبات مع أنه كان في وقت زمام الخلافة بيده آنئذ، فالخلافة ليس لها علاقةٌ بعقيدة مهمّة عريقة ثابتة عند جميع المسلمين كهذه العقيدة.

من ذلك قالوا إنه: بحسب المعتقدات الشيعية، إن جميع الحكومات تُعدُّ حكوماتٍ

[1] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، مقدمة مترجم الكتاب، ومقدمة مؤلفه ص: 14 - 18.

[2] - فان إس، جوزيف، كتاب التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: ص: 38.

[3] - القصص: 5.

مغتصبة؛ لأن أحقية الحكم والخلافة تعود إلى الإمام الثاني عشر (الإمام المعصوم)^[1].

ولا بدّ أن نؤكد على أن المستشرقين، حاولوا صياغة الفكرة حول العقيدة المهدوية، من الصراعات السياسية وحصروا العقيدة بالدولة وقيادتها، مع العلم أنّ هذه العقيدة ترتبط بالمجتمع والحياة الفكرية، وكذلك تعبّر عن فسحة أملٍ إيمانيةٍ يرتبط بها المسلم، وهي وإن كانت موجودةً في بعض أوجهها في الديانات الأخرى، فإنّ هذا يؤكد على أنّ فكرة القيادة والرمز تمثل جوهرًا عقديًا، يقود المجتمع والأمة نحو العدل وإقامته، وإنّ إقامة العدل ترتبط بالممارسة الحياتية والعلاقات الاجتماعية كما ترتبط بالإمامة والسياسة سواءً بسواء، وإنّ الخلاف حول طبيعة هذه العقيدة سواءً كانت مع اعتقاد الولادة أم مع اعتقاد الغيبة، لا يؤثر في الاعتقاد بها، لأنها ترتبط بالقدرة والإرادة الإلهية التي لا يعجزها شيء.

[1] - ظ: أستاذ التاريخ البرفسور جيتين سايا، گوگهان، (مشكلة الشيعة) بحث قدمه كجزء من متطلبات أطروحة الدكتوراه إلى جامعة مانشستر في بريطانيا في سنة 1996. وهو موجود ضمن كتاب مشكلة الشيعة والتشيع في العراق العثماني، لثلاثة باحثين: ص: 36.

الفصل الثاني

العقيدة المهدويّة

في المرقاب

الاستشراقي

المهدي المنتظر
عجل الله فرجه

المبحث الأول

حول أصل العقيدة المهدوية

المطلب الأول

عقيدة المهدي المنتظر من مختصات عقائد الشيعة

أغلب ومعظم المستشرقين جعل من قضية المهدي المنتظر من عقائد الشيعة خاصّةً فقط لا غيرهم، وأرسلوها من مسلماتهم، ((وقد جهد الشيعة في تبيان الأساس الديني لهذه العقيدة، والدفاع عنها لوقايتها من سخرية المرتابين وخصومة المعادين، حتى استغرقت جزءاً كبيراً من مؤلفاتهم الدينية))^[1]. والخوف والحذر منها بوصفها ذات بعدٍ سياسيٍّ لا دينياً فحسب: ((وهكذا احتفظت فكرة الإمامة بقوّتها حتى الوقت الحاضر، وارتقت حتى بلغت أوجها كعقيدة من العقائد الأساسية وأصبحت عنصراً جوهرياً فعالاً في النظام الديني والسياسي بعد أن درسنا عقيدة الإمامة وخطرها))^[2].

أقول: ولا أدري: لمَ غولدتسيهر يشعر بالخطر إزاء إمامة المهدي المنتظر؟ عندما يعبر عنها بقوله: (عنصراً جوهرياً فعالاً) فإذا لم تكن له دوافعٌ سياسيةٌ احتلاليةٌ استعماريةٌ، فلمَ إذاً يشعر بالخطر جراء إمامة المهدي المنتظر؟

وهذه مشكلةٌ أساسيةٌ تواجه البحث العلمي، أي إنه إذا أراد أيُّ باحثٍ أن يبحث عن رؤية المستشرقين ومفهومهم للأطروحة المهدوية، عليه أن يلجأ إلى كتاباتهم عن الشيعة وعقائد الشيعة؛ لأنه كما قال تويال: عقيدة المهدي المنتظر هي في أساس اعتقاد الشيعة

[1] - غولد تسيهر، إغناس العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 191.

[2] - المصدر نفسه: ص: 197.

الاثني عشرية.^[1] دون المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى. ما جاء في الفصل الأول من هذه الكتاب يؤكد ويؤيد هذه الحقيقة، بجرد مؤلفاتهم ونتائجهم حول هذا الموضوع.

ومن حقنا التكهن، إذا لم نُقل التساؤل عن الأسباب وراء هذا الإصرار، والحقيقة أن ذلك قد يكون لأحد سببين محتملين أو لكليهما معاً:

السبب الأول: بحسب ما عرفناه وتداولناه في المجال البحثي الاستشراقي، حتى صار من البدهيات وشبه المسلّمات، من كل البحوث والمؤلفات التي كتبت في الاستشراق وتاريخه ونشأته وأسبابه ودوافعه، هو أن من أهم دوافع المستشرقين وأسباب كتابتهم عن الشرق وعلومه وحضارته وأديانه والعرب والاسلام بصورة خاصة، هما دافعان:

الدافع التبشيري العقائدي الديني، والدافع الاستعماري الاحتلالي، المجمع عليهما من المهتمين في الشأن الاستشراقي، فإذا كان والحال هذه بحسب هذين الدافعين والسببين، جاز القول بضررٍ قاطع، بأن السبب الذي حرك أقلام المستشرقين بجعل العقيدة المهدوية، عقيدة من مختصات وملاك وقوام المذهب الشيعي فقط وفقط، هو للفرقة بين فرق ومذاهب المسلمين وتهديم البنى الأساسية للعقائد الإسلامية بجعلها عقائد هامشية غير معترف بها من جميع الطوائف الإسلامية، وإيجاد الثغرة لتوسيع الهوة بين المسلمين عن طريق تحجيم العقائد ذات القيمة الإيمانية المهمة. والإيغال في بناء حواجز عقديّة وفكريّة بين المذاهب.

ونجد هذا المعنى عند المستشرق غولدسيهر (اليهودي المجري) إذ عدّ الإيمان بظهور المهدي من مختصات ومبادئ التشيع فقط محاولاً التركيز على التباين الشاسع واصفاً استهزاء طائفة بأخرى، في كتابه العقيدة والشريعة ضمن فصل سمّاه (الفرق) قوله: ((ومنذ بداية التشيع ازدادت الثقة الوطيدة بعودة الإمام المختفي يوماً ما ... وما دنا قد أدركنا كنه التشيع، فمن الطبيعي أن يكون الإسلام بصورته الشيعية هو وحده البيئة الملائمة التي ينبغي أن تنمو بها بذرة الأمانى المهدية ... وهكذا نمت العقيدة المهدية عند الشيعة، وقويت حتى صارت عصباً حيويّاً في مجموعة المبادئ الشيعية. أما في الإسلام السني، فإنّ ترقب ظهور المهدي، مع استناده إلى الوثائق الحديثية والمناقشات الكلامية، لم يصل البتة إلى أن يتقرر على أنه عقيدة دينية، ولم يبدُ قط عند أهل السنة إلا كحلية أسطورية

[1] - ظ: تويال، فرانسوا، كتاب الشيعة في العالم: ص: 39.

لغاية مثلى مستقلة أو كأمير ثانوي بالنسبة لجوهر النظرية السنّية للكون))^[1].

بعدها يصف هذا التباين محاولاً عرض انتقاص وانتقاد المذاهب الإسلامية في ما بينها، لبيان أنهم لم يشتركوا ويتفقوا على أي مفردة إيمانية عقديّة، ومنها العقيدة والأطروحة المهدوية، بقوله: ((ويرفض الإسلام السنّي رفضاً قاطعاً العقيدة المهدية على صورتها الشيعية كما يهزأ بفكرة الإمام الكامن وحياته الطويلة. وسبق أن تجلّت لأهل السنّة سخافة عقيدة الاثني عشرية الخاصة بالمهدي؟ لأن المهدي، تبعاً لما جاء في الروايات السنّية، يجب أن يكون اسمه كالنبي - محمد بن عبد الله - بينا والد الإمام الخفي، وهو الإمام الحادي عشر اسمه الحسن ... وعلى نقيض ذلك، نجد أن الإيمان بتحقيق الأمانى المهدية في المستقبل له أهميّة اعتقاديّة جوهريّة في الإسلام الشيعي، فهو حجر الزاوية في العقائد الشيعيّة... وقد جدّد علماء من الشيعة، ممن يتسمون بالجد والوقار أن يثبتوا، إزاء تهكّم أهل السنة، أن حياة الإمام الخفي الطويلة والمخالفة للمألوف، ممكنة الوقوع وليست بمستحيّة، مستشهدين باعتبارات فيسيولوجيّة [ماديّة جسديّة] وأسانيد تاريخيّة خطيرة))^[2].

قد يقول قائل: إن كلامه صحيح وإنه يصف الحقيقة لكن بطريقته الخاصّة، فما المحذور من ذلك؟

أقول: تبين كما هو المتوقع سابقاً، بأنّ السبب من جرّاء كتاباتهم الهائلة والعميقة والضخمة بمثل هذه الموضوعات، بعد أن نتساءل: ما سببها؟ ما الذي يجعل هؤلاء الغربيين عبر هذه القارات والمسافات البعيدة بكل معاني البعد، الحضارية والثقافية واللغوية والعرقية، جعلهم يكتبون عن موضوعات دينيّة عقائديّة بحثّة بهذا الشكل؟ وإلا لو كانت من الموضوعات العلمية أو الفيزيائية الرياضية وغيرها من باقي العلوم الطبيعيّة - باعتبارها موضوعات عامّة مشتركة عند جميع الناس ويستفيد منها كل أصناف البشر - لما أثار ذلك استغراب الباحثين وتوقعهم، فتبين أنّ السبب هنا هو: إيجاد الثغرة والفرقة أو تعميقها إن كانت موجودة، وذلك لأغراض - كما هو سالف الذكر - تبشيريّة استعماريّة احتلاليّة.

ولو أنعمنا النظر معاً في كلام غولدتسيهر للحظنا وقرأنا في ما بين السطور - وقوام الدراسات النقدية أن يقرأ الباحث المتتبع ما بين السطور والكلمات - التناقض الحاصل

[1] - غولدتسيهر إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 191 - 196.

[2] - تسهر، غولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 196.

بين محاولته جعل العقيدة المهدوية من العقائد المختصة بالشيعة فقط، والتي لا وجود لها في (الإسلام السنّي) كما عبّر هو بذلك، وبين إقراره بوجودها عند أهل السنة، لكنها مختلفةٌ تمام الاختلاف معهم، وهذا هو بحد ذاته شيءٌ واعترافٌ مهم، إذ إنّ أصل العقيدة موجودةٌ ومشتركةٌ بين الفريقين، وهذا أمرٌ لا بأس بأهميته، لأنه ينقذ عنه كثيرٌ من المشتركات الخاصة والعامّة. والجانب الإنساني والوازع الأخلاقي يدعونا دائماً إلى أن ننظر إلى النصف الممتلئ من الكأس وإن ضوّل، لا إلى النصف الفارغ منه.

ولا يوجد شيءٌ يخفى بعد توالي الأحداث وتسارعها، أو هم غير مضطرين لإخفاء ذلك، لذا نجد (جون إل. إسوزيتو John L. Esposito) في كتابه المعاصر (مستقبل الإسلام) عندما يبحث العقائد الإسلامية ويضمنها المهدي الموعود، يقول في مطلب في الكتاب تحت عنوان (هل تستطيع التفرقة بين السني والشيوعي؟) هذا السؤال الذي هو عنوانٌ لمطلب في كتابه، سأله محرر الأمن القومي إلى مسؤولين كبار الكونغرس الأمريكي وفي مكتب التحقيقات الفدرالية (FBI) وعجزوا عن الإجابة عنها وعن أسئلة بسيطة حول الإسلام.^[1] لذا أردف (جون) قائلاً: ((إنّ معرفة منشأ مسلمي السنّة والشيعة، والاختلافات التي أصبحت مصدراً للصراعات بينهما، يساعدنا على فهم الأحداث الدينية والسياسية على مر التاريخ، وذلك منذ بداية تكوّن المجتمع الإسلامي وحتى التوترات والصراعات الحاصلة اليوم حول العالم. بالإضافة إلى الصراعات بين السنة والشيعة... والخلافات الطائفية والحروب التي اشتعلت لمرات عدّة... فدراسة جذور تلك الانقسامات والعداءات العميقة بين السنة والشيعة يُعدُّ ضرورياً لمساعدتنا في فهم مصدر الخلاف الطائفي))^[2].

إذاً، فإنّ المستشرقين الذين يمارسون التبشير المسيحي يحاولون إبطال الإسلام وإيجاد البديل عنه وهو (المسيحيّة) كما هو دأب العمل التبشيري المحض، والقسم الآخر ذو التوجهات اليهودية يحاول إحلال العقائد والآثار التوراتية بدلاً عن التعاليم الإسلامية.

ولعلّ الأهم من ذلك كله، هو محاولاتهم معرفة وسبر أغوار الفوارق بين الطوائف وكشفها، لتوظيفها في تأجيج الصراع الطائفي بين المسلمين وهو ما يحصل اليوم بعينه.

وسيتضح من أثر النقاش في كلماتهم ربما بعد عدة أسطر، أنّها عقيدةٌ أصيلةٌ يشترك فيها

[1] - ظ: إسوزيتو، جون إل Esposito، John L.، مستقبل الإسلام: ص: 78.

[2] - المصدر نفسه: ص: 80.

جميع المسلمين، في أصل العقيدة، مع اختلاف بالتفاصيل، المهم في الأصل الذي يقول: سيخرج المهدي المنتظر في آخر الزمان ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. وأنه يوجد اختلاف في بعض تفاصيل النبوة في العصمة الذاتية له والسهو أو النسيان عليه، بل حتى في التوحيد في الصفات والذات والرؤية لله بالعين البصرية، وما شاكل ذلك، أمورٌ مختلفٌ فيها حتماً، لكن بنفس الآن، يبقى أصل التوحيد والنبوة، أصليْن مشتركين لا يختلف عليهما مسلمٌ قط.

السبب الثاني: الذي هيأ الأرضية الخصبة للمستشرقين في خوضهم غمار البحث والكتابة بهذا الكم الضخم والهائل عن القضية المهدوية، هو أنّ المدرسة الشيعية، ولا سيّما الإمامية منهم، غطّت أحداث تاريخ العقيدة المهدوية، تغطيةً كاملةً بحسب اعتقاده منذ الولادة بكل تفاصيلها، إلى الغيبة الصغرى بكل سفرائها ووكلائها ولقاءاتهم، إلى الغيبة الكبرى وما يحدث فيها من أحداثٍ وعلاماتٍ حتميةٍ وغير حتميةٍ تسبق يوم الظهور، أكثر من غيرها من مذاهب و فرق المسلمين، باعتبار إيمانهم أنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وهذا الأمر يجعل الإمامية الأكثر إحاطةً واستيعاباً لفلسفة العقيدة المهدوية، لارتباطها بالإمامة التي هي من أصول المذهب الإمامي.

ولعرض نماذجٍ من كتابات المستشرقين حول هذا المطلب، ما يُلحظ هنا عند توماس آرنولد عند تطرقه إلى لفظ الإمام والإمامة، بأنّ الاسم المفضل لرئيس الدين عند الشيعة، (الإمام) فينسبون إليه قوةً عجيبةً خارقةً تقريباً حتى إنهم توصلوا إلى الاعتقاد بوجود إمام خفي لا يراه الناس يرشد المؤمنين على الأرض ويوجههم. بينما هذا الاسم لم يكن مفضلاً لدى السُنّة كما هو لدى الشيعة^[1].

وآخر يعبر عنها بالاحتكار: ((ويمكن القول أنّ الشيعة احتكرت فكرة المهدي لمصلحة عليّ، عضو عائلة النبي وأعقابه))^[2] وكذا المستشرق المبشر البريطاني دوايت دونالدسون، قال في كتابه المسمى (عقيدة الشيعة) في الباب الحادي والعشرين، تحت عنوان (الإمام الغائب المنتظر) قال مؤكداً المعنى السالف الذكر: ((المهدي عند أهل السنة شخصٌ يخرج آخر الزمان، بشرّ بمجيئه الرسول. والمهدي، صيغة المفعول به من هدى، وهو من يهديه

[1] - ظ: آرنولد، توماس، الخلافة: 38.

[2] - ماسيه، هنري، كتاب الإسلام: 199.

الله. غير أنها تُعدُّ في هذا الموضوع بمعنى فاعل، وتعني المختار لهداية الناس. ولم ترد هذه الصيغة في القرآن بل وردت في صيغة الفاعل، قال تعالى [لا أتوقع أنَّ المستشرق يقول كلمة (قال تعالى) قد تكون زيادة في الترجمة] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^[1] وقال: ﴿وَكَفَىٰ بَرَبِّكَ هَادِيًا﴾^[2] ولا شك في أنَّ هذه الآيات لا علاقة لها في انتظار المهدي، لكن بعضهم اتخذ من هاتين الآيتين أساساً لموضوع واسع حول انتظار مجيئه... أما عند الشيعة فإنَّ انتظار مجيء المهدي من الاعتقادات الأساسية، ويفسرون بأنَّ الهداة الوارد ذكرهم في القرآن هم الأئمة^[3].

أقول: قد أخطأ المستشرق دوايت دونالدسون وجانب الحقيقة، فلم يقل أحدٌ بتفسير أو سبب نزول، أو أيِّ كتاب قرآنيَّ بأنَّ هذه الآيات تدلُّ أو فيها سببٌ لانتظار المهدي المنتظر، بوصفها تحمل مادة حروفها (ه د ي) نفسها. نعم هناك آيات أخر -على ما سيأتي في مطلب لاحق- فسرها الإمامية بحسب مصادرهم وطرقهم بأنَّها تدلُّ على المهدي المنتظر أو على أحد شؤونه.

وإذا ما أراد المتتبع تقرير حقيقة أنَّ المستشرقين أرادوا القضية المهدوية من المسائل العقدية المرتبطة بالشيعة فقط، مراجعة الفصل الأول من هذا الكتاب، ليرى الكَمَّ الهائل والضخم من المؤلفات التي ألفت بذلك الشأن، فهذا المستشرق الفيلسوف هنري كوربان في كتابه المعنون: (الإمام الثاني عشر) ويعني به الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) من أئمة أهل البيت، بحسب ما يعتقد به الإمامية، يقرأ القراءة ذاتها:

بأنَّ التشيع والأفهوم الخاص به لأطروحة النبوة، يُبقي الآتي مفتوحاً بقوله أنَّ بعد (خاتم النبيين) ثمة ما يُنتظر، وهو الكشف عن المعنى الروحي للرسالات التي أتى بها الأنبياء العظام، بما تشير له العبارة الاصطلاحية لكلمة التأويل، أي تفسير باطن القرآن وإعادة الشيء إلى أوله، إلى أنموذجه الأصلي. على خلاف الإسلام السني الأكثر الذي يقول بأنَّ البشرية لم يُعد لها جديدٌ تنتظره بعد بعثة النبي الأخير^[4]. (تلك كانت المهمة التأويلية التي أوكلت

[1] - الحج: 54.

[2] - الفرقان: 31.

[3] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص: 230 - 231.

[4] - ظ: كوربان، هنري، كتاب الإمام الثاني عشر: ص: 19.

إلى الأئمة الأطهار الذين تملأ تعاليمهم المجلدات. لكن هذا الإدراك الروحي لن يكتمل إلا في نهاية دهرنا، عند ظهور الإمام الثاني عشر، الإمام الغائب راهناً، وقطب هذا العالم... وكما التأويل، وضعت أطروحة النبوة الشيعية المفكرين الشيعة أمام المشكلات نفسها التي طرحها مبحث المسيح على المفكرين المسيحيين، لكن المفكرين الشيعة سعوا دائماً إلى حلها بالمعنى الذي رفضته الكريستولوجيا^[1] * (الرسمية)^[2].

وإنَّ التَّمثَلَّ الشيعي لا يستطيع أن يفصل عن الوجوه الإحدى عشر والتي هي عالم إبداع الإمامة، وذلك لأن قانون الرقم الاثني عشر، وهو رقم ثابت في حقب أدوار النبوة كلها ويرمز للكلية وهناك بعض المشابهات، كإشارات البروج الاثني عشر، والاثني عشر ينوعاً التي فجرها موسى بعصاه من الصخر، والعلاقة بشهور السنة الاثني عشر وكلها متقابلة مع لاهوتيات الأيون^[3] * القديمة، ولقد كان لكل من الأنبياء الكبار أصحاب الشرائع أو صيحاء اثنا عشر، والخلفاء من بعد النبي محمد اثنا عشر^[4].

وهذا الوصف قد يُعدُّ مريحاً، لأنه لا يعتمد تشويه القصة بمنحها بُعداً أسطورياً. ليخُلِّص كوربان إلى القول: بأنَّ ((الإمام المهديّ الذي تختلف فكرة الشيعة فيه عن فكرة باقي الإسلاميين اختلافاً عميقاً))^[5].

[1] - الكريستولوجيا: هي مجالٌ دراسة ضمن الميثولوجيا المسيحية مهتمّة بدراسة طبيعة يسوع، وخاصةً كيفية ارتباط الألوهية والإنسانية في شخص يسوع. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة - شبكة الأترنت.

[2] - كوربان، هنري، كتاب الإمام الثاني عشر: ص: 19 - 20.

[3] - هذا المصطلح يرجع إلى الغنوصية التي تنكر صلب المسيح باعتبار أنه ليس بجسم، وكانوا ينظرون للمادة على أنها شرٌّ! وأمناً بمجموعة كبيرة من الآلهة، فقالوا أنه في البدء كان الإله السامي غير المعروف وغير المدرك الذي هو روحٌ مطلقٌ، ولم تكن هناك المادة، هذا الإله الصالح، انبثق منه (أخرج من ذاته)، عدد من القوات الروحية ذات الأنظمة المختلفة التي سمّوها بالأيونات (Aeons). هذه القوات المنبثقة من الإله السامي كان لها أنظمة مختلفة وأسماء مختلفة وتصنيفات وأوصاف مختلفة. وتكوّن هذه الأيونات مع الإله السامي أو الملء الكامل، دائرة الملء الإلهي. وإنَّ هذا الإله السامي الذي أخرج العالم الروحي من ذاته لم يخلق شيئاً. المصدر: موقع عن اللاهوت المسيحي <https://www.difa3iat.com>

[4] - ظ: كوربان، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص: 109.

[5] - المصدر نفسه: ص: 131. وللمزيد حول ذات المطلب ينظر: هالم، هاينس، كتاب الشيعة، ص: 47 - 56 تحت عنوان غيبة الإمام الثاني عشر. وينظر: وات، مونتكمري، كتاب الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي، تحت فصل سَمَاءُ: (استقطاب المذهب السني والمذهب الشيعي): ص: 101 - 109. وينظر: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، في الفصل الثالث من الكتاب ضمن عنوان: المعتقدات المهدية ص: 97 وما بعدها.

وبذلك يتّضح أنّ نظرة المستشرقين للعقيدة المهدوية، شابها كثير من التشويش وسوء الفهم، فهؤلاء المستشرقون، إما عرضوا القصة بفهم ناقص وغير مرتبط بحقيقة التعاليم الدينية وفهم مقاصدها أو بقصد سيئ في محاولة للتشويه المتعمد، وعدّ قضية الإيمان بها على أنه مقتبس من الأديان الأخرى لتعطيل أصالة الدين الإسلامي وإثبات أنّ هذا الدين ليس ديناً سماوياً، وإنّما هو تليق وكذب وتزوير للحقائق التي جاءت بها الأديان الأخرى. وسيتبين كيف أن هؤلاء المستشرقين قد حاولوا تعطيل الإسلام وتشويه الحقائق والعقائد الإسلامية، ولا بدّ من الذكر أنّ بعضاً منهم حاول أن يعرض القضايا الإسلامية عرضاً علمياً واستعمل التحليل العلمي والعقلي بصورة تبدو محايدة.

عقيدة المهدي المنتظر من المخترعات والإيديولوجيا الشيعية

هذا المطلب مرتبطٌ وملاصقٌ لسابقه، إذ جالَ في خاطر بعض المستشرقين إنكار ما هو ثابتٌ عند جميع المسلمين، فاستسهلوا مؤونة البحث والتدقيق في مناشئٍ ومنابعٍ أصيلةٍ لتلك العقائد، فخرجوا إلى القول: بأنَّ هذه العقيدة، لا وجود لها ولا فضاء لها يمكن أن تحلق فيه إلا في سماء خيالات الشيعة أنفسهم، عن طريق الإيديولوجيا التي تبنتها الفرق الشيعية منذ تكونها، بوصفها حركةً مبتدعةً^[1].

قد يكون لتصوير أنَّ الشيعة بوصفها حركةً مبتدعةً، وإنَّها تغرد خارج السرب الإسلامي العريض، ابتدعوا هذه المفردة الإيمانية المهدوية فـ ((جماعة الاثني عشرية الذين اختفى إمامهم الثاني عشر، أنشؤوا معتقداً لهذا الإمام المختبئ، وهو أنَّه سيعود في نهاية الزمان ليقوم مجتمعاً إسلامياً عادلاً وصادقاً))^[2].

والصيغة التي تبنتها الحركة الشيعية بوصفها إيديولوجيا، والنظرية التي تنص على أن حلقة النبوة التي أغلقها محمد قد تلتها ولاية (صدقة لله) لم تتم صياغتها إلا بعد وفاة الإمام الحادي عشر، ما يتزامن تقريباً مع اختفاء الإمام الثاني عشر، الذي يوصف بأنه مستورٌ وسيعود في نهاية الزمان^[3].

وكذا ما رده المتحامل على الإسلام فلوتن: والمسيح المخلص عند الشيعة متميزٌ جداً عمّن سواهم، معروفٌ جداً وهو (المهديّ المنتظر)، وكان من ضمن ألقاب الشرف العالي في بادئ الأمر، قبل أن يصبح الرمز لذلك المخلص الذي يظهر من أهل البيت ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ومن الواضح أنَّ فكرة انتظار المهدي لم ترتبط في الأصل

[1] - ظ: أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص: 83.

[2] - إسبوزيتو، جون إل John L. Esposito، مستقبل الإسلام: ص: 82.

[3] - ظ: أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص: 83.

بأسرة النبي ولكنها أخذت تنتشر مع ازدياد نفوذ الشيعة^[1]. وقد زعم الإمام المهدي أنه اختفى ليظهر مرةً أخرى في آخر الزمان^[2].

متناسياً (فلوتن) تاريخياً ودينياً ولم يقرأ المَعْلَمَ الأساسي في العقيدة المهدوية والأحاديث الصريحة المتواترة عن الرسول الأكرم التي تُنبئ بأنَّ المهدي المنتظر من نسل الرسول الأكرم، فجاءت ألفاظ الأحاديث: (المهدي مني، من ولدي، من ولد فاطمة، من عترتي، رجلٌ منَّا أهل البيت).

على أننا ينبغي ألا ننسى بأنَّ المنهج القرآني يخالف مناهج المستشرقين، فالقرآن الكريم كان يدعو المسلمين إلى الابتعاد عن الدنيا وملذاتها وانتظار الخلاص السماوي عن طريق السنن في معاقبة الظالمين، وتأخير الثواب الأخروي للصابرين على بلاء الدنيا، فلا علاقة بين الإيمان بأنَّ الموت يعبرٌ عن خلاصٍ للإنسان من ظلم الظالمين وهي العقيدة الإسلامية التي بشرَ بها القرآن الكريم، وبين عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر، فهذه عقيدةٌ أخرى تدعو إلى الإصلاح عن طريق المصلح المؤيَّد من السماء، فالمسلم يقرأ القرآن الكريم أنَّ مؤمن آل ياسين عندما قتله قومه، قال: ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾^[3] فالموت في سبيل الله، هو أعلى قيمة في سُلْم الانتصار في الإسلام.

ولمَّا كانت هذه من مبتدعات الشيعة -على حدِّ هذا الزعم- صاروا في حيرة: مَنْ الذي يعطونه منصب المهدي المنتظر؟ فبعد أن رفضوا قبول أيِّ خليفة لم يكن من نَسْلِ عليٍّ، وضعوا لأنفسهم مبدأ (الزعيم الأوحده)^[4]: ((ولكن اختلف بشأن من يدعونه بالإمام المهدي، من نَسْلِ عليٍّ، ففرقة منهم أطلقت الاسم على السابع في سلسلة النسب، وهو إسماعيل وكان من أحفاد الحسين المتأخرين، وعرف أفرادها في ما بعد باسم (الإسماعيلية)... ومن ثمَّ وقع اختيارهم على أخيه الأصغر (محمد المنتظر) ويشغل المركز الثاني عشر في سلسلة النسب العلوي، ومن هنا عرفت الجماعة باسم (الاثني عشرية))^[5]. نعم هكذا صوروا المسألة، أو

[1] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص: 108.

[2] - ظ: تيرنر، كولن، الإسلام الأسس - Islam: The Basics : ص: 347.

[3] - يس: 26 - 27.

[4] - ظ: نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام: ص: 217.

[5] - نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام: ص: 217.

هكذا يريدون أن يصوروها مسألةً كيفيةً مزاجيةً، لا تستند إلى أيّ مستندٍ دينيٍّ رساليٍّ تعبديةٍ، مع أن ما يعتقد به الشيعة الإمامية بأنه جعلٌ وتنصيبٌ إلهيٌّ، والخطأ الواضح والصریح في ادعاء المستشرق أعلاه، أن (محمدًا المنتظر) الثاني عشر لم يكن أخًا لإسماعيل الأصغر، بل كان ابن الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري (عليه السلام) من سلسلة الأئمة الاثني عشر.

وأكثر من ذلك ذهب ميرسيا إلياد: إلى أن الصورة الخرافية والأسطورية للإمام المستور قد اتصلت مراراً بأسطورة أُخرى للمهدي، لغةً القائد أو الدليل الذي أُهدي من الله. إنَّ اختفاء وظهور المهدي في نهاية الزمان لعب دوراً بارزاً في التدين الشعبي وفي الأزمات الألفية. فقد جرّب العديد من الرؤساء السياسيين الحصول على السلطة وحصلوا عليها في كثيرٍ من المرات، بإعلان أنفسهم أنهم المهدي^[1].

بهذه الأساليب وغيرها كثيرٌ، كذكر الأمور والتفاصيل المختلف فيها بين المسلمين في مفردة المهدي المنتظر وهي - أي الأمور الخلافية فيها قليلةً - حاول المستشرقون إثبات أن مفردة المهدي المنتظر من مختصات أو مخترعات الطائفة الشيعية، وسيأتي نقاش ذلك في المطلب الآتي.

[1] - ظ: إلياد، ميرسيا، بعنوان (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية): ص: 136 - 137.

مناقشة أقوال وكلمات المستشرقين

محاور الاشتراك والاتفاق بين المسلمين في عقيدة المهدي المنتظر

لقد جرت مناقشات آنية لبعض كلمات المستشرقين في المطلب السابق المعنون: (عقيدة المهدي المنتظر من مختصات عقائد الشيعة) الذي حاول أن يقرره قسم كبير منهم، لكن يمكن زياة، بأنها مغالطة سطحية كما هو مفهوم وواضح من عرضهم، بأن يقرروا أن العقيدة المهدوية لا وجود لها في (الإسلام السني) - كما عبروا بذلك - وهي مهمشة عندهم وليست من الأمور الأساسية التي يجب الإيمان بها إيماناً كاملاً، وإن الذين يؤمنون ويعتقدون بها إيماناً كاملاً، هم الشيعة فقط، وهي جوهر عقائدهم ولا قوام للتشيع من غيرها.

مع أن الحقيقة غير ذلك عند عموم المسلمين؛ ولذا صدّر ابن خلدون (ت 808هـ)^[1] الفصل الذي عقده في مقدمته (مقدمة ابن خلدون) للمهدي المنتظر بقوله: ((اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتى بالمهدي في صلاته، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرّجها الأئمة، وتكلم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار))^[2]. على أنه سيتم في مبحث لاحق، ذكر الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) والتي ساقها علماء المسلمين من أئمة الحديث وذكرونها المصادر والمراجع المعتمدة.

[1] - يُذكر إن ابن خلدون رغم شهادته هذه إلا إنه ضعّف أغلب الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر، وسيأتي الحديث لاحقاً عن رأيه بالتفصيل.

[2] - مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: ص: 514.

كما قال الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري (ت 363هـ) في كتاب (مناقب الشافعي): ((وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله (ص) بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين، ويملاً الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى ابن مريم، ويساعده في قتل الدجال باب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه))^[1]. وهناك كثيرٌ من النقاط والمسائل المشتركة بين عموم المسلمين يمكن إجمالها، ها هنا أو تفصيل بعضها.

لكنه في البدء يجب الإشارة بأنَّ هناك مغالطةً ومصادرةً للمطلوب أوردها المستشرقون لنفي وإنكار العقيدة المهدوية، وهي ذكر الموارد والنقاط والتفاصيل والمختصات المختلف فيها، فرعيةً كانت أو أساسيةً، ويجعلونها منطلقاً ومبدأً لنفي نقاط الاشتراك والاتفاق، ومن ثمَّ تبعاً تنتفي العقيدة المهدوية برمتها. وهنا ما يجب تأكيده وتقريره: هو أنَّ نقاط الاتفاق والاشتراك في القضية المهدوية، كقيلةٍ لدفع ودحض أقوال المستشرقين وأغراضهم.

وكما يقال وكما هو مقررٌ بأنَّ نفي نقاط الاختلاف لا يستلزم نفي نقاط الاتفاق، فلا ملازمة بين الأمرين (نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف) قد يتفقون في نقاطٍ ويختلفون في نقاطٍ أخرى فلا ملازمة بين ثبوت نقاط الاتفاق لنتقل منها إلى نفي نقاط الاختلاف ولا ملازمة بين نفي نقاط الاختلاف لنتقل منها إلى نفي نقاط الاتفاق وهذه مغالطةٌ أو لغطٌ قد يقع فيه كثيرٌ من الباحثين والكتّاب والمؤلفين والمتحدثين^[2].

كذلك إنَّ أصل المسألة له أساسٌ ومتمقٌ عليه بين مذاهب المسلمين وإنَّ وُجدت اختلافاتٌ في تحديد تفاصيل المسألة بين عالمٍ وآخر، وهذا لا يعني أن الشيعة انفردوا بهذه المفردة العقديّة.

وإنَّ الأمة إذا أجمعت على أمر ما، كان هدىً من الضلال ونوراً من العمى؛ لأنَّ أمة النبي الخاتم (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لا تجتمع على ضلالٍ، ولأجله يمكن إيجاز محاور ونقاط الاشتراك بما يأتي:

[1] - الأبري، الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين السجستاني، كتاب مناقب الشافعي: ص: 95.

[2] - ظ: الحيدري، السيد كمال، (حديث الثقلين سنده ودلالته 43): مقال من سلسلة حلقات للأطروحة المهدوية، يراجع الموقع الرسمي للسيد كمال الحيدري.

خروج إمام مهديٍّ منتظرٍ يقيم العدل والقسط، هو من المحتوم الذي لا بدَّ من قضائه قبل أن تقوم الساعة. فلا تقوم القيامة إلا بعد خروجه حتماً.

وقد جاءت أحاديثٌ بهذا المعنى، كما في السنن لأبي داود: ((عن علي رضي الله تعالى عنه: عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا))^[1].

وكذلك ما جاء عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الشيخ الصدوق بإسناده في حديثٍ طويلٍ وهو يخاطب شاعراً ألقى قصيدةً في حضرة الإمام: ((... يا دعبل ... الحجة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً))^[2] الرواية معتبرة، جاءت في كتاب المعتمر من بحار الأنوار.

أنَّ المهدي المنتظر من أهل البيت، كما هو مذكورٌ هذا الوصف في أحاديث كثيرة لا مجال لذكرها جميعاً، فمما جاء في سنن الترمذي: ((قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي))^[3]. وقد

[1] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ): أول كتب المهدي: ج6، ص: 341، رقم الحديث: 4283. صححه محقق كتاب السنن شعيب الأرنؤوط في الهامش قال: (إسناده صحيح. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي). صححه الألباني قال: صحيحٌ. في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج4، ص: 41.

وينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت 241هـ) ج1، ص: 99. بلفظ (لو لم يبق من الدنيا...) صححه المحقق شعيب الأرنؤوط قال: رجاله ثقات رجال الشيخين غير فطر بن خليفة فله حديث واحد عند البخاري مقروناً بغيره وروى له أصحاب السنن.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، عيون أخبار الرضا: ص: 297. والرواية معتبرة معتمدة، إذ وردت في كتاب المعتمر من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله: ج2، ص: 142.

وصححها الماحوزي، قال بعد دراسة رجال السند: (مرتبة الحديث: صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ عيونٌ) الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه المسمّى: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص: 118.

وكذلك نقلها واستشهد بها السيد أبو القاسم الخوئي على صدق وعدالة الشاعر دعبل الخزاعي، في ترجمته للشاعر، في كتابه المعروف، معجم رجال الحديث: ج8، ص: 103.

[3] - سنن الترمذي: ج4، ص505، رقم الحديث: 2230. أبواب الفتن عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: باب ما جاء في المهدي.

صححه الترمذي وكذلك الألباني كما أشار محقق الكتاب قال: قال أبو عيسى: وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، قال الشيخ الألباني: حسنٌ صحيحٌ^[1].

ومثل هذا اللفظ روى الشيخ الطوسي (ت 406) مما جاء: ((عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجلٌ من أهل بيتي يُقال له المهدي))^[2].

اسمه محمد، اسم النبي ولقبه المهدي، هذا باتفاق كلمات علماء المسلمين وما عبرت عنه الأحاديث المستفيضة. كما هو بينٌ من الحديث سالف الذكر أعلاه، في سنن الترمذي، وما روى الشيخ الصدوق بإسناده: ((... عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): المهدي من ولدي، اسمه اسمي،...))^[3].

ومن أهم الأساسيات المشتركة، بأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وهو الدور الأساس والمهمة العظيمة التي ستحقق على يديه بتأييد من الله تعالى، وهذه هي الثمرة الأخيرة لأصل شجرة الأنبياء وتحقيق نتائج وآمال جميع الأنبياء والمرسلين، ولو لم تكن فقط إلا هذه النقطة - وهي نقطة مهمة - يشترك بها المسلمون في هذه العقيدة، لكانت جديرةً بالاعتقاد والاهتمام والالتفاف حولها دون باقي المختلفات.

فقد روي في مسند أحمد بن حنبل ((عن أبي سعيد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجلٌ من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً))^[4].

[1] - ظ: المصدر نفسه: ج 4، ص: 505. وينظر: المصنف لابن أبي شيبة: ج 15، ص: 198، رقم الحديث: 19493.

[2] - الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، كتاب الغيبة: ص: 182.

[3] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص: 516. رقم الحديث: 4، باب ما أخبر به النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من وقوع الغيبة بالقائم (عَلَيْهِ السَّلَام). والحديث من الأحاديث المعتمدة المعتمدة، إذ ورد في كتاب المعبر من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله: ج 2، ص: 185.

[4] - مسند أحمد بن حنبل: ج 17، ص: 321، رقم الحديث: 11223. مسند أبي سعيد الخدري (رض). وأخرجه من طريق آخر، باللفظ نفسه: ج 17، ص: 205، رقم الحديث: 11665. مسند أبي سعيد الخدري (رض). الحديث صحيح، صححه شعيب الأرنؤوط قال: صحيح دون قوله (يملك سبعاً أو تسعاً) رجاله ثقات رجال الصحيح. ينظر: المصدر نفسه: ج 17، ص: 205، رقم الحديث: 11665.

وبلفظ الحديث نفسه لكن بغير طريق، جاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ((...))
عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه قال: تَمْلَأُ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا،
ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِزَّتِي، يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا^[1]. ومن هذين
الحديثين يتضح بالاتفاق على:

تَمْلَأُ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا.

ومن المحاور الأساسية والمهمة المتفق عليها، بأنه من العترة، عترة النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - كما جاء في الحديثين أعلاه - ويجب ملاحظة أن تعبير ومفهوم العترة، هل
توجد فيه خصوصية أدق وأخص من مفهوم أهل البيت؟ أو أنه مرادف للفظ ومفهوم أهل
البيت؟

له ملك الأرض، وعدد السنين لا يهم، قد يزيد وقد ينقص باختلاف الروايات.

إنه بإذن الله وتسديده يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، وهو الذي يقود عملية التغيير الكبرى.

أن عيسى يصلي خلف الإمام المهدي المنتظر وهذا محور أساسي ومهم، فيه دلالات
مهمة وأساسية، إذ إن نبيًا من أنبياء أولي العزم يصلي خلف ذلك الإمام، فمن ذا الذي يكون
أفضل من نبي من أنبياء أولي العزم، وذلك يعني أن هذا الإمام ليس شخصاً عادياً من عامة
الناس، وأنه مدّخر من الله تعالى لتلك المهمة التي أنيطت به وهي إقامة العدل الشامل
والمطلق في هذا العالم بعد ملئه بالظلم والجور.

وفي اتفاق واستفاضة هذه المسألة، أمر واضح، وكثرة روايتها عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)
وآله بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يخرج معه النبي عيسى، فيساعده على قتل
الذجال، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يُصلي خلفه.

بعض ما ورد في سنن ابن ماجه، وصحيح مسلم والبخاري، لم يذكر صراحةً أنه يصلي
خلف الإمام المهدي المنتظر، لكن إذا جمعنا هذه الأحاديث مع أحاديث أخرى مخرجة

[1] - المجلسي، محمد باقر (ت 1110 هـ)، بحار الأنوار: ج 51، ص: 78، رقم الحديث: 37.

وكذا في كتاب الغيبة للطوسي: ((عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول على المنبر: إن المهدي من عترتي من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان (...)) الطوسي، كتاب الغيبة، ص: 111.

في كتب السنن والآثار؛ سيتعين منها مصداقها بالمهدي المنتظر، ففي صحيح البخاري (ت 256هـ) ((أَنَّ أبا هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))^[1] وفي صحيح مسلم (ت 261هـ). عن ((جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة)).^[2] وفي حديث طويل في سنن ابن ماجه (ت 273هـ) عن الدجال وأشراف الساعة، نأخذ موضع الشاهد منه: ((... فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعُكَّرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَتْ: هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ وَجَلُّهُمْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمَ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ))^[3]. وعند شرح الحديث أعلاه من صحيح البخاري، في فتح الباري أشار إلى تعيين ذلك الإمام بعد الجمع والتوافق بين تلكم الأحاديث استشهد ابن حجر: قال ((الأبري في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، ذكر ذلك ردًّا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه ولا مهدي إلا عيسى)).^[4] ثم ذكر ابن حجر بأنه ((وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة))^[5].

وجاء بوجه صريح، الذي يصلي خلفه هو (المهدي) ففي الحديث: ((يُنزَلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَى صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرٌ بَعْضٌ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ

[1] - صحيح البخاري: ج 4، ص 168، رقم الحديث: 3449، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

[2] - صحيح مسلم: ج 1، ص: 137، رقم الحديث: 156، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[3] - سنن ابن ماجه: ج 2، ص 1359، رقم الحديث: 4077، أبواب الفتن، باب خروج المهدي. وباللفظ نفسه أخرجه في الفتن لابن حماد الخزاعي المروزي، ج 1، ص: 346.

[4] - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج 6، ص: 493.

[5] - المصدر نفسه: ج 6، ص 494.

هَذِهِ الْأُمَّةُ))^[1] وقال ابن القيم عن إسناده: هذا إسنادهٌ جَيِّدٌ^[2]. وصححه الألباني قال: وهو كما قال ابن القيم، فإنَّ رجاله كلهم ثقاتٌ من رجال أبي داود^[3].

أورد الشيخ الصدوق بهذا المعنى حديثاً طويلاً، بسنده: ((... عن مجاهد قال: قال ابن عباس: سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول: ... [إلى أن يقول بعد تعداد الأئمة] والعلامة الحسن بن علي [العسكري]، ومن يصلي خلفه عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ))^[4].

هناك محور من أهم المحاور، وهو أنَّ قضية الإمام المهدي المنتظر هي من الأمور العقائدية وليست من الأمور العبادية كالصوم والصلاة والحج، ولا بدَّ أن يؤمن كلُّ مسلمٍ بها كيأمنه يوم القيامة، فكما أنه لا يكمل إيمان المسلم إلا بالإيمان بالمعاد والقيامة، كذلك لا يتم إيمانه إلا أن يؤمن بالمهدي المنتظر.

نعم لو تتبعنا الأحاديث الواردة بشأن الإمام المهدي المنتظر لوجدناها غالباً تُذكر في كتب الأحاديث والآثار في باب أشراط الساعة، وأنَّه لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وكما هو متيقنٌ فإنَّ أشراط الساعة والإيمان بقيامها من الأمور الإيمانية العقدية وليس من الأمور العبادية الفرعية، وهذه العنوانات التي يعنونها أرباب الحديث لها المدخلية البارزة والأهمية البالغة في فهم مضمون الأحاديث التي تقع تحت تلك العنوانات.

[1] - ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص: 147.

[2] - ظ: المصدر نفسه، ص: 147 - 148.

[3] - ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها، ج5، ص: 276، صحيحة رقم: 2236. وله شاهدٌ في نص آخر في عقد الدرر ((... قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يلتفتُ المهديُّ، وقد نزل عيسى ابن مريم، كأنَّما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صلِّ بالناس. فيقول عيسى: ما أقيمت الصلاة إلا لك. فيصلي خلف رجل من ولدي)). الشافعي السلمي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص: 73.

[4] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 283 - 284. رقم الحديث: 36، باب ماروي عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في النص على القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأنَّه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام. الحديث معتبرٌ موثوقٌ، وثقه الماحوزي، بعد دراسة رجال السند، ففيه رجالٌ من غير الإمامية، ينظر الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص: 87 - 89.

كما نجد هذا المعنى في عدة كتب ومؤلفات، مثلاً: الحاكم النيسابوري وغيره^[1]. فالعلماء الأعلام من المسلمين قرروا بوجود الاعتقاد بها كأي أمر عقائدي، لما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه ((أخبر عن أمور مستقبلية لا بد من التصديق بها، والاعتقاد أنها ستقع على وفق ما جاء عنه صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم... إن من بين الأمور المستقبلية التي تجري في آخر الزمان، عند نزول عيسى بن مريم من السماء، هو خروج رجل من أهل بيت النبوة من ولد علي بن أبي طالب... وذلك لدلالة الأحاديث المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم، التي تلقّتها الأمة بالقبول، واعتقدت موجبها إلا من شدّ))^[2].

إذاً يجب الإيمان إيماناً كاملاً ولا يكفي فقط العلم بما هو واجب الإيمان به، فقد ورد من حديث عن ((رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم أنه كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر...))^[3]. لذا نجد ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ)، قال في ما يجب الاعتقاد به في القول المختصر: ((والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة في وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى في زمنه))^[4]. ودليل هذه القضية واضح، وهو الحديث الوارد في الصحاح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))^[5].

[1]- ينظر: المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری (ت 405هـ): ج 4، ص: 600، رقم الحديث 8669. كتاب الفتن والملاحم.

وكذا ينظر: كتاب مصابيح السنّة للبخاري (ت 516هـ) أبو محمد الحسين بن مسعود، ج 1، ص: 192. باب أشراف الساعة. حيث جرى ذكر المهدي المنتظر.

وكذا ينظر: كتاب جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (ت 606هـ): ج 10، ص: 327 وما بعدها، الكتاب التاسع في القيامة وما يتعلق بها أولاً وآخراً، الباب الأول: في أشراف الساعة وعلاماتها، الفصل الأول: في المسيح والمهدي (عليهما السلام).

[2]- العباد، عبد المحسن بن حمد، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، رسالة أو محاضرة، منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: 304 - العدد: 3، السنة الأولى، شباط 1969م.

[3]- صحيح البخاري: ج 6، ص: 115، رقم الحديث: 4777. كتاب تفسير القرآن، باب قوله: إن الله عنده علم الساعة.

[4]- الهيتمي، ابن حجر، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (129 ألف): نقلاً عن: البستوي دكتور عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص: 55.

[5]- صحيح البخاري: ج 1، ص: 14، رقم الحديث: 25. كتاب تفسير القرآن، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا

وإذا آمن الإنسان المسلم بنبوّة النبي الخاتم، يترتب عليه بعد ذلك الإيمان وتطبيق كل ما يصدر عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما تضمّنّه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^[1] فعلى هذا القول، لا يكتمل إيمان المسلم إذا لم يؤمن بكل ما أتى به النبي الخاتم؛ لأن من جملة ما أتى به هو بشارة ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان.

والمراد تقريره هنا: أي إنه إذا صحّت رواية ما - بغض النظر عن تواترها وعدمه - فالإيمان والأخذ بها واجب، لمن صحّت عنده، وإنّ إنكارها يؤدي إلى إنكار ما وجب الإيمان به.

وكذلك مما أثبتته أهل العلم، منهم ناصر الدين الألباني في موسوعته، موسوعة العقيدة، وأثبت تعداد ثلاثين نقطة ضمّنها جملةً من العقائد تحت عنوان سَمَاءُ: (باب أمثلة على العقائد الإسلامية المتواترة)^[2] عندما قال: هذه جملةٌ من العقائد الإسلامية التي تلقاها الخلف عن السلف، وجاءت الأحاديث متضافرةً متوافرةً شاهدةً عليها، من بينها: (الإيمان بمجموع أشراف الساعة، كخروج المهدي، ونزول عيسى النبي وخروج الدجال) وهي بعض العقائد الإسلامية الصحيحة التي وردت في الأحاديث الثابتة المتواترة أو المستفيضة، وتلقتها الأمة بالقبول، وما أظن أحداً من المسلمين يجرأ على إنكارها، أو التشكيك فيها.^[3] وهذا يدل على وجوب الإيمان بها إجمالاً، أما التفاصيل، فتتحال على الخلاف في فهمها.

وأردف قائلاً مصرحاً: ((إنّ عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

الزكاة فخلوا سبيلهم. وينظر: صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ج: 1، ص: 53، رقم الحديث: 22. كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

[1]- الحشر: آية 7.

[2]- المتواتر: ((عبارة عن الخبر الذي ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة، ولا بُدَّ في إسناده من استمرار هذا الشرط في رواته من أوله إلى منتهاه)). ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت: 643هـ)، معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: ص: 267.

أو: هُوَ مَا نَقَلَهُ مَنْ يَحْصُلُ الْعِلْمَ بِصِدْقِهِمْ ضَرُورَةً عَنْ مِثْلِهِمْ مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ، مِثْلَ حَدِيثِ (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) السُّيُوطِيُّ، جلال الدين (ت: 911هـ)، تدریب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج: 2، ص: 621.

وينظر: العاملي، الشيخ حسين بن عبد الصمد (ت 984هـ)، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار: ص: 94. وينظر: الداماد، المير محمد باقر الحسيني، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية: ص: 40.

[3]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، موسوعة العلامة محمد ناصر الدين الألباني، موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد. ج: 1، ص: 340 - 342.

[وآله] وَسَلَّم يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿لَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^[1] وَإِنَّ إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الإيمان بها وبكل ما صحَّ في الكتاب والسنة^[2].

وكذلك ممن أثبت ذلك بوجه قاطع، السفاريني في منظومته المسماة: الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الشهيرة بالعقيدة السفارينية عندما قال:

((وما أتى في النص من أشراف ... فكله حقُّ بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح ... محمد المهدى والمسيح))^[3].

جاء في شرح البيتين: ((يعني كل ما أتى في النص من أشراف الساعة فكله حقُّ (بلا شطاط) يعني بلا شطط في اعتقاده، ولا في المنازعة فيه، بل يجب أن يكون مسلماً... (منها) أي من أشراف الساعة، (الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدى))^[4].

ومن المحاور الأساسية المشتركة والمهمة والتي لها دلالات قيّمة في هذا الباب، هو أنه (خليفة الله) ((... عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم يَقْتُلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةَ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ... فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمُهَدِيُّ))^[5] لكن الحديث ضعفه بعض أهل الحديث، وصححه آخرون، فممن ضعفه، الألباني^[6].

[1] - البقرة: 2.

[2] - الألباني، ناصر الدين، حول المهدي: مقالة منشورة في مجلة التمدن الإسلامي، عدد 22، ص: 643، دمشق.

[3] - السفاريني، الشيخ محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي (ت 1188هـ)، شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين (ت: 1421هـ)، ص: 11.

[4] - العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ص: 450.

[5] - سنن ابن ماجه: ج 5، ص 211، رقم الحديث: 4084. أبواب الفتن، باب خروج المهدي. وباللفظ بنفسه جاء في الفتن لابن حماد الخزاعي المروزي: ج 1، ص: 346.

[6] - قال عنه الألباني: منكر، في كتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج 1، ص: 195، رقم الحديث: 85.

أقول: لكن هل يمكن أن يُجبر ضعفه، إذا لم يكن في الأسانيد الضعيفة كذباً أو وضاعاً، بأن يُعصد بطرق أخرى صحيحة وأحاديث بالمضمون نفسه، وتسمى الشواهد، إذا تعددت الطرق للمضمون نفسه أو المتن. مع أن المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، (محقق سنن ابن ماجه) حكم بصحة هذا الحديث في الهامش قائلاً: ((في الزوائد هذا إسناده

ومما جاء في السياق نفسه والمضمون نفسه أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) في كتاب (الأربعون في المهدي): ((عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يخرج المهدي على رأسه غمامة، فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه))^[1].

صحيح، رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرک. سنن ابن ماجه، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربيَّة، ج2، هامش ص: 1367، كتاب الفتن، باب خروج المهدي. رقم الحديث: 4084.

ويمكن الحكم بصحته، ولا سيَّما إذا علّق عليه الذهبي في المستدرک، وكان على شرط الشيخين بشهادة تعليق الذهبي إذ جاء بطريق آخر يلتقي مع سفيان الثوري: ((أخبرنا أبو عبد الله الصفار ثنا محمد بن إبراهيم بن أرومة ثنا الحسين بن حفص ثنا سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان (رض) قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة... فقال: إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم)) وتعليق الذهبي قال: (على شرط البخاري ومسلم). المستدرک على الصحيحين: ج4، ص: 510، رقم الحديث: 8432. كتاب الفتن والملاحم.

وحيث جاء الحديث بلفظ آخر في مسند أحمد ((فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي)) وتعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، مسند أحمد بن حنبل، ج37، ص: 70، رقم الحديث: 22387. مسند ثوبان.

أقول: يعني الإسناد هنا بهذا الطريق ضعيف، لكن بغير طريق هو صحيح، فقال التوحيدي: ((رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والحاكم في مستدرکه، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه)) التوحيدي، حمود بن عبد الله (ت 1413هـ)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة: ج2، ص: 187.

بعد ذلك إذا ضمنا الأحاديث التي تعبّر بمضمون الخليفة في آخر الزمان، كما جاء في صحيح مسلم ((عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدّه)) صحيح مسلم: ج4، 2235، رقم الحديث: 2914. كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

والحديث الآخر أيضاً جاء ((عن أبي نضرة قال... قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في آخر أمتي خليفة؛ يحيي المال حثياً؛ لا يعدّه عداً)) صحيح مسلم: ج4، ص: 2234، رقم الحديث: 2913، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[1] - الأصبهاني، أبو نعيم، (ت 430هـ)، الأربعون حديثاً في المهدي: ص: 14، رقم الحديث: 15. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.

وأخرجه السلمى الشافعي، يوسف بن يحيى (ت بعد 658هـ)، عقد الدرر في أخبار المنتظر: بلفظ (على رأسه عمامة): ص: 205.

وأخرجه صاحب كتاب كشف الغمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت 692هـ): ج4، ص: 187.

وأخرجه العلامة المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ) في بحار الأنوار: ج51، ص: 81.

بعد ذلك إذا لم يتحصّل مما تقدم على اتفاق مشترك للفظ (خليفة الله)^[1] في الأحاديث المشتركة بين المسلمين في العقيدة المهدوية، فالقدر المتيقن المتحصل من هذه الأحاديث هو لفظ (خليفة). ومثل هذا الوحي النبوي لا بدّ أن يتواءم مع الوحي القرآني، مثال قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^[2] فهل هذا الجعل للخليفة في الأرض على نحو القضية الحقيقية أو الخارجية؟ يعني فقط المصداق بالجعل الإلهي، كان وقتئذ لنبي الله آدم؟ أم هذا الجعل يستمر إلى قيام الساعة؟

والمسألة تستدعي النظر والتأمل، ويمكن الاستئناس أو الاستدلال بها كشاهد في هذا الموضوع.

المحور التاسع الذي اتفقت عليه كلمة المسلمين، هو أنّ المهديّ المنتظر (إمام) فـ ((مما يلحق بباب الإمامة بحث خروج المهدي ونزول عيسى وهما من أشراف الساعة وقد وردت في هذا الباب أخبارٌ صحاحٌ وإن كانت آحاداً^[3]... فذهب العلماء إلى أنه إمامٌ عادلٌ من ولد فاطمة (رض) يخلقه الله تعالى متى شاء ويبعثه نصرته لدينه))^[4].

فما تقدم من الأحاديث من أنه ينزل نبي الله عيسى ابن مريم فيصلي خلف المهدي المنتظر، يعني هو إمامٌ وعيسى النبي مأمومٌ، وقد أخرج البخاري ((أنّ أبا هريرة قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))^[5].

[1] - يُذكر أن بعض الأعلام عَنُونُوا أبوابهم بهذا اللفظ (الخليفة المهدي) كما في كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، تأليف الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر الشريف: كتاب الفتن وعلامات الساعة، الباب السابع: في الخليفة المهدي رضي الله عنه، ج5، ص: 341.

[2] - البقرة: 30.

[3] - عرّف علماء الاختصاص خبر ((الآحاد: ما سوى المتواتر)) العثميين، محمد بن صالح، علم مصطلح الحديث: ص: 7.

يعني: أنّ خبر الآحاد يسمى آحاداً وإن روته جماعة ما دام لم يبلغ حدّ التواتر، وينقسم على اعتباراتٍ متعدّدة، إلى المشهور، العزيز، الغريب، الصحيح، الحسن، والضعيف، وغيرها.

وهذا الرأي (وهو أن أخبار المهديّ المنتظر من أخبار الآحاد) رأيٌ يحترم لصاحبه حيثما أخذ به دليله لذلك الرأي، لكن ليس رأياً عاماً ثابتاً لعموم علماء المسلمين، فسيثبت لاحقاً أنها متواترة. وإن كان تواتراً في المعنى، إذ الفرق معروف بين المتواتر اللفظي والمتواتر المعنوي.

[4] - التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت 791 هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام: ج2، ص: 307.

[5] - صحيح البخاري، ج4، ص: 168، رقم الحديث: 3449، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام).

أخرجه مسلم في صحيحه: ج1، ص: 135، رقم الحديث: 244. كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً

وذكر الصنعاني (ت 211هـ) في مصنفه (باب المهدي): ((عن جابر بن عبد الله قال يكون على الناس إمامٌ لا يعدُّ لهم الدراهم ولكن يحثو))^[1].

وعبر عنه في المنظومة السفارينية تعبيراً دقيقاً، بأنه خاتم الأئمة:

((وما أتى في النص من أشرافٍ ... فكله حقٌ بلا شطاطِ

منها الإمامُ الخاتمُ الفصيحُ ... محمدُ المهديُّ والمسيحُ))^[2]

وجاء في شرح المنظومة لمفردة الإمام من هذين البيتين: ((الإمام: يعني الذي يؤم الناس، لا في الصلاة ولكن في القيادة، فيكون إماماً لهم أعظم كالخليفة، وهذا الإمام يقول [السفاريني]: إنه (الخاتم) أي للأئمة، لأنه لا إمام بعده، فهو خاتم الأئمة، واسمه يقول: محمد ولقبه المهدي))^[3].

وهناك كثيرٌ من المسائل الفرعية، وكثير من الأمور الجزئية، مشتركةٌ ومتفقٌ عليها بين المسلمين جميعاً في قضية الإمام المهدي المنتظر، يمكن التعرف عليها بيسر وسهولة من الأحاديث الصحيحة الصريحة. ومرةً أخرى نذكرُ بأنه نعم توجد اختلافاتٌ ومختصاتٌ في عدة أمور، لكنها لا تساوي شيئاً أمام نسبة تسعين بالمئة من النقاط المتوائمة والمشاركة، ووجود (النقاط والجزئيات المختصة، المختلفة) ليس بالضروري أن ينفي النقاط المشتركة والمتفق عليها بين عموم المسلمين، كما أقحم المستشرقون أنفسهم في مثل هذه المغالطة المقصودة.

ولو أردت ذكرها جميعاً، لاشتطَّ البحثُ وانحرف عن مساره، لكن لا بُدَّ من ذكر بعضها، كي يخدم تشدُّقُ المستشرقين بقولهم: إنها ليست عقيدة عموم المسلمين وإنها من مخترعات ومختصات الشيعة، وإنَّ الإيديولوجيا الشيعية هي التي رسمت واختطت تلك الأصول، وذلك عن طريق ذكر المستشرقين للأشياء المختصة فقط دون ما يتفق به المسلمون، كقول أحدهم: ((محمد المهدي فيعتبر الشيعة أنه غاب وهذه الغيبة هي في أساس اعتقاد الشيعة الاثني عشرية ... غادر الأرض ليقودهم على وجه أفضل، تاركاً وراءه الشيعة الاثني عشرية. هذه الفكرة عصبيةٌ على الفهم. فالأمر ليس (صعوداً إلى السماء) كما في الدين المسيحي، بل

بشريعة نبينا محمد صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم.

[1] - الصنعاني، الحافظ أبو بكر عبد الرزاق، المصنف: ج 11، ص: 372، رقم الحديث: 20774. باب المهدي.

[2] - السفاريني، الشيخ محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي (ت 1188هـ)، شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين (ت: 1421هـ): ص: 11.

[3] - العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة السفارينية - الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية: ص: 450.

غيبه شاءها الله كي يسمح لمحمد المهدي بأن يقود الناس بطريقة خفية... فالشيعة ينتظرون نهاية العالم وعودة الإمام، باعتبار أن هذه العودة هي، بشكل أو بآخر، نهاية التاريخ وانتصار الله في مصائر البشر^[1].

وهناك كثيرٌ من النماذج للمسائل الفرعية، الجزئية، المشتركة بين المسلمين، منها: - على سبيل المثال لا الحصر - في أوصافه الخلقية والخلقية وتشتمل على أوصافه الجسمية، وهي مما اتفق عليها المسلمون، أجلى الجبهة^[2] أجلى الجبين^[3] أقنى^[4] الأنف^[5] شابٌ حسنُ الوجه، كأنه كوكبٌ دريٌّ، على خده الأيمن خالٌ أسودٌ، كأنه من رجال بني إسرائيل^[6] رجلٌ أزجٌ^[7] أبلج العين^[8] المشرب حمرة^[9]^[10] العريض ما بين المنكبين^[11].

[1] - تويال، فرانسوا، كتاب الشيعة في العالم، ص: 39.

[2] - أجلى الجبهة: الأجلى الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته. ينظر: لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم: ج14، ص: 149، مادة: جلا.

[3] - أجلى الجبين انحسار: الشعر عن جانبي الرأس، قال رؤبة:

لَمَّا رَأَتْنِي خَلَقَ الْمُمُوءَ +++ بَرَأَقَ أَصْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجْلَهُ. ينظر: ابن فارس، أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة: ج1، ص468. مادة: جله.

[4] - أقنى الأنف: ((القنأ في الأنف طوله ودقته أزنته مع حذب في وسطه)) لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم: ج15، ص201، مادة: فنا.

[5] - ذكرت هذه الصفات في أحاديثٍ معتبرة، ينظر: الصنعاني، الحافظ أبو بكر عبد الرزاق (ت211هـ)، المصنف: ج11، ص: 372، رقم الحديث: 20773. باب المهدي. وكذا ينظر: سنن أبي داود (ت275هـ): أول كتب المهدي: ج6، ص: 342، رقم الحديث: 2485. وكذا ينظر كشف الغمة في معرفة الأئمة، تأليف العلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي: ج4، ص: 211. تم دراسة سند الحديث: ينظر: سنن أبي داود: هامش تعليق: شعيب الأرنؤوط، ج6، ص: 342 - 344. وينظر هامش صفحة 144 من هذا الكتاب.

[6] - ظ: الطبراني، المعجم الكبير: ج8، ص: 101، رقم الحديث: 7495.

[7] - رجل أزجٌ: طويل الساقين والزجاج: دقة في الحاجبين وطولٌ. وزججت المرأة حاجبها: دققته وطولته. الزجاج دقة في الحاجبين وطولٌ. لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم: ج2، ص: 285، مادة: زجح.

[8] - أبلج: (وكُلُّ مُتَّصِحٍ أْبْلَجٌ) من صُحِّحَ وَحَقَّ وَأَمْرٌ وَوَجْهٌ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الطَّلَقِيُّ الْوَجْهُ: أْبْلَجٌ (أَبْلَجُ الْوَجْهِ) أَي مُسْفِرُهُ مُشْرِفُهُ. ينظر: الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس: ج5، ص: 427. مادة: بلج.

[9] - أبيضٌ مُشْرَبٌ حُمْرَةٌ الْإِشْرَابُ: خَلَطُ لَوْنٍ بِلَوْنٍ كَانَ أَحَدَ اللَّوْنَيْنِ سَقِي اللَّوْنِ الْآخَرَ. يُقَالُ بِيَاضٌ مُشْرَبٌ حُمْرَةٌ بِالتَّخْفِيفِ. وَإِذَا شَدَّدَ كَانَ لِلتَّكْثِيرِ وَالمبالغة. ينظر: ابن الأثير الجزري مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر: باب الشين مع الراء، ج2، ص: 454.

[10] - ظ: نعيم بن حماد، الفتن، ص: 226.

[11] - ظ: النعماني (المتوفى حدود سنة 360هـ) الشيخ محمد بن إبراهيم، كتاب الغيبة، ص: 215، باب: ما روى في صفته وسيرته وفعله وما نزل من القرآن فيه (عليه السلام).

وهناك أمورٌ وأحاديثٌ مشتركةٌ فيها، منها: المَهْدِيُّ مِنْ وَكْدِ فَاطِمَةَ، وعند خروجه وظهوره لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها، يحثي المال حثياً ولا يعده، يقسم المال صحاحاً بالسوية، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يجب إدراكه ومبايعته وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ، يصلحه الله في ليلة، من سادة أهل الجنة، يواطئ اسمه اسم النبي، يملك سبع سنين، هو بشارة النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بشر به، ومنها: أنه أشبه الناس برسول الله خُلُقًا وَخُلُقًا.

وغيرها كثيرٌ من المشتركات، مثل علامات زمن ظهوره كخروج السفيناني وصفاته ونهايته، والدجال وأوصافه ونهايته، والخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية والخسوف والكسوف، والصيحة في السماء، وأحوال آخر الزمان قبل وبعد خروجه، وأحوال القتال والجيش والأنصار والرايات التي تسانده، وإنَّ عدَّتْهُمْ كعدة أهل بدر، ومكان مبايعته بين الركن والمقام، وطلوع الكوكب المذنب، والفتن والحوادث قبيل الخروج، وإنَّ المهدي المنتظر لديه موارث الأنبياء، ودخوله بيت المقدس، وفتح القسطنطينية، وحره مع الروم مع عيسى ابن مريم، وأحاديث مدة ملكه، وانتظاره، ورضا الناس عنه ورضا ساكن السماء والأرض^[1].

[1] - ينظر: الصنعاني، الحافظ أبو بكر عبد الرزاق (ت 211هـ)، المصنف: ج 11، ص: 371 - 374. باب المهدي.

وينظر: المصنف لابن أبي شيبه (ت 235هـ): ج 7، ص: 512 - 214. كتاب الفتن.

وينظر: مسند أحمد بن حنبل (ت 241هـ): ج 17، ص: 426، رقم الحديث: 11326. مسند أبي سعيد الخدري (رض) وفي مسانيد أخرى من الكتاب.

وينظر: سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): أبواب الفتن، باب خروج المهدي: ج 5، ص: 209 - 215.

وينظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ): أول كتب المهديّ ص: 335 إلى ص 348، آخر كتاب المهدي.

وينظر: سنن الترمذي (ت 297هـ): ج 4، ص: 504 - 506. أبواب الفتن، باب: ما جاء في المهدي.

وينظر: المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری (ت 405هـ): ج 4، ص: 501 - 510 - ص: 600 - ص: 601 - ص: 511 - ص: 512. كتاب الفتن والملاحم.

وينظر: كتاب الغيبة للنعماني، للشيخ ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني (المتوفى حدود سنة 360هـ): ص 215 - 241، باب: ما روى في صفته وسيرته وفعله وما نزل من القرآن فيه (عَلَيْهِ السَّلَام).

وينظر: كتاب الغيبة، للطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت 460هـ): ص: 266، ص: 357 - 358 - 182 - 111.

وينظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر، للسلمي الشافعي، يوسف بن يحيى (ت بعد 658هـ): ص: 73، ص: 74، ص: 205.

هذا غيضٌ من فيضٍ للمشتركات بين عموم المسلمين في عقيدة المهديّ المنتظر، ولا أقول يمكن أن تُكتبَ فيها مجلداتٌ، لأنه كُتبتَ فعلاً مجلداتٌ موجودةٌ بهذا المجال.

وهذه العنوانات المهمة سألغة الذكر لشؤون المهدي المنتظر الخاصة والعامة، التي ستحصل، والتي ذكرتها الأحاديث الصحيحة، كلها لها دلالاتٌ مهمةٌ وواقعيةٌ، لا مجال ولا محطة لذكرها هنا، على سبيل الذكر لا للحصر:

منها: تعني أنه ليس شخصاً عادياً من عامة الناس، بل هو مختارٌ من الله تعالى، لا أنه تنتج الظروف الطارئة.

منها: أن هناك تأييداً وتسديداً وتوفيقاً إلهياً كبيراً سيكون، بل معاجز بالمعنى الأوفق، تخرق القوانين الطبيعية سوف تحدث.

منها: أنه إمامٌ وخليفةٌ وقائدٌ منصَّبٌ من الله تعالى. وإلا ما معنى أن يصلي خلفه نبيٌّ من الأنبياء أولي العزم؟

وينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ). باب: ما جاء في المهدي: ص: 313 - 319.

وينظر: بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ): الأجزاء 51 - 52 - 53 - المختصة بالإمام المهديّ المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، تأليف العلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي. الفصل الثامن عشر في بشارة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمتة بالمهدي: ج4، ص: 187.

وينظر: كتاب الإمام المهديّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عند أهل السنة، لمؤلفه: مهدي الفقيه الإيماني، المجمع العالمي لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): ص: 11 - 120. ويمكن الاستزادة من الكتاب كله في مسألة النقاط المشتركة في المهديّ المنتظر.

وينظر: كتاب الإمام المهديّ في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، محمد أمير الناصري: ص: 19 - 72. ويمكن الاستزادة من الكتاب كله في مسألة النقاط المشتركة في المهديّ المنتظر.

المبحث الثاني 2

شبهة عدم وجود الأصل القرآني والحديثي للعقيدة المهدوية

هذه إحدى الحجج أو أحد المناهج التي اعتمد عليها أغلب المستشرقين في إنكار عقيدة المهدي المنتظر، لأسباب ودوافع استشراقية سواء أخطنا بها جميعها أم لم نحط بها معرفة - قد جرى الكلام عنها في ما سبق - وقد ركزوا على هذا النقض، ولا سيما الأصل القرآني للعقيدة المهدوية، وهذا هو الدين السهل والمُعَبَّد والأقرب للنقض، لأن كثيراً من الحوادث الإسلامية الواضحة لم تُذكر صراحةً بالقرآن، لذا اعتمدوا كثيراً على هذا النفي، وهو عدم وجود أصل قرآني للأطروحة المهدوية.

وزادوا على ذلك، عدم وجود الأصل الحديثي الذي يدعم هذه العقيدة، وكأنما جاء أمراً طارئاً مفاجئاً، وإذا كان هناك يوجد ما يؤيده، فهو من الموضوعات والمنحولات التي لا وجود لها ويؤكدون هذه المعاني ويرددونها في مقولاتهم، حيث ((كانت عودة الإمام المستتر بوصفه هو المهدي المنتظر مسألة ينتظرها - بصبر - المؤمنون الشيعة، ويعتبرون ظهوره فجر عصر جديد من الطهارة والنقاء والأعمال الصالحة والاعتقاد القويم - أي يعتبرون ظهوره هو الظهور النهائي للإسلام الحقيقي قبل نهاية العالم (الدنيا). ولدعم هذا الاعتقاد وتأييده جرى تجميع عدد كبير من الأحاديث كقول النبي ما يفيد بأنه حتى إذا لم يبق على قيام الساعة سوى يوم واحد، فإن الله سبحانه سيطيّل هذا اليوم حتى يرسل للدنيا رجلاً من عترة النبي محمد وبيته واسمه محمد كاسم النبي ليملاً الدنيا عدلاً وإنصافاً بعد أن كانت قد ملئت فساداً وطغياناً))^[1].

وبقوله كذلك بأن الاعتقاد في المهدي القائم لم يرد نصاً في القرآن^[2]، بل أكثر حتى المسيح الدجال كما يسميه العرب، وهو من أصل آرامي، لم يرد ذكره في القرآن. على أن هذه الأطروحة

[1]- روجرسون، برنابي، ورثة محمد - جذور الخلاف السني الشيعي: ص: 348.

[2]- ظ: المصدر نفسه: ص: 349.

يحاول المسلمون أن ينسبوا أحاديث لنبيهم^[1]، مفسرين الآيات بها: ((ثمة حديث آخر يجري الاستشهاد به بشكل أكثر، حيث سأل عليُّ محمداً قائلاً: يا نبي الله، متى يظهر [القائم] (Qaim support من أسرتنا (من بيتنا)؟ فأجاب النبي: إن أمره كأمر الساعة (يوم القيامة) أشار إليها القرآن الكريم (السورة 7، الآية 187) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسُوءُ لَوْنُكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^[2] وهناك حديث آخر يفيد أن قدوم الساعة سيكون عندما يشيع الجهل بالدين وتختفي المعرفة ويكثر القتل))^[3].

ويبدو أن المسلمين ولا سيما الشيعة منهم متأثرون بالمسيحية وتفسيراتهم، هذا ما أراد تقريره المستشرق الفرنسي ماسي: ((رأينا أن فكرة المهدي محيي العدالة التي ستسبق نهاية الزمان، ظهرت غير واضحة ومتأخرة نسبياً عند السنيين. ويبدو أن هذه الفكرة طُبِّقَتْ أولاً على شخص المسيح ثم على شخص محمد الذي قال: (لا نبي بعدي) ... والمهدي الذي يجب أن يحمل اسم النبي نفسه يجب أن يكون تجسيدا لمحمد. ونجد هنا إذاً أفكار التجسيد العزيزة على المذهب الشيعي المتقدم. ونعلم أن القرآن يتضمن سلسلة من الآيات المتعلقة بالساعة الأخيرة وخصوصاً (77 - 7، 54 - 1)^[4] وهي آيات تذكرنا برؤيا القديس يوحنا إذا لم تكن مشتقة منها بصورة غير مباشرة. وقد نشأ عن هذه الآيات أحاديث عديدة يعزو أحدها إلى محمد الكلام التالي، فاتحاً الباب لجميع محاولات الدجالين: لن ينتهي العالم قبل أن يقود شعبي رجلٌ من عائلتي ويكون اسمه مطابقاً لاسمي^[5]))^[6].

ويلاحظ هنا في طيات كلام المستشرق، ولا بد من الإشارة عوداً على بدء من مناهج ودوافع وأسباب كتابة المستشرقين حول الموضوعات الإسلامية، يلاحظ هنا الديدن التبشيري

[1] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص: 104 - 105.

[2] - الأعراف: 187.

[3] - روجرسون، برنابي، ورثة محمد - جذور الخلاف السني الشيعي: ص: 348.

[4] - يقصد: الأيتان: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ المرسلات: 7 ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ القمر: 1.

[5] - إشارة إلى الحديث الوارد في سنن الترمذي ((لا تذهب أو لا تنفضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)) سنن الترمذي: ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2230. أبواب الفتن عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: باب ما جاء في المهدي.

[6] - ماسيه، هنري، كتاب الإسلام: 199.

الواضح من كلامه: بأن الآيات التي أشار لها مشتقة من الإنجيل عندما قال: (تذكرنا برؤيا القديس يوحنا). ومحاولة إثبات أن القرآن ليس وحياً سماوياً ومن ثم إسقاط كل العقائد الإسلامية عن الاعتبار، فلا تبقى قيمة لها.

وهذا الإصرار على الإنكار لعقائد المسلمين الثابتة عندهم، يؤكد قصد الإساءة للإسلام والمسلمين والسخرية من عقائدهم، وكما هو واضح من كلام المستشرق ماسي محاولاً التشكيك في الآيات القرآنية الدالة على يوم القيامة - القريب من أيام ظهور المهدي المنتظر بحسب ما يُراد فهمه - على أنها مأخوذة من أحد الأناجيل، ناعتاً العقائد الثابتة عند المسلمين بالدجل، واختراع الأحاديث المكذوبة.

وهذا المعنى نجده أكثر صراحةً عند مستشرق آخر، على أنها جاءت عبرَ أحاديثٍ موضوعيةٍ ((وتبني الفرق الشيعية المختلفة اعتقادها بخلود الإمام الذي تعدّه خاتم الأئمة، كما تدعّم إيمانها بعودته إلى الظهور في يومٍ من الأيام على أحاديثٍ موضوعيةٍ مُختلقةٍ يؤيدون بها عقيدتهم هذه))^[1].

وقد تكون هذه إشارةً منه إلى صحيحٍ مسلمٍ والبخاري بأنهما لم يردّ فيهما ذكرُ المهدي المنتظر بوجه الخصوص عندما يقول: ((وقد خاض [جرى] الحديث في موضوع هذه العقيدة التي كثر نقاش المسلمين فيها، ونُسبت للرسول أحاديثٌ صوّرَ فيها على وجه الدقة الصفات الشخصية التي يتصف بها منقذ العالم الذي وعد به في آخر الزمان. على أنها لم تجد في الحقيقة منفذاً تتسرب منه إلى مصنفات الحديث الصحيحة المتشددة في ضبط الرواية، ولكن أخرجتها الكتب الأخرى التي كانت أقل تشدداً في صحة تخريج الأحاديث)).^[2] وسيأتي الحديث لاحقاً عن مدعى عدم وجود ذكر أحاديث المهدي المنتظر في الكتابين المشار لهما.

وكذلك ممّا لا شك فيه هو أنّه لا توجد آياتٌ قرآنيةٌ لها علاقةٌ في انتظار المهديّ، لكن بعضهم اتخذ من بعض الآيات أساساً لموضوعٍ واسعٍ حول انتظار مجيئه وبالتحديد الشيعة فيفسرون بأنّ الهداة الوارد ذكرهم في القرآن هم الأئمة^[3].

[1] - غولدستيهير، إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص: 191.

[2] - المصدر نفسه: ص: 195.

[3] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص: 231.

وفي القرآن ((يفسر الشيعة كلمة القائم الواردة في سورة الرعد الآية 32 ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ بأنه هو المهدي))^[1]. وأخطأ المستشرق في هذا، نعم هناك آياتٌ أخرى فسّروها بالإمام المهدي المنتظر، لكن هذه الآية، بحسب التتبع والاستقراء لا يوجد تفسيرٌ واحدٌ فسّرها بهذا المضمون.

ولم يكتفِ الشيعة بتأويلهم للقرآن، بل أيّدوها بأحاديثٍ نقلوها في كتبهم مثل حياة القلوب، عن النبي: معاشر الناس، إني نبيٌّ وعليُّ وصيٌّ، ألا وإنَّ خاتم الأئمة منّا القائم المهدي...^[2].

نقل هذا المستشرق من كتاب حياة القلوب للمجلسي، وهنا يمكن التعليق على ذلك: وكأنّ القضية فقط ينقلها الشيعة بوجود مهديٍّ قائمٍ في آخر الزمان وأنه من العترة ومن أهل البيت كما صرحت به الأحاديث الصحيحة، نرجع ونقول: هناك اختلافٌ في التفاصيل والجزئيات، لكن لا يوجد اختلافٌ في أصل العقيدة.

وممن ينكر وجود الأحاديث فان فلوتن المستشرق الهولندي المتحامل جداً على هذه الأطروحة والمحاول لتغييرها أصلاً كما سيتبين، إلا أنه فقط يعترف بوجود حديثين دون الاعتماد عليهما، بعد إعادة فكرة المهدي إلى ارتباطها بجذور يهوديةٍ ومسيحيةٍ، بقوله: فمن المحتمل جداً أنّ التكهن بعودة عيسى ابن مريم (المسيح) قد شاع بين المسلمين في المدة المتزامنة مع انتظار الدجال، مع أنه ليس لديّ ما أستند إليه سوى ما أورده الحديث النبوي في صحيح أبي داود وصحيح الترمذي، ولو جاز الاعتماد على القصص والطرائف التاريخية، وهي كثيرةٌ، لأمكننا الاستنتاج أنّ التكهن بعودة المسيح، كان أقلّ تأثيراً في النفوس من عودة الدجال. والمسيح المخلص معروفٌ جداً وهو (المهديّ المنتظر) إلا أنه كان من ألقاب الشرف في بادئ الأمر، قبل أن يصبح الرمز لذلك المخلص الذي يظهر من أهل البيت ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وكانت فكرة المهدي معروفةً حقيقةً لدى السنّة، إلى درجة أن طغت على منافسيه من المهديين^[3].

وهذا إنكارٌ وتشكيكٌ لعقيدةٍ ثابتةٍ باتفاق كلمة علماء المسلمين، الصحيحة الصريحة،

[1] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص: 232.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص: 232.

[3] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص: 106 - 108.

المتفق عليها عند الأعلام، إلا إنهم يصورونها كحالةٍ طارئةٍ جاءت نتيجة الظروف القهرية التي مرت بها الأمة ((فيصبح هذا الأمل هو العزاء النفسي الوحيد للأتقياء المسلمين. وسوف لا تأخذنا الدهشة إذا رأينا أملاً آخر يحيي النفوس... فمن أجل بناء صرح قويٍّ للسعادة، وجب أولاً هدم الأطلال ورفع أنقاضها من الأرض. ومن هنا كانت الحاجة ماسةً إلى ظهور رجلٍ، يقضي على تلك الأطلال ويهيئ السبيل لذلك المهدي المنتظر))^[1]؛ أو إنها أحلامٌ وأوهامٌ أفرزتها شدة الآلام والظلم لحكام الطغاة على مرِّ التاريخ ((وهذه العقيدة وما تنطوي عليه من آمال وأمان، تظهر في بيئات التقي والورع عند المسلمين، كزفرةٍ من زفرات الأسف والانتظار يُصعدونها، وهم في غمرة حالةٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ لا تقطع ثورة ضمائرهم حيالها))^[2].

إذاً النتيجة المدعاة: إنَّ المهدي المنتظر اتَّصل بأسطورةٍ أخرويةٍ، وهذا التعبير لا يوجد في القرآن، وقد طبقه عددٌ من المؤلفين السُّنة على شخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ، ومع ذلك فإنَّ الهالة والقدسيَّة والتقدير الأخروي هو الذي أثار الخيال عند بعضهم. فرأوا أنَّ المهدي كان يسوع (عيسى) ولكن أكثرية رجال الدين جعلوه منحدرًا من أسرة النبي، وبالنسبة للسُّنن، فإنَّ المهدي، مع أنَّه يطلق التجديد العالمي، فهو ليس القائد الذي لا يُقهر كما أعلنه الشيعة، وهؤلاء الأخيرون وحَّدوا المهدي مع الإمام^[3].

وبذات النَّفسِ والحسِّ لأغلب شرائح المستشرقين فإنَّ عقيدة المهدي المنتظر لم تتأتَّ عن طريق أيِّ أصلٍ دينيٍّ قرآنيٍّ أو حديثيٍّ، وكأنَّ هذه المسألة جاءت جزافيةً من البشر وحتى من أناس خارج الإسلام والدين، بدون إرادةٍ وتوجيهٍ إلهٍ أو نبيٍّ ((وهي فكرة اتخذت أشكالاً عدَّةً، وكان أكثرها أهميَّة على الأمد الطويل، تلك التي جعلت (عليًا) ونسله زعماء شرعيين للمجتمع (أئمة)). وحول هذه الفكرة تجمَّع آخرون، جاء بعضهم من ثقافات دينيَّة من البلاد التي دخلها الفتح الإسلامي وكان المعتقد أنَّ عليًا وخلفاءه قد انتقلت إليهم، عن طريق محمَّد، نفحةً روحيَّةً وخاصَّة المعرفة بالمعاني الباطنة للقرآن بصفتهم أكثر من بشر. وإنَّ أحدهم سوف يعود ليحقق سيادة العدل، وقد ظهرت التوقعات بمجيء (المهدي) مبكرًا في التاريخ))^[4].

[1] - المصدر نفسه: ص: 111.

[2] - غولدتسيهر، إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص: 194.

[3] - ظ: إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ص: 136.

[4] - حوراني، ألبرت، تاريخ الشعوب العربية، ج1، ص: 70.

أقول: قد يكون عدم ورود ذكر للمهدي المنتظر صراحةً في القرآن الكريم، لأن الناس عامةً والمسلمين بوجهٍ خاصٍّ، يحتاجون إلى أعمال الفكر والنظر والتأمل للوصول إلى ذلك المصلح العالمي والمنقذ الموعود، ومعرفته بالاستهداء بالأحاديث الشريفة، ودلالة النصوص القرآنية، وذلك كله لاختبار وامتحان إيمان المؤمنين، كما لم يذكر القرآن الكريم صراحةً عذاب القبر والبرزخ وما يجري فيه، ولم يذكر أسرار الساعة الكبرى، كذلك الحال في ذكر المهديّ المنتظر، لتثبيت دعائم مشروع الإصلاح العالمي في الأرض لتمتليّ قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. كما سيتضح في المطلب الآتي، عن الأصل القرآني للعقيدة المهديّة.

3 المبحث الثالث

مناقشة الأصل القرآني وجواب الإشكالات

توطئة: وهنا مقدمات:

الأولى: لا يمكن لعقيدة إسلامية مهمة كالعقيدة المهدوية، التي اتفقت عليها جميع كلمات علماء المسلمين بكل الاتجاهات والطوائف والمشارب - إلا شُرذمة قليلة ممن شدّ - أن تقتصر على أحاديث السنّة الشريفة فحسب، لأنّ عقيدة كبيرة قريبة من أشراف الساعة، بهذا الثقل وهذه الأهمية الكبيرة لا يمكن أن تحتلها الأحاديث فقط. وإنّ القرآن الكريم (يجب) أن يبين لنا كلّ شيءٍ، بضمناها عقيدة المهدي المنتظر، الوجوب هنا وجوب (من) لا وجوب (على) أي ليس وجوباً على القرآن بالمعنى الحقيقي، إنّما كان وجوباً من القرآن نفسه، هو الذي أوجب على نفسه أن يبين كل شيءٍ.

فالقرآن الكريم فيه بيانٌ وافٍ لكل شيءٍ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^[1] لا لبعض الشيء كما في الكتب السماوية الأخرى، قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^[2] ((من فيه للتبويض كما يؤيده السياق اللاحق... ويؤول المعنى إلى مثل قولنا: وكتبنا لموسى في الألواح وهي التوراة النازلة مختاراتٍ من كلّ شيءٍ ونعني بذلك أنّا كتبنا له موعظةً وتفصيلاً ما وتشريحاً ما لكل شيءٍ بحسب ما يحتاج إليها قومه في الاعتقاد والعمل. ففي الكلام دلالةٌ على أنّ التوراة لم تستكمل جميع ما تمس به حاجة البشر من المعارف والشرائع، وهو كذلك كما يدل عليه أيضاً قوله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^[3])).^[4]

[1] - النحل: 89.

[2] - الأعراف: 145.

[3] - المائدة: 48.

[4] - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج8، ص: 250، تفسير سورة الأعراف الآية: 45.

وإنَّ القرآنَ الكريمَ بمفاد الآياتِ القرآنيةِ ينعتُ نفسه بأنَّه نورٌ وهُدًى يستضيءُ به العالمُ في ظلمةِ الجهلِ؛ ليصلَ به إلى نورِ الحقيقةِ والعلمِ، وكذلك هُدًى من الضلالِ، ولم يبقَ شيءٌ إلا ويبيِّنُه ووضحه القرآنُ الكريمُ للعالمينَ ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^[1].

الثانية: إلى الآنَ تحصَّلَ مما تقدمَ كبرى القياسِ بحسبِ الاصطلاحِ المنطقيِّ: (كلُّ شيءٍ موجودٌ ومذكورٌ وموضحٌ في القرآنِ الكريمِ صراحةً أو دلالةً).

أما الصغرى فيجب أن تكون في بحثنا (المهديّ المنتظر شيءٌ من الأشياء).

والنتيجة المنطقية لهذا القياس الأرسطي من الشكل الأول هي: (إذاً المهدي المنتظر موجودٌ وموضحٌ ومبيِّنٌ في القرآنِ الكريمِ). لكن هل يكفي هذا القياس ونتيجته بدون ذكر مصداق وشاهد له؟ مع أنَّه بالإمكان المنطقي، والإمكان العلمي، كافٍ لذلك، لكن يبقى الإمكان العملي الإجرائي، قد لا يرضي غرور بعض المتتبعين العلمي والباحثي للمسألة.

الثالثة: وهنا يمكن السؤال: هل كل ما جاء به الرسول الأكرم من وحيٍ حديثيٍّ وذَكَرَهُ وتحدَّثَ عنه الرسول الأكرم؛ بوصفه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^[2] لا بدَّ أن يكون هذا الوحي موجوداً ومذكوراً في القرآن الكريم، بالذكر الصريح نفسه، لأنه -أي القرآن - تبيانٌ لكل شيءٍ؟ قد يقول قائلٌ نعم يجب.

وهل ثمة أشياء مما قالها الرسول الأكرم (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَقَائِدِهِ وَحَوَادِثِهِ) أخبر بها جزماً، لا توجد في القرآن الكريم؟ ولو فرضنا عدم وجودٍ لذكر عقيدة المهدي في القرآن، بل وجدت في السنة النبوية وحدها، هل يقدح هذا الشيء بمشروعيتها وبالإيمان بها؟ وما العمل إذا لم نجد آية واحدة تصرح أو تشير لعقيدة المهدي المنتظر؟ هل نؤمن ونعتقد بما ذكرت الأحاديث في هذا الأمر الإيماني؟

الجواب: أولاً - أن الآية الكريمة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^[3] بحدِّ ذاتها متضمنةٌ لمعنى (تبيناً لكلِّ شيءٍ) فالقرآن الكريم يريد أن يبيِّن كلَّ شيءٍ لكن ليس شرطاً من داخل القرآن، لذا فتح نافذةً أخرى وهناك وحيٌّ آخرٌ يبيِّن فيه ما لم يذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

[1] - الأنعام: 38.

[2] - النجم: 3.

[3] - الحشر: 7.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [2].

ثانياً - هناك مغالطة يتصورها بعضهم بأن الأمور التي تذكرها الأحاديث الشريفة، هي فقط أمور ثانوية هامشية ليست مهمة وليست من العقائد بشيء!! بمعنى إن الأمور الإيمانية التي ذكرها القرآن، هي الأمور الأساسية والمهمة فقط لا غيرها!! لا ليس الأمر كذلك فهناك توجد أمور قد يذكرها القرآن الكريم وهي ثانوية - إن صح التعبير - وليست من الأصول كالأمر الفقهي مثلاً. وهناك جملة من المفردات الإيمانية لم يذكرها القرآن الكريم وذكرتها السنة الشريفة، ويجب الإيمان والاعتقاد بها، كعذاب القبر والبرزخ وتفصيل أهوال يوم القيامة مثلاً؛ لأن القرآن هو الذي أمرنا بالتوجه إلى الرسول لأخذ الدين، كل الدين منه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [3]، ولتبيان كل شيء لم يذكره القرآن، أو بيان لكل شيء ذكره القرآن أيضاً بتفصيله ومصاديقه ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. فعبارة أخرى يمكننا القول: إن الرسول الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عنده تبيان لكل شيء بلا منازع. وإذا كان الأمر مثلما يتصور، أي أن كل ما لم يذكره القرآن يكون غير صحيح وباطلاً، فستكون كثير من الأمور التي يعتقد بها المسلمون ولم تذكر في القرآن باطلة، مثلاً: الحدث المهم والأبرز عند المسلمين، وهو الخلافة للخلفاء جميعاً بعد الرسول الأكرم وأخذ البيعة من المسلمين إليهم - على القول أنها لم تذكر في القرآن - ستكون باطلة، وهذا خلاف الواقع العملي للمسلمين. أو غيرها من الحقائق الإيمانية التي أوكل القرآن بيانها إلى النبي الكريم.

ولا يراد ولا يفهم من تقديم هذه المقدمة، ومن هذا اللف والنشر المرتب أو غير المرتب، وإثارة هذه الأسئلة التي عادةً يكون جوابها كامناً فيها أو في عقل المتلقي، هو لتسوية عدم وجود أصل قرآني للمهدي المنتظر، فعقيدة المهدي المنتظر على ما سيثبت قريباً، موجودة قرآنيّاً إما بالمفهوم، أو الوصف، أو بالضمن، أو الإشارة له أو لشأن من شؤونه.

هذا على المستوى الإسلامي العام، أما لو كانت المسألة فقط عن طريق الإمامية، لكانت

[1] - النحل: 44.

[2] - النحل: 64.

[3] - النساء: 59.

القضية محلولة، محسومة، لأن طرقهم أفاضت واستفاضت بعشرات الآيات الدالة على وجود المهدي وظهوره المنتظر آخر الزمان، إما تفسيرياً بحسب العدد والأدوات التفسيرية العامة والخاصة بهم، أو تأويلياً بحسب مبانيهم التأويلية، وبحسب ما جاء بطرق أهل بيت النبوة، ونحن ما دمنا في حاجة، أو قل في مناقشة مع المستشرقين، لا مع طوائف ومِللٍ ونِحَلٍ أخرى من المسلمين في ما بينهم، يستدعي هذا الأمر أو يسمح لنا بإيراد بعض الشواهد القرآنية التي استشهدت بها وجاءت عن طرق الإمامية الصحيحة، وإن كانت هناك مؤيدات لها وأدلة من السنة الشريفة، أو من تفسيرات بعض المفسرين.

الأدلة على شمول النصوص القرآنية للعقيدة المهدوية

وهنا مقدمات:

أحكام ومسائل إيمانية جاءت في السنة دون القرآن الكريم:

ليس كل ما لم يذكر في القرآن الكريم يعني عدم وجوده في الخارج وعدم ترتب الأثر عليه، وإنما جاءت السنة الشريفة، والتي هي وحي من الله تعالى لتبين كثيراً من الأحكام، وكذلك هناك بعض الأحكام المجملة أو العامة تحتاج إلى بيان وتخصيص وتوضيح، بل وزيادة حكم شرعي أيضاً، وهذه أمثلتها كثيرة، كالصلاة وأحكامها والصوم والحج والزكاة، فالحكم الرئيس موجود (أقم الصلاة) لكن كيف وكم عدد الركعات وتفصيل الوقت الدقيق، هذا لم يذكره القرآن، إنما أوكل بيانه إلى الرسول الأكرم، لأنه لا ينطق عن الهوى. نطق الحق تعالى به: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^[1].

بل أكثر من ذلك توجد أحكام لا توجد في القرآن الكريم كما في تحريم جمع زواج عممة الزوجة أو خالتها مع الزوجة، وإنه لم يذكر في القرآن الكريم في آية تحريم أصناف النساء أو في آية أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَاتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾^[2] بينما ذكرت السنة الشريفة هذا الحكم بضرسٍ قاطع: ((... أنه سمع أبا هريرة

[1] - النحل: 44.

[2] - النساء: 23.

يقول نهى النبي صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم أن تنكح المرأة على عمتهَا والمرأة وخالتها^[1] كذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه ((عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: لا تُنكح المرأة على عمتهَا ولا على خالتها^[2]). يكتفى بهذا الشاهد هنا، وإلاَّ توجد شواهد كثيرة، لكنها تُخرج البحث عن مساره، منها مثلاً: تحريم لباس الحرير والذهب على الرجل أيضاً لم يُذكر في القرآن وغيرها.

أما من جهة المسائل الإيمانية العقديّة فهذا حاصلٌ أيضاً، وهو، وجودها وذكرها في السنّة الشريفة وليس لها ذكر في القرآن الكريم، فهناك كما هو واردٌ في الأحاديث والآثار يوجد 124 ألف نبيٍّ بُعثوا من الله تعالى لكنهم لم يُذكروا جميعاً في القرآن الكريم سوى خمسة وعشرين نبياً منهم، مع أنه من أهم العقائد الإسلاميّة، الإيمان بجميع الأنبياء إيماناً كاملاً، لا ببعضهم الذين ذُكروا في القرآن.

وكمثال آخر مهم: قضية معراج النبي الأكرم، هذه أيضاً لم تُذكر تفصيلاً في القرآن الكريم، لكن أخبر بها النبي الأكرم بكل تفاصيلها -بغض النظر عمّا هو مختلفٌ فيه، هل عرج بروحه فقط أم بروحه وجسمه- المهم هو أنها قضيةٌ إيمانيّةٌ واجبٌ الإيمان بها، ولقد دلّت الأحاديث على قضية وقوع المعراج، ما جاء ((عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة (رض): أن نبي الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم حدّثهم عن ليلة أسري به ... فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد (...))^[3].

وكذلك ((عن أنس بن مالك أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم قال: أُتيتُ بالبُرّاق وهو دابةٌ أبيضٌ طويلٌ فوق الحمار ودون البغل ... ثمَّ عرّج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام (...))^[4] وقد ذُكرت في كتب العقائد، كما في شرح العقيدة

[1] - صحيح البخاري: ج7، ص: 12، رقم الحديث: 5110. كتاب النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتهَا.

[2] - صحيح مسلم: ج2، ص: 1029، رقم الحديث: 1408، كتاب النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتهَا أو خالتها في النكاح.

[3] - صحيح البخاري: ج5، ص: 52، رقم الحديث: 3887. كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج. وينظر: سنن الترمذي: ج5، ص: 316، رقم الحديث: 3157، أبواب القراءات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: باب: ومن سورة مريم.

[4] - صحيح مسلم: ج1، ص: 145، رقم الحديث: 162، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم إلى السمواتِ وقُرِضَ الصَّلواتِ.

الطحاوية: ((والمعراج حقٌّ، وقد أُسري بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلم))^[1] فالإسراء والمعراج حقٌّ، ومن أنكره فهو خارجٌ عن دائرة الإيمان، ولم ينكره إلا المشركون^[2].

فمسألة معراج النبي (صلَّى الله عليه وآله) تضمنتها الآيات القرآنية لكن بالوصف والعلامة، أو بشأن من شؤونها، وعدم ذكر اسم المعراج، لا يعني أنه غير موجود ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَىٰ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا رَآغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾^[3]. المراد بالآيات ليس بيان صفة كلِّ وحى، بل بيان وحى المشافهة الذي أوحاه الله سبحانه إلى نبيه (صلَّى الله عليه وآله) ليلة المعراج، فالآيات متضمنة لقصة المعراج وظاهر الآيات لا يخلو من تأييدٍ للروايات التي ذكرت القصة وتفصيلاتها، وهو المستفاد أيضاً من أقوال بعض الصحابة كابن عباس وأنس وأبي سعيد الخدري وغيرهم على ما روي عنهم وعلى ذلك جرى كلام المفسرين^[4].

نعم فهذه الآيات القرآنية تمثل عروج الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم. وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا فيكون من الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريراً لشدة قوته وأنه ما رأى ببصره من صورة جبريل (عليه السلام) أو آيات ربه، أي ما كذب بصره بما حكاها له، فلقد رأى من آياته وعجائبه الملكية والملكوية ليلة المعراج وقد قيل أنها المعنية بما (رأى)^[5].

فالمسألة في شأن (ما هو مذكور صريحاً بالعبرة في القرآن الكريم فقط)

وَمُنْكَرٌ ذَلِكَ مُنْكَرٌ لِّضُرُورِي الدِّينِ الثَّابِتِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فعن الإمام الرضا (عليه السلام): ((مَنْ كَذَّبَ بِالْمَعْرَاجِ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)). المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ) بحار الأنوار: ج 18، ص: 312، باب: اثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته.

[1] - هذه عبارة المتن لصاحبها الطحاوي، أبي جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ). من كتاب شرح العقيدة الطحاوية، شرح صالح بن فوزان بن عبد الله: ص: 88.

[2] - وهذه عبارة الشارح الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، شرح العقيدة الطحاوية: ص: 90.

[3] - النجم: 5 - 18.

[4] - ظ: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج 19، ص: 27، تفسير سورة النجم، الآيات: 1 - 18.

[5] - ظ: البيضاوي، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص: 157.

(وما هو موجودٌ ومقرَّرٌ في السنة الشريفة فقط)

هي عمومٌ وخصوصٌ من وجه^[1]، لا عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، أي: تتكون وتتحلُّ منها ثلاث قضايا:

بعض ما هو مذکورٌ في القرآن الكريم، ولكنه وإن جاء مجملًا، هو مذکورٌ وموجودٌ في السنة الشريفة بالتفصيل مثل وجوب الحج ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^[2] وذكر الصلاة والزكاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^[3].

بعض ما هو موجودٌ ومذکورٌ ومقرَّرٌ في السنة الشريفة، ليس مذکورًا صريحًا بالعبارة في القرآن الكريم (كالمعراج والخضر والمهدي المنتظر والسفياني).

وإن بعض ما هو مذکورٌ صريحًا بالعبارة في القرآن الكريم، ليس موجودًا ومذکورًا في السنة الشريفة مثاله: أنَّ الفواكه والنخيل وكثيراً من الزرع مختلفٌ بالأنواع، ربما لم يُذكر هذا الأمر في السنة والأحاديث الشريفة، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَفِي الْأَرْضِ

[1]- نسبة العموم والخصوص من وجه: وتكون بين المفهومين الكليين اللذين يجتمعان في بعض مصاديقهما، ويفترق كلُّ منهما عن الآخر في مصاديقٍ تخصه، كمفهوم (الطير والأسود) فإنهما يجتمعان في الغراب، لأنه طير وأسود، ويفترق الطير عن الأسود في الحمام الأبيض أو غير الأسود، لأن الحمام قد يكون أسوداً وقد لا يكون أسوداً. ويفترق كلِّي الأسود عن الطير في الصوف الأسود مثلاً. فبطبيعة الحال عندما يفترقان في بعض أفرادهما، حينئذ يكون لكلِّ نطاقه الخاص به. ومرجع العموم والخصوص من وجهٍ إلى ثلاث قضايا:

موجبةٌ جزئيةٌ موضوعها أحد الطرفين مخيراً، مثالها: بعض الطير أسود مثل: (الغراب) وإنما اكتفي بموجبة جزئية واحدة، لأنها تدل على تصادق الطرفين في بعض الأفراد، فهي تغني عن عكسها، فإن (بعض الطير أسود) تغني عن (بعض الأسود طير) وتدل عليها وتنعكس إليها.

وقضيتين سالبيتين جزئيتين من الطرفين:

بعض الطير ليس بأسود (طير أبيض أو أحمر) سالبة جزئية.

بعض الأسود ليس بطير (الصوف أو الثوب الأسود) سالبة جزئية.

لكن هنا بخلاف الموجبة الجزئية، لم يُكتف بسالبة جزئية واحدة؛ لأنها لا تنعكس أصلاً، فإنَّ (بعض الطير ليس بأسود، وهو الطير الأبيض في المثال) لا تدل على (بعض الأسود ليس بطير، وهو الصوف الأسود في المثال) ولا تغني عنها. ينظر: المقرر في توضيح منطق المظفر، السيد رائد الحيدري، ص: 107.

[2] - آل عمران: 97.

[3] - البقرة: 43.

قَطَعَ مُتَجَوِّرَتْ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضِلٌ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

فعدم ذكر المهدي المنتظر في القرآن الكريم صراحةً، لا يقدرح بأصل القضية العقديّة، وهو ليس شرطاً، ومدّعاةً لإنكار أصل وجودها، والدليل القرآني حاضرٌ على ذلك، فكم يوجد من الأنبياء والرسل لكن لم يذكرهم القرآن الكريم بأسمائهم، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^[2]. فهل هذا يعني أننا يجب علينا الإيمان بما ورد ذكره من الأنبياء، وإنكار ما ورد من ذكر قصص وأسماء الأنبياء عن طريق السنّة النبويّة؟!

مما تقدم بمسير هذا المطلب المراد إثباته أكيداً يتبيّن أنّ عقيدة المهدي المنتظر هي من ضمن سائر الأمور الموجودة بكثرة التي لها أصلٌ قرآنيٌّ، لكن ليس بالذکر الصريح، وإنما بالإشارة والعلامة والوصف، تقدم أمثله وسينبسط الكلام بعد قليل أكثر تبعاً بأمثلةٍ أخرى آتية في المطلب الآتي.

[1] - الرعد: 4.

[2] - غافر: 78.

الآيات الدالة على عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر

ثمة منهج قرآني واضح في آيات الذكر الحكيم، وهو: ذكر أسماء بعض الماضين سواء كانوا صالحين أم طالحين، لأخذ العبرة والتذکر، وعدم ذكر من يأتي مستقبلاً، سواء كان صالحاً، كالمهدي المنتظر، أو طالحاً، كالدجال^[1]. وهناك عددٌ مُعتدُّ به من الآيات القرآنية تدل تفسيراً أو تأويلاً، أو تشير إشارةً أو بالوصف والعلامة، يُشار لبعض منها:

الآية الأولى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^[2] لما كان المهدي المنتظر من الأمور الغيبية، كالرزق والموت وقيام الساعة، فهو داخلٌ في مصاديق الآية، للوعد الإلهي: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^[3]. وبما تعضده الروايات لذلك، واعترض بعض أهل العلم: (بأنَّ تقييد المطلق أو تخصيص العام من غير دليل باطل) أقول: هذا ليس من قبيل التخصيص فلم يقل أحدٌ أنَّها ناظرة فقط لمورد المهدي المنتظر، بل جملة الأمور الغيبية، لأنَّ هذا المعنى ينطبق على غير هذا المورد فـ ((هذا المعنى مروى في غير هذه الرواية وهو من الجري))^[4]^[5] أي مجريات الحوادث في المستقبل.

[1] - ظ: موقع مركز الأبحاث العقائدية <http://www.aqaed.com/faq>

[2] - البقرة: 2 - 3.

[3] - النور: 55.

[4] - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج1، ص: 50، تفسير سورة البقرة، الآية: 2 - 3.

[5] - قال العلامة الطباطبائي في قاعدة الجري والانطباق: ((القرآن الكريم كتابٌ دائمٌ لكل الأزمان وتسري أحكامه على كل الناس، فيجري في الغائب كما يجري في الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال. فمثلاً الآيات النازلة في حكم ما على أحد المؤمنين بشروط خاصة في عصر النبوة يسري ذلك الحكم على غيره لو توفرت تلك الشروط في العصور التالية أيضاً، والآيات التي تمدح أو تذم بعض من يتحلى بصفات ممدوحة أو مذمومة تشمل من يتحلى بها ممن لم يعاصر النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). فإذا مورد نزول آية من الآيات لا يكون

فالاعتقاد بعقيدة المهدي المنتظر ((يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^[1] وإنَّ إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الإيمان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة))^[2].

وجاء تفسيرياً: لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بينَّ صفة المتقين فقال (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) أي يصدّقون بجميع ما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه وقيل يصدّقون بالقيامة والجنة والنار وقيل بما جاء من عند الله وقيل بما غاب عن العباد علمه وهذا أولى لعمومه ويدخل فيه ما روي من زمان غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ووقت خروجه^[3].

جاء في تفسير الآية بوصف أصحاب المهدي المنتظر في كتاب (كفاية الأثر) وكذلك روى القندوزي (الحنفي) في ينابيع المودة، في سؤال ليهودي إلى النبي الأكرم ((عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: دخل جندب بن جنادة من خيبر على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله؟ ... [وسأله عن الأوصياء فأجاب] قال: نعم الأئمة بعدي اثنا عشر. فقال: يا رسول الله كلهم في زمن واحد؟ ... فقال: تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم ... [وذكر الأئمة كلهم] فإذا انقضت مدة علي [الهادي] قام بالأمر بعده الحسن ابنه يدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم

مخصصاً لتلك الآية نفسها)). الطباطبائي، كتاب القرآن في الإسلام، ص: 66.

وهي مأخوذة من قول أئمة أهل البيت (عليهم السلام). ففي تفسير العياشي، عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيها حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع. ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر. فإن القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد وواجب الخلق وواجب العمل، وما بينه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ولا زمان، دون زمان وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعة من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد ولا عصر دون عصر لعموم التشريع. ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج1، ص: 44، تفسير سورة الحمد، الآية: 6 - 7.

أقول: وكذلك للقاعدة المشهورة بأن: المورد لا يخصص الوارد، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

[1] - البقرة: 2 - 3.

[2] - الألباني، ناصر الدين، حول المهدي، مقالة منشورة في مجلة التمدن الإسلامي: عدد 22، ص: 643، دمشق.

[3] - ظ: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، التبيان في تفسير القرآن: ج1، ص: 55. وينظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 548هـ)، مجمع البيان: ج1، ص: 50. وينظر: الشيرازي، السيد صادق الحسيني، المهدي (عليه السلام) في القرآن والسنة: ص: 8.

إمامهم. قال: يا رسول الله هو الحسن [العسكري] يغيب عنهم، قال: لا ولكن ابنه الحجة. قال يا رسول الله فما اسمه؟ قال: لا يسمى حتى يظهره الله... فإذا عَجَّلَ اللهُ خروجه قائماً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه، وقال ﴿هُدَىٰ لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^[1].^[2]

وكذلك ما جاء في الآية الكريمة، عندما سأل أحدهم الإمام الصادق جعفر بن محمد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الآية ((قال: ... والغيب فهو الحجة الغائب. وشاهد ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^[3]. فأخبر عزَّ وجلَّ أَنَّ الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^[4] يعني حجة)).^[5]

وكان الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أراد تفعيل منهج تفسير القرآن بالقرآن عندما فسَّر كلمة (الغيب) بالآية الأولى مستشهداً عليها بالآية الثانية. كما أسس لهذا المنهج وانتهجه الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

الآية الثانية:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^[6].

[1] - المجادلة: 22.

[2] - أخرجه: الخزاز أبو القاسم علي بن محمد الرازي (من علماء القرن الرابع)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ص: 60. وأخرجه: القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم (ت 1270هـ)، ينابيع المودة، ج 3، ص: 284. والحكم على الحديث: صححه الماحوزي، بعد دراسة رجال سند الحديث واحداً واحداً قال: ((مرتبة الحديث: سند الفضل بن شاذان صحيح رجاله ثقات أجلاء)) الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم: ص: 62.

[3] - يونس: 20.

[4] - المؤمنون: 50.

[5] - الصدوق، أبو جعفر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص: 18.

[6] - التوبة: 32 - 33. تكررت هاتان الآيتان باللفظ نفسه باختلاف حرف واحد في كلمة (لِيُطْفِئُوا) وكلمة (وَأَلَلَّهُ مِّنْهُمُ)

قال القرطبي: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ) يريد محمداً صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم (بِالْهُدَى) أي بالفرقان (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) أي بالحجة والبراهين وقد أظهره على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس وغيره. وقيل: (لِيُظْهِرَهُ) أي ليظهر الدين دين الإسلام على كل دين، قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى (عليه السلام) وقال السُّدي: ذاك عند خروج (المهدي) لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام أو أدى الجزية))^[1].

وأيضاً هنا قولٌ آخر، رده القرطبي: ((وقيل: المهدي هو عيسى فقط، وهو غير صحيح لأن الأخبار الصحاح قد تواترت على أنَّ المهدي من عترة رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم فلا يجوز حمله على عيسى والحديث الذي ورد في أنه: (لا مهدي إلا عيسى) غير صحيح... والأحاديث التي قبله في التنصيص على خروج المهدي وفيها بيان كون المهدي من عترة رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم أصح إسناداً وقيل أراد (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) في جزيرة العرب وقد فعل))^[2].

وفي جواب للفخر الرازي عن كون الإسلام غالباً لكل الأديان؟ أجاب بأنه ليس الأمر كذلك، فإنَّ الإسلام لم يصرَّ غالباً لسائر الأديان في أرض الهند والصين والروم، وسائر أراضي الكفرة. وذلك من عدة وجوه كان أحدها: ((ما روي عن أبي هريرة أنه قال: هذا وعد من الله تعالى بجعل الإسلام غالباً على جميع الأديان وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى (عليه السلام) فإنَّه لا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام، وقال السُّدي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج))^[3]. وكذا: أجاب على الإشكال نفسه المتقدم بالوجه نفسه من الجواب، الشرييني الخطيب، صاحب تفسير السراج المنير^[4].

وممن نقل رأي السُّدي في تفسير الآية، الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن):

نوره ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنْمٌ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)﴾ سورة الصف: 8 - 9. وتكررت الآية 33 من سورة التوبة مرةً ثالثةً في سورة الفتح باختلاف (وكفى بالله شهيداً) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ الفتح: 28.

[1] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج8، ص: 121.

[2] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج8، ص: 121 - 122.

[3] - الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ج16، ص: 33.

[4] - الشرييني الخطيب، محمد بن أحمد، الفقيه الشافعي، تفسير السراج المنير: ج1، ص: 692.

((قال السُّدي: وذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام أو أدّى الخراج))^[1].

وكذلك أبو حيان (ت 745هـ) صاحب تفسير البحر المحيط استشهد برأي السُّدي وأردفَ وأكمل باقي الأقوال: وقيل (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) مخصوصٌ بجزيرة العرب، وقد حصل ذلك ما أبقى فيها أحداً من الكفار. وقيل: مخصوصٌ بقرب الساعة، فإنه إذ ذاك يرجع الناس إلى دين آبائهم. وقيل: ليظهره بالحجة والبيان. وضعف هذا القول الأخير لأن ذلك كان حاصلًا أول الأمر.^[2]

وكذا من استشهد برأي السُّدي، صاحب تفسير السراج المنير (الخطيب الشربيني الفقيه الشافعي)^[3] وأيضاً حكاها صاحب تفسير اللباب لابن عادل (المتوفى بعد سنة 880هـ)^[4].

وكذلك استشهد به في تفسير النيسابوري ((عن أبي هريرة أنه قال: هذا وعدٌ من الله بأن يجعل الإسلام ظاهراً على جميع الأديان. وتمام هذا إنما يظهر عند خروج المهدي ونزول عيسى وقال السُّدي: ذلك عند خروج المهدي))^[5] وابن الجوزي في تفسير زاد المسير^[6].

وروى الحاكم في المستدرک في باب: حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمُوافقة الذهبي للحديث بإسناده ((عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^[7]. أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ تَامًا، فَقَالَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبًا، فَيَتَوَفَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ

[1] - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 5، ص: 36.

[2] - ظ: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: ج 5، ص: 406.

[3] - الشربيني الخطيب، محمد بن أحمد، الفقيه الشافعي، تفسير السراج المنير: ج 1، ص: 692.

[4] - ابن عادل، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي، تفسير اللباب لابن العادل: ج 10، ص: 68.

[5] - النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (ت 850هـ) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المعروف بتفسير النيسابوري: ج 3، ص: 458.

[6] - ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج (ت 597هـ) زاد المسير في علم التفسير: ج 2، ص: 254.

[7] - التوبة: 33.

فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ^[1]. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وتعليق الذهبي: على شرط مسلم.

ويمكن أن يُرَجَّحَ من بين الأقوال، القول الأول الذي فسَّرَ به السُّدي وأبو هريرة والضحاك، لأن سياق الآية والجو العام لها لا يحتمل باقي الأقوال، حيث جاءت في معرض المناجزة مع الكافرين والمشركين، وإنَّه لم يتحقق هذا الهدف والأمل الرسالي الذي أرسل به الأنبياء والمرسلين لتحقيقه، وإنَّ الله تعالى لا يبشر بأمرٍ قد تحقق، وأما القول بأنَّه (مخصوصٌ بقرب الساعة) هذا لا ينافي كونه عند خروج عيسى والمهدي المنتظر، لأنهما من أشراف الساعة. وشواهد الأحاديث المؤيدة لترجيح قول السُّدي بعدم تحقق ظهور الدين كله على كل الأديان إلى الآن، منها: ((عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعَزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِنَدْلِ دَلِيلٍ عَزِيزًا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ^[2])).

وصحيحٌ أنَّ الدين الإسلامي قد ظهر تمام الظهور بالحجة البالغة (ولله الحجة البالغة)، لكنَّ ((ظهور الشيء على غيره قد يكون بالحجة وقد يكون بالكثرة والوفور وقد يكون بالغلبة والاستيلاء ومعلوم أنَّه تعالى بشرَّ بذلك ولا يجوز أن يبشِّرَ إلا بأمرٍ مستقبلٍ غيرٍ حاصلٍ، وظهورُ هذا الدين بالحجة مقررٌ معلومٌ، فالواجب حمله على الظهور بالغلبة^[3])).

[1] - الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، (ت 405هـ)، المستدرک على الصحيحين: ج4، ص: 494. رقم الحديث: 8381. كتاب الفتن والملاحم.

[2] - مسند أحمد بن حنبل (ت 241هـ): ج28، ص: 155، رقم الحديث: 16957، حديث تميم الداري (رض). وفي نفس الصفحة من المسند، صحح الحديث شعيب الأرنؤوط قال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج22، ص: 325، رقم الحديث: 596، والحاكم في المستدرک، ج4، ص: 477، رقم الحديث: 8326. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، التعليق - من تلخيص الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج9، ص181، رقم الحديث: 18400. وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود: ج15، ص: 91، رقم الحديث: 6699. باب: ذكر الإخبار عن إظهار الله تعالى الإسلام في أرض العرب وجزائرها.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وقال: ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان. ينظر: ج1، ص: 32، رقم الحديث: 3.

[3] - الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ج16، ص: 33.

فالأية ((تعطينا بوضوح، الغاية والغرض الرئيس من إرسال رسول الإسلام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالهدى ودين الحق. يدلنا على ذلك قوله تعالى لِيُظْهِرَهُ، حيث دلت لام التعليل على الغاية، والسبب في إنزال شريعة الإسلام وهو أن يظهره أي يجعله منتصراً ومسيطرأ على غيره من الأديان والعقائد كلها. وذلك لا يكون إلا بسيطرة دين الحق على العالم كله. وإذا كان هذا غايةً من إرسال الإسلام، إذأ فهو يقيني الحدوث في مستقبل الدهر، لأن الغايات الإلهية غير قابلة للتخلف))^[1].

زيادةً على ذلك، يعضد هذا الرأي الروايات المستفيضة من طرق الإمامية: في حديث طويل يسأل المفضل بن عمر أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ). عن تأويل الآية، ألم يكن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ظهر على الدين كله؟ فأجابه الإمام: ((يا مُفَضَّل لو كان ظهر علي الدين كله ما كان مجوسيةً ولا نصرانيةً ولا يهوديةً ولا صابئةً ولا فرقةً ولا خلافً ولا شكً ولا شركً ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العزى ولا عبدة الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) في هذا اليوم وهذا المهدي وهذه الرجعة، وهو قوله: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^[2])).^[3]^[4] ونلاحظ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مرةً أخرى يزوج بين الآيات الكريمة لتنفذ النتيجة التفسيرية بما يُعرف من تفسير القرآن بالقرآن، وهو من أوضح المناهج التفسيرية.

الآية الثالثة:

إشارةً إلى المهدي المنتظر أو إلى شأن من شؤونه في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^[5].

[1] - الصدر، السيد محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الكتاب الثاني تاريخ الغيبة الكبرى: 205.

[2] - الأنفال: 39.

[3] - الخصيبي، الحسين بن حمدان (ت 334هـ)، الهداية الكبرى: ص: 430. وينظر المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ) بحار الأنوار: ج 53، ص: 34.

[4] - نعم هناك روايات عدّة كثيرة مستفيضة من طرق الإمامية في تفسير هذه الآية؛ لكن نكتفي بطرح مثال آخر: ورد في كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت 381) بإسناده ((عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عزَّ وجل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ فقال: والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإذا خرج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يبق كافرٌ بالله العظيم ولا مشركٌ بالإمام إلا كره خروجه (...)) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص 671.

[5] - البقرة: 114.

نقل شيخ المفسرين الطبري (ت 310 هـ) في أحد أقوال تفسير هذا المقطع من الآية: ((... عن السدي قوله: (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أما خزيهم في الدنيا، فإنهم إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم. فذلك الخزي. وأما العذاب العظيم، فإنه عذاب جهنم الذي لا يخفف عن أهله، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا))^[1].

واستشهد ابن أبي حاتم (ت 327 هـ) في تفسيره بقول السدي (ت 128 هـ) وتفسيره للآية ((... عن السدي (أَمَّا خِزْيُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ إِذَا قَامَ الْمَهْدِيُّ فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَقَتَلَهُمْ فَذَلِكَ الْخِزْيُ) وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَوَائِلِ بْنِ دَاوُدَ نَحْوَ ذَلِكَ))^[2].

وكذلك حكى القرطبي: ((قيل: القتل للحربي والجزية للذمي عن قتادة والسدي: الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي وفتح عمورية ورومية وقسطنطينية وغير ذلك من مدنها على ما ذكرناه في كتاب التذكرة ومن جعلها في قريش جعل الخزي عليهم في الفتح والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافراً))^[3].

وأيضاً فسرها ابن كثير (ت 774 هـ) بحسب تفسير السدي قوله: ((وفسر هؤلاء الخزي من الدنيا، بخروج المهدي عند السدي، وعكرمة، ووائل بن داود. وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون))^[4].

وقال الشوكاني (ت 1250 هـ) في تفسيره فتح القدير: ((أما خزيهم في الدنيا، فإنه إذا قام المهدي، وفتحت القسطنطينية قتلهم، فذلك الخزي))^[5]. هذا وقد سكت مصادر الإمامية عن هذه الآية والقول أنها في خروج المهدي. لعله لم يأت أحد بتفسيرها بخروج المهدي المنتظر؛ لعدم ورود أخبار فيها.

وقد سيقت هذه الأخبار وهي تتفق على أن الرسالة الخاتمة والبعثة النبوية الشريفة، هي

[1] - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: ج 2، ص: 525. وكذا ينظر: السيوطي، جلال الدين، في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ص: 47.

[2] - ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن أبي حاتم: ج 1، ص: 211، رقم الحديث: 1118.

[3] - تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج 2، ص: 79.

[4] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم: ج 1، ص: 390.

[5] - الشوكاني محمد بن علي اليمني (ت 1250 هـ)، تفسير فتح القدير: ج 1، ص: 154.

إشارةً وعلامةً على ظهور الإسلام أولاً بالحجة مع الغلبة والقوة، وفي آخر الزمان ينصر الله دينه، إما بفتح مدن ومراكز الروم المعروفة أو بظهور المهدي المنتظر ونزول النبي عيسى أو بالإثنين معاً وتقدم أحدهما على الآخر، لا يغير في الحقيقة شيئاً.

الآية الرابعة:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^[1].

جاء ذكر هذه الآية في خبرٍ طويلٍ إشارةً منه إلى المهدي المنتظر وزمان ظهوره ((عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: دخل جندب بن جنادة من خيبر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسأله أسئلة من ضمنها عن الأوصياء من بعده فأجاب] قال: نعم الأئمة بعدي اثنا عشر. فقال: يا رسول الله كلهم في زمن واحد؟ قال: لا ولكنهم خلف بعد خلف... فقال: تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم... [وذكر الأئمة كلهم] فإذا انقضت مدة علي [الهادي] قام بالأمر بعده الحسن ابنه يدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم إمامهم. قال: يا رسول الله هو الحسن [العسكري] يغيب عنهم، قال: لا ولكن ابنه الحجة. قال يا رسول الله فما اسمه؟ قال: لا يسمى حتى يظهره الله. قال جندب: يا رسول الله قد وجدنا ذكرهم في التوراة، وقد بشرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريتك. ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ فقال جندب: يا رسول الله فما خوفهم؟ قال: يا جندب في زمن كل واحد منهم سلطان يعتريه ويؤذيه، فإذا عجل الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...))^[2].

أخرج النعماني (المتوفى حدود سنة 360هـ) في كتابه الغيبة بسنده ((عن أبي بصير، عن

[1] - النور 55.

[2] - أخرجه: الخزاز أبو القاسم علي بن محمد الرازي (من علماء القرن الرابع)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ص: 60. وأخرجه: القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم (ت 1270هـ)، ينابيع المودة: ج3، ص: 284. الحكم على الحديث: صححه الماحوزي بعد دراسة رجال سند الحديث واحداً واحداً قال: ((مرتبة الحديث: سند الفضل بن شاذان صحيح رجاله ثقات أجلاء)) الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم: ص: 62.

أبي عبد الله [الصادق] عَلَيْهِ السَّلَامُ في معنى قوله عزَّ وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. قال: نزلت في القائم وأصحابه^[1].

وذكر الطوسي (ت406هـ) في التبيان في تفسير القرآن: ((قال أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِنَّ المراد بذلك المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَنَّهُ يَظْهَرُ بَعْدَ الْخَوْفِ، وَيَتِمَكَّنُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَغْلُوبًا))^[2].

فهذا وعدٌ صريحٌ من الله عزَّ وجل ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ^[3] للبشرية المؤمنة الصالحة التي قاست الظلم والعذاب في عصور الانحراف وبذلت من التضحيات الكبيرة والصعبة، بأن يستخلفهم في الأرض، بمعنى أنه يوفقهم إلى السلطة الفعلية على البشرية وممارسة الولاية الحقيقية فيهم.

فإذا استطعنا أن نفهم من (الأرض) كل القسم المسكون من البسيطة، كما هو الظاهر من الكلمة والمعنى الواضح منها حملاً (للأم) على الجنس بعد عدم وجود أي قرينة على انصرافها إلى أرض معينة. ومعنى حملها على الجنس: أن كل أرض على الإطلاق سوف تكون مشمولةً لسلطة المؤمنين واستخلافهم وسيحكمون وجه البسيطة. وهذا هو المناسب مع الجمل المتأخرة في الآية الكريمة، كقوله تعالى: (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ). فإنَّ التمكين التام والاستقرار الحقيقي للدين، لا يكون إلا عند سيادته في العالم أجمع. وكقوله تعالى: (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ومن المعروف أنَّ الأمن والأمان لم يتحقق في ربوع المعمورة إلا بنسبٍ بسيطة، حتى في عصر النبي الأكرم وبعده من الخلفاء وأنَّ هذا الوضع الاجتماعي العالمي الموعود، لم يتحقق على مدى التاريخ منذ فجر البشرية إلى عصرنا الحاضر. إذاً فهو مما سيتحقق في مستقبل الدهر يقيناً طبقاً للوعد الالهي القطعي غير القابل للتخلف أو التميع^[4]. ويمكن حمل (اللام) للعهد (الذهني) يعني المعهود والمعروف في أذهاننا، باعتبار أنَّ الكلام يشير إلى هذه الأرض المعهودة بيننا وليس غيرها.

[1] - النعماني، الشيخ محمد بن إبراهيم (المتوفى حدود سنة 360هـ) كتاب الغيبة: ص: 241.

[2] - الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت406هـ)، التبيان في تفسير القرآن: ج7، ص: 450.

[3] - الرعد: 31.

[4] - ظ: الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الكتاب الثاني: تاريخ الغيبة الكبرى: ص204.

فإذا ضمنا الأحاديث التي تعبر بمضمون الخليفة في آخر الزمان، يمكن أن يكون تأييداً لتفسير هذه الآية بشأن المهدي المنتظر في آخر الزمان، إذ جاء في صحيح مسلم ((عن أبي سعيد وجابر ابن عبد الله قالاً: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدّه))^[1].

والحديث الآخر أيضاً جاء في صحيح مسلم ((عن أبي نضرة قال ... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثياً، لا يعدّه عدّاً))^[2].

وحكى الطبرسي في تفسير الآية: ((قيل: هي عامة في أمة محمد (صلّى الله عليه وآله) عن ابن عباس ومجاهد، والمروي عن أهل البيت عليهم السلام أنها في المهدي من آل محمد (صلّى الله عليه وآله))^[3].

في الآية وعدّ من الله تعالى للمؤمنين ذوي الأعمال الصالحة بالاستخلاف في الأرض وتمكينهم من نشر دينهم وتمتعهم بالأمن الكامل، فما خصائص هؤلاء الموعودين بالاستخلاف؟

هناك اختلاف بين المفسرين بهذا الصدد: يرى بعض المفسرين أنّ الوعد بالاستخلاف خاصٌّ بأصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله) الذين استخلفهم الله في الأرض في عصر النبي (صلّى الله عليه وآله). (ولا يقصد بالأرض جميعها، بل هو مفهوم يطلق على الجزء والكل). ويرى آخرون أنّه خاصٌّ بالخلفاء الأربعة الذين خلّفوا الرسول (صلّى الله عليه وآله) ويرى بعضهم أنّ مفهومه واسعٌ يشمل جميع المسلمين الذين اتصفوا بهذه الصفات^[4].

وهذا الرأي الأخير هو المرجح، صاحب المفهوم الواسع الذي يشمل جميع المسلمين الذين اتصفوا بهذه الصفات، وهو رأيٌ يتفق مع رأي بعض المفسرين لهذه الآية، حتى إنّ المستشرق توماس آرنولد، هو أيضاً أدلى بدلوه مع المفسرين برأي ليس بعيدٍ عنهم - لا بأس

[1] - صحيح مسلم: ج 4، 2235، رقم الحديث: 2914. كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[2] - صحيح مسلم: ج 4، ص: 2234، رقم الحديث: 2913. كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[3] - الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ج 7، ص: 194 - 195.

[4] - ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج 11، ص: 99 - 100.

في الاستئناس به ما دام موضوع الدراسة عن المستشرقين وآرائهم - ففي سياق حديثه عن معنى الخليفة والخلافة في القرآن في كتابه المعروف بعنوان: (الخلافة) قال ضمن عنوان فرعي (المؤيد أو المسوغ الديني للخلافة) بأنه: ((كثير من الآيات التي وردت فيها العبارة كانت لا تقبل أي تفسير يتصل مباشرة مع المؤسسة السياسية التي كانوا يدافعون عنها، إذ يرد معنى الخليفة والخلفاء أو الخلائف بتعايير عامة لم تكن خاصة بشخص مفرد مُبَجَّل، وهكذا كانت الحالة في الآيات الآتية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾^[1]. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خُلَافًا الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^[2]. يظهر هنا أنه يعني جمهور المؤمنين العام الذين هم خلائف بدخولهم في إرث أجدادهم))^[3].

بعدها يستشهد آرنولد على ذلك بحديث ويجعل النبي يتنبأ بالخلافة المستقبلية بظهور المهدي المنتظر، لأن نظرية طاعة الخليفة من طاعة النبي، والأخيرة من طاعة الله، تدل على أن الله يعين السلطة الزمنية بكاملها، ف ((يتنبأ النبي عن مستقبل الجماعة المسلمة والاضطرابات التي تسبق ظهور المهدي فيقول: أبشركم بالمهدي يُبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...))^[4]. إلى آخر الحديث كاملاً.

ويرى آخرون أن مفاد الآية إشارة إلى حكومة المهدي (عليه السلام) الذي يخضع له الشرق والغرب في العالم، ويجري حكم الحق في عهده في جميع أرجاء العالم، ويزول الاضطراب والخوف والحرب وتتحقق للبشرية عبادة الله النقية من كل أنواع الشرك^[5].

وما يؤيد ذلك أن لفظ الخليفة جاء في الأحاديث التي تشير لخلافة المهدي المنتظر في آخر الزمان: ((... عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ

[1] - النور: 55.

[2] - الأنعام: 165.

[3] - آرنولد، توماس، الخلافة: 41.

[4] - آرنولد، توماس، الخلافة: ص: 46.

[5] - ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج11، ص: 100.

ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ... فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَكُونُوا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ^[1].

ولا ريب في أن هذه الآية تشمل المسلمين الأوائل، كما أن حكومة المهدي المنتظر مصداقٌ لها، بل هي المصداق الأكمل إذ يتفق المسلمون كافة على أن المهدي المنتظر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً. ومع كل هذا لا مانع من تعميمها. فإن نتيجة جهود جميع الأنبياء والمرسلين، حصول حكم يسوده التوحيد والأمن الكامل والعبادة الخالية من أي نوع من الشرك، وذلك حين ظهور المهدي المنتظر، وهو من سلالة الأنبياء ومن عتره النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)^[2].

أقول: وما يؤيد هذا المعنى - مع الجدير بالذكر، بأنه لا يوجد تأييد لتلك المعاني والتفسيرات الأخرى - هذا الحديث الذي تناقلته مصادر المسلمين عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ((... عن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم: لَا تَنْقُضِي الْأَيَّامَ وَلَا يَذْهَبُ الدَّهْرُ حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي اسْمُهُ يُوَاطِئُ اسْمِي))^[3]. وهذا المعنى يتواءم ويتوافق مع الوحي القرآني بمسألة الاستخلاف في الأرض في آخر الزمان في قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^[4]. وهو وعد الله حق لا يختلف ولا يتخلف لأنه عز وجل لا يخلف ميعاده.

الآية الخامسة: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^[5].

وهي تذكر شأنًا من شؤون المهدي المنتظر بحسب تفاسير علماء المسلمين، فإن من أشهر علامات ظهور المهدي المنتظر، هو الخسف بجيش السفيناني في البيداء الذي يهاجم مكة.

[1] - سنن ابن ماجه: ج5، ص: 211، رقم الحديث: 4084. أبواب الفتن، باب خروج المهدي. باللفظ بنفسه جاء في الفتن لابن حماد الخزازي المروزي، ج1، ص: 346. تم دراسة حكم الحديث في موضع سابق من هذا الكتاب واتضح بأنه: صحيح. راجع الصفحة: 88.

[2] - ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج11، ص: 100.

[3] - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ): ج6، ص: 44، رقم الحديث: 3572، قال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، عمر بن عبيد: هو الطنافسي.

[4] - النور: 55.

[5] - سبأ: 51.

وفي الحقيقة في البدء لا بدَّ من الإشارة إلى: أولاً: أن الأقوال والأحاديث التي استشهد بها المفسرون على تفسير وتأويل الآية بهذا الشأن وهو (الخسف بجيش السفيناني) لم أجد لها تصحيحات أو تحسينات عند المحققين بهذا الشأن من أرباب الحديث، لكنني وجدت بما يقرب من الثلاثين ما بين مفسرٍ وعالم، فسَّر هذه الآية (بجيش السفيناني الذي يخسف به في البيداء) مستشهدين على ذلك بأحاديث نقلوها بهذا الصدد، فلم أجدُ بدءاً إلا أن أتعرض لهذه الأقوال، وتبقى قناعات هؤلاء المفسرين والعلماء مهمة في هذا الباب، لا يمكن إغفالها والتغاضي عنها بحالٍ من الأحوال، فإذا لم تكن تقدم دليلاً صارماً قاطعاً، فحتماً ستكون مؤيداً ناجعاً.

ثانياً: القول بهذا التفسير أو التأويل، هو من أحد مصاديق الآية التي ذكر لها المفسرون مصاديق غيرها، وليس هو مصداقها الأتم الأوحى الأكمل.

فينقل ابن حماد (المتوفى 228هـ) (شيخ البخاري) أخباراً، تحت باب عنوانه: (الخسف بجيش السفيناني الذي يبعثه إلى المهدي) ويمكن عدُّه تفسيراً لهذه الآية: بسنده ((... عَنْ عَلِيٍّ، (رض) قَالَ: إِذَا نَزَلَ جَيْشٌ فِي طَلَبِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ فَنَزَلُوا الْبَيْدَاءَ حُسْفَ بِهِمْ، وَيَبَادُ بِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَوْ تَرَى إِذِ فَرَعُوَ فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ...)).^[1]

وذكر الطبري (ت 310 هـ) في تفسيره لهذه الآية أقوالاً من ضمنها قال: ((عنى بذلك جيش يخسف بهم ببذاء من الأرض. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله (ولو ترى إذ فرعوا فلا قوت) قال: هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء، يبقى منهم رجلٌ واحدٌ فقط يخبر الناس بما لقي أصحابه)).^[2]

ويذكر أيضاً الطبري حديثاً آخرَ ((حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال: ثنا أبي قال: ثنا سفیان بن سعيد قال: ثني منصور بن المعتمر عن ربيعي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى

[1] - نعيم بن حماد، الفتن: ج1، ص: 329.

[2] - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: ج20، ص: 422.

ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ... ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربةً يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَآ فَوْتَ... الآية)، ولا ينفلت منهم إلا رجلان، أحدهما بشيرٌ والآخر نذيرٌ^[1].

وباللفظ بنفسه من غير طريق، ذكره صاحب تفسير كشف البيان للثعلبي (ت 427هـ)^[2]. وذكر الخبر في كتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر، للشافعي السلمي، يوسف بن يحيى (ت بعد 658هـ)^[3].

ونقله القرطبي (ت 671هـ) في تفسيره بعد ما يذكر أقوالاً، قال: ((وفي هذا المعنى خبرٌ مرفوعٌ عن حذيفة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة))^[4]، إذ نقله في كتابه أيضاً (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)^[5]. ونقله أبو حيان (ت 745هـ) في تفسيره البحر المحيط، قال: ((وروى في هذا المعنى حديثاً مطولاً عن حذيفة. وذكر الطبري أنه ضعيفُ السند، مكذوبٌ فيه على رواية ابن الجراح))^[6]، لكن بعد مراجعة تفسير الطبري، تبين عدم وجود أيِّ تضعيفٍ أو تكذيبٍ للخبر من الطبري.

ونقل الثعلبي أيضاً، تفسير الصحابي (ابن أبزي) للآية: ((... وأخبرنا محمد بن نعيم عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن الحسن بن عطية عن يعقوب الأصفهاني عن ابن أبزي: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَآ فَوْتَ) قال: خسفٌ بالبيداء))^[7].

وكذا البغوي (ت 516هـ) صاحب تفسير معالم التنزيل، استشهد بقول (ابن أبزي)^[8].

[1] - المصدر نفسه: ج 20، ص: 422.

[2] - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج 8، ص: 94.

[3] - الشافعي السلمي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص: 146.

[4] - تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج 14، ص: 314.

[5] - القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ص: 1194.

[6] - أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تفسير البحر المحيط: ج 8، ص: 565.

[7] - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج 8، ص: 94.

[8] - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل: ج 6، ص: 406.

وينقل الزمخشري (ت 538هـ) قول ابن عباس في تفسيرها قال: ((وعن ابن عباس (رض): نزلت في خسف البيداء))^[1].

وكذلك ممن نقل قول (ابن أبزى) صاحب تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لصاحبه: الشهير بالخازن (ت 741هـ)^[2].

وكذلك ممن ينقل قول (ابن أبزى) ابن عادل (المتوفى بعد سنة 880هـ) أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي، في تفسيره المشهور باسم تفسير اللباب لابن عادل^[3].

أقول: بمراجعة أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة، تجدهم ذكروا عدة أقوال لتفسيرها كما فعل السيوطي (ت 911هـ) في درّه المنثور^[4] عن السُّدي، وعن مُجَاهِد، وعن قَتَادَةَ، وعن ابن عَبَّاس (رض) وعن ابن زِيد (رض) وعن الصَّحَّاح، لكن اللافت للنظر العلمي بأنهم لم يستشهدوا بأحاديث مباشرة للرسول الأكرم، إلا في القول الأخير القائل بأنه الخسف بالبيداء بجيش السفيناني - هذا بضميمة أحاديثٍ أُخِرَ خاصَّةً، تحدثت عن الخسف بجيش السفيناني - وخلاصة الأقوال في تفسير الآية عند السيوطي منها: إنها ((في الدُّنْيَا عِنْدَ المَوْتِ حين عاينوا المَلَائِكَةَ ورَأَوْا بِأَسِ اللّهِ ... [ومنها] قَالَ يَوْمَ القِيَامَةِ (فَلَا فَوْتَ) فَلَم يَفوتوا رَبك ... [ومنها] قَالَ فِي القُبُورِ مِنَ الصَّيْحَةِ ... [ومنها] هَذَا يَوْمَ بدر حين ضربت أَعْنَاقَهُم فعاينوا العَذَاب ... [ومنها] قَالَ: هُوَ يَوْمَ بدر ... [ومنها] هم قَتَلَى المُشْرِكِينَ من أهل بدر ...))^[5] هذه أقوال لتفاسير بدون الاستشهاد عليها بأحاديث للنبي الأكرم، أما القول بتفسيرها بخسف بجيش السفيناني في البيداء، فالحال يختلف فهناك المؤيدات لهذا القول، وهذه التعابير وهذا الأسلوب السردى، يُشعران أنَّ السيوطي وغيره ممن استشهدوا لهذا التفسير أنهم مع

[1] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، 593.

وكذا في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ينقل قول ابن عباس: ج6، ص: 712.

[2] - تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لصاحبه: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن، ج5، ص: 296.

[3] - ابن عادل، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي، تفسير اللباب لابن العادل، ج10، ص: 68.

[4] - السيوطي، لجلال الدين الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص: 711 - 714.

أقوال لتفاسير بدون الاستشهاد

[5] - السيوطي، لجلال الدين الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج6، ص: 711 - 712.

هذا القول بالترجيح (في تفسيرها بخسف بجيش السفيناني في البيداء) أكثر من غيره، وهو كذلك الحال فعلاً بترجيح هذا القول.

وإليك ما جاء في السيوطي بالتحديد، وفي غيره من التفاسير متناثراً، والتي سيتم ذكرها في أسفل الهامش لا في المتن، كي لا يكون الاقتباس يتعدى حدوده، ولأن الهامش هو الساحة الحرة للكاتب يطيل فيها إيضاحاته، وإنهم - أي أرباب المناهج البحثية - جوزوا هذه الإطالة في الهامش؛ لأن القارئ، غير ملزم بقراءة الهوامش^[1].

[1] - فقد جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: ((أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) في قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قَالَ: هُوَ جَيْشِ السَّفِينَانِي قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَخَذَ قَالَ: مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَطِيَّةِ (رَض) فِي قَوْلِهِ (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا) قَالَ: قَوْمٌ خَسَفَ بِهِمْ أَخِذُوا مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ حَدِيثِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَأَلِه] وَسَلَّمَ: يُبْعَثُ نَاسٌ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءِ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبْرِيْلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَضَرَبَهُمْ بِرِجْلِهِ ضَرْبَةً فَيَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بِنِ حَمِيدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (رَض) (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) قَالَ: هُمُ الْجَيْشُ الَّذِي يَخْسِفُ بِهِمُ بِالْبَيْدَاءِ يَتَّقَى مِنْهُمُ رَجُلٌ يَخْبِرُ النَّاسَ بِمَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ.

وأخرج أحمد عن نفيرة امرأة القَعْقَاعِ بن أبي حدره (رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا سمعتم بجيش قد خسف به فقد أطلت الساعة. وأخرج أحمد ومسلم والحاكم عن حفصة أم المؤمنين (رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ليو من هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بأوسطهم فينادي أولهم آخرهم فيخسف بهم خسفاً فلا ينجو إلا الشريد الذي يخبر عنهم. وأخرج أحمد عن حفصة (رض) قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يأتي جيش من قبل المشرق يريدون رجلاً من أهل مكة حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فيرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم ما أصابهم قلت: يا رسول الله فكيف بمن كان مستكراً قال: يصيبهم كلهم ذلك ثم يبعث الله كل امرئ على نيتة.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن صفية أم المؤمنين (رض) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزوه جيش حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بأولهم وآخرهم ولم ينج أوسطهم قلت: يا رسول الله أرايت المكره قال: يبعثهم الله على ما في أنفسهم. وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن سلمة (رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يعود عائذ بالبحرم فيبعث إليه بعث فإذا كان ببيداء من الأرض خسف بهم قلت: يا رسول الله فكيف بمن يخرج كارهاً قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث على نيتة يوم القيامة. وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن أم سلمة (رض) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يباع الرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير إليه رجل من فرئيس أخواله من كلب فيهمهم الله. قال: وكان يقال إن الخائب يؤمذ من خاب من غنيمته كلب. وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ [وَأَلِه] وَسَلَّمَ: المحروم من حرم غنيمته كلب ولو عقلاً والذي نفسي بيده لبتاعن نساؤهم على درج دمشق حتى ترد المرأة من كسر بساقها. وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنته البعوث عن غزو بيت الله حتى يخسف بجيش منهم وأخرج الحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في ذي القعدة تحارب القبائل وعامئذ يهبط الحجاج وتكون ملحمة بمنى حتى يهرب صاحبهم فيباع بين الركن والمقام وهو كاره يباعه مثل عدة أهل بدر يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وَأَلِه]

قد يقول قائل: إنَّ بعض مفسري التفاسير والأحاديث لم تذكر الجيش الذي يخسف به بالبيداء، بأنَّه هو جيش السفيناني الذي سيقاتل المهدي المنتظر، ومن ثمَّ ستؤول الآية إلى عدم إشارتها إلى شأن من شؤون المهدي المنتظر.

أقول: هناك أحاديث أيضاً لم تذكر الخسف الخاص بالسفيناني الذي يقاتله المهدي المنتظر، فقط ذكرت أنَّ جيش السفيناني سيقابل المهدي المنتظر، لكن إذا نظرنا إلى الأحاديث الأخرى الذاكرة للخسف بالجيش وبضم تلك الأحاديث، فمن الممكن إشارة الآية إلى المطلوب؛ زيادةً على أنَّ الأحاديث الواردة بهذا الصدد عندما تتحدث عن الخسف بالبيداء، جميعها عند الإطلاق، لا تتحدث إلاَّ عن الخسف الذي يحصل لجيش السفيناني الذي يقابل المهدي المنتظر، بمعنى الخسف المعهود، المصطلح عليه.

وقد ذكر الهيثمي في (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) تحت باب (علامة خروجه أنَّ يُخسف بالجيش بالبيداء) ويذكر أحاديث في ذلك^[1].

الآية السادسة: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۙ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^[2].

هذه الآية الكريمة، تذكر شيئاً أو علامةً من العلامات أو حدثاً لا يحدث إلاَّ ومعه يحدث ظهور المهدي المنتظر، عبر ما تشاء (شأناً، علامةً، حدثاً، مقدمةً للظهور) ذلك بما أفادت وأجادت قريحة المفسرين القدامى والمحدثين والروايات والأحاديث الخاصة بالآية بأنَّها (تعني نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة). بل أكثر من ذلك أثبت بعضهم، أنَّ الآية نزلت في المهدي المنتظر، على ما سيأتي.

لكن لسائل أن يسأل، وليكن هذا السائل هو لسان حال المستشرق: لو ثبت أنَّ الآية يكون

وسلَّم: يخرج رجل يُقال له السفيناني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتَّى يقرر بطون النساء ويقتل الصبيان فيجمع لهم قيس فيقتلها حتَّى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيتي فيبلغ السفيناني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمه فيسير إليه السفيناني بمن معه حتَّى إذا صار ببدياء من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلاَّ المخبر عنهم. وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أحذركم سبع فتن فتنة تقبل من المدينة وفتنة بمكة وفتنة باليمن وفتنة تقبل من الشام وفتنة تقبل من المشرق وفتنة تقبل من المغرب وفتنة من بطن الشام وهي السفيناني فقال ابن مسعود (رض): منكم من يدرك أولها ومن هذه الأمة من يدرك آخرها قال الوليد بن عبيد الله (رض): فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير وفتنة مكة فتنة ابن الزبير وفتنة الشام من قبل بني أمية وفتنة المشرق من قبل هؤلاء.)) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج 6، ص: 711 - 714.

[1] - الهيثمي، ابن حجر، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص: 11.

[2] - الزخرف: 61.

تفسيرها ومصداقها بنزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، كيف أن الآية تدل على وجود وتأصيل ذكر المهدي المنتظر في القرآن؟ وما علاقة عيسى ابن مريم ونزول الآية في عيسى، مع المهدي المنتظر ودلالة الآية عليه؟

والذي سوَّغ لي هنا أن أتحدث بلسان حال المستشرق، هو إنكاره أصلاً لما يعتقد به المسلمون من عودة ونزول عيسى المسيح كشرط من شروط الساعة، ففي نظره ((هذه التنبؤات تعود كلها إلى أصلٍ يهوديٍّ أو مسيحيٍّ، قبل أن تكتسب طابعها العربي في القرن الأول الهجري. وقد وصلت إلى المسلمين إما على شكل تنبؤاتٍ مجهولة المصدر، وإما تحت ستار الأحاديث الموضوعية، التي نقلها غالباً اليهود أو النصارى ممن اعتنقوا الإسلام))^[1].

إلا أنه يعترف فقط بوجود حديثين دون الاعتماد عليهما، بعد إعادة فكرة المهدي والمسيح إلى ارتباطها بجذور يهوديةٍ ومسيحيةٍ، بقوله: ((فمن المحتمل جداً أن التكهن بعودة عيسى ابن مريم (المسيح) قد شاع بين المسلمين في الفترة [المدة] المتزامنة مع انتظار الدجال، مع أنه ليس لدي ما استند إليه سوى ما أورده الحديث النبوي^[2] [وقد ذكر رقمين لحديثين من سنن أبي داود والترمذي] ولو جاز الاعتماد على القصص والطرائف التاريخية، وهي كثيرةٌ، لأمكننا الاستنتاج أن التكهن بعودة المسيح، كان أقل تأثيراً في النفوس من عودة الدجال))^[3]. وعليه سيكون الجواب بضمن مقدمات:

المقدمة الأولى: بقراءة سريعة وواضحة في الأحاديث الصحيحة، المتواترة التي تحدثت عن نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان وأنه من شروط الساعة أي إنه لا تقوم الساعة إلا أن تصدق وتحقق تلك العلامات؛ لأنها صدرت ممن لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

قال الألباني: ((ونزول عيسى عليه السلام متواترٌ يجب الإيمان به، ولا يغتر بمن يزعم أنه حديث آحاد، فإنه ليس من أهل العلم بهذا الشأن، كيف ذلك وقد استخرجت له أنا بنفسني عشرين طريقاً عن عشرين صحابياً بأكثر من عشرين سنداً صحيحاً))^[4].

[1] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ص: 102.

[2] - ذكر في هامش الصفحة نفسها 102 رقمين لحديثين من سنن أبي داود والترمذي، دون ذكر لفظ الحديثين.

[3] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ص: 106.

[4] - الألباني، محمد ناصر الدين، موسوعة العلامة مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد. ج9، ص: 231.

المقدمة الثانية: عند استنطاق تلکم الأحاديث بأدنى معاني الاستنطاق والاستنباط، ستنتطق بشكل قاطع: بأن نزول عيسى مرتبباً بخروج المهدي المنتظر وأنه لا عيسى إلا بالمهدي المنتظر، أو العكس - لا يضر - (لا مهدي إلا بعيسى ابن مريم) بل إن المهدي المنتظر يخرج قبل عيسى، والأخير هذا يصلي خلف الأول، بحسب الروايات المعتمدة الصحيحة.

المقدمة الثالثة: نلاحظ من الأحاديث الواردة، سياقاً ونقاطاً وظروفاً وبيئةً متوافقين جميعاً، بين نزول عيسى ابن مريم، وخروج المهدي المنتظر، فإذا ما لاحظنا بعض النقاط في الأحاديث، سنستخرج نتيجة واضحة بأن (عيسى ابن مريم النبي يصلي خلف الإمام المهدي المنتظر) ومن هذه النقاط:

كلاهما من أشراف الساعة: كما قرأنا سالفاً - في مبحث سابق - ما جاء في صحيح البخاري^[1] وصحيح مسلم^[2] أن من أهم أشراف الساعة الحتمية، نزول عيسى ابن مريم للصلاة خلف إمام وأمير هذه الأمة.

وكذلك نجد (المهدي المنتظر) مرتبباً بقيام الساعة، ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ((عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لا تقوم الساعة حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي،...)).^[3] حديث صحيح دون قوله: (يكون سبع سنين)^[4] وشاهده قريبٌ من هذا اللفظ: ((عن عبد الله بن مسعود (رض) قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لا تقوم الساعة حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يواطئ

[1] - الحديث: ((أنَّ أبا هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم)) صحيح البخاري: ج4، ص: 168، رقم الحديث: 3449، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام).

[2] - ما ورد عن ((جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة)) صحيح مسلم: ج1، ص: 137، رقم الحديث: 156، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

[3] - مسند أحمد: ج17، ص: 209، رقم الحديث: 11130. مسند أبي سعيد الخدري (رض).

[4] - وقال شعيب الأرنؤوط: (مطر بن طهمان) وهو الوراق - وإن كان فيه ضعف من جهة حفظه - متابع، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ج17، ص: 210، رقم الحديث: 11130. وقال في موضع آخر عن (مطر بن طهمان) قد روى له مسلم متابعاً، وهو حسن الحديث في المتابعات. ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ج17، ص: 321، تعليقا على رقم الحديث: 11222. مسند أبي سعيد الخدري (رض).

اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً^[1].

إنَّ المهدي المنتظر (إمام) و (خليفة) يخرج في آخر الزمان:

أشارت الأحاديث إلى أنَّ المهدي المنتظر (إمام)، منها ما أخبر به الصنعاني (ت 211هـ) مرفوعاً في (باب المهدي): ((عن جابر بن عبد الله قال يكون على الناس إمامٌ لا يعدُّ لهم الدراهم ولكن يحثو))^[2] وشاهده من صحيح مسلم بالمضمون نفسه لكن بتعبير (الخليفة): ((قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتِئُ الْمَالَ حَتِيًّا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا))^[3] وكذلك ((عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدُّه))^[4].

وبملاحظة أنَّ عيسى يصلي خلف إمام من الأمة في آخر الزمان، وحيث لا يتحقق المشروط إلا بتحقق الشرط، أي سوف لا يكون عيسى ابن مريم مأموماً، إلا بإمامة إمام، والإمام المذكور على لسان الأحاديث الشريفة، هو المهدي المنتظر بحتمية وضم وجمع الأحاديث الأخرى.

إن من يصلي خلفه عيسى ابن مريم بتعبير الرسول الأكرم (منًّا) ((أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد (رض) قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: منَّا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه))^[5]، إما من أهل البيت، بضم حديث آخر يذكر (يخرج من أهل بيتي) أو من هذه الأمة، بتعبير حديث صحيح البخاري (إمامكم منكم) فعلى كلا المعنيين، يكون الذي

[1] - الطبراني، أبو القاسم، (ت 360هـ)، المعجم الكبير: ج 10، ص: 133، رقم الحديث: 10214.

[2] - الصنعاني، الحافظ أبو بكر عبد الرزاق، المصنف: ج 11، ص: 372، رقم الحديث: 20774. باب المهدي.

[3] - صحيح مسلم: ج 4، 2234، رقم الحديث: 2913. كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[4] - المصدر نفسه: ج 4، 2235، رقم الحديث: 2914. كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[5] - السيوطي، جلال الدين، العرف الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي: ص: 81.

وقال محقق كتاب العرف الوَرْدِي، أبو يعلى البيضاوي قال في الهامش: قال الحافظ ابن القيم في (المنار المنيف ص: 134) بعدما ذكر إسناده: هذا إسناد لا تقوم به حجة، لكن في صحيح ابن حبان من حديث عطية بن عامر نحوه. وقال الألباني رحمه الله: صحيح، (الصحيححة 2293) قلت [والكلام لأبي يعلى البيضاوي]: ويشهد له رقم الحديث (71) و (188).

يصلي خلفه هو المهدي المنتظر بجمع حديث آخر، يذكر الاسم فيه (المهدي مني) ((عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجِبْهَةَ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ))^[1].

بعبارة أخرى منطقيّة وبقياسٍ أرسطيٍّ من الشكل الأول، يدل معنى الحديث على:

(أنّ الذي يصلّي عيسى ابن مريم خلفه، منّا)

(والمَهْدِيُّ مِنِّي)

إذن (المهديّ الذي يصلّي عيسى ابن مريم خلفه)

ويتدرج البحث شيئاً فشيئاً، هنا أحاديثٌ تذكر تصريحاً لا تلميحاً، بأنّ الإمام الذي يصلّي خلفه عيسى ابن مريم، هو المهدي المنتظر: ((أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد (رض) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: ألا وإنّ بعضكم على بعضٍ أمراء تكرمه لهذه الأمة))^[2].

[1] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: أول كتب المهدي: ج6، ص: 342. رقم الحديث: 4285.. وعلق عليه المحقق شعيب الأرنؤوط قائلاً: ((جيد بهذا اللفظ، سهل بن تمام بن بزيع - وإن كان ضعيفاً - متابع - وعمران القطان - حسن الحديث، وقد روي حديثه هذا من وجه آخر حسن في المتابعات. وذكر ابن الجوزي هذا الحديث في (العلل المتناهية) (1443) / 2 / 861 ثم قال: لا بأس به. وجوّد إسناده ابن قيم الجوزية في (المنار المنيف) ص: 144. وصححه الحاكم 4 / 557، لكن تعقبه الذهبي بقوله: عمران ضعيف. قلنا: القول قول من قوّى هذا الحديث، لأن عمران لم ينفرد به. وأخرجه الطبراني في (غريب الحديث) 2 / 191 من طريق عفان بن مسلم. والحاكم 4 / 557 من طريق عمرو بن عاصم الكلابي، كلاهما عن عمران القطان، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (11130) وأبو يعلى (1128) وابن حبان (6826) من طريق مطر بن طهمان الوراق، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري. وهذا إسناد حسن في المتابعات. وأخرجه أحمد (11163) وابن ماجه (4083) والترمذي (2382) من طريق زيد بن الحواري العمي، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد)). ينظر: سنن أبي داود: هامش تعليق شعيب الأرنؤوط: ج6، ص342 - 344.

[2] - السيوطي، جلال الدين، العرف الوُردي في أخبار المَهْدِي: ص: 81.

وعلق محقق كتاب (العرف الوردی) أبو يعلى البيضاوي قال: والحديث أخرجه الكنجي في (البيان) (ص: 86 رقم 33) من طريق أبي نعيم، ويشهد له حديث جابر في (صحيح مسلم) (156) بلفظ: (لا تزال طائفة من امتي يقفون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعضٍ أمراء تكرمه الله هذه الأمة) صحيح مسلم، ج1، ص: 137، رقم الحديث: 156، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ.

انتهى كلام محقق كتاب العرف الوردی، ينظر: ص: 81 - 82.

صححه الألباني في سلسلته الصحيحة.^[1] وقال بعد ما ينقل الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بالمضمون نفسه وقريباً من اللفظ نفسه، ولم يذكر فيه اسم المهدي المنتظر قال: ((فالأمر في هذه الرواية هو المهدي في حديث الترجمة وهو مفسر لها))^[2]. وهناك من يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدّعي بكل جرأة أنها موضوعة وخرافية!! ويسفّه أقوال العلماء الذين قالوا بصحتها، وأن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام أيضاً، مع كونها متواترة^[3]!

تبقى المقدمة الأخيرة التي جرت العادة أن تكون في البداية، وهي أقوال التفسير والأحاديث والشواهد التي تدل وتثبت أن هذه الآية موضع البحث ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۖ هَٰذَا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^[4]، يجب أن تدل على نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، كي تصح النتيجة المتقدمة المذكورة آنفاً (عيسى ابن مريم النبي يصلي خلف الإمام المهدي المنتظر) تصح ذات قيمة. وقيمتها تتبين لنا وتفيدنا في إثبات أن الآية تدل على شأن أو علامة أو شرط من علامات المهدي المنتظر. فقد جاء ((عن ابن عباس، عن النبي صلّى الله عليه وآله [واله] وسلّم في قوله: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قَالَ: نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة))^[5]، وتعليق المحقق شعيب الأرنؤوط مهم لا بأس أن يعتنى به^[6].

وابن القيم صحح الإسناد في المنار المنيف جاء بالسند وقال: وهذا إسناد جيد. ينظر: المنار المنيف لابن القيم الجوزية: ص: 148.

وقال الشيخ الألباني في (الصحيحة) (2236): وهو كما قال ابن القيم رحمه الله فإن رجاله كلهم ثقات من رجال أبي داود، وأكمل الألباني قائلاً: وأقره الشيخ العباد في رسالته في (المهدي) المنشورة في العدد الأول من السنة الثانية عشرة من مجلة الجامعة الإسلامية (ص: 304). وقد أعلّ بالانقطاع بين وهب بن منبه وجابر. ثم ساق الألباني كلاماً طويلاً يثبت فيه سماع وهب منه. انتهى كلام الألباني. الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج5، ص: 279.

[1] - ظ: الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج5، ص: 276. رقم الصحيحة: 2236.

[2] - المصدر نفسه: ج5، ص: 278.

[3] - ظ: الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج5، ص: 278.

[4] - الزخرف: 61.

[5] - صحيح ابن حبان، محمد بن حبان: ج15، ص: 228، رقم الحديث: 6817. باب: ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة.

[6] - قال المحقق شعيب الأرنؤوط: (عاصم) صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله من رجال الصحيح. وأخرجه مطولاً الطبراني (12740) عن إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، عن هشام بن عمار، بهذا الإسناد. وأخرجه كذلك أحمد 317/1 - 318، عن هاشم بن القاسم، عن شيبان بن عبد الرحمن، به. وأورده الهيثمي في (المجمع) 104/7 ونسبه إلى أحمد والطبراني، وقال: وفيه عاصم ابن بهدلة، وثقه أحمد وغيره وهو سبيء الحفظ، وبقية رجاله

بلحاظ السياق القرآني للآيات التي سبقت هذه الآية، مع الأحاديث التي نصت وخصصت الآية، تكون الآية فعلاً تدل على نزول عيسى النبي في آخر الزمان، وهذا النزول علامة من علامات قرب الساعة، والآيات الكريمة هي: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوا ءَأَلْهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴿٥٨﴾ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ ٥٨ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ٥٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ٦٠ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ ﴿٦١﴾ هَذَا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾^[1] فقد جاء في سبب نزول الآية ((عن ابن عباس، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال لقريش: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَنْ تَكُونَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكُمْ تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضْحَكُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))^[2].

رجال الصحيح. وأخرجه الطبري في تفسيره 90/25 من طريق سفيان، عن عاصم بن أبي النجود، به، موقوفا على ابن عباس. قلت [والكلام لا زال لشعيب الأرنؤوط]: في هاء الكفاية في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) قولان: أحدهما أنها ترجع إلى عيسى (عليه السلام). والثاني: أنها ترجع إلى القرآن. ويقول ابن كثير: والصحيح أن الضمير عائذ على عيسى (عليه السلام) فإن السياق في ذكره، واستبعد القول الثاني، وقال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) أي قبل موت عيسى عليه السلام (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) ثم قال: ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم (عليه السلام) قبل يوم القيامة، قال: وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم (عليه السلام) قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً. ينظر تعليق محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرنؤوط: ج15، ص: 228 - 229. باب: ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة.

[1] - الزخرف: 57 - 61.

[2] - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ): ج5، ص: 85 - 86. وقال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم.

وكذا استشهد به السيوطي، جلال الدين، في الدر المنثور، فقال السيوطي: أخرجه أحمد وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في المعجم الكبير: ج12، ص: 153، رقم الحديث: 12572. ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج7، ص: 385.

وينظر: المزني خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: ج2، ص: 865.

وينظر: الوادعي، مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الهمداني (ت 1422هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول: ص: 180.

ونقل السيوطي أقوال العلماء والمفسرين القائلين بخروج عيسى قبل القيامة حتماً، في هذه الآية، عن طريق عبد بن حميد (ت 249هـ). ثمانية إلى عشرة تخريجاتٍ من طرقٍ متعددة: ((عن ابن عباس (رض) في قوله (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: خروج عيسى قبل يوم القيامة))^[1].

وأخرج عبد بن حميد، عن أبي هريرة (رض) (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: خروج عيسى يمكث في الأرض أربعين سنةً، تكون تلك الأربعون أربع سنين يحج ويعتمر. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، عن مجاهد (رض) (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: آيةٌ للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، عن الحسن (رض) (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: آيةٌ للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، وأخرج ابن جرير من طرقٍ، عن ابن عباس رضي الله عنهما (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: نزول عيسى^[2].

وفي غريب القرآن لابن قتيبة: ((وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) أي نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُ بِهِ قُورُبَ السَّاعَةِ وَمِنْ قُرَأ: لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَإِنَّهُ يَعْنِي الْعَلَامَةَ وَالِدَلِيلَ)^[3]. وكذلك (أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، عن قتادة (رض) (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ)) قال: نزول

[1] - السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج7، ص: 386 - 387.

[2] - المصدر نفسه: ج7، ص: 386 - 387. وأخرجه السيوطي أيضاً في كتابه الإكليل في استنباط التنزيل: ص: 233.

وينظر: مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، (ت 235هـ) المصنف في الأحاديث والآثار: ج6، ص: 339.

وأخرجه النيسابوري: ((عن ابن عباس (رض) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) قال: خروج عيسى قبل يوم القيامة)) المستدرک على الصحيحين: ج2، ص: 278، رقم الحديث: 3003. من كتاب قراءات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد ولم يخرجاه، وتعليق الذهبي قال: صحيحٌ.

وكذا أيضاً: الألويسي، في روح المعاني قال: ((لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ) أي إنه بنزوله شرط من أشراتها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة)) ج13، ص: 94.

وينظر: كتاب كلمات القرآن، الشيخ محمد غازي الدروبي، وهو من الطلاب القدامى للشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني عندما كان في دمشق. واعتمد في تفسير كلمات القرآن على الأحاديث الصحيحة على وفق منهج أهل السنة والجماعة. 20 / 20 ترقيم المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.

وكذا ينظر: معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ): ج6، ص: 380 - 381.

[3] - ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، غريب القرآن لابن قتيبة: ص: 345.

عيسى علمٌ للساعة، وناس يقولون: القرآن علمٌ للساعة))^[1].

لكن الأكثر يرجح القول الأول - أي نزول عيسى - وهو كذلك المرجح أكيداً، لأن ((الضمير الذي في وَإِنَّهُ في معناه قولان: مذهب ابن عباس وأبي هريرة وأبي مالك ومجاهد والضحاك أَنَّ الضمير لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعنى: لنزوله، والقول الآخر، وهو قول الحسن، أَنَّ الضمير للقرآن أي وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ لأنه لا ينزل كتابٌ بعده، والقول الأول أبين وعليه أكثر الناس، وقد قيل: في هذا دليلٌ على أَنَّهُ إذا نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رفعت المحنة ولم تقبل من أحد توبة))^[2]. لكنَّ المعنى المتبادر والراجح هو الرأي الأول، أي بمعنى أَنَّ الضمير يعود على عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو نزوله.

الآية السابعة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[3].

هذا الوعد الإلهي بوراثة الأرض، يمكن أن يدل على أثرٍ أو فيه إشارة متأولةً إلى المهدي المنتظر، وهو أنه بتعبير الأحاديث الواردة، يملك الأرض هو والمؤمنون الذين معه في آخر الزمان، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً، وهي مطلق الأرض بتعبير الآية وتعبير الأحاديث النبوية، لكنَّ الآية لا تصرح بحد ذاتها على شخص المهدي المنتظر، أو أنه وُلد، أو سيولد في آخر الزمان، والمهم أنها تتلاءم مع معنى الأحاديث المصرحة بأنَّ المهدي المنتظر سيملك الأرض ومن عليها، وإنَّ الأحاديث المذكورة تفسر معنى الآية المشار إليها، وإنَّه يحكم الأرض، ويقسم المال بالسوية، إذ قرأنا مراراً الحديث المُجمَع عليه بين المسلمين ((عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْراً))^[4].

[1] - السيوطي، جلال الدين، الدر المشور في التفسير بالمأثور: ج7، ص: 386 - 387. وكذا نقل هذا الرأي: الجصاص، أبو بكر الرازي الحنفي (ت 370هـ)، أحكام القرآن: ج3، ص: 514.

[2] - النحاس، أبو جعفر المرادي النحوي (ت 338هـ)، إعراب القرآن: ج4، ص: 78.

وينظر: السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ص: 5114.

وينظر: الإيباري، إبراهيم، الموسوعة القرآنية: ج4، ص: 399.

[3] - الأنبياء: 105.

[4] - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ): أول كتب المهدي: ج6، ص: 341، رقم الحديث: 4283. صححه محقق كتاب السنن شعيب الأرئوط في الهامش قال: (إسناده صحيح. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي). صححه الألباني قال: صحيح. في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج4، ص: 41.

وجاء في تفسير معنى الأرض أقوالاً، أوضحها أن كلمة (الأرض) تطلق على مجموع الكرة الأرضية، إلا أن تكون هناك قرينة خاصة في الأمر، ومع أن بعضهم احتمال أن يكون المراد وراثه كل الأرض في القيامة، إلا أن ظاهر كلمة الأرض عندما تذكر مطلقاً تعني أرض هذا العالم^[1].

فالمراد من (الأرض) أرض الدنيا فإنه سبحانه وتعالى سيورثها المؤمنين في الدنيا وهو قول الكلبي وابن عباس في بعض الروايات ودليل هذا القول قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^[2] وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^[3] وثالثها: هي الأرض المقدسة يرثها الصالحون، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾^[4] ثم في الآخرة يرثها أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم عند نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام)^[5]. والخلاف، هل الأرض تشمل الأرض كلها أو أنها أرض مخصوصة بالبركة أو المقدسة كما ذكر. والخلاف لا يؤثر في المعنى وهو التمكين للعباد الصالحين في الأرض التي كانوا يستضعفون فيها، أو الأرض على عموم الدلالة وأن هؤلاء العباد الصالحين لا بد أن يكون لهم أمير، وهنا يرتبط معنى الأرض بشخص الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام).

والظاهر أن المراد بالزبور كتاب داود (عليه السلام) وقد سمي صراحةً بهذا الاسم في قوله تعالى ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^[6]^[7] وفي كتاب مزامير داود (الزبور) جاء في المزمور (37): ((لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض ... أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة ... لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون ... لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه إلى الأبد يحفظون أما نسل الأشرار

[1] - الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمل، ج10، ص: 159.

[2] - النور: 55.

[3] - الأعراف: 128.

[4] - الأعراف: 137.

[5] - ظ: الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ج22، ص: 129.

[6] - النساء: 163.

[7] - ظ: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج14، ص331، تفسير سورة الأنبياء، الآية: 105.

فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد^[1]. وهذه التعابير تنطبق مع ما جاء في القرآن الكريم الآية (محل البحث) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[2]

وفي نظرية وراثة الأرض في القرآن الكريم، ذكر الفخر الرازي أيضاً، أنه تعالى كتب في الزبور أن محمداً خاتم النبيين وأن أمته خير الأمم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[3] وهم محمد وأُمَّته^[4]. أو يعني عامة المؤمنين، أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم^[5]. وعلى أقل التقادير، والقدر المتيقن أن المهدي المنتظر من أمة محمد (صلَّى الله عليه وآله) وهو من العباد الصالحين الذين يرثون الأرض، بل هو إمامهم الذي سيصلي عيسى النبي خلفه.

ويلحظ في ألفاظ هذه الآية والآيات القرآنية التي ذكرت وراثة الأرض، فالملفت للنظر العلمي فيها، هو حتمية تحقق الوعد الإلهي بوراثة الأرض للعباد الصالحين ((يقول تعالى مخبراً عمّا حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^[6] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾^[7] وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^[8] وأخبر تعالى أن هذا مكتوبٌ مسطورٌ في الكتب الشرعية والقدرية

[1] - المزمور: 37.

[2] - الأنبياء: 105.

[3] - الأنبياء: 105.

[4] - ظ: الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج20، ص 356. وينظر: الزمخشري، أبو القاسم، تفسير الكشاف: ج2، ص 629.

[5] - ظ: تفسير البيضاوي، ج4، ص 111.

[6] - الأعراف: 128.

[7] - غافر: 51.

[8] - النور: 55.

فهو كائنٌ لا محالة، ولهذا قال تعالى: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ^[1].

دلالة الإرادة الإلهية على الحتمية: أراد الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ على المستضعفين بوراثة الأرض لقوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^[2] ففي الآية إعلانٌ لإرادة الله تعالى بوراثة الأرض على المستضعفين، ولما كانت الإرادة الإلهية لا تختلف ولا تتخلف عن مراده سبحانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^[3] فوراثة الأرض للعباد الصالحين المذكورين في الآية (105) من سورة الأنبياء، هي حتمية الوقوع لا محالة. وكذلك ما تضمنه الوعد الإلهي بوراثة الأرض ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^[4] فمن حيث الوعد الإلهي صار تحققها من الحتم المقطوع بوقوعه، لأنه سبحانه لا يخلف وعده لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^[5] فوعده سبحانه صادرٌ عن حكمته وإرادته المطلقة؛ فلا بدَّ من وقوع وعده سبحانه^[6].

ومع أنَّ أغلب التفاسير في الآية (وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) فسَّرت بحسب سياق الآيات وسبب نزولها، ببني إسرائيل لأنهم كانوا مستضعفين لدى فرعون وهامان، إلا أنَّ خصوص المورد لا يخصص الوارد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيبقى عموم اللفظ يشمل عدة مصاديق، ولعل المصداق الأوضح والأكمل للآية الكريمة في آخر الزمان، عندما يملك الأرض ويحكم المهدي المنتظر هو وأصحابه المؤمنون ويقسم المال بالسوية، فلا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيت النبي يواطى اسمه اسم النبي، وأنه يملك سبع سنين، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت

[1] - تفسير بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص: 384. وللمزيد عن حتمية وراثة الأرض، يراجع كتاب وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، د. نور مهدي الساعدي، ص: 117 - 126.

[2] - القصص: 5.

[3] - يس: 82.

[4] - النور: 55.

[5] - الروم: 6.

[6] - ظ: الساعدي، د. نور مهدي، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية: ص: 121 - 122. وللمزيد عن حتمية وراثة الأرض، يراجع كتاب وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، د. نور مهدي الساعدي، ص: 117 - 126.

ظلماً وجوراً، ويكون على الناس إماماً لا يعدُّ لهم الدراهم ولكن يحثو، فالآية باقية حيَّة لا تموت وإن مات القوم الذين نزلت فيهم.

ويلحظ أنَّ كل الآيات والأحاديث الواردة في الباب، تؤكد على حقيقة ظاهرة، وهي حاجة الأرض عند فساد الزمان إلى قيادة رشيدة عادلة، تحقق العدل وتعيد الأمور إلى نصابها وتردع الظالمين وتنتصر للمظلومين، وهذه المعاني تتحقق عن طريق التمكين الإلهي لإمام من أمة محمد (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يظهر في آخر الزمان، يقود الأمة في التيه والضياغ إلى النصر والتمكين والقسط والعدل والخير، وهذه المواصفات تتوافق وتنطبق على شخصية الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بحسب ما جادت به دلالات الأحاديث الشريفة.

الآية الثامنة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾^[1].

جاء في الحديث بخصوص الآية في كتاب (كفاية الأثر) باب ما جاء عن عمار بن ياسر (رض) عن النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في النصوص على الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين: ((... أتيت رسول الله (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقلت له: يا رسول الله صلى الله عليك إنَّ علياً قد جاهد في الله حق جهاده. فقال: ... ألا إنه أبو سبطي والأئمة من صلبه يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين، ومنهم مهدي هذه الأمة. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا المهدي؟ قال: يا عمار إن الله تبارك وتعالى عهد إليَّ أنه يخرج من صلب الحسين تسعة، والتاسع من ولده يغيب عنهم، وذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾، يكون له غيبة طويلة يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون، فإذا كان في آخر الزمان يخرج فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً ويقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، وهو سَمِيٌّ وأشبهه الناس بي...))^[2] الواضح هنا إذاً هو تأويل وإخبار من رسول الله (صلَّى اللهُ

[1] - الملك: 30.

[2] - أخرجه: الخزاز أبو القاسم على بن محمد الرازي (من علماء القرن الرابع)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ص: 121. باب ما جاء عن عمار بن ياسر (رض) عن النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في النصوص على الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين.

حكم الحديث: سنده حسن، لا بأس به، لكن جاء عن طريق آخر للفضل بن شاذان النيسابوري، نقلها في كتاب النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجَّة الغائب (عج) لآية الله الشيخ حسين الطبرسي النوري (المتوفى 1263هـ): ج: 2، ص: 508. قال: بسند معتبر موثوق بصدوره، صحيح إلى ابن بكير، وهو من أصحاب الإجماع وقد أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح منهم وابن بكير من ضمنهم، ثقة بالإجماع، وثقه الشيخ الطوسي. ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص: 99 - 100.

أَلَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لمصداق الآية المباركة وليس بياناً لسبب نزولها.

ولهذا الحديث شواهد، منها ما أورده الشيخ الصدوق بإسناده: ((... عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قلت له: ما تأويل قول الله عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون))^[1]، تأويل هذه الآية يُشَبَّهُ المهدي المنتظر بالماء الصالح للحياة وللنفس كافة، يظهر بعد عطش وظمأ لا مثيل له وبعد حاجةٍ وشدةٍ، فمن يأتيكم ويخلصكم من الظلم والجور غيره بإذن الله تعالى. وهناك العشرات من الآيات القرآنية وردت بطرقٍ عامّةٍ وبطرقٍ خاصّةٍ عن الإمامية لكن لا يسع المقام لذكرها جميعاً.

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص: 360.

الرواية معتبرة: جاءت هذه الرواية في كتاب المعبر من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله، ج 2، ص: 187. رقم الحديث: 3. باب ماروي عن أبي الحسن موسى بن جعفر في النص على القائم (عليه السلام) وغيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة. وبطريق آخر عن الكليني، باللفظ نفسه إلا أنه قال: ((إذا غاب عنكم إمامكم من يأتيكم بإمام جديد)) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص: 14، رقم الحديث: 340، باب في الغيبة.

وأخرجه بنفس لفظ الكليني بطريق آخر: النعماني، الشيخ ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم (المتوفى حدود سنة 360هـ) في كتاب الغيبة: ص 176. رقم الحديث: 17.

وأخرجه باللفظ نفسه الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 406)، كتاب الغيبة، ص: 160.

وأخرجه باللفظ نفسه المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ)، بحار الأنوار: ج 51، ص: 151، رقم الحديث: 5. باب ماروي عن الكاظم صلوات الله عليه في ذلك.

الفصل الثالث

الأصل الحديثي للأطروحة المهدوية
ومناقشة شبهات المستشرقين

المهدي المنتظر
عليه السلام

نوطئة:

ذُكرَ في مطلبٍ أو مبحثٍ سابقٍ، كيف حاول المستشرقون إنكار عقيدة المهدي المنتظر عن طريق التشكيك بما ورد من أحاديث عند عموم المسلمين وفي مصنفاتهم، وزيادةً أو تأكيداً لما بدأه المستشرقون في التعامل إزاء هذه المفردة من المفردات الإيمانية، ومن إنكارها حتى على المستوى الحديثي، تلاعباً بعقائد المسلمين الإيمانية لأغراضٍ مشبوهة من وراء ذلك؛ يُذكر هنا قول المستشرق دوايت دونالدسون عن بعض الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر، في كتابه (عقيدة الشيعة) يقول: بأنها منسوبةٌ للرسول وليست ثابتةً، لأن الفشل الذي أصاب المسلمين في توطيد أركان العدل، والفشل الذي أصاب المملكة الإسلامية، كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي في آخر الزمان.^[1] وتجده يؤيد ما فنّده ابن خلدون (المتوفى: 808هـ) في مقدمته (مقدمة ابن خلدون) جميع الأحاديث الواردة بهذا الخصوص، بأنها ضعيفةٌ أو مشكوكٌ بها؛ لعدم ورودها في صحيح البخاري ومسلم، لذا فإنَّ عقيدة المهدي لا تدخل في اعتقادات أهل السنة والجماعة.^[2]

الجواب على الإشكالات والشبهات التي أوردتها المستشرقون بهذا الخصوص، وهو ثبوت عقيدة المهدي المنتظر عن طريق الأحاديث الشريفة، عادةً تكون أكثر تفصيلاً وأوضح دلالةً، وأسهل وأخف مؤونةً، مما كان عليه إثبات دلالة الآيات القرآنية على تلك العقيدة المهدوية، لأن الأحاديث جاءت هنا صريحةً وبطرق عدّة، وبألفاظ متعدّدة، بل إنها متواترةٌ على ما سيثبت قريباً. وقد جاء في الحديث الشريف ((... عن المقدام بن معدي كَرَبَ عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ: أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ (...))^[3] وكما هو معلومٌ بأنَّ الآيات الشريفة تحمل دلالاتٍ ومصاديقٍ عدّةً، قد تؤدي إلى الاختلاف في معناها بين المفسرين والعلماء، وقد يستغلها بعضهم من المستشرقين للطعن

[1] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص: 231.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص: 231.

[3] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (توفي 275هـ): ج 7، ص: 13. رقم الحديث: 4604، أول كتاب السنة، باب: فِي لُزُومِ السُّنَّةِ. قال شَعْبِ الأرنؤوط في هامش نفس الصفحة: إسناده صحيحٌ.

أو التشكيك فيها؛ ولذلك ورد عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عندما بعث ابن عباس (رض) لمحادثة ومناقشة الخوارج، قال له: لا تخاصمهم بالقرآن فَإِنَّ القرآنَ حَمَلٌ ذو وجوهٍ تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فَإِنَّهم لن يجدوا عنها محيصاً^[1]. وعلى هذا الأساس كان الحديث النبوي شارحاً ومبيناً للقرآن الكريم، ولا يمكن الاكتفاء بالنص القرآني وحده، وإنما نرجع إلى السنة المشرفة لمعرفة معاني كثيرٍ من الآيات الشريفة ومن ثمَّ نذهب إلى آراء العلماء أو أئمة التفسير واللغة.

فهذا الفصل هو لمناقشة وجواب، ما أورده بعض المستشرقين من شبهات، تفيد بأنَّ الأحاديث بهذا المجال مُختلقةٌ، موضوعةٌ، أو ضعيفةٌ، ولا ترتقي لمستوى البحث والتحقيق، ولا يمكن الاعتماد عليها لإثبات عقيدة إيمانيةٍ صحيحةٍ، فسيكون الجواب عن ذلك ضمن مباحثٍ عدَّةٍ.

[1] - من وصية لأمر المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لعبد الله بن العباس، وردت في نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده: ج3، ص: 136.

المبحث الأول

أحاديث العقيدة المهدوية

المطلب الأول:

أحاديث فيها تصريحٌ بلفظ (المهدي)

الحديث الأول: ((عَنْ عَلِيِّ [ابن أبي طالب] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: الْمَهْدِيُّ مِنَّا، أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ))^[1].

ذكر محقق السنن لابن ماجه، شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف^[2]. ويُحتمل لقولهم إسناده ضعيف، يقصدون به وجاء لقول البخاري في (تاريخه الكبير) عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية في ترجمته قال: (في إسناده نظر^[3]).

[1] - سنن ابن ماجه (المتوفى: 273هـ): ج5، ص: 213، رقم الحديث: 4085. أبواب الفتن: بابُ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ.

وأخرجه ابن أبي شيبة (المتوفى: 235هـ) في مصنفه: ج7، ص: 513، رقم الحديث: 37644.

وأخرجه أحمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ) في المسند: ج1، ص: 444، رقم الحديث: 645. مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري (المتوفى: 256هـ) في التاريخ الكبير: ((الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ)) وقال عنه: وَفِي إِسْنَادِهِ نَظْرٌ.

وأخرجه بن حماد (المتوفى: 228هـ) في الفتن: ج1، ص: 361. رقم الحديث: 1053.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (المتوفى: 430هـ) في كتابيه: حلية الأولياء: ج3، ص: 177. وكذلك في كتابه: أخبار أصبهان، أخرجه بطريقين: ج1، ص: 209.

وأخرجه أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ) في كتابه السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها: ج5، ص: 1059، رقم الحديث: 579. باب ما جاء في المهدي.

[2] - تعليق شعيب الأرنؤوط، ينظر: سنن ابن ماجه، ج5، ص: 213، رقم الحديث: 4085.

[3] - ظ: البخاري، التاريخ الكبير، ج1، ص: 317. ترجمة رقم: 994. ترجمة إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب.

هذا وقد درس الحديث وخرَّجه بطرق متعدِّدة، الدكتور عبد العليم البستوي (الأستاذ في جامعة أم القرى) وعدّها أربعة عشر طريقاً، ودرس أسانيدھا وأحوال رجالھا، فذكر الحديث ابن عدي والذهبي في ترجمة ياسين العجلي وذكرنا عن البخاري قوله: (في إسناده نظراً) ولكن لم أجد هذه الكلمة في ترجمة ياسين العجلي، من التاريخ الكبير ولا ذكره البخاري في كتاب الضعفاء. وكلام البخاري هذا، لا يعني تضعيف الراوي، فهو جرحٌ غيرُ مفسَّر ولم أجد من فسر وجهة نظره، فلا يمكن تضعيف الحديث من أجله ولا سيَّما وقد تبين أنَّ رجاله كلهم ممن يُحتج بهم وإسناده متَّصلٌ. ولعلَّ الإمام البخاري يشير إلى ما وقع فيه من خلافٍ في رفعه ووقفه^[1]. أي الحديث لا الراوي.

صحح إسناده محقق المسند، أحمد محمد شاكر، قال: إسناده صحيح^[2]. وحسنه السيوطي (ت 911هـ) في كتاب (الجامع الصغير)^[3]. وحكم الألباني بصحته^[4] كما ونقل تحسين السيوطي، المناوي (ت 1031هـ) في فيض القدير^[5].

وصحح الحديث ابن حجر (ت 852هـ) فقال: وقع في سنن ابن ماجه عن ياسين غير منسوب فظنه بعض الحفاظ المُحدِّثين، (ياسين بن معاذ الزيات) فضعَّف الحديث به فلم يصنع شيئاً^[6].

وأخيراً نتيجة الحكم على الحديث بأنَّ (إسناده حسنٌ). فهو متردِّدٌ بين الصحيح

[1] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهديّ المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 155 - 156.

[2] - ظ: مسند أحمد، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ج1، هامش ص: 444. بطبعة دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1995م: تعليقا على الحديث رقم 645، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[3] - السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير، 1 / 11681 ترقيم المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.

[4] - ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج5، ص: 370، صحيحة رقم: 2371. ينظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي (ت 741هـ)، محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني: ج1، ص: 57.

[5] - ظ: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج6، ص: 278. رقم فقرة الشرح: 9243.

[6] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهديّ المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 156. وينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج11، ص: 173.

والضعيف، ولكن التحقيق يرجح تصحيحه لبعض الوهم الذي دخل على المتن من الرواة^[1].

الحديث الثاني: في سنن أبي داود: ((عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: المهديُّ منِّي أجلىَّ الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين))^[2].

قال الحاكم (ت 405هـ) عند إخرجه الحديث: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ. وتعليق الذهبي: عمران ضعيفٌ ولم يخرج له مسلم^[3]. وبعد النظر في رجال

[1] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 157.

[2] - أخرجه أبو داود (المتوفى: 275هـ) في سننه، ج 6، ص: 342، رقم الحديث: 4285.

وأخرجه الحاكم (المتوفى: 405هـ) في المستدرک، بلفظ وطريق آخر: ((حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، ثنا عمران القطان، ثنا قتادة، عن أبي نصر، عن أبي سعيد (رض) قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: المهديُّ منَّا أهلُ البيتِ أشمُّ الأنفِ أفنى أجلى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا، ويسط يساره، وأصبعين من يمينه المسبحة، والإبهام، وعقد ثلاثة)) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، المستدرک على الصحيحين: ج 4، ص: 600، رقم الحديث: 8670. كتاب الفتن والملاحم.

وأخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن بأربعة طرق، وبألفاظ تنقص أو تزيد:

1 - ((حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَهْدِيُّ أَجْلَى الْجَبِينِ، أَفْنَى الْأَنْفِ / يُحْنِي الْمَالَ حَيْثَا لَا يَعْذُهُ عَدَا، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا)) نعيم بن حماد، الفتن: الفقرة الأولى من الحديث: ج 1، ص 364، رقم الحديث: 1063. الفقرة الثانية: ج 1، ص: 358، رقم الحديث: 1039.

2 - ((حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَهْدِيُّ أَفْنَى أَجْلَى)) كتاب الفتن: ج 1، ص 364، رقم الحديث: 1062.

3 - وباللفظ نفسه السابق بطريق آخر: ((قَالَ الْوَلِيدُ: عَنْ أَبِي رَافِعٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الْمَهْدِيُّ أَفْنَى أَجْلَى)) كتاب الفتن: ج 1، ص 364، رقم الحديث: 1064.

4 - ((حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ نَبَهَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، (رَض) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَهْدِيُّ أَفْنَى الْأَنْفِ / أَجْلَى الْجَبِينِ / يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ / هُوَ رَجُلٌ مَنِي / يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ)) كتاب الفتن: الفقرة الأولى من الحديث: ج 1، ص 364، رقم الحديث: 1065. الفقرة الثانية: ج 1، ص: 359، رقم الحديث: 1041. الفقرة الثالثة: ج 1، ص: 373، رقم الحديث: 1106. الفقرة الرابعة: ج 1، ص: 377، رقم الحديث: 1126.

[3] - ظ: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج 4، ص: 600. رقم الحديث: 8670. كتاب الفتن والملاحم.

الأسانيد تبين أن مدار الحديث في الإسناد الأول على عمران القطان، وجرى اختلاف أقوال الرجال فيه، فمنها جرحٌ ومنها تعديلٌ، إلا أنه تُوبع^[1] بالأسانيد الأخرى^[2]. وأنه كان من أخص الناس بقتادة وكانوا يقولون أنه يميل إليه إلا أنهم لم يثبتوا عليه شيئاً^[3]. وقد ذكر القنوجي (ت 1307هـ) بعض ما سبق من الجرح في عمران القطان ثم قال: ولكن ذلك كله لا ينافي الضبط والصدق الذي عليهما مدار الصحة والقوة^[4]. وهكذا يتبين أن عمران القطان وإن كان يهَم أحياناً، كما قال عنه البخاري في التاريخ الكبير: صدوق يهَم، إلا أنه لم يهَم في هذا الحديث بشهادة غيره له^[5].

وابن قيم الجوزية (ت 751هـ) قال: ((رواه أبو داود بإسناد جيد))^[6]. وذكره السيوطي (ت 911هـ) في الجامع الصغير بالصحة^[7]. وقال الألباني: حسن^[8].

النتيجة: الحديث حسنٌ إن شاء الله تعالى لشواهده^[9].

الحديث الثالث: في المستدرك على الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (رض) أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: ((يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ،

[1] - (توبع) مصطلح حديثي، وعُرِفَ الحديث ((المتابع: بأنه ما وافق راويه راوياً آخر، ممن يصلح أن يُخَرَّجَ حديثه، فرواه عن شيخه أو من فوفه بلفظ مقارب)) الصالح، صبحي إبراهيم، علوم الحديث ومصطلحه: ص: 241.

[2] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 174.

[3] - ظ: ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين، تاريخ أسماء الثقات: ص: 182.

[4] - ظ: القنوجي، محمد صديق حسن، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ص: 121.

[5] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 174.

[6] - ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ص: 144.

[7] - السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير وزيادته، 1/ 9436. رقم الحديث: 9436 ترقيم المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.

[8] - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته: ج2، ص: 1140، رقم الحديث: 6736. وذكره بالحسن في مشكاة المصابيح، ج3، ص: 1501، رقم الحديث: 5454.

[9] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 175.

وللمزيد، فقد أفاض البستوي بدراسة مستفيضة حول أسانيد وطرق وأحوال رجال هذا الحديث ينظر الصفحات من كتابه: الصفحات من 166 إلى 175.

وَتُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعْيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا^[1]. قال الحاكم (ت 405هـ): هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وتعليق الذهبي: صحيح^[2] وهو كما قال الذهبي، لأن رجاله كلهم ثقاتٌ على شرط الصحيح^[3]. صححه الألباني في سلسلته الصحيحة وقال: فهو إسنادٌ صحيحٌ كما تقدم عن الحاكم والذهبي. وبقية الطرق والشواهد قد خرَّجتها في (الروض النضير) تحت حديث ابن مسعود رقم (647)^[4]. فبالنظر إلى ما تقدم من أحكام أرباب الحديث فيكون إسناده صحيحاً.

الحديث الرابع: جاء في مسند أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، فَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ أَوْ قَصَرَ عُمُرُهُ عَاشَ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانِيَةَ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا))^[5].

أخرجه نعيم بن حماد (المتوفى: 228هـ) في كتاب الفتن^[6]. وأخرجه ابن أبي شيبة (ت 235هـ) في مصنفه^[7].

وأخرجه البوصيري (المتوفى: 840هـ) في كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد

[1] - المستدرک علی الصحیحین: ج 4، ص: 601، رقم الحدیث: 8673. کتاب الفتن والملاحم.

[2] - المستدرک علی الصحیحین: ج 4، ص: 601، رقم الحدیث: 8673. کتاب الفتن والملاحم.

[3] - الشیخ أبو الفیض العُماري، أحمد بن الصدیق، إبراز الوهم المکنون من کلام ابن خلدون: ص: 517.

[4] - ظ: الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 4، ص: 41، ضمن الصحيحة رقم: 1529.

[5] - مسند أحمد، ج 17، ص: 310، رقم الحدیث: 11212. مسند أبي سعيد الخدري (رض).

[6] - الحدیث: ((قَالَ: ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ مُوسَى الْجُهَنِيِّ، عَنْ زَيْدِ الْعَمِيِّ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنْ زَيْدِ الْعَمِيِّ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَمْلَأُ الْمَهْدِيُّ سَبْعَ، ثَمَانِيَةَ، تِسْعَ سِنِينَ)) نعيم بن حماد، كتاب الفتن، ج 2، ص: 689، رقم الحدیث: 1949.

[7] - الحدیث قال: ((أبو معاوية وابن نمير عن موسى الجهني عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ طَالَ عُمُرُهُ أَوْ قَصَرَ عُمُرُهُ يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِيَةَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ مَطَرَهَا وَتُخْرِجُ الْأَرْضَ بَرَكَتَهَا، قَالَ: وَتَعْيشُ أُمَّتِي فِي زَمَانِهِ عَيْشًا لَمْ تَعْشَهُ قَبْلَ ذَلِكَ)) المصنف، لابن أبي شيبة: ج 7، ص: 512، رقم الحدیث: 37638.

العشرة^[1]. ولهذا الحديث شواهد^[2] عدة منها، الحديث الثالث، سالف الذكر، والذي صححه الألباني والذهبي^[3].

ولهذا الحديث شاهدٌ أخرجه ابن ماجه (ت 273هـ) في السنن. بسنده: ((... عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتَسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتِي الْأَرْضَ أَكْلَهَا وَلَا تَدَخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ: خُذْ))^[4] أخرجه الحاكم (ت 405هـ) في المستدرک وسكت عنه الحاكم^[5] وأخرجه الداني (ت 444هـ) في السنن الواردة في الفتن^[6]. وحسنه الألباني (ت 1420هـ)^[7].

وذكر البستوي، أنه بعد دراسة رجال السنن - للحديث الرابع آنف الذكر - دراسةً وافيةً، تبين أنهم كلهم ثقاتٌ ما عدا (زيداً العمي) وجمهور الأئمة على تضعيفه، إلا أنه ليس شديد الضعف بحيث يترك حديثه، فهناك من وثقه، بل هو صالحٌ للاعتبار^[8].

[1] - ظ: البوصيري، أبو العباس شهاب الدين، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ج 8، ص:

113، رقم الحديث: 7613، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ.

[2] - (الشاهد) مصطلح حديثي، تعريف: ((الشاهد بأنه ما وافق راوٍ روايةً عن صحابيٍّ آخرٍ بمتنٍ يشبهه في اللفظ والمعنى جميعاً، أو في المعنى فقط)) الصالح، د. صبحي إبراهيم، (ت: 1407هـ)، علوم الحديث ومصطلحه: ص: 241.

[3] - يراجع الصفحة السابقة: 156 من هذا المطلب.

[4] - سنن ابن ماجه: ج 5، ص: 211، رقم الحديث: 4083. أبواب الفتن: بَابُ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ.

[5] - الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج 4، ص: 601، رقم الحديث: 8675. كتاب الفتن والملاحم.

[6] - وهو شاهدٌ آخرٌ للحديث أعلاه، أخرجه الداني في السنن: ((حدثنا عبد الرحمن بن عثمان، حدثنا أحمد بن ثابت، حدثنا سعيد بن عثمان، حدثنا نصر بن مرزوق، حدثنا علي بن معبد، حدثنا خالد بن سلام، عن محمد بن مهران الجلي، عن عمارة بن أبي حفصة، عن زيد العمي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتَسْعٌ تَنْعَمُ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا لَا تَدَخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهَا، وَالْمَالُ عِنْدَهُ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ: خُذْ)) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، ج 5، ص: 1035، رقم الحديث: 550. باب ما جاء في المهدي.

[7] - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: 83/9 ترقيم المكتبة الشاملة، نسخة الإصدار العاشر.

[8] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 179. وللمزيد في دراسة الحديث وأحوال رجاله مراجعة المصدر نفسه الصفحات: 176 - 179.

حيث جاء حديث آخر في سنن الترمذي، وفي طريقه زيد العمي: ((حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت زيدا العمي قال: سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم فقال: (إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا) زَيْدُ الشَّائِكُ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: (سِنِينَ) قَالَ: (فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي) قَالَ: (فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ))^[1]. حسنه الترمذي والألباني، ومحقق السنن (أحمد محمد شاكر وآخرون): ((قال أبو عيسى هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس، قال الشيخ الألباني: حسن))^[2].

فتكون النتيجة: الحديث حسن لشواهد^[3].

الحديث الخامس: أخرج ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) ((عن جابر قال قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، يَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِي: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، يَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعْضٍ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ))^[4]. وذكر ابن قيم في (المنار المنيف) سنده، بأن أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده. حيث قال: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: وذكر الحديث. وقال ابن القيم: هذا إسنادٌ جيد^[5].

[1]- سنن الترمذي: ج4، ص: 506، رقم الحديث: 2232. أبواب الفتن عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: باب ما جاء في المهدي.

[2]- سنن الترمذي: ج4، ص: 506، رقم الحديث: 2232. تعليق المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

[3]- ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 179.

[4]- ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ص: 147.

[5]- ظ: ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص: 147 - 148.

وصححه الألباني قال: وهو كما قال ابن القيم، فإنَّ رجاله كلهم ثقاتٌ من رجال أبي داود^[1].

وذكر الحديث ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ) في كتابه (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة) وقال: صحَّ مرفوعاً.^[2] كذلك ذكر الحديث وأمضاه واحتج به الشيخ عبد المحسن ابن العباد في رسائله المنشورة المعنونة (الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي)^[3].

ولهذا الحديث شواهدٌ من أحاديث أخرى بلفظ مختلف، لا بأس بذكر أحدها، منها ما جاء في مسند أبي يعلى (المتوفى: 307هـ): ((حَدَّثَنَا حَفْصُ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا بُهْلُولُ بْنُ مُورِقِ الشَّامِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: لَا تَزَالُ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ إِمَامَهُمْ: تَقَدَّمْ، فَيَقُولُ: أَنْتُمْ أَحَقُّ بِعُضُكُمُ أَمْرَاءَ بَعْضٍ. أَمْرٌ أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ))^[4].

[1] - ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج5، ص: 276، صحيحة رقم: 2236. قال الألباني: وهو كما قال ابن القيم، فإنَّ رجاله كلهم ثقات من رجال أبي داود، وقد أُعلِّ بالانقطاع بين وهب وجابر، فقال ابن معين في إسماعيل هذا: ثقةٌ، رجلٌ صدق، والصحيفة التي يرويها عن وهب عن جابر ليست بشيءٍ، إنما هو كتابٌ وقع إليهم ولم يسمع وهبٌ من جابر شيئاً. وقد تعقَّبَه الحافظ المزي، فقال في (تهذيب الكمال): روى أبو بكر بن خزيمة (المتوفى: 311هـ) في (صحيحه) عن محمد بن يحيى عن إسماعيل ابن عبد الكريم عن إبراهيم بن عقيل عن وهب بن منه قال: هذا ما سألت عنه جابر بن عبد الله وأخبرني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فذكر حديثاً. قال - الحافظ المزي - وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى وهب بن منه.

قال: وفيه ردُّ على من قال: إنه -أي وهب- لم يسمع من جابر، فإنَّ الشهادة على الإثبات مقدمة على الشهادة على النفي، وصحيفة همام وهو (أخو وهب) عن أبي هريرة مشهورةٌ عند أهل العلم، ووفاة أبي هريرة قبل جابر، فكيف يستنكر سماعه منه، وكانوا جميعاً في بلد واحد؟ وردَّه الحافظ في (تهذيب التهذيب) فقال: قلت: أما إمكان السماع فلا ريب فيه، ولكن هذا في همام، فأما أخوه وهب الذي وقع فيه البحث فلا ملازمة بينهما، ولا يحسن الاعتراض على ابن معين بذلك الإسناد، فإنَّ الظاهر أن ابن معين كان يُغلطُ إسماعيل في هذه اللفظة عن وهب: سألت جابراً. والصواب عنده: عن جابر.

ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج5، ص: 276، صحيحة رقم: 2236.

[2] - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج2، ص: 475.

[3] - العباد، عبد المحسن بن حمد، كتاب الرد على من كذب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وأصل الكتاب، رسالةٌ ومقالةٌ منشورةٌ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد 45، ص: 304.

[4] - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، مسند أبي يعلى: ج4، ص: 59. رقم الحديث: 2078.

وأخرج هذا الحديث الطبراني (ت 360هـ) بلفظ قريب منه: ((حَدَّثَنَا الْمُقَدَّمُ، ثنا أسد بن موسى، وسعيد بن أبي مريم، قالوا: نا ابنُ لهيعة، عن أبي الرُّبَيْرِ، عن جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَزَالُ

الحديث السادس: في سنن ابن ماجه: ((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، وَأَخْمَدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةَ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطَّلِعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قِتْلًا لَمْ يَقْتُلَهُ قَوْمٌ. ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ، الْمَهْدِيُّ)) [1].

أخرجه الحاكم (المتوفى: 405هـ) في المستدرک، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَوَفَّقَهُ الذَّهَبِيُّ قَالَ: عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ [2].

وأخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) في كتابه (الأربعون حديثاً في المهدي) [3].

وأخرجه أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ) في سننه، بطريق آخر، مداره [4] على (عبد

طائفة من أمتي يقتلون علي الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة ثم ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تقدم فصل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم لبعض أمير، ليكرم الله هذه الأمة ((الطبراني أبو القاسم، المعجم الأوسط: ج 9، ص: 39، رقم الحديث: 2078.

وأخرجه الداني (المتوفى: 444هـ) في السنن ((حدثنا عبد الله بن عمرو، حدثنا عتاب بن هارون، قال: حدثنا الفضل بن عبيد الله، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري، قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن [ص: 1237] محمد بن مسلمة، عن أبي الواصل بن عبيد، قال: قال جابر بن عبد الله، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَنِ الْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، يَنْزِلُ عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَيَقَالُ لَهُ: تَقَدَّمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَصَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَمِينٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ لِكِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائها والساعة وأشراتها: ج 6، ص: 1236، رقم الحديث: 686. باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام).

[1]- سنن ابن ماجه: ج 5، ص: 211، رقم الحديث: 4084. أبواب الفتن: باب خروج المهدي.

[2]- قال الحاكم: ((أخبرنا أبو عبد الله الصفار، ثنا محمد بن إبراهيم بن أرومة، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةَ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطَّلِعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقَاتِلُونَكُمْ قِتْلًا لَمْ يَقَاتِلَهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا فَقَالَ - إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ)) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج 4، ص: 510. رقم الحديث: 8432. كتاب الفتن والملاحم.

[3]- الأصبهاني، أبو نعيم، الأربعون حديثاً في المهدي: ص: 25، رقم الحديث: 32. المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.

[4]- (مداره): مصطلح حديثي وهو الراوي الذي تلتقي عنده الأسانيد وهو مدار الحديث، ويسمى كذلك مخرج

الرزاق). باختلاف بعض الألفاظ^[1]. وأخرجه البيهقي (المتوفى: 458هـ) في دلائل النبوة^[2].

وأخرجه ابن كثير الدمشقي (المتوفى: 774هـ) في البداية والنهاية^[3]. وأخرجه البوصيري (المتوفى: 840هـ) في كتاب مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه^[4]. وكما ذكره السيوطي (المتوفى: 911هـ) في الحاوي، في أخبار المهدي^[5]. وأخرج ذيل الحديث، أحمد بن حنبل في مسنده^[6]. وكذلك ابن الجوزي (المتوفى: 597هـ) في العلل المتناهية^[7].

ضعفه الألباني قال عنه منكر^[8][9] هذا واستنكر الألباني متن الحديث، من أجل لفظ (خليفة الله) إذ قال: ((وهذه الزيادة (خليفة الله) ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون

الحديث الذي يخرج منه الإسناد، فملتقى الطرق، أو ملتقى الرواية هو الرجل الذي تخرج منه الطرق، وتتعدد عنه الرواة، هذا هو الذي يسمى مخرج الحديث؛ لأن الحديث خرج من عنده. ينظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد لله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، الموقظة في علم مصطلح الحديث: ص: 117.

[1] - الحديث: ((حدثنا حمزة بن علي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عثمان بن إسماعيل السكري، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: يَمْتَلُ عِنْدَ كُنُزِكُمْ نَقْرٌ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ الْمَلِكُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تُقْبَلُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قَبْلِ خُرَّاسَانَ فَأَتَتْهَا وَلَوْ حَبْرًا عَلَى الرَّكْبِ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ)) الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، ج 5، ص: 1035، رقم الحديث: 548. باب ما جاء في المهدي.

[2] - الحديث: بإسناده ((... عَنْ ثُوبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَمْتَلُ عِنْدَ كُنُزِكُمْ هَذِهِ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ وَلَدٌ خَلِيفَةٌ لَا تَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تُقْبَلُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ خُرَّاسَانَ فَيَقْتُلُونَكُمْ مَقْتَلَةً لَمْ تَرَوْا مِثْلَهَا ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَتَتْهُ وَلَوْ حَبْرًا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ)) البيهقي، أبو بكر، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج 6، ص: 515.

[3] - ظ: ابن كثير، الدمشقي، البداية والنهاية، ج 6، ص: 276.

[4] - ظ: البوصيري، أبو العباس شهاب الدين، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ج 4، ص: 204، رقم الحديث: 1450، باب خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ.

[5] - ظ: السيوطي، جلال الدين، الحاوي للفتاوي، ج 2، ص: 72.

[6] - قال ((حدثنا وكيع، عن شريك، عن علي بن زيد، عن أبي قلابة، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ خُرَّاسَانَ، فَأَتَتْهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ)) مسند أحمد ابن حنبل: ج 37، ص: 70، رقم الحديث: 22387. مسند ثوبان.

[7] - ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ج 2، ص: 377، رقم الحديث: 1445.

[8] - ((المنكر هو أنه الحديث الذي يرويه الضعيف مَحَالِّفًا رواية الثقة. وهو يبين الشاذ، إذ إن راوي الشاذ ثقة. بينما راوي المنكر ضعيف غير ثقة)). الصالح، صبحي إبراهيم، علوم الحديث ومصطلحه: ص: 203.

[9] - ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج 1، ص: 195، ضعيفة رقم: 85.

شاهداً لها، فهي منكراً ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز والله تعالى لا يجوز له خليفة^[1])).^[2]

رَمَزَ له السيوطي لهذا الحديث بالصحة^[3]. ونقل تصحيح السيوطي، المناوي في فيض القدير^[4]. وقد ضَعَفَه الألباني لأجل عنعنة^[5] أبي قلابه، فأما اختلاط عبد الرزاق فلا يضر في صحة هذا الإسناد^[6]. وقال الحاكم [عن الحديث السادس أعلاه المتقدم الذكر]: هَذَا حَدِيثٌ

[1]- أرى بأن هذا تحمیل اللفظ، لمعان أكثر مما يحتمل، ألم يقل الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: 30. وقوله تعالى ﴿يُذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ص: 26. فعندما يوكل الله تعالى تدبير الأعمال للملائكة، فهل يعني هذا أن الله يتصف بالنقص والعجز تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال الطباطبائي: في قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ مشعر بأنهم إنما فهموا وقوع الإفساد وسفك الدماء من قوله سبحانه. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إذ إن الموجود الأرضي لما كان وجوده مادياً مركباً من القوى الغضبية والشهوية، والدار دار التزاحم، مركباتها في معرض الانحلال، لا تتم الحياة فيها إلا بالحياة النوعية، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، - والخلافة - هي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكماً للمستخلف في جميع شؤنه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلت عظمته. ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج1، ص: 116، تفسير سورة البقرة، الآيات: 30 - 33. وينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج1، ص: 106.

إِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ خَلِيفَةً لِأَنَّهُ يَخْلُقُ اللهُ فِي الْحَكْمِ بَيْنَ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ الْمُرَوِّى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالسُّنْدِيِّ وَهَذَا الرَّأْيُ مُتَّكِدٌ بِقَوْلِهِ: ﴿يُذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. ينظر: الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج2، ص: 389.

فقول الملائكة يعود إلى أن جعل الخلافة إنما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده، والأرضية لا تدعه يفعل ذلك بل تجره إلى الفساد والشر، والغاية من هذا الجعل وهي التسبيح والتقديس بالمعنى الذي مر من الحكاية؛ فردَّ الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها.

ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج1، ص: 117، تفسير سورة البقرة، الآيات: 30 - 33. وينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج1، ص: 106.

[2]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج1، ص: 195، ضعيفة رقم: 85.

[3]- ظ: السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير وزيادته، 1/ 14570 ترقيم المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.

[4]- ظ: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج6، ص: 278. رقم فقرة الشرح: 648.

[5]- المعنعن: هو ما يقال في سنده: (فلان عن فلان) من غير تصريح بالتحديث والسماع. ينظر: ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان، الشهرزوري، علوم الحديث لابن الصلاح المعروف بمقدمة ابن الصلاح: ص: 61. وينظر: الصالح، صبحي إبراهيم، علوم الحديث ومصطلحه: ص: 222.

[6]- اختلاط عبد الرزاق فلا يضر في صحة هذا الإسناد، فقد قال ابن حجر: احتج بعبد الرزاق الشيخان في أحاديث من سمع منه قبل الاختلاط. وأما عنعنة أبي قلابه وسفيان الثوري وهما من المدلسين، فلا تضر في صحة الإسناد أيضاً

صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي: على شرط البخاري ومسلم^[1]. وقال ابن كثير: تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ مَاجِهٍ، وَهَذَا إِسْنَادٌ قَوِيٌّ صَحِيحٌ^[2].

وقال البوصيري: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَالَهُ ثِقَاتٌ^[3]. وكذلك قال القرطبي في التذكرة: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ^[4]. والنتيجة لما تقدم يكون إِسْنَادُهُ صَحِيحاً.

الحديث السابع: روى أبو داود في السنن ((حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمَلِيحِ الْحَسَنُ بْنُ عَمْرِو، عَنْ زِيَادِ بْنِ بِيَانٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ نُفَيْلٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ: **المَهْدِيُّ مِنْ عِزَّتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**)^[5]. وأخرجه نعيم بن حماد (المتوفى: 228هـ) في كتاب الفتن بطريقتين، بلفظ **(المَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ)**^[6].

وأخرجه البخاري (المتوفى: 256هـ) في التاريخ الكبير، وقال عنه: وَفِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ^[7].

لأن المدلسين ليس كلهم على حد سواء عند المحققين، وقد رتبهم الحافظ ابن حجر في كتابه طبقات المدلسين على خمس مراتب. الأولى: من لم يوصف بذلك إلا نادراً. والثانية من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى كالثوري أو كان لا يدلّس إلا عن ثقة كابن عيينة.

ينظر: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 190 - 191.

[1] - ظ: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج4، ص: 510. رقم الحديث: 8432. كتاب الفتن والملاحم.

[2] - ظ: ابن كثير، الدمشقي، النهاية في الفتن والملاحم، ج1، ص: 55، باب: إخبار الرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ببعض ما سيلاقي آل بيته الكرام من متاعب وأهوال.

[3] - ظ: البوصيري، أبو العباس شهاب الدين، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ج4، ص: 204، رقم الحديث: 1450. باب خُرُوجِ المَهْدِيِّ.

[4] - القرطبي، أبو عبد الله محمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ص: 1201. باب في المهدي وذكر من يوطئ له ملكه.

[5] - سنن أبي داود: أول كتب المهدي: ج6، ص: 341، رقم الحديث: 4284..

[6] - نعيم بن حماد، كتاب الفتن: ج1، ص: 374، رقم الحديث: 1112. بطريق (حدثنا بقرية بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن أبي هزان، عن كعب) وذكر الحديث.

والطريق الآخر ص: 375 (حدثنا عبد الله بن مروان، عن سعيد بن يزيد التنوخي، عن الزهري).

[7] - ظ: البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ص: 346. رقم الحديث: 1171. جاء في التاريخ الكبير بلفظ آخر: ((زياد بن بيان، قال عبد الغفار بن داود حدثنا أبو المليلح الرقي سمع سعيد زياد بن بيان - وذكر من فضله - سمع علي بن

وبطريقٍ آخرٍ للبخاري في التاريخ الكبير موقوفاً^[1] على سعيد بن المسيب^[2].

وأخرجه أبو الحسن الأبري (المتوفى: 363هـ) بنفس الطريق واللفظ، في كتابه (مناقب الإمام الشافعي) قال: ورواه سفيان الثوري، عن عاصم. ورواه فطرٌ، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذكر المهدي. ورواه أيضاً زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله^[3].

أخرجه ابن ماجه (المتوفى: 273هـ) في سننه^[4].

وأخرجه أبو علي القشيري، (المتوفى: 334هـ) بطريقتين في كتابه (تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتابعين والفقهاء والمحدثين)^[5].

وأخرجه أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) بلفظٍ آخر في المعجم الكبير^[6].

وأخرجه الحاكم (المتوفى: 405هـ) في المستدرک^[7].

نفيل جد النفيلي سمع سعيد بن المسيب عن أم سلمة زوج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: المهدي حق وهو من ولد فاطمة)).

[1]- الحديث الموقوف: وهو ما يروى عن الصحابة (رض) من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم، ولا يتجاوز به إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سواء كان سنده متصلًا، أم منقطعًا. ينظر: ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان، الشهرزوري، علوم الحديث لابن الصلاح، المعروف بمقدمة ابن الصلاح: ص: 46.

[2]- قال: ((يونس بن أبي الفرات قال عبَّيد الله بن سعيد هو الإسكاف، قال مُحَمَّد بن بكر حَدَّثَنَا يونس أبو الفرات مولى لقريش وكان هاهنا عن عائذ عن أبي مراية قوله سَمِعَ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ الْمَهْدِيِّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ)) البخاري، التاريخ الكبير، ج8، ص: 406. رقم الحديث: 3497.

[3]- ظ: الأبري، أبو الحسن السجستاني، مناقب الإمام الشافعي، ص: 96.

[4]- ظ: سنن ابن ماجه: ج5، ص: 214، رقم الحديث: 4086. أبواب الفتن: باب خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ. بلفظ ((الْمَهْدِيُّ مِنْ وَوَلَدِ فَاطِمَةَ)).

[5]- القشيري، أبو علي محمد بن سعيد، في كتاب: تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم [وآله] وسلَّم والتابعين والفقهاء والمحدثين: ص: 95، رقم الحديث: 143. [باب الصحابي]: زياد بن بيان.

[6]- الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير: ج23، ص: 267، رقم الحديث: 566. [باب] سعيد بن المسيب عن أم سلمة.

[7]- الحديث للحاكم: ((أخبرني أبو النضر الفقيه، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح، أنبأ أبو المليح الرقي، حدثني زياد بن بيان، وذكر من فضله، قال: سمعت علي بن نفيل، يقول: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت أم سلمة، تقول: سمعت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكر المهدي، فقال: نَعَمْ، هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ)) وسكت عنه الحاكم والذهبي ولم يعقبًا. المستدرک على الصحيحين: ج4، ص: 600، رقم الحديث: 8671.

وأخرجه الداني (ت 444هـ) في السنن الواردة في الفتن^[1].

وأخرجه البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ) في شرح السنة، باب المَهْدِي^[2].

وأخرجه واستشهد به الذهبي (المتوفى: 748هـ) في تذكرة الحفاظ^[3].

وأخرجه ابن كثير (المتوفى: 774هـ) في (النهاية في الفتن والملاحم)^[4].

هذا الحديث له طرقٌ كثيرةٌ تلتقي في أبي المليح الرقي. وإذا نظرنا إلى رجال الإسناد لا يوجد فيهم مغمزٌ، فكلهم من الذين يُحتج بأمثالهم لدى العلماء^[5].

أبو داود في سننه سكت عن الحديث، بمعنى أن الحديث عنده صالحٌ للاعتبار؛ فقد ورد في رسالته إلى أهل مكة في وصف سننه، وجواباً عن الحديث المسكوت عنه في سننه، قال: ((ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالحٌ وبعضها أصحُّ من بعضٍ وهذا لو وضعه غيري لقلت أنا فيه أكثر))^[6]. ورمز له السيوطي بالصحة^[7].

وصرح القرطبي في التذكرة عن حديث ابن ماجه في المهدي: إسناده صحيحٌ، قال: بأنَّ

كتاب الفتن والملاحم.

وأخرجه أيضاً بطريق آخر ((وحدثنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي بمرو، ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي، ثنا عمرو بن خالد الحراني، ثنا أبو المليح، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفييل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: ذكر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المهدي، فقال: هُوَ مِنْ وَكْدِ قَاطِمَةَ)) وسكت عنه الحاكم، المستدرک على الصحيحين: ج4، ص: 601، رقم الحديث: 8672.

[1] - ظ: أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، ج5، ص: 1057، رقم الحديث: 575. جاء بطريقين بلفظ (هُوَ مِنْ وَكْدِ قَاطِمَةَ). باب ما جاء في المهدي.

[2] - ظ: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة: ج15، ص: 86، رقم الحديث: 4280.

[3] - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، تذكرة الحفاظ: ج2، ص: 463.

[4] - ظ: ابن كثير، الدمشقي، النهاية في الفتن والملاحم: ج1، ص: 52.

[5] - ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص: 201. وللمزيد، فقد أفاض البستوي بدراسة مستفيضة حول أسانيد وطرق وأحوال رجال هذا الحديث ينظر الصفحات من كتابه: من 195 إلى 203.

[6] - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه: ص: 27.

[7] - ظ: السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير وزيادته: 1/11680 ترقيم المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.

حديث: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) هو أصح من حديث محمد بن خالد الجندي^[1].

حكم الألباني بصحته قال: صحيحٌ، جاء ذلك في سلسلة الأحاديث الضعيفة، عندما أثبت تكذيب حديث (المهدي من ولد العباس عمي) قال: ومما يدل على كذب هذا الحديث أنه مخالف لقوله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة مرفوعاً، وسنده سندٌ جيّدٌ رجاله كلهم ثقاتٌ، وله شواهدٌ كثيرةٌ^[2]. وينظر صحيح الألباني أيضاً في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير^[3]. وذكر تصحيحه في كتاب: مشكاة المصابيح^[4].

[1]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ص: 1205.

[2]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج1، ص: 181، ضعيفة رقم: 80.

[3]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير: ص: 24، ج 180، رقم الحديث: 11680، ترقيم المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.

[4]- مشكاة المصابيح، للتبريزي (ت 741هـ) محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني: ج5، ص: 332، رقم الحديث: 5453.

المطلب الثاني

أحاديث في المهدي المنتظر، غير مصرحة باسمه

هنا أحاديث لم تصرح باسم أو لفظ المهدي، لكنها تُفسَّر بالأحاديث الأخرى مجتمعةً، ولا سيَّما أنَّها ذكرها العلماء وأرباب الحديث في باب (ما جاء في المهدي المنتظر) وتحت هذا العنوان والمسمى.

الحديث الأول: ما أخرجه أبو داود: ((... عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قال: لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله عزَّ وجلَّ رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً))^[1].

وأخرجه ابن أبي شيبة (المتوفى: 235هـ) في المصنف^[2].

وأخرجه أحمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ) في مسنده بلفظٍ آخر^[3].

وأخرجه البزار (المتوفى: 292هـ) في مسنده^[4].

وأخرجه الداني (ت 444هـ) في السنن الواردة في الفتن^[5].

هذا الحديث سكت عنه أبو داود في سننه، بمعنى أن الحديث عنده صالح للاعتبار^[6].

[1] - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ): أول كتب المهدي: ج 6، ص: 341، رقم الحديث: 4283. صححه محقق كتاب السنن شعيب الأرنؤوط في الهامش قال: (إسناده صحيح. وقال العلامة العظيم آبادي: سنده حسن قوي). صححه الألباني قال: صحيح. في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 4، ص: 41.

[2] - مصنف ابن أبي شيبة، ج 7، ص: 513، رقم الحديث: 37648.

[3] - الحديث في المسند: ((لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مَنَّا، يَمَلُّوْهَا عَدْلًا كَمَا مُلِّتَ جَوْرًا)) مسند أحمد بن حنبل، ج 2، ص: 163، رقم الحديث: 773. مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[4] - مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، ج 2، ص: 134، رقم الحديث: 493.

[5] - الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، ج 5، ص: 1045، رقم الحديث: 561. باب ما جاء في المهدي.

[6] - فقد ورد في رسالته إلى أهل مكة في وصف سننه، وجواباً عن الحديث المسكوت عنه في سننه، قال: ((ما لم

وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود إذ قال: ((إسناده صحيحٌ. وقال العلامة العظيم آبادي، سنده حسن قوي))^[1]. ورمز لهذا الحديث السيوطي بالحسن^[2].

وقال الذهبي في كتاب تلخيص العلل المتناهية: سنده صالح^[3] وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيحان^[4].

وشعيب الأرنؤوط بتحقيقه مسند أحمد في الطريق الذي أخرجه في المسند قال: رجاله ثقات رجال الشيخين غير (فطر بن خليفة) فله حديثٌ واحدٌ عند البخاري مقروناً بغيره^[5].
وحكم الألباني بصحته قال: صحيح^[6].

الحديث الثاني: وهذا الحديث أيضاً بهذا المتن شاهدٌ على الحديث السابق، أخرجه أبو داود عن طريق عبد الله بن مسعود ((... عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: لا تذهب - أو لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي))^[7].

وأخرجه مسند أحمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ) بطريقتين^[8].

أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض وهذا لو وضعه غيري لقلت أنا فيه أكثر)) أبو داود السجستاني، رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه: ص: 27.

[1]- سنن أبي داود: ج6، هامش ص341، رقم الحديث: 4283.

[2]- ظ: السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير وزيادته، 1/ 9436 ترقيم المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.

[3]- ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 237.

[4]- مسند أحمد: بتحقيق أحمد محمد شاكر: ج1، ص: 500، رقم الحديث: 773. بطبعة دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م: ج1، تعليقا على الحديث رقم: 773. مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[5]- مسند أحمد: بتحقيق شعيب الأرنؤوط: ج2، ص: 164، رقم الحديث: 773. مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[6]- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته: ج2، ص: 938، رقم الحديث: 5305. وذكر هناك أنه حققه في الروض النضير 2/ 52.

[7]- سنن أبي داود: أول كتب المهدي: ج6، ص: 337، رقم الحديث: 4282.

[8]- مسند أحمد: ج6، ص: 45، رقم الحديث: 3573. مسند عبد الله بن مسعود (رض).

وأخرجه الترمذي (المتوفى: 279هـ) في السنن^[1].

وأخرجه البزار (المتوفى: 292هـ) في مسنده، بطرقٍ أخرى^[2].

وأخرجه أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) في المعجم الكبير بعدة طرقٍ^[3].

وأخرجه ابن عدي (المتوفى: 365هـ) في الكامل في ضعفاء الرجال^[4].

وأخرجه الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في كتاب (سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم)^[5].

وأخرجه أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ) في سننه، بأربعة طرقٍ وبألفاظٍ مختلفةٍ^[6].

وأخرجه الخطيب البغدادي (ت 463هـ) في تاريخ بغداد^[7].

وروى الحديث الذهبي (المتوفى: 748هـ) في تذكرة الحفاظ^[8].

الحديث صححه الترمذي عندما أخرجه، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح^[9]. وحكم له بأنه حسن ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية، قال: فأما طريق الترمذي فإسناد حسن^[10].

[1] - سنن الترمذي: ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2230. أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: باب ما جاء في المهدي.

[2] - مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، ج5، ص: 204 - 206، رقم الحديث: 1804.

[3] - الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير: ج10، ص: 136، رقم الحديث: 10226.

[4] - بن عدي، أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال: ج2، ص: 284، بلفظ (حتى يلي): ((لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَلِيَّ أُمَّتِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي)).

[5] - الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، كتاب: سؤالات مسعود بن علي السجزي: ص: 251.

[6] - الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، ج5، ص: 1046 - 1052، رقم الحديث: 562. باب ما جاء في المهدي.

[7] - ظ: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج4، ص: 388، رقم الحديث: 2272.

[8] - ظ: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، تذكرة الحفاظ: ج2، ص: 56.

[9] - ظ: سنن الترمذي: ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2230.

[10] - ظ: ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: ج2، ص: 378.

وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط بتحقيقه السنن قال: صحيحٌ لغيره، وهذا إسناده حسنٌ من أجل عاصم - وهو ابن أبي النّجود - فهو صدوقٌ حسنٌ الحديث، وباقي رجاله ثقات^[1]. وكذلك في تحقيقه مسند أحمد إذ قال: إسناده حسنٌ من أجل عاصم بن أبي النّجود، وبقية رجاله ثقاتٌ رجال الشيخين، عمر بن عبيد: هو الطنافسي^[2].

وصحح إسناده محقق مسند أحمد بن حنبل (أحمد محمد شاكر) قال: إسناده صحيح^[3]. وذكره الألباني بالحسن في كتاب مشكاة المصابيح^[4] وصححه في صحيح الجامع الصغير^[5].

الحديث الثالث: في سنن الترمذي ((... عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي))^[6]. وأخرجه أحمد في مسنده^[7]. وحُكْمُ الحديث: قال عنه الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح^[8].

وقال الألباني: حسن^[9]. وصححه المحقق أحمد محمد شاكر، قال: إسناده صحيح^[10].

الحديث الرابع: في صحيح ابن حبان (المتوفى: 354هـ) بإسناده: ((... قال رسول الله

[1]- ظ: سنن أبي داود: ج6، هامش ص: 337، رقم الحديث: 4282.

[2]- ظ: مسند أحمد بتحقيق: شعيب الأرنؤوط: ج6، ص: 45، رقم الحديث: 3573. مسند عبد الله بن مسعود (رض).

[3]- ظ: مسند أحمد بن حنبل، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ج4، ص: 202، رقم الحديث: 4279. مطبعة دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1995م: تعليقاً على الحديث رقم: 4279. مسند عبد الله بن مسعود (رض).

[4]- ظ: مشكاة المصابيح، للتبريزي (ت 741هـ) محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني: ج5، ص: 331، رقم الحديث: 5452.

[5]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته: ج2، ص: 1217، رقم الحديث: 7275. وينظر: الألباني، كتاب تخريج أحاديث فضائل الشام: ص: 44.

[6]- سنن الترمذي، ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2231. أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: باب ما جاء في المهدي.

[7]- مسند أحمد: ج6، ص 42، رقم الحديث: 3571. مسند عبد الله بن مسعود (رض).

[8]- سنن الترمذي: ج4، ص: 505، رقم الحديث: 2231.

[9]- ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج2، ص: 1356، رقم الحديث: 8160.

[10]- ظ: مسند أحمد بن حنبل، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ج6، ص: 42، رقم الحديث: 3571. مطبعة دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1995م: تعليقاً على الحديث رقم: 3571. مسند عبد الله بن مسعود (رض).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلَّهِ] وَسَلَّم: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي
اسمه اسمي))^[1].

وأخرجه أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) في المعجم الكبير^[2].

حكم الحديث: حَسَنَ المحقق شعيب الأرئوط إسناده، في تحقيقه صحيح ابن حبان:
وهذا سندٌ حسنٌ^[3]. وقال الألباني: حسنٌ صحيحٌ^[4].

الحديث الخامس: جاء في الحديث ((... عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلَّهِ] وَسَلَّم: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ)).

أخرجه العسكري^[5]، (المتوفى: بعد 282هـ) في مسند أبي هريرة^[5].

وأخرجه ابن حبان (المتوفى: 354هـ) في صحيحه^[6].

وأخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) في كتابه المسمى (الأربعون)^[7].

وأخرجه الداني، (ت 444هـ) في السنن الواردة في الفتن^[8].

وأخرجه الهيثمي (المتوفى: 807هـ) في كتاب موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان^[9].

[1] - صحيح ابن حبان: ج 13، ص: 284، رقم الحديث: 5954. باب: ذكر الخبر المصريح بأنَّ خبر أنس بن مالك لم ير بعموم خطابه على الأحوال كلها.

[2] - الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير: ج 10، ص: 133، رقم الحديث: 10216. وينظر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ج 6، ص: 129، رقم الحديث: 1877. باب ما جاء في المهدي.

[3] - صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرئوط: ج 13، ص: 284، رقم الحديث: 5954.

[4] - ظ: الألباني، محمد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: ج 8، ص: 360، رقم الحديث: 5923.

[5] - العسكري^[5]، أَبُو إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمُ بْنُ حَرْبٍ، مسند أبي هريرة: ص: 69، رقم الحديث: 66.

[6] - صحيح ابن حبان: ج 13، ص: 283، رقم الحديث: 5953. باب: ذكر الخبر المصريح بأنَّ خبر أنس بن مالك لم ير بعموم خطابه على الأحوال كلها.

[7] - الأصبهاني، أبو نعيم، الأربعون حديثاً في المهدي: ص: 24. رقم الحديث: 31. المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.

[8] - الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: ج 5، ص: 1054، رقم الحديث: 572. باب ما جاء في المهدي.

[9] - ظ: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ج 6، ص: 129، رقم الحديث: 1877.

حَكَمَ عَلَى الْحَدِيثِ، مُحَقِّقًا كِتَابَ مَوَارِدِ الظَّمَانِ إِلَى زَوَائِدِ ابْنِ حَبَانَ، بَأَنَّهُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ^[1]. وَبَعْدَ دَرَاةِ سِنْدِ الْحَدِيثِ بِالتَّفْصِيلِ ظَهَرَ بَأَنَّ: الْحَدِيثَ حَسَنٌ لِشَوَاهِدِهِ^[2].

الْحَدِيثُ السَّادِسُ: أَخْرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ (الْمُتَوَفَى: 360هـ) فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَلِيَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ زَمَانِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي))^[3].

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ (الْمُتَوَفَى: 430هـ) فِي كِتَابِ أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ^[4].

وَبَعْدَ دَرَاةِ رِجَالِ الْحَدِيثِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ^[5].

الْحَدِيثُ السَّابِعُ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (الْمُتَوَفَى: 256هـ) فِي الصَّحِيحِ. ((أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))^[6].

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (الْمُتَوَفَى: 261هـ) بِاللَّفْظِ نَفْسِهِ، وَبِلَفْظٍ آخَرَ: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ))^[7]. سَيَأْتِي فِي مَبْحَثٍ لَاحِقٍ، بَعْدَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ سَيَتَبَيَّنُ بِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّ الْإِمَامَ الْمَذْكُورَ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، هُوَ (الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

باب ما جاء في المهدي.

[1]- ظ: المحققان: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك، لكتاب موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: للهيثمي: ج 6، ص: 128، باب ما جاء في المهدي، رقم الحديث: 1876.

[2]- ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 290. وللمزيد، فقد أفاض البستوي بدراسة مستفيضة حول أسانيد وطرق وأحوال رجال هذا الحديث ينظر الصفحات من كتابه: من 287 إلى 2290.

[3]- الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير: ج 10، ص: 136، رقم الحديث: 10227.

[4]- أبو نعيم الأصبهاني، كتاب أخبار أصبهان: ج 1، ص: 386.

[5]- ظ: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص: 261. وللمزيد، فقد أفاض البستوي بدراسة مستفيضة حول أسانيد وطرق وأحوال رجال هذا الحديث ينظر الصفحات من كتابه: من 258 إلى 261.

[6]- صحيح البخاري: ج 4، ص: 168، رقم الحديث: 3449، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام).

[7]- صحيح مسلم: ج 1، ص: 136 - 137، رقم الحديث: 155. كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الحديث الثامن: في مسند أحمد بن حنبل (ت 241هـ): ((حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان، عن مطر بن طهمان، عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجْلَى أَقْنَى، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ))^[1].

وأخرجه أبو يعلى الموصلي (المتوفى: 307هـ) بطريق آخر، وبلفظ آخر: ((عن أبي الصديق، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: لَيَقُومَنَّ عَلَيَّ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَقْنَى، أَجْلَى، يُوسِعُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا وَسَعَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ))^[2]. وبتريق ولفظ آخَرَيْنِ ((عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِيَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي (...))^[3].

وأخرجه ابن حبان (المتوفى: 354هـ) بلفظ آخر في صحيحه^[4].

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) في كتاب أخبار أصبهان، بلفظ آخر: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُسْتَخْلَفَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجْلَى، أَقْنَى، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ))^[5].

والحديث الأول أعلاه الذي أخرجه أبو يعلى (ت 307هـ) ذكره الهيثمي (ت 807هـ) في كتاب المقصد العلي (باب ما جاء في المهدي).^[6] وأيضاً في كتابه مجمع الزوائد ومنبع

[1] - مسند أحمد: ج 17، ص: 209، رقم الحديث: 11130. مسند أبي سعيد الخدري (رض).

[2] - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، مسند أبي يعلى: ج 2، ص: 367، رقم الحديث: 1128. مسند أبي سعيد الخدري (رض).

[3] - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، مسند أبي يعلى: ج 2، ص: 274، رقم الحديث: 987. مسند أبي سعيد الخدري (رض). قال محقق المسند حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح.

[4] - صحيح ابن حبان: ج 15، ص: 238، رقم الحديث: 6826. باب: ذكر الإخبار عن وصف المدة التي تكون للمهدي في آخر الزمان.

[5] - أبو نعيم الأصبهاني، كتاب أخبار أصبهان: ج 1، ص: 115.

[6] - ظ: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، ج 4، ص: 407، رقم الحديث: 1821.

الفوائد.^[1] وقال: ((رواه أبو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة، قال العقيلي: في حديثه اضطراب، وبقية رجاله رجال الصحيح))^[2].

حكم الحديث: صحيح، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديثٌ صحيحٌ دون قوله: (يكون سبع سنين)^[3].

هذه بعض النماذج للأحاديث الواردة في هذا الشأن، وإلا فهي فائقة الكثرة، وهناك أيضاً أحاديث عن طريق أهل البيت، وآثارٌ أخرى عن الصحابة، لا مجال لذكرها وقد اقتصرنا على ذكر الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم فقط. وهذا ما يثبت تواترها في الدلالة والمعنى، فإنَّ الحديث عندما يكون في كتب متعدِّدة عند أرباب الحديث بطرقٍ مختلفة، كما تقدم من كثرة من خرَّجها وصحَّحها، واعتقد بوجوب الإيمان بها، فذلك يقوي ويرفع درجة قيمة تلك الأحاديث.

بعد ما تقدم يتبين الوهم أو الحقيقة حول ما قاله المستشرقون في محاولة منهم لطمس الحقائق الواضحة والترويج لإنكارها وتهميشها في عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر، بقولهم: - كما مرَّ آنفاً - لا يوجد ما يؤيدها من أحاديث، وحتى إن وجدت فهي من مخترعات وموضوعات الشيعة.

[1]- ظ: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج7، ص: 314، رقم الحديث: 12395.

[2]- ظ: المصدر نفسه: ج7، ص: 314، رقم الحديث: 12395.

[3]- وقال شعيب الأرنؤوط: (مطر بن طهمان) وهو الوراق - وإن كان فيه ضعف من جهة حفظه - متابع، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ج17، ص: 210، رقم الحديث: 11130.

وقال في موضع آخر عن (مطر بن طهمان) قد روى له مسلم متابعاً، وهو حسن الحديث في المتابعات. ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ج17، ص: 321، تعليقا على رقم الحديث: 11222.

المبحث الثاني 2

أحاديث العقيدة المهدوية درجتها، رواتها، تخريجها

المطلب الأول:

تواتر الأحاديث

الأحاديث في العقيدة المهدوية بتعدد طرقها وشواهداها، والتي تفوق حد الإحصاء، كافيةٌ لأثبات عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر، بل وتوكيدها وإطباق المسلمين على الإيمان بها، وذلك بشهادة العلماء الأعلام من المسلمين كافةً بتواترها، منهم:

1 - قال الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري (ت 363هـ) في كتابه (مناقب الشافعي): ((وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين، ويملا الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى ابن مريم، ويساعده في قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه))^[1].

2 - القرطبي (ت 671هـ) عندما أراد تصحيح أحاديث المهدي المنتظر، مقارنةً بأحاديث أخرى قال: ((والأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتةٌ أصحُّ من هذا الحديث فالحكم لها دونه))^[2]. وكذلك أيّد ونقل كلام الأبري بالتواتر^[3]، وكذلك صرّح بتواترها في تفسيره الآية 33 من سورة التوبة

[1] - الأبري، الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين، كتاب مناقب الشافعي، ص: 95.

[2] - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ص: 1205.

[3] - ظ: المصدر نفسه: ص: 1205.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^[1].
 إذ قال: ((الأخبار الصحاح قد تواترت على أن المهدي من عتره رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم))^[2].

3 - وكذلك أبو الحجاج المزي (ت 742هـ) قد أقرَّ قولَ الأبري أعلاه، وارتضاه في كتابه تهذيب الكمال.^[3]

4 - ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) كذلك ذكر كلام الأبري وأقرَّه وذكر قسماً من الأحاديث وبعدها قسّمها وقال: وهذه الأحاديث أربعة أقسامٍ صحاحٌ وحسانٌ وغرائبٌ وموضوعةٌ^[4].

5 - ابن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852هـ) أيضاً استشهد بكلام الأبري في كتاب تهذيب التهذيب.^[5]

6 - والسخاوي (المتوفى: 902هـ) في كتابه (فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث) ضمن عنوان فرعيّ: (الأحاديث المتواترة) ذكر الأحاديث الموصوفة بالتواتر، ومنها قال: (حديث المهدي).^[6]

7 - السيوطي (ت 911هـ) قال بتواتر الأحاديث في ذات الشأن، وكذلك نصَّ ونقل قول الأبري بالتواتر في كتابه، (العرفُ الوردي في أخبار المهدي)^[7]. وكذلك (نص [السيوطي] على تواتر أحاديث المهدي ... في الفوائد المتكاثرة في الأحاديث المتواترة، وفي اختصاره المسمى بالأزهار المتناثرة وغيرهما من كتبه)^[8].

8 - ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ) في كتابه (القول المختصر في علامات المهدي

[1]- التوبة: 33.

[2]- تفسير القرطبي، ج 8، ص: 121.

[3]- المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي، تهذيب الكمال: ج 25، ص: 149.

[4]- ظ: ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ص: 142 - 148.

[5]- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج 9، ص: 144.

[6]- السخاوي، شمس الدين أبو الخير، فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث: ج 4، ص: 23.

[7]- السيوطي، جلال الدين، العرفُ الوردي في أخبار المهدي: ص: 2 - 4.

[8]- ظ: أبو الفيض الغماري ابن الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص: 434.

المنتظر) قال: والأحاديث الثابتة التصريح بأنه من عترته، من ولد فاطمة، واستشهد بقول الأبري بأنَّ الأحاديث متواترة في ذلك^[1]. وأيضاً في كتابه (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة)^[2].

9 - مرعي بن يوسف الحنبلي (ت 1033هـ) قال بتواتر أحاديث المهدي المنتظر، في كتابه (فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر) واستشهد على ذلك بقول الأبري وذكره نصاً^[3].

10 - البرزنجي محمد بن عبد رسول (ت 1103هـ) صرَّح بالتواتر، في كتابه (الإشاعة لأشراط الساعة) قال: ((الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القرية التي تعقبها الساعة، وهي كثيرة، فمنها المهدي، وهو أولها، واعلم أنَّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر))^[4].

وقال أيضاً: ((أحاديث وجود المهدي، وخروجه آخر الزمان، وأنه من عتره رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن ولد فاطمة رضي الله عنها، بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها))^[5].

وقال في موضع آخر: ((وغيابة ما ثبت بالأخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي، وجود الآيات العظام التي منها، بل أولها خروج المهدي، وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة رضي الله عنها يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً))^[6].

11 - الشيخ محمد بن قاسم جسوس (ت 1182هـ) نقل الكتاني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) تصريحه بالتواتر^[7].

12 - ونقل الكتاني، تصريح أبي علاء العراقي (ت 1183هـ) بالتواتر قال: ((وفي

[1] - الهيثمي، ابن حجر، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص: 6.

[2] - الهيثمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ج2، ص: 480.

[3] - ظ: المقدسي الحنبلي، مرعي بن يوسف، فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر، ص: 339.

[4] - البرزنجي، محمد بن رسول، الإشاعة لأشراط الساعة، ص: 175.

[5] - المصدر نفسه: ص: 215.

[6] - المصدر نفسه: ص: 345.

[7] - الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: 226.

تأليف لأبي العلاء إدریس بن محمد بن إدریس الحسین العراقي في المهدي هذا أن أحاديثه متواترة أو كادت، قال: وجزم بالأول غير واحد من الحُقَّاطِ الثَّقَادِ))^[1].

13 - وممن نصَّ على التواتر، السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم) (ت 1188هـ) ما نصّه: ((وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين العلماء حتى عدَّ من معتقداتهم... وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعدّدة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعهُ العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة))^[2].

14 - وللقاضي العلامة الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله المتوفى 1250هـ) رسالة سَمَّاهَا (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح)، قال فيها: ((والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك))^[3].

وقال أيضاً: ((فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة))^[4].

15 - الشبلنجي مؤمن بن حسن (ت بعد 1308هـ) صرَّح بأنّه: تواترت الأخبار عن النبي صلَّ على آلِهِ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم أن المهدي المنتظر، من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً^[5].

[1]- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: 226.

[2]- السفاريني، محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية (المعروفة بالعقيدة السفارينية): ج2، ص: 84.

[3]- نقله الكتاني، ينظر: الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: 227. وينظر: التويجري، حمود بن عبد الله، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، ص: 44. واستشهد بكلام الشوكاني أعلاه، على تواتر أحاديث المهدي المنتظر، محمد صديق القنوجي، في كتابه الإذاعة، ص: 150.

[4]- القنوجي، محمد صديق خان، الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، ص: 198.

[5]- ظ: الشبلنجي، مؤمن بن حسن بن مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلَّ على آلِهِ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم: ص: 351.

16 - القنوجي البخاري محمد صديق حسن (ت ١٣٠٧هـ) فقال في كتابه (الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة) في باب الفتن التي تعقبها الساعة: ((منها: المهدي الموعود المنتظر الفاطمي، وهو أولها، والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد))^[1].

وقال أيضاً بعدما نقل عدة أحاديث يستشهد بها: ((هذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي، وهي كما رأيت يقوِّي بعضها بعضاً... لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف إلا من لا يُعتدُّ بخلافه))^[2].

17 - قال التويجري (الشيخ العالم العلامة أبو عبد الله حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن المتوفى: 1413هـ) في كتابه (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر): إنَّ خروج المهدي في آخر الزمان من أمور الغيب، التي أخبر بها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وليس ذلك مجرد فكرة فإنَّ الأمور الغيبية لا تدرك بالأفكار، وإنَّما تُعلم بخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إنَّ هو إلا وحيُّ يوحى. فالإيمان بخروج المهدي في آخر الزمان داخلٌ في ضمن الإيمان بأنَّ محمداً رسول الله، ومن لم يؤمن بما ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ما جاء من أنباء الغيب، فلا شك أنه لم يحقق الشهادة بالرسالة. وإنَّ العقائد الصحيحة إنَّما تؤخذ من الكتاب والسنة، فكل ما جاء في الكتاب والسنة من أنباء الغيوب الماضية والآتية، فالإيمان به واجبٌ، ومن ذلك الإيمان بخروج المهدي في آخر الزمان، لأنَّه قد ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه أخبر بخروجه، فمن لم يؤمن بخروجه فهو مخالفٌ لعقيدة المسلمين^[3].

18 - الكتَّاني محمد بن جعفر، (المتوفى: 1340هـ) في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) حيث أورد الأحاديث ما يمكن إيرادها من الأحاديث المتواترة فأورد: تحت عنوان (خروج المهدي الموعود المنتظر الفاطمي) وذكر الصحابة الذين نقلوا الأحاديث والكتب والسنن التي خرَّجتها، واستشهد على التواتر بذكر أقوال العلماء الأبري، والسفارينى،

[1] - القنوجي، محمد صديق خان، الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: ص: 149.

[2] - القنوجي، محمد صديق خان، الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: ص: 181 - 182.

[3] - التويجري، حمود بن عبد الله، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ص: 26.

والسخاوي، والشوكاني، وأبي العلاء إدريس بن محمد العراقي، وابن حجر الهيتمي، وغيرهم وقال: بأنَّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرةٌ جداً تبلغ حد التواتر، فإنكارها مع ذلك مما لا ينبغي والأحاديث يشد بعضها بعضاً ويتقوى أمرها بالشواهد والمتابعات، والحاصل أنَّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترةٌ وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم^[1].

19 - ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ) قال في مقال في مجلة التمدن الإسلامي، عنوانه: (حول المهدي): ((وأما مسألة المهدي فليعلم أنَّ في خروجه أحاديثٌ كثيرةٌ صحيحةٌ، قسمٌ كبيرٌ منها له أسانيدٌ صحيحةٌ. وأنا موردٌ هنا أمثلةٌ منها، ثم معقباً ذلك بدفع شبهة الذين طعنوا فيها))^[2]، ثم ذكر أمثلةً من الأحاديث، ومن آراء العلماء بتواترها، ثم قال: ((والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرةٌ جداً تبلغ حدَّ التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد))^[3]، وبعد مناقشة لأقوال منكري الأحاديث ومحاولة الرد عليها قال: ((وخلاصة القول أنَّ عقيدة خروج المهدي عقيدةٌ ثابتةٌ متواترةٌ عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب))^[4].

[1]- ظ: الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص: 225 - 229.

[2]- الألباني، ناصر الدين، حول المهدي، مقالة منشورة في مجلة التمدن الإسلامي: عدد 22، ص: 640، دمشق.

[3]- لألباني، ناصر الدين، حول المهدي، مقالة منشورة في مجلة التمدن الإسلامي: عدد 22، ص: 641، دمشق.

[4]- المصدر نفسه: عدد 22، ص: 643.

سردُّ بأسماء الرواة والتخريج

أولاً: أسماء الذين رووا أحاديث المهديّ المنتظر، عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أهل بيت النبيّ والصحابة^[1]:

بحسب وفياتهم:

- 1 - فاطمة الزهراء عليها السلام (ت ١١ هـ)
- 2 - ومعاذ بن جبل (ت ١٨ هـ)
- 3 - وقتادة بن النعمان (ت ٢٣ هـ)
- 4 - وأبو ذر الغفاري (ت ٣٢ هـ)
- 5 - وعبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢ هـ)
- 6 - وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ)
- 7 - والعباس بن عبد المطلب (ت ٣٢ هـ)
- 8 - وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ)

[1]- ط: الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: 225 - 226. فقد ذكر عشرين صحابياً ممن رووا أحاديث المهديّ المنتظر، مع ذكر من خرج تلك الأحاديث من العلماء الأعلام.

وينظر: العباد، عبد المحسن بن حمد، عقيدة أهل السنة والأثر في المهديّ المنتظر، رسالة أو محاضرة، منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ص: 300، عدد: 3، السنة الأولى، شباط 1969م.

وينظر: كتاب المهديّ المنتظر في الفكر الإسلامي، تأليف: مركز الرسالة: ص: 31.

وينظر: المقدم، محمد إسماعيل، كتاب المهدي: ص: 66.

وينظر: أبو الفيض الغماري ابن الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص: 437 - 424.

- 9 - وسلمان الفارسي (ت ٣٥ أو ٣٦هـ)
- 10 - وطلحة بن عبد الله (ت ٣٦هـ)
- 11 - حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)
- 12 - عمار بن ياسر (استشهد سنة ٣٧هـ)
- 13 - والإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (استشهد سنة ٤٠هـ)
- 14 - والإمام الحسن السبط (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (استشهد سنة ٥٠هـ)
- 15 - وتميم الداري (ت ٥٠هـ)
- 16 - وعبد الرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ)
- 17 - ومجمع بن جارية (ت ٥٠هـ)
- 18 - عمران بن حصين (ت ٥٢هـ)
- 19 - وأبو أيوب الأنصاري (ت ٥٢هـ)
- 20 - وثوبان مولى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (ت ٥٤هـ)
- 21 - أم المؤمنين عائشة زوج النبي بنت أبي بكر (توفيت في أواخر سنة 57هـ أو أوائل 58هـ)
- 22 - وأبو هريرة (توفي في أواخر سنة 57هـ أو أوائل 58هـ)
- 23 - والإمام الحسين السبط الشهيد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (استشهد سنة ٦١هـ)
- 24 - أم المؤمنين أم سلمة (ت ٦٢هـ)
- 25 - وعلقمة بن قيس بن عبد الله (ت ٦٢هـ)
- 26 - وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ)

- 27 - وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)
- 28 - وزيد بن أرقم (ت ٦٨هـ)
- 29 - وعوف بن مالك (ت ٧٣هـ)
- 30 - وعبد الله بن عمر بن الخطاب (ت 73 وقيل 74هـ)
- 31 - وأبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)
- 32 - وجابر بن سمرة (ت ٤٧هـ)
- 33 - وجابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ)
- 34 - وعبد الله بن جعفر الطيار (ت ٨٠هـ)
- 35 - وأبو أمامة الباهلي (ت ٨١هـ)
- 36 - وبشر بن المنذر بن الجارود (ت ٨٣هـ) وقد اختلفوا فيه فقليل جدُّ الراوي الجارود بن عمرو (ت ٢٠هـ)
- 37 - وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي (ت ٨٦هـ)
- 38 - وسهل بن سعد الساعدي (ت ٩١هـ)
- 39 - أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)
- 40 - وأبو الطفيل (ت ١٠٠هـ)
- 41 - وغيرهم ممن لم أقف على تاريخ وفياتهم: أبو الجحاف.
- 42 - أبو سلمى راعي رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اسمه حريث.
- 43 - وأبو ليلى: عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري.
- 44 - وأبو وائل، شقيق بن سلمة الأسدي.

45 - وحذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوس بن الوقعة بن حرام بن غفار بن مليل، أبو صريحة الغفاري.

46 - وأبو قتادة الأنصاري، اسمه الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الأنصاري الخزرجي السلمي. فارس رسول الله صلّى الله عليه وآله عليه وآله وسلّم.

47 - وزر بن عبد الله، بن كليب الفقيمي.

48 - وعبد الله بن أبي أوفى، اسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمي.

49 - والعلاء بن الحضرمي، عبد الله بن ضمارة بن مالك.

50 - وعلي الهلالي.

51 - وقرّة بن إياس. بن هلال بن رباب المزني، جد إياس بن معاوية القاضي.

52 - وجابر بن ماجد الصديقي.

53 - وعمرو بن مرة الجهني أبو مريم الفلسطيني الأزدي^[1].

ثانياً: أسماء من خرج أحاديث المهدي المنتظر، وبعض من صرح بصحتها:

ما يدل على اهتمام جميع المسلمين بالقضية المهدوية، لا فئة معينة مختصة، وأنها

[1]- ظ: الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: 225 - 226. فقد ذكر عشرين صحابياً ممن رووا أحاديث المهدي المنتظر، مع ذكر من خرج تلك الأحاديث من العلماء الأعلام.

وينظر: العباد، عبد المحسن بن حمد، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، رسالة أو محاضرة، منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ص: 300، عدد: 3، السنة الأولى، شباط 1969م.

وينظر: كتاب المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، تأليف: مركز الرسالة: ص: 31.

وينظر: المقدم، محمد إسماعيل، كتاب المهدي، ص: 66.

وينظر: أبو الفيض الغماري ابن الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، ص: 437 - 424.

تشغل حيزاً واسعاً من الساحة الإيمانية والعقائدية، وليست هي من الأمور الثانوية ومن الترف الفكري أو الترف الحديثي - إن جاز التعبير - :

عبد الرزاق الصنعاني (ت 211هـ) في مصنفه.

نعيم بن حماد (ت 228هـ) في كتابه الفتن.

ابن أبي شيبه (ت 235هـ) في المصنف في الأحاديث والآثار.

أحمد بن حنبل (ت 241هـ) في المسند.

البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: 256هـ) في كتابه (التاريخ الكبير) وسيأتي لاحقاً بأنه خرج في صحيح البخاري، لكن بالوصف دون التصريح بالمهدي المنتظر.

ابن ماجه (ت 273هـ) في سننه.

أبو داود (ت 275هـ) في سننه.

الحارث بن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ) في مسنده (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث).

البخاري، أبو بكر أحمد بن عمرو (المتوفى: 292هـ) في مسنده (مسند البزار المشهور باسم البحر الزخار)

10 - الترمذي (ت 279هـ) قال عن ثلاثة أحاديث في الإمام المهدي: هذا حديث حسن صحيح. وقال عن حديث رابع: هذا حديث حسن.

11 - أبو يعلى الموصلي (ت 307هـ) في مسنده (مسند أبي يعلى).

12 - الحافظ أبو جعفر العقيلي (ت 322هـ) أورد حديثاً ضعيفاً في الإمام المهدي ثم قال: وفي المهدي أحاديث جياذ من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ.^[1]

13 - ابن حبان (ت 354هـ) في صحيحه.

[1] - العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير: ج3، ص: 253.

- 14 - أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) في المعجم الكبير.
- 15 - علي بن عمر الدارقطني (ت 385هـ) في كتابه (الأفراد).
- 16 - الخطابي البستي أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388هـ) في كتابه معالم السنن في شرح كتاب السنن.
- 17 - الحاكم النيسابوري (ت 405هـ) في (المستدرک علی الصحیحین) وكتاب (سؤالات مسعود بن علي السجزي) قال عن أربعة أحاديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعن ثلاثة أحاديث: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وعن ثمانية أحاديث: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 18 - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) في كتبه: (الأربعون) و(دلائل النبوة) و(حلية الأولياء) و(تاريخ أصبهان).
- 19 - أبو عمرو الداني (ت 444هـ) في (السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها).
- 20 - البيهقي (ت 458هـ) في كتابه (دلائل النبوة).
- 21 - الخطيب البغدادي (ت 463هـ) في (تاريخ بغداد) وكتاب (تلخيص المتشابه في الرسم).
- 22 - الديلمي، الحافظ شيرويه بن شهردار (ت 509هـ) في كتابه (فردوس الأخبار).
- 23 - البغوي (ت 516هـ) في مصابيح السنة، أخرج حديثاً في المهدي في فصل الصحاح، وخمسة أحاديث فيه أيضاً في فصل الحسان من كتابه (مصابيح السنة).
- 24 - ابن الأثير الجزري (ت 606هـ) في كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول).
- 25 - محيي الدين بن عربي (ت 638هـ) في (الفتوحات المكية).
- 26 - محمد بن طلحة الشافعي (ت 652هـ) في كتابه (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول).

- 27 - ابن الجوزي شمس الدين الحنفي (ت 654هـ) في كتابه (تذكرة الخواص).
- 28 - الحافظ المنذري الشافعي عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656) في كتابه (مختصر سنن أبي داود).
- 29 - الكنجي الشافعي أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت 658هـ) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان عَلِيَّهِ السَّلَامُ). قال عن حديثٍ أخرجه الترمذي وصححه في المهدي المنتظر: هذا حديثٌ صحيحٌ، وعن آخر مثله، وقال عن حديث: (المهدي مني أجلى الجبهة): هذا الحديث ثابتٌ حسنٌ صحيحٌ، وقال عن حديث: (المهدي حقٌ وهو من ولد فاطمة): هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
- 30 - يوسف بن يحيى السلمي الشافعي (ت بعد 658هـ) في كتابه (عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر)
- 31 - القرطبي المالكي (ت 6٧١هـ) في كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) وهو من القائلين بالتواتر. كما تقدم، وإنه قال عن حديث ابن ماجه في المهدي: إسناده صحيح مصرحاً بأن حديث: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) هو أصح من حديث محمد بن خالد الجندي.
- 32 - الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي (ت 694هـ) في كتابه (ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى).
- 33 - ابن تيمية الحراني (ت 728هـ) في كتابه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) في معرض رده على أحد العلماء قال: ((فصلٌ: وأما الحديث الذي رواه عن ابن عمر عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته كنييتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذلك هو المهدي) فالجواب: أنَّ الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره))^[1].

[1] - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: ج8، ص: 254.

34 - المحدث الكبير إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني (ت 732هـ) في كتابه (فرائد السمطين).

35 - الشيخ محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي (ت 741هـ) في كتابه (مشكاة المصابيح) بتحقيق الألباني.

36 - الحافظ الذهبي (ت 748هـ) في كتاب (تلخيص المستدرک علی الصحیحین) سکت عن جمیع ما صححه الحاکم فی مستدرکه من أحادیث المهدي مصرحاً بصحة حديثين، وسكوته قد يكون إشارة إلى موافقته لما صححه الحاکم؛ لأنه كثيراً ما يعلق ويردُّ الأحاديث إذا لم يوافق التصحيح.

37 - الحافظ ابن القيم الجوزية (ت 751هـ) في كتاب (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) اعترف بحسن بعض أحاديث المهدي وصحة بعضها الآخر بعد أن أورد جملة منها، وابن القيم من القائلين بتواترها.

38 - ابن كثير (ت 774هـ) في كتاب (النهاية أو الفتن والملاحم) قال عن سند حديث: وهذا إسناد قوي صحيح، ثم نقل حديثاً عن ابن ماجه وقال: وهذا حديث حسن.

39 - التفتازاني، سعد الدين (ت 793هـ) في كتاب (شرح المقاصد) قال: ((مما يلحق بباب الإمامة بحث خروج المهدي ونزول عيسى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهما من أشراط الساعة وقد وردت في هذا الباب أخبار صحاح))^[1].

40 - الهيثمي نور الدين (ت 807هـ) في كتاب (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وكتاب (موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان) أورد جملة من الأحاديث في المهدي واعترف بصحتها ووثاقة رواتها.

41 - نور الدين علي بن محمد المعروف (ابن الصباغ المالكي) في كتابه (الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام).

[1] - التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد في علم الكلام: ج 2، ص: 307.

- 42 - السيوطي جلال الدين (ت ٩١١هـ) في كتاب (العرف الوردي في أخبار المهدي) رمز لبعض الأحاديث الواردة في المهدي بعلامة (صح) أي: صحيحٌ، ول بعضها الآخر بعلامة (ح) أي: حسنٌ.
- 43 - عبد الوهاب الشعراني (ت 973هـ) في كتاب (اليواقيت والجواهر).
- 44 - ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ) في كتبه: (الصواعق المحرقة) و(الفتاوى الحديثية) و(القول المختصر في علامات المهدي المنتظر).
- 45 - المتقي الهندي (ت 975هـ) في كتاب (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) وكتابه (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان).
- 46 - المناوي (ت 1031هـ) في (فيض القدير).
- 47 - البرزنجي، محمد رسول (ت ١١٠٣هـ) في كتابه (الإشاعة لأشراط الساعة).
- 48 - الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في رسالة سَمَّأها (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح).
- 49 - القندوزي الحنفي (ت 1270هـ) في (ينابيع المودة).
- 50 - القنوجي البخاري محمد صديق حسن (ت ١٣٠٧هـ) في كتابه (الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة).
- فهذه بعض النماذج للذين خرَّجوا، أوردتها فقط للتعرف على مدى اهتمام علماء المسلمين بهذه المفردة الإيمانية العقديّة، وإلا فإنَّ إحصاءهم يفوق هذا العدد بكثير. والإيمان بما ورد من صحة تلك الأحاديث والعمل بها واجبٌ دينيٌّ وشرعيٌّ، بما تضمنته الآية القرآنية ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^[1] من الأخذ وإطاعة الرسول الأكرم وتطبيق التعاليم القرآنيّة والحديثية على حدٍّ سواء.
- وهناك قائمةٌ أخرى بأسماء من احتج بأحاديث المهدي المنتظر، في مقابل من أنكروها،

وهناك قائمة طويلة للذين أفردوا مسألة المهدي بالتأليف من العلماء^[1]، وقائمة أخرى وأخرى بالمؤلفات التي كتبت في ذات الشأن من العلماء كافة، عدّها السيوطي إلى تسعة عشر بعد المائة.^[2] وهناك قائمة طويلة بنصوص أهل العلم والعلماء الأعلام في إثبات حقيقة المهدي الموعود المنتظر^[3].

وهناك آثارٌ صحيحة كثيرة مع الأحاديث المتقدمة الذكر، نقلتها المصنفات المعتمدة،^[4] لكن المقام لا يسع، فيكتفى هنا بما تقدم من الأحاديث بشواهدا ومتابعاتها وعدد وتنوع من خرّجها من العلماء الأعلام.

وهناك الأحاديث والآثار في الإمام المهدي المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ، التي جاءت عن طريق أهل بيت النبي والسلسلة الذهبية لأئمة الهدى المتصلة بالرسول الأكرم، بقولهم: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، إلى أن يصل سنده إلى النبي الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). حيث جاء في الكافي الشريف بإسناده: ((... سمعنا أبا عبدالله [الصادق] عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وحديث رسول الله قول الله عز وجل))^[5].

[1] - للمزيد يراجع: العباد، عبد المحسن بن حمد، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، رسالة أو محاضرة، منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ص 300، العدد 3، السنة الأولى، شباط 1969م.

ويراجع: المقدم، محمد إسماعيل، كتاب المهدي، ص: 70 - 78. فقد عدّ العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي المنتظر إلى سبعة وستين وغيرهم كثير. وعدّ الأسماء الذين أفردوا هذا الموضوع بالتصنيف إلى عشرين من العلماء.

يراجع كتاب البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، ص 47 - 59. فقد عدّ العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي المنتظر إلى ثلاثة وعشرين عالماً من الأعلام.

[2] - ظ: السيوطي، جلال الدين، العرف الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي، ص 188 - 200.

[3] - ظ: المقدم، محمد إسماعيل، كتاب المهدي: ص 81 - 96.

[4] - يراجع كتاب البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص 343 - 352.

[5] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الاصول من الكافي: ج 1، ص 53. باب: رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب. كتاب: فضل العلم.

بعد هذا العرض لأحاديث المهدي المنتظر وصحتها وتواترها، وإن كان عرضاً مجملاً، إلا أنه وافٍ بحد ذاته، فتفصيله يحتاج إلى عدة مجلدات، فبعد هذا العرض يثبت زيف آراء المستشرقين التي تحاول إثبات إنكار هذه الحقيقة الناصعة وجعلها ظلاماً دامساً لا يباض فيه، عندما يقول أحدهم وهو غولدتسيهر ليصور هذه العقيدة مجرد أحلام وآمال واهية بقوله: ((على أنه قد تبين أن الاحتكام إلى الله أو ترك الأمر لله الذي كان يتمثل في اللعنات التي كان يصبها الأتقياء والمتدمرون على الأمويين، وكان من الأسلحة التي لا تجدي فتياً. على أنه مهما يكن، فقد كانوا يرون أن ما أذن الله به أن يكون، لا يمكن أن يعترض عليه الإنسان، وإذا فلا يسع المرء إلا أن يضع رجاءه في الله الذي سيحكم يوماً ما العالم المليء بالمظالم والآثام. وتلك هي الآمال الصامتة التي خرجت منها فكرة المهدي، التي وفقت بين الواقع والمثل الأعلى، وبدأ على أثرها الاعتقاد الراسخ في ظهور حاكمٍ إلهيٍّ يوجهه الله توجيهاً حسناً)).^[1]

وكذلك نجد (فلوتن) يعزو ذلك إلى تأثير الروح والشخصية الشرقية، ومدى الدور الذي يحتله عامل التنبؤ والتنجيم، وبكل ما له علاقة باستكشاف الغيب والمستقبل المجهول؛ لذا كان الاعتقاد بالمخلص والمنقذ موائماً لتلك الطبيعة، الصادرة عن الجهل واللاوعي.^[2] وهذا بالحقيقة يعدُّ نوعاً من الإسقاط النفسي على قراءة وتصور الأحداث التاريخية.

ومما يكشف ضحالة ما يُصوِّره المستشرقون للعالم، ما يسمى (بالمنهج العلمي) الذي يعتمدونه، والذي يعدُّونه لا نظير له في دراساتهم، عندما يعزو أحدهم مثلاً أغلب الأحداث الإسلامية إلى مجرد تنبؤات، وقد صدقت بالفعل من باب المصادفة قد تكون ليس إلا، بقوله: فأكثر الأحداث والمعلومات هي عبارة عن تنبؤات متناثرة، كرجلٍ من ثقيف وهو الحجاج، ومقتل رجلٍ يستحل حرمة الكعبة وهو زيد حفيد الحسين، ومعظم أصحاب هذه التنبؤات كانوا في الأصل على اليهودية أو المسيحية، أو اقتبسوها عن اليهود والمسيحيين،

صحح الحديث الشيخ الماحوزي، قال: سنده حسن رجاله ثقات أجلاء، سوى سهل بن زياد، لكنه من الأجلاء المعتمدين وقد روى عنه الأعظم، وهو ممن يرغب عن الرواية عن يروي عن الضعفاء فضلاً عن الضعفاء، على أن الحديث مأخوذ من كتب هشام بن سالم وحماد بن عثمان، وأسانيد الطائفة إليهما صحيحة معتمدة. ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 55.

[1] - تسيهر، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 74.

[2] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ص 97.

كما تنبأ يهوديُّ (رأس الجالوت) بموت الحسين حفيد الرسول، وأنَّ المهدي الموعود إحدى تلك التنبؤات المهمة التي قد تتحقق أو لا.^[1]

في الواقع الأحداث التي أُطلق عليها «تنبؤات»، لا يوجد لها مصدرٌ أساساً، بل هي من نسج خياله، نعم توجد علاماتٌ قبل ظهور المهدي المنتظر إلا أنها تختلف عمّا ذكره المستشرق، ويُذكر أنَّ الاختلاف بين طوائف المسلمين، حول طبيعة شخصية المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهل أنه غائبٌ الآن وسيظهر، أو أنه سيولد في ما بعد، لا يؤثر في حقيقة الإيمان بالإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبأصل العقيدة الإيمانية المهدوية، وهناك إجاباتٌ في مبحثٍ لاحقٍ على بعض هذه الإشكالات.

[1] - ظ: المصدر نفسه: ص98 وما بعدها.

3 المبحث الثالث

إشكاليّتان حول أحاديث المهدي المنتظر

المطلب الأول

المستشرقون وإشكالية عدم ذكر المهدي المنتظر في صحيح البخاري ومسلم

بعد أن حاول بعض المستشرقين إنكار وإلغاء حقيقة اعتقاد المسلمين بخروج مهديّ في آخر الزمان يقيم العدل والقسط، عن طريق إثارة شبهة أنّ خبره لم يرد ذكره في الأحاديث الصحيحة المعتمدة، أو أنّ خبره ذُكر، لكن في أحاديثٍ موضوعةٍ مختلقةٍ، وقد ثبت غير ذلك بوجهٍ قاطعٍ كما هو سالفٌ.

هنا حاول بعض آخرٍ منهم، أن يقول بأنّ الأحاديث وإن وُجدت، إلا أنها لم تُذكر في الكتب الرصينة المعتمدة والشديدة في تحري الصحيح منها، كما قال غولدتسيهر، وقد تكون إشارةً منه إلى صحيحَي مسلم والبخاري، بأنّهما لم يُصرّح فيهما بذكر المهدي المنتظر بوجه الخصوص عندما يقول: ((وقد خاض الحديث في موضوع هذه العقيدة التي كثر نقاش المسلمين فيها، ونُسبت للرسول أحاديثٌ صوّر فيها على وجه الدقة الصفات الشخصية التي يتصف بها منقذ العالم الذي وعد به في آخر الزمان. على أنها [الأحاديث] لم تجد في الحقيقة منفذاً تتسرب منه إلى مصنفات الحديث الصحيحة المتشددة في ضبط الرواية، ولكن أخرجتها الكتب الأخرى التي كانت أقل تشدداً في صحة تخريج الأحاديث)).^[1]

تحرير محل الإشكال:

محل الإشكال، هو أنّ كلّ قضيةٍ إيمانيةٍ، عقديّةٍ كانت أو حتى فقهيةٍ لم تُذكر في الصحيحين، أو كل حديثٍ لم يُذكر فيهما، تكون تلك المفردة وذلك الحديث محل نظرٍ وشكٍّ ويجب التوقف عندها.

[1] - غولدتسيهر، إغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 195.

فيكون معنى قول المُشكِل (المستشرق): ما دامت أحاديث المهدي المنتظر، لم ترد ولم تُذكر في الصحيحين المزبورين، يكون العمل بها غير ملزم وغير صحيح ولا تنعقد عليها أي آثار عقديّة وعملية، حتى وإن وجدت في مصنفات حديثية غيرها. وهذا - أي عدم وجود ذكر لها في الصحيحين - مما يدل على عدم صحة تلك الأحاديث عند البخاري ومسلم.

الجواب:

لا يمكن أن يصح ذلك، إذا عُممت هذه القاعدة، لأنه سوف تتعطل كثيرٌ من الأحكام، وسوف تدرس كثير من المسائل الإيمانية والعقدية، إذ إنها لم يرد ذكرها في صحيحي البخاري ومسلم؛ مع أن الواقع العملي يؤكد غير ذلك، وهو أن كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة لم تذكر في صحيح البخاري، وقد عمل بها المسلمون لثبوت صحتها، لأن ما في كتب الحديث الأخرى، ليس كله موضوعاً أو مكذوباً، وفيها كثيرٌ من الأحاديث الصحيحة، وإن لم يخرجها البخاري ومسلم، وإن هذا القصور سيلغي أحاديث كثيرةً مشتهرةً في كتب الحديث، والتي دُرست واعتمِدت لدى العلماء الأعلام، وسيأتي ذكره لاحقاً.

والملفت للنظر، هو أن مؤلف الصحيح نفسه قد عنوانه (بالجامع المختصر) يعني أنه غير موسّع، فلم يجمع فيه كل ما ورد في الشريعة. وقد أجاب بعض العلماء عن هذه الشبهة وهذا الإشكال وأفادوا وتوسعوا بالجواب:

أولاً: عدم إيراد الحديث في الصحيحين، ليس دليلاً على ضعفه عند الشيخين البخاري ومسلم، لأنه لم ينقل عنهما أنهما استوعبا كلَّ الصحيح في صحيحيهما وإنما جاء عنهما التصريح بخلاف ذلك فقد روي عن البخاري أنه قال: (ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح لحال الطول) وروي عن مسلم أنه قال: (ليس كلُّ شيءٍ عندي صحيحٌ وضعته ها هنا وإنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه)، وأنه جاء عن البخاري أنه قال: (أحفظ مائة ألف حديث صحيحٍ ومائتي ألف حديثٍ غير صحيحٍ) مع أن جملة ما في صحيحه من الأحاديث المسندة إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بما في ذلك الأحاديث المعلقة^[1] لا تبلغ عشرة آلاف حديث.^[2] وقد جاء في تعريف الحديث المعلق:

[1]- مصطلحٌ حديثيٌّ، ((الحَدِيثُ الْمُعَلَّقُ: فهو ما حذف من مبدأ إسناده واحداً فأكثرُ على التوالي)) الصالح، د. صبحي إبراهيم، علوم الحديث ومصطلحه: ص 224.

[2] - ظ: العباد، عبد المحسن بن حمد، كتاب الرد على من كذَّب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وأصل

((الذي حُذِف من مبتدأ إسناده واحدٌ أو أكثرٌ، وأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري، وهو في كتاب مسلم قليلٌ جداً)).^[1]

ثانياً: أنَّ الصحيح من الحديث كما أنه موجودٌ في الصحيحين، فهو موجودٌ خارجهما في الكتب المؤلفة في الحديث النبوي مثل: سنن أبي داود وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني وموطأ مالك وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم والبيهقي وغيرها، وهو أمرٌ واضحٌ غايةً الوضوح.

ثالثاً: أنَّ المقبول من الحديث عند المحدثين أربعةٌ أنواعٍ هي الصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته، والحسن لغيره؛ ومعلوم أنَّ الحديث الصحيح موجودٌ في الصحيحين وفي غيرهما أما الحسن فوجوده في غير الصحيحين.^[2]

رابعاً: أنَّ العلماء قسّموا الصحيح على سبع مراتب، مُرتبةً حسب القوة على النحو التالي:

- 1 - صحيحٌ اتفق على إخراجه البخاري ومسلم.
- 2 - صحيحٌ انفرد بإخراجه البخاري عن مسلم.
- 3 - صحيحٌ انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري.
- 4 - صحيحٌ على شرطهما معاً ولم يخرجاه.
- 5 - صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه.
- 6 - صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- 7 - صحيحٌ لم يخرجاه ولم يكن على شرطهما معاً ولا على شرط واحدٍ منهما.^[3]

الكتاب، رسالةٌ ومقالةٌ منشورةٌ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد 45، ص 302 - 304.

[1] - ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان، الشهرزوري، علوم الحديث لابن الصلاح، المعروف بمقدمة ابن الصلاح: ص 25.

[2] - ظ: العباد، عبد المحسن بن حمد، كتاب الرد على من كذّب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وأصل الكتاب، رسالةٌ ومقالةٌ منشورةٌ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد 45، ص 302 - 304.

[3] - ظ: العباد، عبد المحسن بن حمد، كتاب الرد على من كذّب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وأصل الكتاب، رسالةٌ ومقالةٌ منشورةٌ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد 45، ص 302 - 304.

وهذه المراتب السبع للصحيح، وليس في الصحيحين من هذه المراتب إلا الثلاث الأولى، أما الأربع الباقية فلا وجود لها إلا خارج الصحيحين. ولم يزل من دأب العلماء في جميع العصور، الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة، بل والحسنة الموجودة خارج الصحيحين والعمل بها مطلقاً، واعتبار ما دلت عليه دون إعراضٍ عنها أو تعرُّضٍ للحطِّ من شأنها والتقليل من قيمتها، ومن أمثلة ذلك في أمور الاعتقاد الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة، فإنَّه في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره وليس في الصحيحين ومع ذلك اعتقدت الأمة موجه بناءً على ذلك وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين اللذين يسألان الميت في قبره بمنكرٍ وكبيرٍ، لم يرد في الصحيحين وقد اعتقد موجه المسلمون جميعاً.^[1]

ومع كل هذا فإنَّ الصحيحين لم يخلوا من الأحاديث في هذا الشأن، فقد جاء فيهما وصفٌ للمهدي المنتظر، أو ذكر شأن من شؤونه، بما تفسره الأحاديث الصحيحة في المصنفات الأخرى، فإنَّ الأحاديث أيضاً يفسر بعضها بعضاً، كما هو حال القرآن الكريم، فإنَّ آياته يفسر بعضها بعضاً.

فجاء فيهما عن ((جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ)).^[2] وأيضاً جاء: ((أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)).^[3] فهنا وإن لم يصرح به باسم المهدي، إلا أنَّ الأحاديث الأخرى في التصانيف والسنن ذكرت اسم هذا الأمير الذي يصلي خلفه وهو (المهدي) فقد جاء في الحديث: ((يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرٌ بَعْضٍ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ)).^[4]

[1] - ظ: المصدر نفسه: ص 302 - 304.

[2] - صحيح مسلم: ج 1، ص 137، رقم الحديث: 156، كتاب الإيمان، باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةٍ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[3] - صحيح البخاري، ج 4، ص 168، رقم الحديث: 3449، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم. وكذا جاء في صحيح مسلم، ج 1، ص 136، رقم الحديث: 155، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[4] - ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص 147. وقد تم دراسة الحديث وتصحيحه سابقاً

وأيضاً جاء ما يدل على شأن من شؤون المهدي المنتظر، كالحسب في البيداء، ونزول عيسى، فجاء في الصحيحين: ((أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْبَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)).^[1] وقد جاءت الأخبار وقرأنا في ما صحَّ منها أن نزول عيسى ابن مريم مقارنٌ مع خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان، وكذلك قرأنا في الأحاديث أن المهدي المنتظر يقبض في زمانه المال ويحشي المال حشياً، فهذا الحديث ذكر شؤوناً تجري في زمان، أو على يد المهدي الموعود المنتظر.

وشأن آخر جاء في الصحيحين وهو الحسب بالبيداء، وكما هو المشهور من علامات خروج المهدي المنتظر، الحسب بجيش السفيناني الذي يقابله، كما ذكر ذلك الهيثمي، في (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) تحت باب (علامة خروجه أن يُخسف بالجيش بالبيداء) ويذكر أحاديث في ذلك.^[2] وعليه جاء في الصحيحين: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّمَ: يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِهِمْ...))^[3] قال القنوجي عن هذا الحديث مبيناً: ((ليس فيه أيضاً ذكر المهدي، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر، لما دلَّت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة)).^[4]

وهو الصحيح كذلك، لأنه إذا لم نحمل، ولم نفسر الأحاديث الواردة في صحيحي

في صفحة: 165.

[1] - صحيح البخاري، ج4، ص168، رقم الحديث: 3448. كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم. وكذا جاء في صحيح مسلم، بلفظ آخر: ((لَيُؤْمَنَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوْلِيَهُمْ أَخْرِهِمْ، ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ...)). ج: 4، ص 2209، رقم الحديث: 2883. كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الحسب بالجيش الذي يؤم البيت.

[2] - الهيثمي، ابن حجر، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص 11.

[3] - صحيح البخاري: ج3، ص65، رقم الحديث: 2118. كتاب البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق.

وكذا جاء في صحيح مسلم: ج4، ص 2209، رقم الحديث: 2883. كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الحسب بالجيش الذي يؤم البيت.

[4] - القنوجي، محمد صديق حسن، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ص 180.

البخاري ومسلم، إذا لم نفسرها بالمهدي المنتظر، فإنَّ هذا يجرُّنا إلى عدم تفسير جميع ما وردَ من أحاديث في الصحيحين وفي غيرهما من المصنفات التي لم تصرح باسم المهدي المنتظر، ألا نفسرها به، يعني تكون قائمةً ولا يمكن ضمُّها إلى تلك الأحاديث التي ذكرت اسم المهدي المنتظر صراحةً.

كانت هذه بعض الشواهد التي تعزز وتؤصل الاعتقاد بما ورد عن المهدي المنتظر، وإنَّ جاء ذكرُ بعضٍ منها سابقاً.

المستشرقون وإشكالية ابن خلدون

من الممرات التي سلكها المستشرقون في إنكار وتسفيه عقيدة المهدي المنتظر لدى المسلمين، ترديد ما أثاره بعض علماء المسلمين من تضعيف وتوهين لهذه الحقيقة الإيمانية، بتضعيف الأحاديث الواردة بهذا الشأن وعدم جدواها في نهوض تلك الحقيقة الإيمانية، ومن هؤلاء (ابن خلدون) (المتوفى: 808 هـ) في مقدمته، لما له من شهرة علمية وتاريخية في العالم الإسلامي، ومقدمته صارت مرجعاً مهماً لكثير من العلماء والباحثين في الشرق والغرب، فكتب أحد المستشرقين: ((وتستند الشهرة الخالدة لمقدمته، وهي المجلد الأول من تاريخه العالمي الكبير، إلى الإسهام الأساسي الذي قدمته للمعرفة، وإلى كشفها عن الدور الحيوي الذي تلعبه عوامل معينة مهمة في نشأة المجتمع الإنساني وتطوره. وقد نجح ابن خلدون في تقديم صورة عن مفهومه للحضارة الإسلامية ظلت بعد ذلك أساساً ومرجعاً نهائياً، واعتمد في ذلك على الفكر السياسي والفقهني السابقين، مع إدراك تامٍّ للاتجاهات والحقائق الأساسية اللازمة لفهم الحياة الفكرية الإسلامية في مجموعها)).^[1]

فقد حاول ابن خلدون بكل ما أوتي من أدوات علمية، تضعيف أحاديث العقيدة المهدوية، والمعروف عن منهج ابن خلدون أنه اتبع منهجاً عقلياً، وحاول التقليل من الروايات التي يصعب على العقل والحس تصديقها، لقربها من إخبار الغيب، أو التي تخالف المنطق العقلي وظهر منهجه هذا في نقده للرواية التاريخية.

لذا وجد المستشرقون ممرّاً سهلاً في الاستشهاد على مدعياتهم بتوهين الحقائق والعقائد الإسلامية ومنها، المفردة المهدوية، فالمستشرق روندلسن بعدما أرجع ظهور فكرة ((أنَّ من المحتمل جداً أنَّ الفشل الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل

[1] - روزنتال، فرانز، (الأدب): بحث ضمن كتاب: تراث الإسلام الجزء الثاني، لسلسلة عالم المعرفة: عدد: 234، لسنة 1998م، لعدة مؤلفين: ص 12.

والتساوي على زمن دولة الأمويين 41 - 132هـ كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمان ... وما هو جديرٌ بالنظر أن استعمال هذا المصطلح [المهدي المنتظر] سبق تدوين الحديث بنحو مائتي سنة، وهي فترةٌ كافيةٌ لتبلور فكرة المهدي واتخاذها شكلاً قطعياً^[1]، استشهد بابن خلدون إذ قال: ((وقد فندَّ ابن خلدون في مقدمته جميع الأحاديث الواردة بهذا الخصوص فأشار إلى عدم ورودها في صحيحي البخاري ومسلم، وأشار إلى أن الأحاديث الواردة في الترمذي وأبي داود مأخوذة عن عاصم، وعاصمٌ هذا في حديثه اضطرابٌ... وعلى هذا فبالنظر إلى عدم ذكر القرآن شيئاً عن المهدي وأن الأحاديث الواردة بشأنه كلها ضعيفةٌ أو مشكوكٌ بها فإن عقيدة المهدي لا تدخل في اعتقادات أهل السنة والجماعة)).^[2]

ومرةً أخرى مع المستشرق فلوتن عندما حاول نسف حقيقة خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان، بوصفها شيئاً من التنبؤات ليس إلا، والتي لا يمكن لها أن تتحقق، ودعم تفسيره هذا بما طرحه ابن خلدون: ((وقد خصص ابن خلدون في مقدمته) فصلين من أهم فصولها لدراسة هذا الموضوع، فكان المؤرخ الشرقي الوحيد الذي أدرك أهمية هذا التنبؤ، وأول من حمل عليه [على موضوع المهدي المنتظر] وأثبت بطلانه)).^[3]

أما المستشرق الفرنسي ماسي، فيدعم أيضاً رأيه وطرحه بما كتبه ابن خلدون في مقدمته المعروفة، ويقول أن الفكرة المهدوية، اتخذها الشيعة لمصلحة (عليّ) فحسب، والذي سيتحول (عليّ) عند الشيعة المتطرفين إلى إله، وسيصبح المهدي شيئاً فشيئاً لا عضواً في عائلة (محمد) بل عضواً في عائلة (عليّ)، وبوجه آخر فالإمام المختبئ أو حفيد (فاطمة) الفاطمي المنتظر هو الذي عرفه وذكره ابن خلدون بما يأتي: إنَّ الفاطمي هو المسيح ابن مريم.^[4] وهذا الكلام الذي يذكره المستشرق يشير بصورة واضحة ومتحاملة بدوافع تفسير سياسي أو لتأكيد صفة الخلاف السياسي الذي حدث في الإسلام ولتعزيز مشاعر الكره بين الفرق الإسلامية.

وقوله: (إنَّ الفاطمي هو المسيح ابن مريم) إشارةٌ منه إلى الحديث الذي رواه ابن ماجه

[1] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة، ص231.

[2] - المصدر نفسه: ص231.

[3] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ص97.

[4] - ظ: ماسيه، هنري، كتاب الإسلام، ص199.

(المتوفى: 273هـ) في سننه بسنده: ((... عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم قال: لا يزداد الأمر إلا شدةً، ولا الدنيا إلا إرباراً، ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم)).^[1] وهذا المقطع الأخير (لا المهدي إلا عيسى ابن مريم) يعني: أن المهدي، هو نفسه عيسى ابن مريم ولا غيرية بين الإثنين، وهذا يعارض تمام المعارضة مع ما تقدم من ذكر الأخبار الصحيحة، والمتواترة - على الأقل بالتواتر المعنوي - وقد ضعَّفه غير واحد من أرباب الحديث وأهل الفن.

فقال عنه المحقق الأرنؤوط مستنداً إلى كلام الذهبي قال: صحيحٌ لغيره، دون قوله: (ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم) فمنكرةٌ، وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لضعف محمد بن خالد الجندي، والحسن - وهو البصري - مدلسٌ وقد عَنَّ.

وقال الأبري: ومحمد بن خالد الجندي غيرٌ معروفٌ عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين، ويملاً الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى ابن مريم^[2]. ولمن أراد التفصيل، فقد ثبت بطلان هذا المقطع وهذه الزيادة من الحديث، بشرح وافٍ في كتاب (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) ومن ثمانية وجوه، منها باختصار:

بأنه كل من خرَّج هذا الحديث عن طريق محمد بن خالد الجندي، وهو متروكٌ ومنكرٌ الحديث، وكذابٌ وضاعٌ، وقال الحاكم بعد إخراجِه: إنما أخرجت هذا الحديث تعجباً لا محتجاً به.

وقد ظهر كذب محمد بن خالد الجندي، بورود الحديث مجرداً عن الزيادة المنكرة من

[1] - سنن ابن ماجه: ج5، ص165، رقم الحديث: 4039. أبواب الفتن: باب شدة الزمان.

وأخرجه: الحاكم (المتوفى: 405هـ) في المستدرک، ج4، 488، رقم الحديث: 8363. كتاب الفتن والملاحم. وسكت عنه الحاكم والذهبي ولم يعقبًا.

وأخرجه: الداني، (المتوفى: 444هـ) في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها: ج5، ص1075، رقم الحديث: 589. باب من قال: إن المهدي عيسى ابن مريم (عليه السلام).

وأخرجه: القضاعي (المتوفى: 454هـ) في مسند الشهاب: ج2، 68، رقم الحديث: 898.

[2] - ظ: الأبري، الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين، كتاب مناقب الشافعي: ص95.

غير طريقه، ولم تذكر فيه الزيادة الباطلة الشاذة، بل هي من صنعه وتلك عاداته.

مما يدل على بطلان هذا الخبر أو هذه الزيادة فيه، معارضته للتواتر المفيد للقطع فقد قرر علماء الأصول أنَّ من شرط قبول الخبر عدم مخالفته للنص القطعي على وجه لا يمكن الجمع بينهما بحال، فلا يمكن الجمع هنا بين هذا الحديث وبين تلك الأخبار، إذ لا تعارض بين متواترٍ وباطلٍ^[1].

وبالعودة إلى المستشرق هنري ماسبي، بقوله سابقاً أنَّ العقيدة المهدوية مقتبسة من فكرة المسيح المخلص، وقال بأنها موجودة في كل العصور الإسلامية، مستنداً لابن خلدون قال: ((وبالإجمال فإنَّ الفكرة المسيحية Messinique ظهرت في كل عصر في تاريخ الإسلام: فقد روى ابن خلدون مثلاً أنَّ أهالي الحلة (بلاد ما بين النهرين) كانوا يعتقدون برجة أحد العلويين... [يقصد المهدي المنتظر] وكانوا يأتون كل مساء بجواد مسروح إلى أمام بيته وينادونه باسمه. وفي أيام الصفويين الفرس في ما بعد كان هنالك جوادان يظنان على أهبة الاستعداد، واحدٌ لسيد الزمان والآخر للمسيح نائبه. وبالمستطاع ذكر أمثلة أخرى من هذا الاعتقاد قد استعمل كوسيلة للاشتراكية تارةً وللثيوقراطية تارةً أخرى)).^[2] ويعني بالاشتراكية تلك المعتقدات التي يعتقد بها المحرومون والذين يؤمنون بالخلاص من التسلط الطبقي، أما الثيوقراطية فعني إعطاء تسويغ لهيمنة طبقة رجال الدين للسيطرة على المجتمع وهذا التفسير محاولة أخرى للتشكيك بعقيدة المهدي المنتظر.

لكن ما رآه المستشرق روندلسن: أنَّ الاعتقاد العام عند الشيعة اليوم، وهو يتفق مع ما ذكره الأقدمون، بأنه غاب في سامراء إلا أنَّ ابن خلدون يرى أنه غاب في الحلة فيذكر ابن خلدون، بأنه عندما حُبس مع أمه دخلاً سرداباً أو حفرة في الدار التي سكنها أهلُ الحلة واختفى هناك وأنه سيظهر آخر الزمان^[3].

وهذا إشارةٌ منهم إلى ما رده ابن خلدون (المتوفى: 808هـ) في مقدمته بأنَّ: ((الإمامية

[1] - ظ: أبو الفيض العُمّاري، أحمد بن الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص 584 - 589. إذ فصل في دراسة طرق ورجال الحديث وبيّن اضطرابه والاختلاف عليه، وانقطاعه وانفراده ورواية بعض رجاله في الضعفاء.

[2] - ماسيه، هنري، كتاب الإسلام: ص 199 - 200.

[3] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 237.

ولا سيَّما الاثنا عشرية منهم يزعمون أنَّ الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبُونه المهدي دخل في سرداب بدارهم في الحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك، ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ويدعون له للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد^[1].

وهذه المحاولات يتشبث بها الاستشراق على أنه فكرٌ ماديٌّ لإثبات التفسير الأسطوري للتاريخ الإسلامي ومعطياته الإيمانية لمواجهة التحديات الخارجية. وهنا سيكون الرد على المستشرق ماسيٍّ بسهولة، وبلا عناء، لأن الكذب كان فاضحاً ومكشوفاً في الادعاء، لذا سيكون الرد سهلاً:

أولاً - أنهم لم ينقلوا هذه المسألة من المصادر الإمامية، باعتبار اختفاء الإمام المهدي المنتظر وغيبته من مختصات ومُتبنيات الإمامية، فكان لزاماً عليهم أن ينقلوا هذا المعتقد ممن يقول ويعتقد به، ولو نقلوا لما وقعوا في هذا الخطأ، وهذه المنهجية الخاطئة طالما ينزلق فيها المستشرقون عمداً أو بلا عمد، وهي قراءة الأحداث وتصورها والبناء عليها واستخراج وفهم واستنباط للنظريات والنتائج، في مسألة معينة تخص ديناً أو مذهباً معيناً، يقرأها عند الدين الآخر أو المذهب الآخر، ولا يقرؤها من المصادر التي تتبنى تلك المفردة العقيدية أو التاريخية.

ثانياً - وإنَّ المعروف والمشهور، الذي لا يختلف عليه اثنان، بأنَّ ولادة واختفاء المهدي المنتظر بحسب اعتقاد ومصادر الإمامية، كان في مدينة سامراء لا غيرها أبداً. وهذا ما تسالم عليه المؤلف والمخالف كما يعبرون.

ثالثاً - أنَّ مدينة الحلة أُنشئت سنة 495هـ وكان أول من عمَّرها ونزلها، سيف الدولة (صدقة ابن منصور الأسدي) وكانت أجمّة قصب تأوي إليها السباع، فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة.^[2] ومن الثابت أنَّ ولادة الإمام المنتظر (عليه السلام)

[1] - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي، كتاب مقدمة ابن خلدون: ص 94.

[2] - ظ: الحلبي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، ص 31.

سنة 255هـ وغيبته سنة 260هـ، يعني مدينة الحلة لم تكن ولم تنشأ بعد، فكيف ينتظره أتباعه في سرداب اختفى فيه بالحلة، وهي لم تكن موجودة أصلاً حين غيبته أو اختفائه. وهذا إنمّا يدل على شيء، هو ((لا علم لهم باختفاء الإمام الثاني عشر ولا بإنشاء مدينة الحلة، وما قالوه عن الإمام الثاني عشر من أنه اختفى في الحلة، التي لم تكن موجودة آنذ، أي سنة 260 للهجرة وإنمّا أنشأها (صدقة بن منصور المزيدي) في سنة 495هـ)).^[1]

وإنّ هذا السرداب الموجود حالياً في مدينة سامراء، ثبت تاريخياً لدى الإمامية، بأنّه آخر مكان رآوا الإمام فيه، وغاب منه عن أنظار الأعداء الذين كانوا يطلبونه، وبعدها بدأت الغيبة الصغرى التي تخلّلتها سفراء الإمام المهدي الأربعة، وليس هو المكان الذي اختفى في داخله ولم يخرج منه وموجود فيه الآن، لا ليس الأمر كذلك، والواقع العملي يصدّق ذلك، فأنا بنفسى ذهبت إلى هذا السرداب في مدينة سامراء وتأكّدت بنفسى، حتى إنه مفتوحٌ وليس فيه بابٌ يُغلق، ولا أحدٌ بداخله، فماذا يؤمن ويصدق الإنسان؟ بالبدهيّات، ومن ضمنها المشاهدات الحسيّة، أم باجترارِ قراءة الأحداث التاريخية لأشخاصٍ يزعمون المنهج العلمي؟!.

وعوداً على بدءٍ في مناقشة بعض المستشرقين في اعتمادهم على تضعيف ابن خلدون لأغلب الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر، فقد ردّ علماء المسلمين وتعقبوا كلماته وتضعيفاته، كلمةً كلمةً، وحديثاً حديثاً، بما يكفي ذكره للرد على المستشرقين في إنكار وإلغاء حقيقة العقيدة المهديّة، بتعكّزهم على أقوال ابن خلدون، فقال الكتّاني: وتتبع ابن خلدون في مقدمته طرق أحاديث خروجه مستوعباً لها على حسب وسعه، فلم تسلّم له من علة، لكن ردوا عليه بأنّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرةٌ جداً تبلغ حد التواتر. وذكر الكتّاني في معرض ردّه عددٌ من خرّج الأحاديث، ثم أردف قولاً: ولولا مخافة التطويل لأوردت ها هنا ما وقفت عليه من أحاديثه لأنني رأيت كثيراً من الناس في هذا الوقت يشككون في أمره ويقولون يا ترى هل أحاديثه قطعيّةٌ أو لا، وكثيرٌ منهم يقف مع كلام ابن خلدون ويعتمده مع أنّه ليس من أهل هذا الميدان، والحق الرجوع في كل فنٍّ لأربابه، والعلم لله تبارك وتعالى.^[2]

وقال الألباني في معرض تصحيحه لأحد أحاديث المهدي المنتظر في سلسلته الصحيحة،

[1] - علي، د. جواد، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية، ص 10، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه من جامعة هامبورغ عام 1939م، ترجمها عن الألمانية: أبو العيد دودو.

[2] - ظ: الكتّاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص 227 - 228.

رداً على ابن خلدون: ((ولذلك لم يتمكن ابن خلدون من تضعيفه، مع شططه في تضعيف أكثر أحاديث المهدي بل أقرَّ الحاكم على تصحيحه لهذه الطريق والطريق الآتية، فمن نَسَبَ إليه [أي إلى ابن خلدون] أنه ضَعَّفَ كل أحاديث المهدي فقد كذب عليه سهواً أو عمداً)).^[1] مع العلم أنَّ ابن خلدون لم يضعفها قاطبةً، فقال بالأخير: فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان. وهي كما رأيت لم يخلُص منها من النقد إلا القليل والأقل منه.^[2] فاستثنى منها أحاديث صحاحاً.

وهناك ردٌّ آخرٌ في تصحيح حديث من جملة ما ضَعَّفَه ابن خلدون (لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي) قال المحقق أحمد محمد شاكر: إسناده صحيحٌ، ومن صحته أنه على شرط الشيخين، ثم قال: وطرق حديث عاصم عن زر عن عبد الله، كلها صحيحةٌ^[3] إلى أن قال: ((أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علمٌ، واقتحم قحماً لم يكن من رجالها، وغلبه ما شغله من السياسة وأمور الدولة وخدمة من كان يخدم من الملوك والأمراء، فأوهم أنَّ شأن المهدي عقيدةٌ شيعيةٌ أو أوهمتُه نفسه ذلك، فعقد في مقدمته المشهورة فصلاً طويلاً، جعل عنوانه: (فصل في أمر الفاطمي، وما يذهب إليه الناس في شأنه، وكشف الغطاء عن ذلك) تهافتَ في هذا الفصل تهافتاً عجيباً، وغلط فيه أغلاطاً واضحة ... إنَّ ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين: (الجرح مقدّم على التعديل) ولو اطَّلَعَ على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال، وقد يكون قرأ وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه من الرأي السياسي في عصره)).^[4]

وقد ردَّ الشيخ التويجري، تضعيف ابن خلدون وتوسع في ذلك، لأن عنوان كتابه أصلاً قد أُعدَّ لهذا الشأن، فكان عنوانه: (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر) فقال: ((ابن خلدون قد ضَعَّفَ أحاديثَ صحيحة لا مطعن فيها، وقد صححها كثيرٌ من أكابر العلماء ممن لا يدانيهم ابن خلدون في نقد الأحاديث ومعرفة صحيحها من ضعيفها فضلاً عن أن يساويهم)).^[5]

[1] - الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ج4، ص 40، صحيحة رقم: 1529.

[2] - ظ: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي، كتاب مقدمة ابن خلدون: ص94.

[3] - ظ: مسند أحمد، بتحقيق أحمد محمد شاكر: ج3، ص 491، تعليقا من المحقق في هامش رقم الحديث: 3571.

[4] - مسند أحمد، بتحقيق أحمد محمد شاكر: ج3، ص 491، تعليقا من المحقق في هامش رقم الحديث: 3571.

[5] - التويجري، حمود بن عبد الله، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ص204.

وأيضاً ممن ناقش وردّ تضعيفات ابن خلدون ردّاً عنيفاً، الشيخ عبد المحسن العباد، وعنوان كتابه يفني بالعرض (الرد على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) حيث قال: ((أنّ ابن خلدون مؤرّخٌ وليس من رجال الحديث فلا يُعتدُّ به في التصحيح والتضعيف وإنّما الاعتداد بذلك بمثل البيهقي والعقيلي والخطابي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أهل الرواية والدراية الذين قالوا بصحة كثيرٍ من أحاديث المهدي فالذي يرجع في ذلك إلى ابن خلدون كالذي يقصد الساقية ويترك البحور الزاخرة وعمل ابن خلدون في نقد الأحاديث أشبه ما يكون بعمل المتطبب إذا خالف الأطباء الحذاق المهرة))^[1].

ولمن أراد التفصيل والاستزادة أكثر، فقد تتبع الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، كلام ابن خلدون، ونقده وتناول كلّ حديث ضعّفه ابن خلدون، فأثبت الشيخ الغماري صحّته أو حسنه، وذكر له شاهداً أو متابعاً، وردّ عليه ردّاً علمياً موسعاً يغني كلّ باحثٍ ومتتبعٍ في كتابه (إبراز الوهم المكنون في الرد على ابن خلدون) إلى أنّ استفد كل الأحاديث قال: ((أقول ادعائه [أي ابن خلدون] استيفاء أخبار المهدي باطلٌ فإنّ جميع ما ذكره من الأحاديث ثمانية وعشرون [وإذا طرحنا أربعة أحاديث منها صحح إسنادها ابن خلدون، يبقى أربعة وعشرون فقط] والوارد في الباب ضعّف أضعاف ذلك وها أنا مورّدٌ من أخباره ما أكمل به المائة من مرفوعات وموقوفات دون المقطوعات، إذ لو تتبعنا خصوصاً الوارد عن أهل البيت لأتيت منها بعددٍ كبيرٍ وقدرٍ غير يسيرٍ مما ينبغي أن يفرد بالتأليف))^[2].

وأخيراً قال الألباني بعد ذكره وتصحيحه لأحاديث المهدي المنتظر: ((وقد أخطأ ابن خلدون خطأً واضحاً، إذ ضعّف أحاديث المهديّ جُلّها، ولا غرابة في ذلك، فإنّ الحديث ليس من صناعته. والحق أنّ الأحاديث الواردة في المهدي فيها الصحيح والحسن، وفيها الضعيف والموضوع، وتمييز ذلك ليس سهلاً إلا على المتضلع في علم السنّة ومصطلح الحديث، فلا تعباً بكلام من يتكلم فيما لا علم له به))^[3].

[1] - العباد، عبد المحسن بن حمد، كتاب: الرد على من كذّب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وأصل الكتاب، رسالة ومقالة منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد 45، ص 307.

[2] - أبو الفيض الغماري، أحمد بن الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص 562.

ولمن أراد التفصيل مراجعة كتاب المهدي، لمحمد إسماعيل المقدم: الصفحات 159 - 165.

وكذلك كتاب: المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، تأليف: مركز الرسالة: الصفحات 145 - 158.

[3] - الألباني، محمد ناصر الدين، تخريج أحاديث فضائل الشام: ص 45.

الفصل الرابع

أهم شبهات المستشرقين حول
الأطروحة المهدويّة
عرضاً ونقداً وتحليلاً

المهدي المتظن

3 المبحث الأول

شبهة التأثر بالديانات الأخرى

إنكار المستشرقين للعقيدة المهدوية، امتد إلى أن جعلوها متأثرة بل مقتبسةً بأجمعها من الديانات السابقة في العصور والأزمنة التي خلت قبل الإسلام وهذه الشبهة ليست جديدةً وليست منحصرةً بالعقيدة المهدوية، فإنهم من قبل قالوا أن الإسلام والرسالة والقرآن أصلها من الديانتين اليهودية والمسيحية، وأن القرآن من تأليف نبي الإسلام محمد نفسه، وهي ذاتها الشبهة التي أثارها المشركون وقت إعلان النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِنَبُوته وللوحي القرآني، وقولهم بأنه كان يعلمه أحد النصارى في مكة، وقد رد عليهم القرآن مباشرةً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^[1] إذا هي فريةٌ وشبهةٌ ليست بالجديدة، فلا غرابة في أن يشكلوا على الأطروحة المهدوية بقولهم أنها مقتبسةٌ ومتأثرةٌ بالديانات القديمة السابقة على الإسلام.

وهذا السبيل ما دأب عليه المستشرقون، لأنه سهل المؤونة بإرجاع كل ما في الإسلام إلى الديانات السابقة عليه ولا سيما المسيحية واليهودية، وقد يكون السبب في ذلك أن هدف ومهمة المهدي المنتظر والسيد المسيح باتجاه واحد، كما قال المستشرق كولن تيرنر: ((إن دور المهدي الذي يشبه دور المسيح له كبير الأثر في الشيعة^[2] الذين يجدون الراحة والقوة في الاعتقاد بأنه يوماً ما سيخفي الطغيان والقمع من على وجه الأرض)).^[3]

حتى صار هذا الأمر كأنه من المسلّمات الواضحات فقال قائلهم: ((من الواضح أن هذه

[1] - النحل: 103.

[2]- مرة ثانية وثالثة ورابعة، أريد أن أؤكد بأن المشكلة الأساسية هي أن المستشرقين جعلوا من عقيدة المهدي المنتظر مختصة فقط بفئة معينة من المسلمين وهم (الشيعة) وهذه المسألة تكمن وراءها أغراض وأهداف سبق الحديث عنها، من أهمها وأخطرها، أن يوقعوا شرخاً كبيراً في النسيج الإسلامي، عن طريق بيان أن هذه العقيدة شاذةٌ وغريبةٌ عن المفردات الإيمانية الأخرى، ومن ثمَّ أن من يعتقد ويؤمن بها، سيكون غريباً عن حضيرة الإسلام والمسلمين، وليس منهم.

وهل نجحوا في ذلك أو لا؟ هذا سؤالٌ متروكٌ للقارئ اللبيب.

[3] - تيرنر، كولن، الإسلام الأسس، Islam, The Basics : ص 325.

العقيدة في المهدي تحمل شَبَهًا للفكرة اليهودية المسيحية في انتظار المخلص. أما من الناحية النفسية فإنَّ الاعتقاد بالإمام المنتظر كان تشخيصاً لأملٍ محبَّبٍ كان يراود أفكار قلةٍ محرومة مضطهدة. ولقد أدى الاعتقاد برجوع المهدي إلى وضع كثيرٍ من المؤلفات الغيبية (الخيالية)^[1]. ويلحظُ أنَّ إطلاق العبارة هكذا (مؤلفاتٌ غيبيةٌ خياليةٌ) يريد أن يدسَّ معنى بأنَّ العقيدة المهدوية في أساسها تستند على خرافةٍ وخيالٍ ولا علاقة لها بالنصوص أو الإيمان العقلي!

وتخبَّطَ بعضهم في هذا الإطار حتى نسجوا حكايات، قالوا عن النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله) بأنَّه هو المسيح المنتظر، بما ادعاه المستشرق (أنتوني نتنج) في تكذيب قصة الإسراء والمعراج للنبي إذ قال: ((لم تعد قصة هذه الرحلة الليلية بكثيرٍ من النفع على قضية محمد إذ لم يصدقها آنذاك حتى أقرب صحابته ... ولكن عند هذه النقطة التقى به في سوق عكاظ جماعةٌ من حجاج يثرب ... وتأثروا كثيراً بما حدثهم به. وبعد أن عادوا إلى ديارهم أقنعوا يهود مدينتهم أن محمداً هو المسيح المنتظر)).^[2]

ومنهم من جعل عيسى المسيح هو نفسه المهدي المنتظر، ولا غيرية بينهما وإنَّ التقدير الأخرى للمهدي المنتظر هو الذي أثار خيال المسلمين. فبالنسبة لبعض المسلمين، المهدي كان يسوع (عيسى) ولكن أكثرية رجال الدين جعلوه منحدرًا من أسرة النبي.^[3] وهذا قد يكون إشارةً منه، أو تأثرًا بحديث (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) الذي تقدم الكلام عنه وثبت أنه موضوعٌ ومكذوبٌ ومخالفٌ للأحاديث الصحيحة.

بينما (مونتكمري وات) يرى بأنَّ السِّمَّةَ الأكثر أهمية، في الاعتقاد الأساس بالضرورة والحاجة من أجل ضمان أو صيانة وجود العالم، بأنَّه لا بدَّ من وجود إمام، حتى وإن لم يظهر ولم يُعرف، فالسِّمَّةُ في هذا الاعتقاد أنَّ له ميولاً مسيحيةً Messianic.^[4] ((إذًا هناك حضورٌ للأفكار المسيحية messiansm بما يعني توقُّعًا شبه إلهيٍّ، [أي قوة فوق الطبيعية] أو منجياً

[1] - حتي، فيليب، الإسلام منهج الحياة: ص 118.

[2] - نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام: ص 28.

[3] - ظ: ميرسيا، إلباد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: ص 136.

[4] - ظ: وات، مونتكمري، إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، بحث ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق، حفرات إستشراقية: لنخبة من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي، ص 132.

ملهماً أو موصى إليه. وهذه الفكرة وُجدت في أثناء الحقبة الأموية ... وكانت دينيةً بشكل أساسي، انبثقت أو انطلقت من الحاجة في التأمين والسلامة جاءت من المعتقد الثابت بأن المنجي deliverer سوف يأتي ويطبق كل ما هو حقٌ وصحيحٌ^[1]. وإنه يقارن في ما بعد بين الفكرة المسيحية والمهدوية ويعزو الفكرة المهدوية إلى الجانب والمنحى السياسي من أجل الحصول على السلطة الدينية والسياسية في آن واحد فيقول: ((واعتيادياً فإنَّ الفكرة المسيحية كانت من الجانب السياسي ساكنةً ومنعزلةً quietist، غير أنَّه في مناسبات وأحيانٍ أخرى فإنَّ زعيماً قوياً يدعي أو يزعم بأنَّه الإمام أو رسول أو مبعوث الإمام وأنَّه سيدعو أو يعلن عن عملٍ ثوريٍّ. وقد تحققت وأنجزت هذه النقلة في العمل الناشط في السياسة بالقول بغيبة الإمام وأنَّ الإمام الغائب سيرجع، أو أنَّه على وشك الرجوع والعودة من غيبته. وكانت هذه الناشطة في السياسة على العموم استثنائيةً، ويبدو أنها ترتبط كثيراً بالأفكار المسيحية المعتدلة))^[2].

وأغرب ما في تفسيرات ومقارنات مونتكمري وات، هو تفسيره هذا التشابه والتناغم مع الأفكار المسيحية، يعزوها إلى انجذاب أو تأثر أئمة أهل البيت بتلك الأفكار، بقوله: ((يمكن ملاحظة أن من الأئمة الاثني عشر، أولئك الذين كانوا أكثر انجذاباً للأفكار المسيحية منهم جعفر وموسى -السادس والسابع - أما العامل لهذا الانجذاب، ربما هو الشك أو الغموض في مسألة السابع -الذي زُعم أنه قُتل في السجن - والثاني عشر -الذي وجوده أصلاً أمرٌ يُشك فيهِ - ... وبحسبما يبدو أنه في أثناء عملية تبرير المعتقد بأنَّ شخصاً معيناً كان المهدي وأنَّ سلسلة الأئمة تدريجاً قد أحرزت الاعتراف. فالتفاصيل غير مؤكدة وغامضة))^[3].

والأمر يميزه بصوره أفصح وأوضح هنري ماسي إذ قال: ((بعض عناصر المذهب الديني الشيعي وخصوصاً قاعدته الشيوقراطية [اللاهوتية] والاعتقاد برجعة الإمام المختبئ - يبدو أنها يهوديةٌ - مسيحيةٌ (دون أن نتكلم عن التفاصيل التي تجعلنا نقبل بوجود تأثيرات زرادشتية وأفلاطونية حديثة ومانوية))،^[4] وقريب من هذا الكلام المستشرق اليهودي غولدتسيهر قال: ((وقد امتزج بالفكرة المهدية التي ترجع في أصلها إلى العناصر اليهودية والمسيحية بعض

[1] - المصدر نفسه: ص 133.

[2] - المصدر نفسه: ص 133.

[3] - وات، مونتكمري، إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، بحث ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق، حفریات إستشراقية: لنخبة من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي: ص 136.

[4] - ماسيه، هنري، كتاب الإسلام، ص 192. وينظر: ص 196 - 198 - 199.

خصائص الزرادشتي، كما امتزج بها ما كان يجول في أذهان بعض العاطلين البارعين من خيالات وتصورات جامعة أنتجت على أمد الأيام كثيراً من الأساطير الفنية الزاخرة عن العقيدة المهدية^[1]. وحيث قال في موضع آخر: ((فتحولت فكرة المهدي تدريجاً إلى أن صارت طوبى utopie مهدية، دفع المؤمنون بها إلى مستقبل بعيد غامض، وأصبحت قابلة لأن تمتزج بها دائماً خرافات وأقاصيصٌ أخرويةٌ ممعنةٌ في السذاجة والإغراب^[2])).

أقول: هذا لا ينفي أصل صحة العقيدة، وإن حيكَّت عنها آلاف القصص والأساطير، فيجب النظر والالتفات إلى أصل الدين لا إلى المتدينين بهذا الدين، وإلى أصل القضية الإيمانية، لا إلى المؤمنين الذين يحملونها في قلوبهم وما يقولون عنها، وإلى أصل الأطروحة النظرية، لا إلى المنظرين أو الشارحين الذين قد يخطئون بتظيرهم لها.

ألم تُحكَّ القصص والأساطير ضد أو حول الإسلام من المشركين أو اليهود والنصارى آنذاك في عصر صدر الإسلام؟ بل حتى من المستشرقين أنفسهم وإلى الآن، ألم يدع النبوة مسيلمة الكذاب وغيره وصيغت القصص في ذلك ووُضعت الأحاديث؟ هل يعني ذلك أن نفي أصل النبوة وأصل الإسلام لمجرد صياغة الأساطير من بعض معتققي الإسلام الجهلة أو بعض المغرضين؟ فلا ملازمة ولا تداخل بين صياغة الأساطير والحكايات حول عقيدة ما، وبين نفي أصل وصحة تلك العقيدة.

وهكذا يبدأ غولدتسيهر بذكر نماذج تشبه الفكرة المهدية بحد زعمه: ((نصادف في البيئات غير الإسلامية عقائد مماثلةً لهذه، مقترنةً بأمان أخرويةٍ مستخلصةٍ منها، ففرقة الدوسيتيين تنكر موت مؤسسها (دوسيتيوس Dositheos) وتؤمن بخلوده؛ وإنَّ (فيشنو) في عقيدة (القايشنافاس) الهندية سيعود إلى الظهور في نهاية العهد الحالي للعالم، متجسداً في صورة (كالخي) وذلك لكي يخلص (أرياس) من حكامها الظلمة، أي تخليص الهند من فاتحها من المسلمين؛ و ينتظر مسيحيو الحبشة رجعة ملكهم تيودور كمهديٍّ في آخر الزمان؛ ولا يزال المغول يعتقدون بأنَّ (چنكيزخان) الذي يقدمون له القرابين على ضريحه، كان قد وعد قبل موته أنه سيعود إلى الدنيا بعد ثمانية قرونٍ أو تسعة، لكي ينقذ المغول من نير الحكم الصيني^[3])).

[1] - غولدتسيهر، إغاس، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 195.

[2] - المصدر نفسه: ص 194 - 195.

[3] - تسهر، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 192.

وهنا مداخلة، نريد أن نسأل المستشرق: لو لم يكن الإيمان بحياة وعودة وظهور المهدي المنتظر آخر الزمان، لو لم يكن هذا الإيمان موجوداً، وكان الاعتقاد بأنه غير موجود حالياً ولا يعود بعد غيبته، بل إنه سوف يوجد ويولد في آخر الزمان إلى أجل لا يعلمه إلا الله تعالى، كما عليه الآن اعتقاد سواد المسلمين من أهل السنة والجماعة، بأنه سوف يولد في النهاية. السؤال: هل سيغير المستشرق المُشكِل، انطباعه وفكرته ولا يعدُّ هذه الفكرة بأنها جاءت من أصول يهودية مسيحية ومن مللٍ ونحلٍ أخرى أو ماذا؟ بصيغة أخرى: لم لم يؤيد إحدى الفكرتين؟ إذا كانت غيبة وخلود الإمام حتى يرجع ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، تشبه إلى حدِّ كبير العقائد للأديان الأخرى وأنها تأصلت من هناك، فليؤيد تلك التي تقول أن المهدي غير موجود وغير حيٍّ وأنه سوف يولد ويخرج آخر الزمان، وقد تكون هذه الثانية خالية من خرق العادة والإعجاز في خلود إنسان لمدة آلاف السنين وقريبة للحس المادي الذي يمكن أن يصدقه؟!!

الجواب: هو لا يؤمن ولا يصدق بكلا الأطروحتين كما قرر ذلك عندما قال: ((أما في الإسلام السُّني، فإنَّ ترقب ظهور المهدي، مع استناده إلى الوثائق الحديثية والمناقشات الكلامية، لم يصل البتة إلى أن يتقرر على أنه عقيدة دينية، ولم يبد قط عند أهل السنة إلا كحلية أسطورية لغاية مثلى مستقلة أو كأمر ثانوي بالنسبة لجوهر النظرية السُّنية للكون))^[1]. وهذا إنما يدل على أنه فقط يريد الإنكار والتسفيه والتنكيل لأصل العقيدة، والاستهزاء بكل جزئياتها وإلا كان قد رجَّح إحدى الأطروحتين. هذا السؤال - المتقدم الذكر - إنما يُطرح هنا لبعض الذين يتوهمون ويريدون أن ينجروا وراء سراب هذا المستشرق أو ذاك ويتأثروا بالمعلومة (المستوردة والمصوغة أجنياً إن صح التعبير) وأنه بمجرد أن أنكر ونقد إحدى الأطروحتين، فهو إذا سيؤيد ويصدق الأخرى، أبداً فالأمر ليس كذلك ولا كما يظن بعضهم.

ويستمر غولدتسيهر بتدعيم قواعده رأيه حتى ذهب قائلًا: ((وقد حاول أيضاً كثيرٌ من فقهاء اليهود ومتصوفتهم - وغالبيتهم تستند على سفر دنيال - أن يقوموا بحسابات تأويلية خاصة لتحديد وقت ظهور المهدي، وسار على هذا المنوال بعض متصوفة المسلمين البارعين وبعض الشيعة))^[2].

[1] - تسيهر، جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 196.

[2] - المصدر نفسه: ص 193.

وبالقول نفسه ذهب المستشرق فان فلوتن بأن فكرة المهدي المنتظر المنقذ المخلص، انتقلت إلى المسلمين بتأثيرات من الفكر اليهودي والمسيحي، والسبب في توجه المستشرقين بهذا الاتجاه، يرجعه فلوتن، إلى أنه من السهل دخول عقائد وعادات يهودية مسيحية إلى الدين الإسلامي، بما دخل إلى الإسلام من يهود ونصارى، ويسميتها (تنبؤات) ليس لها من الحقيقة شيء، ((التي نقلها غالباً اليهود أو النصارى ممن اعتنقوا الإسلام. وبفضل هذا النوع من التنبؤ، اكتسب شهرةً واسعة كلُّ من وهب بن منبه وتميم الداري وكعب الأحبار))،^[1] وكأنه يقدّم بما يتصوره دليلاً مهماً بتشابه بعض ما جاء في الإسلام والقرآن مع ما جاء في المسيحية، وكذلك يضع هذا المستشرق معياراً لقبول واشتبار راوي الحديث، وهو أمرٌ لا يمكن قبوله بمعيار قواعد قبول الحديث النبوي الشريف وتداوله بين المسلمين، إذ إن المسلمين وضعوا القواعد الدقيقة والمحكمة في نقد الرواية وقبولها، ويتحدث عن الإيمان بالآخرة وأنها متأثرة بأصول مسيحية أيضاً بقوله: ((والحديث عن الآخرة معروف في القرآن وهو من مبادئه الأساسية، أو ما يعبر عنه باقتراب الساعة - يوم الحساب - الذي كان معروفاً لدى المسيحية من قبل))،^[2] وله تصورات لمعطيات أخرى حول ما نسجه منسوج الأدلة الواهي بقول آخر: ((وكثيراً ما نجد في العراق من يقول أن اللاهوتية اجتمعت في علي، كما اجتمعت في عيسى من قبل ... ومن هذا ما يُحكى عن المسيح، وقد ظلت هذه الصفات عند المسلمين مما اختص به المسيح مدةً طويلةً، وسرى كثيرٌ مما كان يقال لإثارة العواطف في يوم جمعة الآلام عند المسيحيين إلى يوم عاشوراء ... وكذلك زعم الشيعة أن الحسين لم يُقتل وإنه شُبه للناس، كعيسى ابن مريم))،^[3] متناسياً (فلوتن) - عن عمدٍ طبعاً - بأنَّ هناك أصولاً ثابتة متفقّة عليها جميع الأديان السماوية بما فيها، بل على رأسها يوم القيامة والحساب الآخر، لا يشذ منها دينٌ، وهذا التداخل والتشابه في الأصول والعقائد بين الأديان، لا يعني أنه أخذها واقتبسها دينٌ عن الآخر، بل من الواضح معناه وحدة المصدر لتلك الأديان وهو الله تعالى. وهذه مناسبة، وفرصة للتأكيد على قضية أساسية بين الأديان، وهي أن وجود اتفاق بين الأديان في بعض المسائل لا يعني أن اللاحق أخذ من السابق وإنما يؤكد بصورة واضحة أنّ هذه العقيدة أو المسألة، تشكل عمقاً دينياً حقيقياً، زيادةً على ما دُكر في وحدة المصدر لتلك الأديان.

[1] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص 102.

[2] - فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص 103.

[3] - متز، آدم، الحضارة الإسلامية: ج 1، ص 125 - 126.

ويذهب فلوتن كغيره إلى أن من الشعوب الإسلامية من بلاد فارس الذين عانوا إدارةً فاسدةً وعملاً يستولي عليهم الجشع. هؤلاء قد انبعث فيهم الأمل في نفوسهم، مبشراً بالعدالة والسعادة، لذلك لا نعجب من تبنيتهم بشدة دعوة أحدهم بالخلاص من ذلك الظلم، فذهب بعضهم في الاعتقاد باعتباره أحد أحفاد زرادشت Zoroastre، الرجل الذي ينتظر المجوس ظهوره كالمهدي بالنسبة للمسلمين^[1].

وإن فكرة الإمام الخفي لعبت دوراً حاسماً في التجربة الصوفية والفروع الشيعية الأخرى، ويزاد على ذلك أن مفاهيمٍ مُشابهةً تتعلق بالقداسة، لا بل الألوهية تصادف وتشابه كذلك في تقاليدٍ دينيةٍ أخرى (الهند المسيحية في القرون الوسطى)^[2].

ولمناقشة ما تقدم من أقوال المستشرقين من تأثير الأديان الأخرى على إنتاج واستخلاص فكرة المهدي المخلص عند المسلمين، وأنها جاءت من باقي الأديان متأثرةً بها، للإجابة عليها نورد عدة نقاط:

ليس مستغرباً، فليست هي المرة الأولى والأخيرة التي يحاول فيها المستشرقون إرجاع أصول العقائد والأحداث الإسلامية، بل حتى الجزئيات منها، إلى عناصرٍ يهوديةٍ أو نصرانيةٍ أو أديانٍ أخرى. فهي ليست جديدةً وليست منحصرةً بالعقيدة المهدوية، فإنهم من قبل قالوا أن الإسلام والرسالة والقرآن أصلهما من الديانة اليهودية والمسيحية، وأن القرآن من تأليف (محمد).

فمن البدهي بعد ذلك أن يقولوا عن العقيدة المهدوية، بأنها متأثرةٌ بتأثيرٍ خارجيٍّ عن الإسلام ومستوردةٌ استيراداً منهجياً - إن جاز التعبير - إذ إن المسلمين معتادون لذلك ((ولعلنا نستطيع أن نقول: إن نظرية الفناء الصوفية قد تأثرت - إلى حدٍّ ما - بالبوذية كما تأثرت بالحلولية الهندية الفارسية، وتقبل الإسلام للأفكار الأجنبية، قد اعترف به كل باحثٍ آخر. وما تاريخ الصوفية إلا مثلٌ واحدٌ للقاعدة العامة))^[3].

مثالان اثنان فقط، أولاً، ما قاله المستشرق (جون بلر) في معرض كلامه عن وجود عقيدة

[1] - ظ: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية: ص 117.

[2] - ظ: إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: ص 136.

[3] - نيكلسون، ر.أ، الصوفية في الإسلام: ص 30.

اليوم الآخر) في الإسلام وهي مقتبسة من الأديان الأخرى على حدّ زعمه: ((إنّ المكافأة في يوم الحساب على أعمال المرء، مذكورة في كتب عديدة من العهدين القديم والجديد. لكن لا يجب الافتراض أن محمداً استعار أفكاره بخصوص البعث ويوم الحساب مباشرة من كتب العهدين القديم والجديد المقدسة. لقد رأينا بأنّه ليس ثمة دليل يثبت أن هذه الكتب المقدسة قد تُرجمت إلى العربية قبل زمن محمد... وهذا ما أدى بنا إلى الاستنتاج بأنّ محمداً لم يحصل على معرفته بالعهدين القديم والجديد من السجلات المكتوبة، لكن حاز عليها بأغلبها، إن لم يكن كلها، من النقل مما سبّب وجود المفارقات التاريخية في القرآن، والتعارضات التي حدثت بين الأسفار المقدسة والنسخة القرآنية. وبهذا الشأن، علينا أن نتذكر أيضاً بأنّه كان من ديدن محمد إخفاء اقتباساته، وعدم إعادة معلوماته أبداً في نفس اللغة التي سمعها بها))^[1].

وثانياً، ما قاله كلير تسدل هذا المستشرق المتحامل على الإسلام وعلى نبي الإسلام، فيذكر ما يسميه (توهم محمد) قصة أصحاب الكهف وأنّها مقتبسةٌ ويسمّيها المسيحيون (السبعة النيام) وقصة مريم التي ورد ذكرها في أسفار موسى الخمسة، وقصة طفولية المسيح بأنّ القرآن اقتبسها من الأناجيل، ومعجزة إحياء الطير المصنوع من الطين أخذت من كتاب يوناني اسمه (بشارة توما الإسرائيلي) وأنّ محمداً قد غير في هذه الأقوال المنسوبة إلى المسيح بكيفية ثلاثم اعتقاده وتعليمه، وأنّه سمع القصة من زوجته ماري القبطية، ودونها في القرآن، وغيرها من ذكر الميزان في القرآن مقتبساً أيضاً، وقصة صعود إبراهيم إلى السماء، وقصة الاسراء والمعراج، كلها مصنّعة من الديانات الأخرى^[2].

بعد هذه النماذج السريعة، لا نستغرب من المستشرقين إذا ما حاولوا أن يقولوا أو يثبتوا، بأنّ عقيدة المهدي المنتظر جاءت من اقتباسات وتأثيرات الأديان الأخرى، ولا سيّما اليهودية والمسيحية. فهذه المقولة ليست جديدة، ولا منحصرةً بالعقيدة المهدوية، فإنّهم من قبل قالوا أنّ الإسلام والرسالة المحمدية والقرآن أصلها من الديانة اليهودية والمسيحية.

[1] - بلر. جون John C. Blair، مصادر الإسلام التحقيق في مصادر عقيدة وأركان الديانة المحمدية: ص 66.

وينظر النسخة الإنكليزية:

SOURCES OF ISLAM. AN INQUIRY INTO THE SOURCES OF THE FAITH AND PRACTICE OF THE MUHAMMADAN RELIGION BY. THE REV. JOHN C. BLAIR : p.66

[2] - تسدل، كلير، مصادر الإسلام: ص 37 - 53. وكل فصول الكتاب أجمعها بهذه الوتيرة.

هناك كثيرٌ من التشابه في العقائد أو الممارسات الدينية في الديانة المسيحية واليهودية، مع الديانة الإسلامية، وهل يعني ذلك أننا ننكر تلك العقائد لمجرد التداخل والتشابه بينهما، أو يعني أن ديانة أخذت من أخرى - كما تقدم ذكره سابقاً -، كلا، لا يعني ذلك أبداً وإنما حصل هذا التشابه لأن مصدرها ومنبعها واحدٌ، وهو السماء، فالله عزّ وجلّ هو الذي أنزل هذه الشرائع ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾^[1].

نعم هناك أشياء عامة ترتبط بها جميع الأديان السماوية من قبيل الإيمان بالتوحيد وبوجود الله تعالى كما في الآية المتقدمة، وجاء في التوراة مثل ذلك، ففي سفر الخروج ((ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثَلًا مَنحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقٍ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتٍ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ))،^[2] والإيمان بالنبوة، فهذا واضح في الديانات الثلاث على الأقل، والإيمان باليوم الآخر، يوم الحساب، وإن كان هناك اختلاف في الجزئيات، وقد أمر الله أنبياءه الإيمان بما جاء وأنزل على الأنبياء السابقين لأنه وحيٌ واحدٌ، وأخلاقٌ واحدةٌ أرادها الله تعالى لكل البشر والخلق والإنسانية وعدلٌ وحقٌ واحدٌ، لا يتعدد ولا يتغير في زمان دون آخر، وحقيقته مطلقه واحدةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾،^[3] وقال الله تعالى أيضاً: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾،^[4] لذا نجد التشابه والتداخل كثيراً في الأصول، بل حتى في التشريعات، مثلاً الوصايا العشر التي جاءت في التوراة ((أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً

[1] - آل عمران: 2 - 4.

[2] - سفر الخروج، الإصحاح العُشْرُونَ: 1 - 5.

[3] - المائدة: 46.

[4] - الصف: 6.

زور. لَا تَشْتَهِيَّتَ قَرِيْبِكَ. لَا تَشْتَهِيْ امْرَاةَ قَرِيْبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أُمَّتَهُ (...))^[1] نجدها بعينها موجودة في الإسلام إما في الوحي القرآني أو الوحي النبوي الحديثي. ومثلها من الإيمان بالله الواحد والتشريعات، جاء في إنجيل متى: ((... إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: آيَةُ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرَمُ آبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحَبُّ قَرِيْبِكَ كَنْفُسِكَ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هَذِهِ كُلُّهَا حَفَظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْزُونِي بَعْدُ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي))^[2].

لكن المستشرق بوكاي اعترف بأن المشكلة ليست في الإسلام والمسلمين واعتبار المعطيات الموضوعية لتاريخ الديانات، يضع العهد القديم والإنجيل والقرآن، في مستوى واحد على أنه مجموعة من الوحي المكتوب. بيد أن هذا الأمر وإن كان مبدئياً مقبولاً لدى المسلمين، فهو لدى مؤمني بلادنا الغربية المتأثرين باليهودية - المسيحية غير مقبول. بل يرفضون إعطاء القرآن سمة الكتاب الموحى به.^[3] ((فليهودية التوراة العبرية كتاب مقدس. وهي تختلف عن العهد القديم المسيحي بزيادته بعض الأجزاء غير الموجودة في العبرية. وهذا الاختلاف لا يغير في العقيدة شيئاً من الناحية العلمية. غير أن اليهودية لا تعترف بأي وحي جاء بعد وحيها. وقد تبنت المسيحية التوراة العبرية، وزادت بعض الإضافات عليها ... ولا تعترف المسيحية بعد هذا بأي وحي جاء بعد عيسى ورسله، ومن ثم فإنها تسقط القرآن من هذا الحساب. أما الوحي القرآني الذي نزل عقب ستة قرون من المسيح، فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والإنجيل اللذين أكثر من ذكرهما، بل فرض على كل مسلم الإيمان بالكتب السابقة))^[4].

أقول: لكن المشكلة في الاتباع بأنهم (الغرب) يريدون أن يكون الإسلام والمسلمون تابعين لهم في كل شيء حتى بالأديان والعقائد، والدليل الحملات التبشيرية والتنصيرية في دول العالم، ولا سيما الدول الفقيرة منها، فصدق الله ورسوله، إذ قال: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنَّ آتَّبَعْتِ

[1] - سفر الخروج، الإصحاح العِشْرُونَ: 12 - 17.

[2] - إنجيل متى، الإصحاح التاسع عشر: 16 - 22.

[3] - ظ: بوكاوي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: ص 13.

[4] - المصدر نفسه: ص 13.

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١﴾.

وفي المطلب اللاحق (المهدي المنتظر في الديانات الأخرى) سيتبين أن وحدة هذه الأطروحة، أو الفكرة، أو العقيدة -عبر ما تشاء - وهي أطروحة المنقذ، المسيح، المخلص، المنتظر، الفداء، وارتباطها الوثيق بكل الديانات والملل والنحل، هي عنصر قوة للأطروحة، وليس عنصر ضعف كما يريد أن يصادر هذا المطلوب بعض متعصبي المستشرقين.

التأصيل الديني للأطروحة المهدوية في الأديان الأخرى

هذا المطلب هو تأصيلٌ للأطروحة المهدوية وتقريرٌ لها، وكذلك هو مناقشةٌ لأقوال المستشرقين المتقدمة، بقولهم أن العقيدة المهدوية عند المسلمين، هي من أصل تأثير الأديان الأخرى واقْتباساً منها، سيثبت أن وجود الفكرة أو الأطروحة المهدوية في تلك الديانات، يعدُّ دليلاً أو تأييداً للفكرة لا نفيًا لها، كما يسوق المستشرقون، لكن لا يراد من هذا المطلب أن يكون دليلاً بقدر ما يكون تأييداً، لأنه في الحقيقة وبصريح العبارة، المسلمون أنفسهم مختلفون في تشخيص من هو المهدي المنتظر الذي أخبرت عنه الأحاديث ودلت وأشارت عليه الآيات القرآنية، وإثبات وجود الفكرة في تلك الأديان والأمم السابقة، لا يعني إثبات المهدي المنتظر بعينه ومصداقه الذي يؤمن به المسلمون، فكلُّ يؤمن بمنتظر مخلص بحسب اعتقاده ومعطياته الدينية والتاريخية، حتى المسلمون أنفسهم لا يوجد تطابق تامٌّ كاملٌ بشأن الأطروحة المهدوية، والأكثر من ذلك حتى فرق الشيعة تختلف في تشخيص من هو المهدي، فالإسماعيلية تعتقد تشخيصاً معيناً والزيدية وغيرهم بتشخيصٍ آخر، والإمامية تعيّن المهدي المنتظر على غير ما رأته تلك الفرق؛ لذا سيقصر المطلب على ذكر نماذج معينة، دون الولوج في تفاصيلٍ وجزئياتٍ متفرعة.

لكن المهم في المسألة، هو أن الأطروحة المهدوية، أطروحةٌ إنسانيةٌ، عالميةٌ، يؤمن بها جميع شرائح الإنسانية بمختلف مشاربهم الدينية والعقدية.

في ديانة مصر القديمة:

اعتقد المصريون القدامى الذين تعدد شكل الآلهة لديهم آنئذ، آمنوا واعتقدوا بفكرة الخلاص والمنتقذ، ولا سيّما بعد الموت ففي تلك ((العصور القديمة انتشرت بين الخلق عقيدة أزوريس^[1] ووفاته وإحلال ابنه حوريس محله على عرش مصر حتى صار لها مكاناً

[1] - أزوريس: يتلخص اعتقاد قدماء المصريين في منشأ معبوداتهم أن هذا الكون كان في ابتداء الأمر يماً عظيماً ثم ظهرت فوقه بيضةٌ في اعتقاد بعضهم، أو (زهرة) في اعتقاد الآخرين، ومنها خرج المعبود الشمسي الذي ولد بعد ذلك

عظيمٌ في نقوش الموتى... وكثيراً ما ورد على الآثار ما معناه (ليعيش هذا الميت كما عاش المعبود. وليدراً عن هذا المتوفى الفناء كما درأ عن أزوريس الفناء وليحفظ من التلف كما حفظ أزوريس)).^[1]

فاعتقدوا بأنَّ إلههم الذي كان يعبدونه في الدنيا سينقذهم ويخلصهم في الآخرة وهو في انتظارهم، ويرهن على ذلك ما لديهم ((من الدعوات لأحد الأموات (لقد فتح لك باب السماء وأقفالها إكراماً لك وتبجيلاً. هناك ستجد المعبود (رع) في انتظارك فيقودك بيدك إلى المحل المقدس في السماء ويجلسك على عرش أزوريس النحاسي فيصبح عرشك وتحكم الأموات الموقرين... أنت العامل لأعماله نحو الأموات والشهداء... أنت الرافع منزلك بعد حياتك والدافع الأذى عن أطفالك))^[2] فبدؤوا يتطلعون إلى وجود منقذٍ ينتظرهم في تلك الحياة الآخرة سينقذهم ويخلصهم من العذاب المتوقع؛ لأن ((القوم وقتئذٍ أخذوا يعتقدون بوجود محاكمة في الآخرة أمام أزوريس وأنَّ هذه المحاكمة ستتناول كل ما أتاه المتوفى في دنياه من صالحٍ وطالحٍ. وليلاحظ أن محاكمة أزوريس أحدثت تأثيراً أدبياً في نفوس المصريين))^[3].

لكن لسائلٍ أن يسأل: كيف ظهرت عقيدة المنقذ، المخلص عند قدماء المصريين؟ فيمكن القول بأنَّه كان ((مدارها الإيمان بظهور شخصية قدسية على الأرض تعيد إلى الأرض السلام وتقرُّ العدالة بعد أن ملئت الأرض جوراً وفساداً وظلماً. ولعل [نهر] النيل هو مرجع هذه العقيدة لأنه يعود بعد إمحالٍ ويؤوب جالباً معه الخيرات والبركات بعد جوعٍ وعطشٍ))^[4].

فعقيدة المنقذ المنتظر المخلص في آخر الزمان، أقرَّ بها المستشرقون أنفسهم الذين شككوا بها، فقولهم بأنَّ عقيدة المهدي المنتظر جاءت وتأثرت بالأديان للأمم السابقة

أربعة آلهة هم: (شو) و(تِفْنوت) و(كب) و(نوت). وعاش هؤلاء الخمسة نائمين فوق المحيط مدةً، ثم توسط كلٌّ من شو وتفنوت - اللذين يمثلان الحق - بين (كب ونوت) ففصلاهما بعضهما عن بعض واطنين بقدميهما (كب) ورافعين بذراعيهما (نوت) فصار نوت سماءً وكب أرضاً. ثم حملت نوت من كب وجاءت بأربعة آلهة وهم: أزوريس وأزيس وست ونفتيس فأصبح جميع الآلهة مع عدِّ الشمس منهم تسعةً. ينظر: بريستد، جيمس هنري، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي: ص 36.

[1] - بريستد، جيمس هنري، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي: ص 43.

[2] - المصدر نفسه: ص 43.

[3] - المصدر نفسه: ص 43.

[4] - شبل، فؤاد محمد، دور مصر في تكوين الحضارة: ص 21، نقلاً عن: فالح مهدي، البحث عن منقذ: ص 11.

والديانات القديمة، دليلٌ على أن تلك العقيدة متأصلةً ومتجذرةٌ إنسانياً باعتراف أقوالهم المتقدمة المذكورة آنفاً. فإنَّ تاريخ الأديان حافلٌ بهذا الطموح والإيمان، كما قال المستشرق توينبي: فإنَّ الأديان ولا سيَّما الأربعة ((الإسلام، المهايَنة البوذية، الهندوكية، المسيحية) يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً أشد كثيراً مما يربط الحضارات المعاصرة بعضها ببعضها الآخر. ونجد هذا التعاطف أشد وضوحاً بين المسيحية والبوذية المهايَانية، إذ تشترك الديانتان بوجود إلهٍ مخلصٍ يضحي بنفسه فداءً للبشر))^[1].

قبل ذلك كان المنقذ المنتظر يتمثل لديهم في شخصية ما يُعرف (الاسكندر الأكبر) بعد أن اتسم الحكم الفارسي بعد غزو مصر سنة (525 ق.م) بانتهاكه للديانة المصرية والحط من شأن المصريين زيادةً على الفقر والبؤس اللذين أصابا الشعب المصري، فقامت ثوراتٌ كثيرةٌ ضد الفرس، لكنها جميعاً باءت بالفشل^[2].

ولم يفكر المصريون باليأس لأنهم كانوا بانتظار منقذ لهم من الخارج، وأدى الدين المصري دوراً مهماً في إبقاء حالة الشعب في حالة انتظار، ذلك بنوثة خرجت من معبد آمون، مقتضاها أن الفرس سيُطرَدون وأنَّ الملك الوطني سيعود. وظاهر الحال يؤكد أن الانتظار لمجيء منقذ منتظر كان مجدياً إلى حد بعيد، وفعلاً تحققت النبوءة وصدق كهنة الديانة المصرية، إذ دخل الاسكندر محرراً ومخلصاً لمصر من الفرس، فقد أوحى إلى الشعب عن طريق الكهنة، بأنَّ زمن العبودية والتنكر للآلهة قد انتهى، فهياً الشعب لاستقبال المنقذ المنتظر^[3].

1 - الديانة الهندوسية:

بالنسبة للدين الهندوسي لديهم عدة طروحاتٍ في مسألة الخلاص والإنقاذ من الظلم في نهاية المطاف، هنا اخترتُ أوضحها جلاءً وأقربها لمفهوم وفكرة المخلص، ففي تجسد الإله على شكل إنسانٍ أو حيوانٍ لينقذهم من الشرور والظلم فالآلهة عندهم متعددة، هناك

[1] - توينبي، آرنولد، دراسة للتاريخ: ص 26 - 27.

[2] - ظ: نصحي، إبراهيم، تاريخ مصر في عهد البطالمة: ج1، ص 5 - 6 نقلاً عن فالح مهدي، البحث عن منقذ: ص 28 - 29.

[3] - ظ: نصحي، إبراهيم، تاريخ مصر في عهد البطالمة: ج2، ص 14، نقلاً عن: فالح مهدي، البحث عن منقذ: ص 28 - 29.

((ثلاث صور متعينة وشخصية للواقع المطلق سادت الهندوسية (فيشنو وشيفا وكالي) ويمثل كل إله من هذه الآلهة بعداً مختلفاً من أبعاد الواقع، ذلك أن فيشنو^[1] هو قدرة الواقع على الحفاظ على الحياة وتغذيتها. وشيفا هو كلٌّ من القوة المدمرة التي تنحّي القديم جانباً لتفسح المجال للجديد واللغز التجاوزي الذي يكمن في ما وراء الخلق والدمار. وكالي هي الطاقة الإلهية التي تكمن في قرار قوة التغيير المحولة، وكما سنرى فإنّه كما أن هناك العديد من الرموز للمطلق كذلك هناك العديد من الأشكال لكلٍّ من هذه الأرباب، وكلٌّ منها يمثل وظيفة أو قوة لها أهميتها))^[2].

وفي التصور الديني الهندوسي للثالوث الإلهي، حيث (براهما) يخلق و(شيفا) يدمر، فإنّ وظيفة فيشنو هي الحفاظ على العالم، ولما كانت التجربة الإنسانية الشاملة على وجه التقريب تقول أن الحب يغذي الحياة، ويُقي عليها، فمن الطبيعي أن يتم النظر إلى فيشنو، بوصفه المحافظ على الوجود، على أنه التجسيد للحب، وهو تجسيد يبدو واضحاً، كأقصى ما يكون الوضوح، في تجليه، ووظيفته الخاصة بالحفاظ على الوجود تظهر بطرقٍ عدةٍ مختلفة^[3].

وكانوا يصورون ظهوره بحسب معتقداتهم بعدة تجليات: ((ويظهر فيشنو في تجليه الأول على أنه ماتسايا - وهي سمكة هائلة - لإنقاذ (مانو) في أثناء الفيضان العظيم. ... وعندما تهدد مياه الفيضان بالقضاء عليه، ومن ثمّ بالقضاء على الجنس البشري بأسره فإنّ فيشنو يتجسد في صورة سمكة هائلة، لكي يستطيع حماية البشر من الفيضان. ومرةً أخرى، عندما

[1] - Vishnu - الإله فيشنو - أحد الإلهين رئيسين في الديانة الهندوسية وتصوره الفيذا على أنه قرمٌ صغيرٌ عبر الكون بثلاث خطواتٍ عملاقةٍ (يشكل مع الإله شيفا الآلهة الرئيسية في الهندوسية إلى جانب الإلهة شاكتي).

ينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م: ص 370.

ويمكن القول أنّ الهندوسية هي أتباع أو عبادة الإله فيشنو Vishnu أو شيفا Shiva أو الإلهة شاكتي Shakti أو تجسيداتهم، أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم. وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عددٌ كبيرٌ من أتباع المعتقدات الدينية لدى الشعوب عبادة راما وكرشنا Rama & Krishna (وهما تجسيدان لفشنو) وأتباع عبادة درجا Durga وسكاندا Skanda وجانيسا Ganesha وهم على الترتيب زوجة شيفا وابناه) لكن ينبغي أن نستبعد براهما Brahma وسيريا Surya أي الشمس، اللذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة، كما ينبغي كذلك أن نستبعد قلة هم أولئك الذين يعدون التراث الفيدي Vedic هو التعبير الرئيس عن الدين، وهو تراثٌ أسبقٌ من التراث الهندوسي. ينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 107 - 108.

[2] - كولر، جون، الفكر الشرقي القديم: ص 144.

[3] - ظ: كولر، جون، الفكر الشرقي القديم: ص 145.

تقوم الأرباب والأرواح الحارسة بتحريك مياه المحيط بعنف للحصول على إكسير الخلود، فإنَّها تهدد بغمر الأرض بأسرها بالماء والقضاء عليها. وهكذا يظهر فيشنو في صورة (كورما) السلحفاة العملاقة، التي تسند الأرض إلى ظهورها، ومن ثمَّ تنقذها من الدمار. ومرةً أخرى كذلك، وبعد أن غمرت مياه المحيطات الأرض، تجلى فيشنو في صورة خنزير بريٍّ ضخم، هو (فاراها) يرفع الأرض فوق الماء. وكما حدث في المرات السابقة، فقد اتخذ فيشنو صورةً مناسبةً لما يقتضيه المقام، منقذاً العالم من الدمار. ... ولذا فقد ظهر، فيشنو الذي كان يعرف موضع ضعفه الخفي، ... وقام فامانا القزم الذي تجسد فيه فيشنو، بإنقاذ العالم من عفريت شرير يدعى (بالي)^[1].

وفي آخر مجيء وظهور وتجلٍ له ((يأتي فيشنو في نهاية هذا العصر المظلم على شكل رجلٍ يمتطي حصاناً أبيضَ وفي يده سيفٌ يلمع ليحاكم الخطاة ويكافئ المحسنين ويعيد إلى الذهب قيمته التي ضاعت))، وكذلك قال أحد المؤرخين المستشرقين: ((أما التجلي العاشر... على جواده الأبيض، فسوف يكون الهبوط التالي لفيشنو، وهو هبوطٌ سيحدث في نهاية العصر الحاضر. وهو نوعٌ من المُخلَّص، جاء ليعاقب الأشرار، وليكافئ الأخيار، مطلقاً العنان لعهدٍ جديدٍ من القداسة والنعيم، وليس من الواضح ما إذا كان هذا التجلي مستلهماً من التعاليم البوذية الخاصة ببوذا المستقبل أو من الأفكار الزرادشتية عن المخلَّص الذي سينتصر على الشر))^[2].

وأخيراً بُعيدَ الاطلاع على معتقدات الديانات القديمة إجمالاً، ولا سيَّما معتقد الإنقاذ والخلاص، أجدُّ أن هذه الديانات القديمة لا تؤمن ولا تعتقد بالمنقذ والمخلَّص بالإيمان الذي ننشده ونتوق له، ويتفق مع فكرة المنقذ والمخلَّص في نهاية الزمان وقبل نهاية الدنيا، إنَّما كانت عقيدتهم بالمنقذ المصلح والمخلَّص على حدِّ زمانهم المؤقت ولا يمتد هذا الاعتقاد إلى آخر الزمان عندما تملأ الدنيا ظلماً ليأتي فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما عليه الإيمان الصريح في الأديان الرئيسة الثلاثة (الإسلام، المسيحية، اليهودية). وكذلك فإنَّ رؤيتهم للمنقذ والمخلَّص هي رؤيةٌ دنيويةٌ نابعةٌ من ارتباطات دنيويةٍ ومآسٍ وآلامٍ ارتبطت بالخلاص منها بظهور هذا المنقذ، وهذه الرؤية تختلف عن الرؤية الإسلامية على الخصوص لطبيعة

[1] - المصدر نفسه: ص 146

[2] - المصدر نفسه: ص 147.

وظيفة المخلص أو المنقذ في آخر الزمان، إذ ارتبطت العقيدة بملء الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا هو منهج الإسلام عموماً في إحقاق الحق وإقامة العدل.

3 - الديانة الهلنستية:

الديانة الهلنستية، ديانة وثنية^[1] وفكرة المنقذ المخلص في هذه الديانة، تتمثل في التجلي والتجسد أيضاً، حيث ((دفعت حياة الإسكندر الأكبر المقدوني القصيرة (356 - 323 ق.م) بالحدود إلى الوراثة بعدة طرق، فاهتزت الآلهة القديمة وعظم اليونانيون أبطالهم ومؤسسي المدن، فحاولوا أن يجعلوا ألوهيته هي الفكرة التي تربط الإمبراطورية، صحيح أنه فشل، لكنه وضع سابقة. وعندما زار (ديمتريوس فاتح المدن) أثينا عام 307 ق.م أنشدوا له ترنيمة جميلة تعلن أن الآلهة الأخرى غائبة، صمّاء، غير مكترثة أو غير موجودة، أما هو، فهو تجلٍ للإله الواحد الحق ... وبعد ذلك اتخذ الحكام لقباً مثل (Euergetes المحسن) أو المنقذ وتجلي الإله))^[2].

ولديهم أيضاً أن الإله سيرابيس Sarapis، واحد من أطرف إبداعات العصر وهو صيغة جديدة من الإلهين المصريين أوزيريس، الإله المخلص، ومع ذلك فهو يرتبط ارتباطاً غريباً مع سينوب Sinope الواقعة على البحر الأسود، إذ اتحد مع زيوس الإله الشافي، الإله المخلص، الإله الأب^[3].

وقد قالت جماعة منهم أن حالة الإنقاذ والخلاص يمكن أن تحدث في كل وقت أو زمان، فقد قالوا واعتقدوا ببناء النفس التي هي بنية من الذرات تنحل مع انحلال الجسد،

[1] - الديانة الهلنستية: ديانة وثنية مبنية على الشرك أي تعدد الآلهة، وهي ديانة إغريقية وينسبون إلى آلهتهم المتعددة صفات البشر، ما يعرف بالتشبيه فنجد الآلهة تسكن في جبل شامخ في سهل (تساليه) هو جبل (الأولمبوس) واختص كل إله بظاهرة طبيعية أو بأمر خاص من أمور الكون. وتؤثر الآلهة في مصائر البشر. ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ص 608 - 613.

والعصر الهيلينستي: فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 ق.م، واستمرت حوالي 200 سنة في اليونان وحوالي 300 سنة في الشرق الأوسط. ويستعمل اصطلاح هيلينستية لتمييز هذه الفترة عن الفترة الهلينية وهي فترة الإغريقين القدماء التي اعتبرت أوج عبقرية وعظمة الفكر والعلوم والفلسفة الإغريقية في ظل الامبراطورية الأثينية. المصدر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة الشبكة العنكبوتية.

[2] - بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م: ص 63.

[3] - ظ: المصدر نفسه: عدد: 173، لسنة 1993م: ص 64.

وأنكروا أن الآلهة تعاقب الشرير وتكافئ المستقيم، لكنهم يجمعون على أن الآلهة موجودةٌ يقول بهذا إجماع الناس، ونحن ندركها في الأحلام أنها تعيش في نعيمٍ مقيم، دون أن يزعجها شيءٌ، وتدور بينها مناقشاتٌ فلسفيةٌ حول العالم وما فيه من خللٍ دون أن تهتم بشؤون البشر. غير أن الروح التي هي و(حالة تناغم مع اللامتناهي) تستطيع أن تلتقط فيوضاتهم كما نلتقط موجات الراديو وذلك منفعتها وسعادتها^[1].

4 - الديانة البوذية:

بوذا^[2] هو المنقذ والمخلص، هذا ما تنبأ به منذ ولادته، مفسرو الأحلام في الهند، بعد أن كانت أمه الملكة حاملاً به، فحلمت حلماً استغربت له، فجاء الملك بأربعة وستين من أعلام ومفسري البراهمة واستفسرهم عما يكنه الغيب، فقالوا: ((سيكون لك ابنٌ، ولو سكن ذلك الولد بيتاً فسيكون ملكاً، سيكون ملكاً على الدنيا بأسرها، وأما إن ترك داره وخرج من أحضان العالم، فسيصبح بوذا [يعني مخلصاً] وسيكون في هذا العالم رافع الغشاوة عن أعين الناس))^[3].

ومفهوم البوذيستفا Bodhisattva يعني به ((بوذا المنتظر - أو الشخص الذي يصل إلى مرحلة ما قبل الاستنارة - أي الشخص الواعد أن يصبح بوذا - وعدد هؤلاء من الناحية النظرية لا حصر له، يحمل أسماءً مختلفةً في الصين والتبت واليابان))^[4].

في البوذية، هنالك مفهوم (البوذيستفا): ((هو كلُّ شخصٍ يكون على أعتاب (النرفانا))^[5]

[1] - ظ: المصدر نفسه: عدد: 173، لسنة 1993م: ص 67.

[2] - بوذا: (563 - 483 ق.م) تعني المتيقظ، وهذا ليس اسماً علماً شخصياً، ولا ينبغي أن يستعمل على أنه اسم شخص. فكذلك عرف هذا الرجل باسم (جوتاما) إذ كان هذا هو اسم عائلته، أما اسمه الشخصي فهو (سدهاتا) وفي اللغة السنسكريتية (سدهارتا) والواقع أن بوذا - طبقاً للتراث البوذي - قد ظهر من وقت لآخر طول التاريخ البشري، وسوف يواصل الظهور على هذا النحو كلما فقد الناس معرفة الداهما Dhamma (الحقيقة الخالدة) وتوقفوا تماماً عن ممارسة الساسانا Sasana (طريقة الحياة). ينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 175 - 176.

[3] - ديورانت، ول وإيريل، قصة الحضارة: ص 66.

[4] - بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 325.

[5] - Nirvana نيرفانا تعنى حرفياً (الانطفاء) أو الإخماد الهدف الأسمى في الفكر الديني الهندي الذي يصل إليها الإنسان بعد فترةٍ طويلةٍ من التأمل العميق، فلا يشعر بالموثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلاً تماماً بذهنه وجسده عن العالم الخارجي، فمن تأمل التلاميذ يميز البوذية أكثر من غيرها وهو عندها يعني

ثم يؤجل عامداً الدخول في حالة الغبطة النهائية (النرفانا) شفقةً منه على جماهير الناس العاديين وبدلاً من أن يتحول إلى (بوذا) كاملٍ فإنّه يظل مقيماً في العالم الزماني المؤقت مكرساً نفسه لخلاص الآخرين^[1].

وكذلك يُنظر أيضاً إلى البوذيستفا نظرة المحرر والمنقذ الذي سيعود لهم بطريقة أو بأخرى ((بوصفه شخصاً تحرر من الخضوع للحدود البدنية للحياة البشرية، وأصبح يسكن عالماً سماوياً ومجالاً روحياً أوجده بفضل قداسته، وقد اعتقد الناس أنه يستطيع أن يدخل الآخرين في هذا العالم المبارك عن طريق قواه الروحية)).^[2]

والظاهر أن البوذيين فهموا هذا المعنى، معنى الخلاص والعودة والإنقاذ، بجعله أنه هو الإله، وكذلك ما ترشح من كلمات بوذا نفسه، فقد جاء في كتاب (الدامابادا)^[3] كتاب بوذا المقدس، ما يطلقون عليه قرآن بوذا، جاء بما يُسمونها سورة الأزهار:

((مَنْ سَيَكُونُ لَهُ هَذَا الْعَالَمُ؟

وَعَالَمُ الْمَوْتِ وَالْآلِهَةِ؟

مَنْ سَيَجِدُ طَرِيقَ الْحَقِّ،

الوصول إلى حالة سامية من التحرر عن طريق إخماد رغبات الفرد ووعية. ينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 197.

فبحسب معتقدات البوذيين، هناك طريقٌ واحدٌ فحسب، للفرار من هذه معاناة الدنيا وشروها، وهو الطريق الذي اكتشفه البوذا، والذي يؤدي إلى النرفانا Nirvana أعني إلى الوجود المطلق غير المشروط، الوجود الذي يدوم دون أن يفضي إلى الموت أو إلى ميلاد جديد، ويأتي الخلاص عن طريق الإيمان ببوذا وتطبيق الشريعة. ينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 272.

[1] - بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1993م، ص 196 - 197.

[2] - بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، ص 197.

[3] - كتاب الدامابادا يضم مجموع ما قاله بوذا، والمرجح أن هذه الأقوال جُمعت في شمال الهند، في القرن الثالث قبل الميلاد، ودُوِّنت أساساً في سيلان (سري لانكا) في القرن الأول قبل ميلاد المسيح. الداما، تعني في ما تعني، الشرع. العدل. العدالة. الطاعة. الحقيقة.

بادا، تعني: السبيل. الخطوة. القَدَم. الأساس.

نصوص الدامابادا، انتشرت وسُجِّلت بلغة بالي، اللغة الفقهية للبوذية الجنوبية، وصارت الكتاب الرئيس للبوذيين في سريلانكا وجنوب شرق آسيا. ينظر: الدامابادا، كتاب بوذا المقدس، ص 5.

كما يجدُ امرؤٌ عارفٌ، الزهرة؟

الطالبُ الحكيمُ سيكونُ له هذا العالمُ

وعالمُ الموتِ والآلهة.

الطالبُ الحكيمُ سوف يجد طريقَ الحقِّ

كما يجدُ امرؤٌ عارفٌ، الزهرة)).^[1]

فمن الواضح بعد أن عدّه البوذيون أتباعه، إلهاً جعلوه مخلّصاً لا يموت في كل زمان ومكان، على سبيل المثال، جاء أحد مريديه يسأله: أُخبرتُ ((أنك أنت (بوذا الواحد المقدس) العارف كل شيء، وأنت سيد العالم، وما دمت أنت (بوذا)، فلم لا تظهر بمجديك العظيم بأبته وجلال كملكٍ قديرٍ؟))^[2]

وأكثر صراحةً وجملاً، ما جاء على لسان بوذا نفسه، بأنّه هو المنقذ الذي سيعود ويخلصهم، إذ قال لأتباعه ومريديه: ((إنّ الذين لا يؤمنون بي يدعونني (غوتاما) أما أنتم فادعوني (بوذا) الواحد المبارك، والمعلم ... واعلموا أن (بوذا) لا يموت أبداً بل يبقى حياً في جسد الشريعة المقدسة ... يا أولادي ثقوا أنني أنا أبوكم، وبواسطتي نجوتم من الآلام والأوجاع. أنا نفسي وصلت الشاطئ الآخر لأساعد الآخرين على اجتياز ساقية الآلام، وقد دُفِعَ لي كلُّ سلطان فأنا المخلّص المنقذ، اطمئنوا لأنني سأنقذ الآخرين وأقودهم إلى مقر الراحة. سأبعث فرحاً في المتعبين، وأمنح غبطةً لموتى الأوجاع، وأمدهم بالمساعدة للخلاص. لقد ولدتُ في هذا العالم ملكاً للحقيقة لكي أخلص العالم، فالذي أقوله حقٌّ وما أقوله عن نفسي حقٌّ، وما أبشّر به حقٌّ)).^[3]

لكن السؤال يبقى هنا: هل البوذيون الآن في الوقت الحاضر، يؤمنون بعودة بوذا نفسه لينقذهم؟ أو أن لكلمة بوذا بمعناها العام (المتيقظ، المستنير) - أي الحقيقة الخالدة للواحد المتيقظ التي تدور حول واقعة المتيقظ وهذه اليقظة ممكنة وكذلك الحقيقة يعلنها ذلك الشخص المتيقظ وسوف يواصل الظهور كلما فقد الناس معرفة الحقيقة الخالدة وتوقفوا

[1] - الدامابادا، كتاب بوذا المقدس: ص 17.

[2] - إنجيل بوذا: ص 169.

[3] - المصدر نفسه: ص 178 - 179.

عن أداء ممارسة طريقة الحياة، كما هو سالف الذكر - تبيح لهم هذه الكلمة بهذا المعنى، انتظار بوذا آخر، يحمل ذات الصفات من الزهد والعلم والفكر والاستنارة والتيقظ؟ وهذه الفكرة تعبر عن رمزية عقيدة المنقذ وإعطائه بُعداً روحياً لا يرتبط بإمكانات الواقع.

5 - الديانة الزرادشتية^[1]: كان للإيرانيين الفرس ديانات وألهة متعددة منذ العهود الآرية القديمة التي سبقت هجرتهم، لكن بعد ما جاء زرادشت في القرن السادس ق.م شرع في تأمل حياة الناس بغية الوصول إلى ديانة جديدة تلائم حياتهم وتسد حاجتهم، فتأمل زرادشت الصراع المستمر بين الخير والشر - وهو يكاد يكون أسس الديانة الزرادشتية - هذا الصراع الذي كان يراه حوله أينما سار، والذي رآه ممثلاً في ديانة الشعب وفي عقائدهم. وبدا له أن هذا الصراع قائم بين مجموعة من قوى الخير ومجموعة من قوى الشر، واعتقد أن الخير ليس إلا كائناً إلهياً أطلق عليه اسم مازدا Mazda، الذي كان اسماً لأحد الآلهة القدامى أو (أهورامزدا) Ahuramazda ومعناها (رب الحكمة) الذي رأى فيه أنه هو (الله).^[2] وكان من بين تلك الآلهة، الإله (مترا) هو الإله المخلص عند الفرس

[1] - الزرادشتية وتعرف بالمجوسية، ظهرت في إيران على يد زرادشت الذي تذهب معظم الروايات إلى أنه ولد عام 660 قبل الميلاد وأنه قتل عن 77 سنة في معبد للنار عندما كان يصلي أمام النار، وقد حوت هذه الديانة التشريعات والأحكام والأخلاق والطقوس وكان لها كتابٌ مكتوبٌ في عهد زرادشت (الأفستا أو الأستاق) ومعناه الأساس أو الأصل والمقرر في هذه الديانة أن (الأفستا) موحى به من الإله المسمى عندهم (أهورا مزدا) فهم يعدون زرادشت نبياً أوحى إليه هذا الدين من هذا الإله ومن أبرز مظاهر الديانة عبادة النار لكونها مصدر النور.

ينظر: يوسفي، جمشيد، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة: ص 7 - 11، ص 45، ص 56 - 60.

وصلتنا تعاليم زرادشت عن طريق سبعة عشر نشيداً من أناشيد (الغانا) والإله ليس له أي صلة بالشر، روحه القدسية تقف على تعارضٍ معه الروح الشريرة، القوة المدمرة، ولا بد للبشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين.

ويذكر أن النار المقدسة هبة من أهورامزدا إلى البشرية، لكن زرادشت نفسه لم يعبد النار، كما فعل أسلافه، وفعل بعض أتباعه في ما بعد، بدأت التحويلات الكبرى أثناء حكم الملوك الأخمينيين، واستؤنفت بعد عهدٍ طويلٍ من الاضطراب والفوضى، الذي سببه غزو الاسكندر الأكبر في عهد السلالة الساسانية (226 - 651م).

لم يطلق زرادشتيو فارس على أنفسهم اسم الكفار، ولكنها صفة ألصقها المسلمون بهم والتي تعني بمعناها الواسع غير المؤمن بالإسلام. لقد أطلقوا على أنفسهم اسم الزرادشتيين أو الباهدينيين التي تعني البهلوية أصحاب الدين الخير.

ينظر: بارندر، جفري (Geoffry Parrinder) كتاب موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، تحرير: فراس السواح: الفصل الأول منه بعنوان الزرادشتية: ص 12، ص 37 - 39 ص 54 - 55.

[2] - ظ: بريستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة: ص 259 - 260.

الذي سيعود ويخلصهم، وهو إله القبة الزرقاء وحليف (أهورا مزدا).^[1]

وجاء في كتاب أفستا^[2] (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية): كان (ميترا) الإله الآري الأصل، يُعبد في إيران في الزرادشتية كإله للعقود والاتفاقيات. وهو يحفظ الحق والنظام. وبوصفه حارساً للحقيقة فهو قاضي الأرواح بعد الموت، وبوصفه الحافظ للاتفاقيات والعقود، فهو الذي يحدد متى تنتهي فترة حكم الشيطان. ويُتَظَرُّ قدومه في أيام النصر. كما تتضمن بعض النصوص المسيحية في القرن الخامس وجود (أسطورة عن مترا) وتنبؤات تتوافق ومتبنياتهم واعتقاداتهم، تنبئ بظهور نجم يقود المجوس إلى المكان الذي سيولد فيه المخلّص.^[3]

كذلك تبلورت فكرة انتظار المنقذ والمخلّص عند الزرادشتية، لينقذهم من عقاب الجحيم، فالجحيم الأبدي في نظرهم، هي التعاليم اللاأخلاقية. والإله الطيب لن يسمح لعباده أن يعانوا إلى الأبد، لأن الغرض من العقاب هو الإصلاح، حتى إذا جاء يوم البعث أمكن أن يقوم الجميع، بفضل المخلّص لمواجهة الحساب الأخير، عندئذٍ، وعندما يصبح الجميع أنقياء في النهاية، فإنّ الشيطان وجميع أفعاله سيتم تدميرها في النهاية.^[4]

وفكرة الانتظار عموماً، هذه - انتظار المنقذ والمخلّص - عند الفرس الزرادشتية قد يكون جاءت من تنبؤاتٍ أخبرهم بها زرادشت وآمنوا وصدقوا بها، بحسب اعتقادهم به، بما يعدّونه نبياً موحىً إليه، من الإله (أهورامازدا) وساروا على خطاها، فكما يظهر، قد تنبأ لهم

[1] - ظ: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص 87.

[2] - الأُستاق أو الأفيستا Avesta وهي كلمةٌ فارسيّةٌ تعني الأساس أو الأصل، الحمى، (الملاذ) وهو الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة، ولا تزال باقيةً إلى الآن. تمثل أقدام وثيقة تاريخية، ثقافية، دينية وقانونية مكتوبة تعكس المراسم والطقوس الدينية.

وإنّ لغة الكاتات في أفستا هي أصعب أشكال اللغات الهندوأوروبية، يعد (الكات) الجوهرة الثمينة في الياسنا، وهي أناشيد النبي زرادشت نفسه، التي أُرست أسس ديانة الحق، وتألّف من سبعة عشر نشيداً، موحداً في خمس مجموعات. والنسك في أفستا، هو الجزء، أما ياسنا (Yasna) فتعني باللغة الأُستية: التجليل، التقديس و(ياسنا) من أهم الكتب الأُستية التي تتضمن مجموعة ترانيم وصلوات دينية مؤلفة من (72) فصلاً يسمى كلٌّ منها بـ(Haiti / هايتي) مكتوبة بالهلوية. و(ياسنا) أساس العبادات الزرادشتية التي يقوم بها الكهنة أمام النار المقدسة.

ينظر: عبد الرحمن، د. خليل، مقدمة كتاب أفستا الكتاب المقدس للزرادشتية: ص 7 - 9، ص 46، ص 55 - 56.

[3] - ظ: أفستا، الكتاب المقدس للزرادشتية: ص 17. وينظر: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص 98.

[4] - ظ: بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص 96.

بظهور المسيح المخلص، كما جاءت تفاصيل هذه النبوءة في إنجيل (متى) وتشير إلى قدوم مجوس المشرق إلى بيت لحم: ((وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدَّ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكُتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟ فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتَ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُودَا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودَا، لِأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ... وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جَدًّا. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرِيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُتُوبَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلَبَانًا وَمُرًّا.))^[1] فبقي هذا الوازع لديهم، وهذا الأمل، بانتظار المسيح المخلص في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، بعد غيابٍ ورحيلٍ زرادشت عنهم.

وجاءت هذه النبوءة ذاتها في (إنجيل الطفولة المنحول)^[2] وعيَّنت اسم النبي المُنْتَبَّأ به، والذي جاء بالوصف فقط في إنجيل (متى) فذُكِرَ في هذا الإنجيل - إنجيل الطفولة المنحول - بالذكر الصريح: اسم (زرادشت) حيث جاء فيه: ((وحدث عندما ولدَ الربُّ يسوع في بيت لحم اليهودية، في زمن الملك هيردوس، جاء مجوسٌ من المشرق إلى أُورُشليم، كما تنبأ بذلك زرادشت، وكانوا يحملون معهم هدايا، ذهبًا ولبانًا ومرًّا، وسجدوا للطفل وقدموا له هداياهم.))^[3]

وكما ترشح هذا المعنى - معنى المنقذ والمخلص - على أنه عقيدةٌ أكثرُ وضوحاً وتصريحاً، من كلمات زرادشت نفسه في الكتاب المقدس للمجوس (أفستا) حيث جاء فيه: ((عسى أن يبلغ ما هو أفضل من الخير، ذلك الذي يعلمنا الطرق المستقيمة للقداسة في هذه الحياة الدنيوية وفي تلك الحياة العقلية، الطرق الحقّة، التي تؤدي إلى العالم الذي يسكنه أهورامازدا المنقذ والحكيم، المقدس والسامي))^[4]

[1] - إنجيل (متى) الإصحاح الثاني: 1 - 13.

[2] - إنجيل الطفولة العربي (ويعرف أيضاً بإنجيل الطفولة السرياني) هو أحد أناجيل الطفولة (التي تتناول طفولة يسوع المسيح) الكتب المسماة بأناجيل الطفولة التي رفضتها الكنيسة. والتي تعدّها الكنيسة أناجيل منحولةً.

[3] - إنجيل الطفولة المنحول، ضمن عنوان: قدوم المجوس.

[4] - أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: ص 74.

وفي كلام آخر له: ((أنا زرادشت، عدوٌ حقيقيٌّ للكاذب الشرير بأقصى حدٍّ من قوتي، لكنني نصيرٌ قويٌّ للإنسان الصالح، ولعلي أبلغ الأشياء المستقبلية للسيادة اللامتناهية بمديحي وتمجيدي إليك يا مازدا))^[1].

وفي موضع آخر من (أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية) يعدهم بوجود المنقذ، والذي يُصطَلحُ عليه (الساوشيان): ((زرادشت)^[2]: الذي يكره الأبالسة، ويطلع الساوشيان [المنقذ]^[3] سيكون ضميرٌ ساوشيان المقدس سيدَ منزله، بدلاً من الصديق والأخ والأب يا أهورامازدا))^[4] وهم يُعدّون لذلك المنقذ والمخلّص ويحترمون له لأنه سينتصر لهم ويحميهم من شر الأشرار، بما جاء: ((نُبجّل الذي اسمه سيكون المنتصر ساوشيان، الذي سيكون اسمه Astvat - ereta سيكون ساوشيان [الرحيم]^[5] لأنه سيرحم العالم المادي كله، سيكون Astvat - ereta [الذي سيجعل المخلوقات المادية تنهض]^[6]، وكونه مخلوقاً مادياً وحيّاً سيقف ضد دمار المخلوقات المادية))^[7] في أكثر من موضعٍ في الأفستا صرّح بنفسه على أنه مخلّصٌ ويهتف: ((عسى أن نكون هؤلاء الذين يجددون هذا الوجود، فليقونا أهورامازدا، فلتقونا القداسة ... حينئذ يتوقف الشر عن الازدهار))^[8]

بل وهناك بحسب اعتقادهم، يوجد في النهاية منقذون متعددون، لكل زمن ((الساوشيانتيون يحموننا في المحن بمساعدة أهورامازدا، ... التي عبدها زرادشت بعظمة شديدة في العالم

[1] - المصدر نفسه: ص 75.

[2] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[3] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

فكلمة الساوشيان تعني المخلّص في النصوص الأفستية، ففي أكثر من مناسبة، يعرف زرادشت نفسه (ساوشيان) كمخلّص، ينظر: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ميرسيا إلياد: ج 1، ص 401. وإنّ الساوشيان هو المخلّص النهائي، متماهياً بزرادشت، تبعاً لبعض التقاليد المتأخرة المتولدة من بذرة تالني المحفوظة بمعجزة من بحيرة. ينظر: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ميرسيا إلياد: ج 1، ص 409.

[4] - أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: ص 81.

[5] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[6] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[7] - أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: ياشت 13، ترنيمه الأرواح، بند 129: ص 518.

[8] - أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: هايتي 30، بند 9 - 10.

المادي))^[1] وهذا التبجيل والتعظيم للمنقذ المخلّص عموماً ولزرادشت خصوصاً وهبه إياه الإله آهورامازدا : ((أنا آهورا، صديق آرتا وخالق الكلمة مانترا [الكلمة المقدسة، الخطاب الإلهي أو التعويذة]^[2]... يقول للعقل الخير هناك واحدٌ أحدٌ في الأرض، يُبجّل وصاياي بقدسية، إنه زرادشت المخلّص لِمازدا مثل آرتا لقد مجّدنا دائماً، لذا أهبه الكلمة)).^[3]

وفي سؤالٍ لزرادشت يسأل آهورامازدا - الإله الذي يعتقد به - وكأنه يُعدُّ نفسه ليوم الخلاص، في دائرة الصراع القائم بين الخير والشر، بين الأخيار في مقابل الأشرار، يجيبه آهورامازدا، بما يناسب ظروف زرادشت، على أنه منقذٌ ومخلّصٌ: ((قل لي أيها الروح، خالق الحياة المسطحة، أيُّ شيءٍ يؤثر أكثر من الكل، من الكلمة المقدسة، الأكثر عظمتاً، والأكثر نصرةً، والأكثر غزارةً للخيرات؟ وأيُّ شيءٍ الأكثرُ نصرةً، والأكثر نجاحاً؟ وأيُّ شيءٍ سيحطم عداوة الناس والأبالسة؟... نطق آهورامازدا: سيكون اسمي يا زرادشت سبيتاما^[4] من الأسماء المقدسة الخالدة... الأكثر ظفراً، الأكثر غزارةً للخيرات، الأكثر تأثيراً، هو الأكثر نصراً، الأكثر شفاءً، وسيحطم بشكلٍ أكثر عداوةً الناس والأبالسة، [ثم قال زرادشت] عندئذٍ سأسحق عداوة الناس والأبالسة، عندئذٍ سأسحق كل السحرة، ولا يستطيع أن يقهرني الناس، ولا الأبالسة، ولا السحرة، ونطق آهورامازدا: أيها المخلّص زرادشت! اسمي الذي يُسأل، الاسم الثاني، الذي يحيا فيه القطيع... صلّ لي يا زرادشت ليلاً ونهاراً، وقم بقربان اللائق، وأنا آهورامازدا نفسه سأقوم بالمساعدة... وستأتي لمساعدتك المياه، النباتات، والفراشيون الصالحون، عندما يا زرادشت تريد أن تسحق عداوة الناس والأبالسة والسحرة، والكافيين الطغاة، والكارابانيين الأشرار... جيش [الأعداء الجرار]^[5] ذو الأعلام [العديدة]^[6] المرفوعة

[1] - المصدر نفسه: ياشت 13، ترنيمة الأرواح، بند 146: ص 521.

[2] - أفسنا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: هايتي 29، صلاة لأجل مساندة القطيع، بند 7 - 8: هامش صفحة 61. وهي نفس صفحة النص المقتبس منها.

[3] - أفسنا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: هايتي 29، صلاة لأجل مساندة القطيع، بند 7 - 8: ص 61.

[4] - زرادشت يسمى أيضاً سبيتاما. ((يطلق على زرادشت، في النصوص الأفسنية، اسم زرادشت سبيتاما، وورد اسمه حرفياً (زرتوشتره) وفي اللغات الإيرانية الحديثة (زرتشت) وكان اسمه يسبق بكلمة (أشو) والتي تعني الطاهر النقي)) المصدر: يوسفى، جمشيد، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة: ص 44.

[5] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[6] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[المصبوغة]^[1] بالدماء، عندئذ كرر شفهيًا هذه الأسماء ليلاً ونهارًا... اسمي المدمر، اسمي الساخط، اسمي الساحق، اسمي الخالق... كل هذه الأسماء العشرون للوقاية والحماية... تعطيك الحماية مثل ألف رجل^[2])).

إذا نشأت وتبلورت عقيدة انتظار المخلص والمنقذ، من شر الأشرار - وهو زرادشت - من صميم الديانة الزرادشتية وليست منحولةً عليهم، لذا قال المستشرقون وغيرهم بأن هذه العقيدة عند المسلمين متأثرةً ومقتبسةً من الزرادشتية سابقاً، والقول نفسه اتهموا به الديانة اليهودية والمسيحية وتأثرهم بالزرادشتية في عقيدة انتظار الخلاص والمسيح المخلص.

لكن السؤال هنا يبقى في مقابل أقوال المستشرقين: هل وجود هذه الفكرة أو العقيدة عند الزرادشتية، بهذا الحضور والوجود الفاعل، يعد دعماً وتأييداً للقضية المهدوية الإسلامية أو حتى دليلاً قوياً لإثباتها فعلاً؟

إذا كان الجواب بنعم وأنه قد يعد تأصيلاً لما جاء في الإسلام ومن قبله في الديانة المسيحية واليهودية لهذه العقيدة، عقيدة انتظار المنقذ والمخلص في آخر الزمان، سينقدح سؤالٌ بالتبع: من أين جاءت للزرادشتية هذه العقيدة بهذه التفاصيل؟ - وإن كان لم يتم ذكر جميع تفاصيلها وشؤونها الأخرى المذكورة في الأستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، لثلا يشتط البحث عن خطه ومساره المرسوم - إذا لم يكن زرادشت نبياً موحىً إليه كما هو الثابت والمقرر، فمن أين تجذرت لديهم مثل هذه العقيدة بهذه التفاصيل؟ ومع أن عقيدة المنقذ تعبر عن حاجة حقيقية للخلاص من الظلم فإنها تؤكد حاجة الإنسانية إلى العدل والحرية لمواجهة الاستبداد والتحكم في حياة البشر وهذا يفسر وجود هذه العقيدة في الزرادشتية وغيرها.

وإذا كنا نجيب ونناقش المستشرقين للرد على مثل هذا الشبهة مع الديانة اليهودية والمسيحية، بقولنا لهم: هذا يدل على وحدة المصدر لهذه الديانات الثلاث - أي وجود لمثل عقيدة انتظار المنقذ والمصلح والمخلص في الديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية - ومن ثم لهذه العقيدة الحقّة؛ لأنّها شرائعٌ سماويةٌ متصلةٌ بالسماء ومنبعها واحدٌ وهو الله تعالى عن طريق الوحي والوساطة النبوية والرسالية. والتشابه في العقائد والأحكام

[1] - القوسان المعقوفان، وردا من المصدر.

[2] - أستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: ياشت1، بند 1 - 19: ص 390 - 393.

في ما بينها، دليل صحتها وقوتها، ولا يُعدّ دليلاً على ضعفها، وإن قال المستشرقون هذا يعدّ دليلاً على ضعفها واقتباسها من تلك الديانات السابقة على الإسلام، وإن شاؤوا ذلك حسب رغباتهم وأغراضهم، ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى﴾^[1] ونقول لهم، أيضاً، كلما كانت تلك الأحكام والعقائد والمفردات الإيمانية متطابقة كانت أقوى حجةً، وأنصع دليلاً بأن مصدرها واحد.

عودةً إلى التساؤل، فبم يمكن الإجابة مع الزرادشتية والبوذية وغيرهم، الذين لا يمتُّون إلى وحي السماء بصلةٍ وهم يعتقدون ويعتقدون فكرة المنقذ، المخلص بتفاصيل تشابه مع التفاصيل الإسلامية واليهودية والمسيحية؟

الجواب: باختصار إن الأطروحة المهدوية بصورتها العامة، بمعنى المنقذ العالمي، المصلح، المخلص، أطروحةٌ إنسانيةٌ متجذرةٌ بالضمير والواقع الإنساني، والإنسان الذي يحمل الأمل النابض في الروح الإنسانية، لا يخلو من تلك الأطروحة، ولا يلبث أن يتطلع إلى واقع أفضل وأرحب، بما لديه من إرادةٍ وعزيمةٍ وأملٍ في تغيير الواقع، وبما يمتلك من تجربةٍ واقعيةٍ إما عاصرها أو عاشها أو سمع بها، ألم يَبْنِ أفلاطون مدينته الفاضلة على الورق أملاً منه بالتغيير المنشود؟ ألم تتنبأ المادية أو الماركسية بالمستقبل السعيد؟

لذا ثبت أن جذور هذه العقيدة مرتبطةٌ بالسماء أكثر من الأرض، وهي تراود الفكر الإنساني الذي يتطلع إلى عدالة السماء وهو يعاني ظلم جنسه، من هنا ارتبطت هذه التصورات بالإيمان بقدرة الإله وتدخله لتعديل مسار الانحراف عند البشر لذلك فإنَّ عقيدة المنقذ أو المخلص ارتبطت بالألوهية من جهةٍ، وبالنبوءات من جهةٍ أخرى.

وزرادشت وبوذا وغيرهم من المفكرين أو الفلاسفة أو النوابغ أو الحكماء - عبر عنهم ما تشاء - ممن نظَّرَ لمثل هذه الأطروحة عاشوا في هذا المجتمع وترَبَّوا وكبروا فيه وأحسُّوا ما الفقر وعرفوا ما الظلم، وتحسسوا مشكلات الناس، فعرفوا بإدراك الفطرة الإنسانية أنَّ الخلاص لا بدَّ أن يكون إما على أيديهم أو من يأتي بعدهم بمساعدة الناس الفقراء المظلومين أصحاب الشآن، والتغيير إلى واقع أفضل يجب أن ينطلق من ثورة الجياع كما يعبرون. أدركوا أنَّ الخلاص سيأتي يوماً ما، فغير بعيدٍ كلُّ ما هو آتٍ.

حَفَّزَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْوِازِعَ وَهَذَا الْأَمَلَ بِتَغْيِيرِ الْوَاقِعِ وَحَثَّ عَلَيْهِ عَنِ طَرِيقِ الْوَحْيِ بِأَنَّ هُنَاكَ أَمَلًا لِلخَّلَاصِ وَالتَّغْيِيرِ لِلسَّعْيِ وَرَاءَ هَذَا التَّغْيِيرِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^[1] أَوْ إِنْ أَطْرُوحَةَ الْإِنْتِظَارِ لِلخَّلَاصِ وَالمَخْلَصِ هِيَ صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ عَاكِسَةٌ لِإِنْتِظَارِ يَوْمِ الخَّلَاصِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ العَدْلِ الإِلَهِيِّ. وَالْقُرْآنُ وَالكِتَابُ السَّمَاوِيَّةُ قَنَنَتِ وَسَنَّتْ وَأَشَارَتْ إِلَى هَذَا المَفْهُومِ وَأَقْرَبَتْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[2].

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ يَحْدِثُنَا كَثِيرًا كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْرِّجُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ شَوْطِ كَبِيرٍ مِنَ الْأَلَامِ وَالتَّعَبِ وَالاِنْتِظَارِ، وَظَلَمِ الظَّالِمِينَ وَالغِيَابِ الطَّوِيلِ وَالشَّدَةِ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالدِّينَ ءَأَمِنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^[3] وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَكَمَا يَأْتِكُم مِّثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^[4] ففِرَاقِ يوسُفَ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ وَالدِّهِ ثُمَّ اللِّقَاءِ وَالفِرَاجِ، وَإِزَالَةِ المَحْنَةِ وَالأَيَّامِ العِجَافِ عَنِ أَهْلِ مِصْرَ وَلَا سِيَّمًا الْفُقَرَاءَ وَالعَبِيدَ مِنْهُمْ، إِذْ كَانَ الْأَمَلُ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ، فبَعْضُ يَتَوَقَّعُ إِلَى الخَّلَاصِ وَالمَخْلَصِ إِلَى نَهْرِ النِّيلِ، وَآخَرَ إِلَى الأَفْعَى أَوْ التَّنِينِ الَّذِي يَحْمِيهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ وَبَعْضُ آخَرَ بِأَمُونٍ وَآخَرَ إِيمَانَهُ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.

وَنِجَاةُ القَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنَ الطُّوفَانِ وَالعُرْقِ، بَعْدَ رَدْحِ طَوِيلٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالاِنْتِظَارِ، وَغِيَابِ أَهْلِ الكَهْفِ بِنَوْمِهِمْ وَبِعَثْمِهِمْ مِنْ جَدِيدِ إِحْيَاءِ الْأَمَلِ عِنْدَ النَّاسِ بِأَنَّ هُنَاكَ يَوْمًا تَبْعَثُ فِيهِ النَّاسَ لِلِقَاءِ رَبِّ الأَرْبَابِ وَقِيَامَةَ العَدْلِ وَالحَقِّ فِيهِمْ، وَنِجَاةُ قَوْمِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَ زَمَنِ مِنَ الظُّلْمِ وَالتَّغْيَانِ مِنْ فِرْعَوْنَ، إِذْ كَانَ يَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ﴾^[5].

[1] - الرعد: 11.

[2] - الأنبياء: 105.

[3] - يونس: 103.

[4] - البقرة: 214.

[5] - البقرة: 49.

وانتظار ولادة السيد المسيح لسنين طويلة ليخلصهم من الآلام والفقر والظلم، وكذلك قوم طالوت وجنوده عندما آمنوا به ولم يشربوا من النهر إلا غرفة واحدة، حيث كانوا مؤمنين بقاء الله تعالى وانقاذهم في النهاية، فنصرهم الله تعالى وأنجاهم من شر جالوت وجنوده ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا لِلَّهِ﴾^[1]. كذلك الناس المؤمنون من قوم هود النبي (عليه السلام) ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾^[2] وكذلك القوم المؤمنون من قوم النبي صالح (عليه السلام) ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾^[3] فأمل الناس يتطلع في كل الدهور والأزمان إلى الإله الخالق الذي خلقهم ويدبر شؤونهم من المبدأ إلى النهاية، الذي يعتقدون به أنه المدبر للأمور لهم، فالله تعالى هو من يغير ويفرج عن الناس المظلومين بتغيير أحوالهم بأنفسهم.

فالعامل المشترك هو الأمل والتغيير للأفضل والأحسن في الخلاص من الظلم والفقر الواقع على الناس من الظالمين والطغاة على مر العصور والأزمان، وهذا الأمل هو الإله والخالق والمدبر الذي سيرسل لهم من ينجيهم ويخلصهم من ظلم الظالمين، فهم في الحقيقة تعلقوا وتشبثوا بالمخلص والمنجي الحقيقي، وهو الله الذي يعتقدون به ويعبدونه، يبقى سؤال: من هذا الإله والخالق والمدبر والمنجي؟ الجواب: كل بحسبه وحسب اعتقاده وعبادته. فالإنسان بفطرته دائم التعلق بقوة ما، أقوى منه، بشيء ما، سينجي، وسيخلصه على كل حال، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^[4] وعلى هذا النحو، جاء رجل، في مناظرة عن إثبات وجود الله ((سئل مولانا الصادق عن الله فقال للسائل: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال: بلى، قال: فهل كسر [كسرت] بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث))^[5].

وهذا التعلق الفطري بالخلاص، هو على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، يعني هي

[1] - البقرة: 249.

[2] - هود: 58.

[3] - هود: 66.

[4] - العنكبوت: 65.

[5] - المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج64، ص137.

غير مختصة بأفراد وزمان ومكان معيّنين ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^[1] يأتي الجواب ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلُّ كَرْبٍ﴾^[2] بالفطرة المجبولة للإنسان ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^[3] بلا شك ولا ريب هو الله تعالى ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^[4] وهذه الآيات القرآنية، وإن لم يسمع بها كل البشر ولم يعتقد بها ويعتقها كل إنسان، إن كان من الأولين أو الآخرين، لكنها حقائق واقعية يحدثنا عنها القرآن الكريم، عاشها جميع البشر بمختلف الأزمان مع اختلاف المصاديق، جاءت على لسان الحق تعالى لا تختلف ولا تتخلف في كل زمان ومكان، والمستند إليها، كالذي يأوي إلى ركن شديد، لا يسقط في هاوية الضلالة.

5 - الديانة اليهودية والمسيحية:

عقيدة المنقذ والمخلص المنتظر في الديانة اليهودية والمسيحية، يمكن أن نجدها أكثر وضوحاً وتفصيلاً مما هي عليه في الديانات القديمة، ذلك لأن كل شيء بتقدم الزمن والأعصار يكون بازدياد مستمر ومتنام وتطور من طور إلى طور آخر، فالناس وسكان البلدان بازدياد كثيف ومن ثمّ ازدياد احتياج الناس على كافة الأصعدة المعيشية واختلاط المعاملات بين الناس ومن ثمّ ستكثر المشكلات وسيزداد الظلم في ما بين الناس ومن ثمّ سيزداد ظلم الحكام الظالمين والطغاة وغاصبي حقوق الناس الفقراء، ومع هذا الازدياد والاتساع في كل شيء سيزداد عدد ونوع الآلهة التي تُعبد، وتتطور الأفكار والرؤى الدينية أيضاً، وعلى وفق هذا التطور والازدياد على كل المستويات ستكون هناك الحاجة الملحة لانتظار منقذ ومخلص ومصالح لتردي الأوضاع، إذاً يبقى هذا الإحساس والتعلق عند كل الأجناس من البشر، ذلك لأنه ((ليس المهدي عليه السلام تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوانٌ لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغةٌ لإلهام فطريٍّ أدرك الناس عن طريقه على تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب، أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنيتها بعد عناءٍ طويلٍ. بل

[1] - الأنعام: 63.

[2] - الأنعام: 64.

[3] - الروم: 30.

[4] - إبراهيم: 10.

لم يقتصر هذا الشعور الغيبي، والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشد الإيدولوجيات والاتجاهات رفضاً للغيب، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات وآمنت بيوم موعودٍ، تُصَفَّى فيه كل تلك التناقضات ويسودُ فيه الوئامُ والسلامُ^[1].

في البدء هناك مفاهيمٌ ومفرداتٌ، ذُكرت في كتب العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل) بصورة عامة، وهذه المفاهيم تتداخل إيجابياً، ولها علاقةٌ في صميم أطروحة المسيح المنتظر والمخلص الموعود في الديانتين المزبورتين، وتشير هذه المفردات والمفاهيم من قريب وليس من بعيد، إلى المنقذ المخلص المنتظر في آخر الزمان، وتنسجم مع ما ورد في الأطروحة المهديوية الإسلامية إما تصريحاً أو إشارةً، منها:

أولاً - مفهوم وراثه الأرض: ورد في القرآن الكريم مفردة ومفهوم الميراث والوراثة التي تكون للمؤمنين الصالحين، وقد وردت بعدة معانٍ، منها، معنى وراثه الجنة، والميراث الشرعي الفقهي لها، ومعانٍ أخرى، لكن المهم في المقام، هو الذي بمعنى الاستخلاف والتمكين والسيطرة والهيمنة، بإذن الله تعالى، كما في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[2] وجاء معنى الوراثة - وهي التصورات المتفقة مع التفسير الإسلامي المذكور آنفاً - وهي شأنٌ من شؤون المصلح الموعود والمسيح المنتظر في العهدين للديانتين السماوية، اليهودية والمسيحية كما في سفر العدد: ((أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. أَبْصَرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوَكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيَحْطُمُ طَرْفِي مَوَابَ، وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَعَى. وَيَكُونُ أَدُومٌ مِيرَاثًا، وَيَكُونُ سَعِيرٌ أَعْدَاؤَهُ مِيرَاثًا. وَيَصْنَعُ إِسْرَائِيلُ بِيَأْسٍ))،^[3] فتعبير (ليس قريباً) يكون إشارةً إلى نهاية الزمان، والميراث (الأدوم) على صيغة أفعال التفضيل، يشير إلى أن هناك ميراثاً قبله بمعنى من المعاني، ليس بدائمٍ.

وأيضاً جاء على النحو نفسه في سفر التكوين على لسان الرب: ((لَأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي

[1] - الصدر، السيد محمد باقر: بحث حول المهدي، كتبه الصدر كمقدمة في الجزء الأول لكتاب موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)، للسيد محمد محمد صادق الصدر: ج1، ص15.

[2] - الأنبياء: 105.

[3] - سفر العدد، الأصحاح الرابع والعشرون: 17 - 18.

أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ... قُمْ امْشِ فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا وَعَرَضْهَا، لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا))،^[1] وفي موضع آخر بلفظ الميراث: ((وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ، لَتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أُعْطَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ))^[2] فهل هي وراثَةٌ مجردةٌ بمعنى الامتلاك الإرثي الفقهي؟ بل هي وراثَةٌ تمكينيةٌ وسيطرةٌ، بدلالة كلمة (جميع الأرض) وكلمة (طولها وعرضها).

والوراثَةُ جاءت صريحةً بمعنى وراثَةُ الجنة وبمعنى وراثَةُ الأرض، وهذه الوراثَةُ لا بدّ أن تتداخل بالمعنى الإيجابي للمخلّص الموعود الذي هو حتماً الذي سيرث الأرض مع المؤمنين الصالحين لا غيرهم، وهو المعنيُّ بهذه الإشارات وهذه المعاني الواردة في العهدين كما في إنجيل متى: ((طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانِي، لِأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلوُدَعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ)).^[3]

وجاء في تفسير هذه الفقرة أي: ((سينالون البركة قريباً، لأنَّ يومَ التعزية ينتظرهم ... سيتعزون في اليوم الآتي عن قريب حيث (سيمسح الله كلَّ دمعَةٍ من عيونهم) ... سيرثون الأرض حرقياً عندما يأتي المسيح الملك ليملك على الأرض مدة ألف سنةٍ في سلام وازدهار))،^[4] وكلمة الملكوت لا تعني الآخرة كما قد يتصورها بعضهم عندما تذكر ملكوت السموات، إنّما يُعنى بها الحياة الآخرة، إنّما ((تعني كلمة ملكوت في الكتاب المقدس، خاصة في العهد الجديد، حكم الله وسيادته على الكون باعتباره خالقه ومعطيه نعمة الوجود ... وقد تكررت كلمة ملكوت الله، وملكوت السموات، والملكوت، في العهد الجديد حوالي مائة مرةٍ، وتعني أن الله هو ملك الملكوت، كما تعني أيضاً ملكوت المسيح باعتباره ابن الله)).^[5]

[1] - سفر التكوين: الأصْحاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ: 15 - 16 - 17.

وباللفظ نفسه تقريباً ينظر: الإصحاح الخامس عشر: 18 - 19. الأصْحاحُ السَّابِعُ عَشَرَ: 7 - 8. الأصْحاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: 7. الأصْحاحُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: 3 - 4. الأصْحاحُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: 13 - 14. الأصْحاحُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: 12. سفر المزامير، المزمور الخامس والعشرون: 13. المزمور السابع والثلاثون: 11 - 22 - 29 - 34.

[2] - سفر التكوين، الأصْحاحُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: 4.

[3] - إنجيل متى، الأصْحاحُ الخَامِسُ: 3 - 5.

[4] - تفسير الكتاب المقدس، وليم ماك دونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[5] - القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسرد، كتاب المجيء الثاني متى يكون وما هي علاماته؟، ص 131. موقع الأنبا (تكلا هيمنانوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st-takla.

ثانياً - مفهوم المنقذ والمخلص: حيث جاءت نصوص في الديانات تسلط الضوء على شخصية تحدث على يديها مرحلة التمكين والخلافة الإلهية للمؤمنين والمستضعفين والمظلومين في الأرض، وهذا المعنى والمفهوم جار في المنظومة والرؤية الإسلامية، قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^[1] ليتحقق الوعد الإلهي للمستضعفين على يد المسيح المنقذ المخلص المنتظر، كما هو واضح في إنجيل متى: ((وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحَيِّثُذُ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيَمِيزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يَمِيزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، ... ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارِكِي أَبِي، رَثُوا الْمَمْلُكُوتَ الْمَعَدَّةَ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ)).^[2] وجاء أن: ((دينونة الأمم فتحدث على الأرض بعد أن يأتي المسيح ليملك))^[3] وهذا مرتبط بالنقطة السابقة في مفهوم وراثة الأرض، بالمفهوم نفسه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^[4] ولم يتحقق إلى الآن هذا الوعد الإلهي بالوراثة الكاملة والتمكين التام للأرض وللمستضعفين، وفي هذا إشارة أيضاً إلى تحقق حالة التمكين والوراثة، بجعلهم أئمة قادة، وهو معنى مرتبط بصفات الإمام أو القائد.

نعم مثل هذه الإشارات، إذا لم تكن تصريحات في التوراة والتلمود عن المخلص في آخر الزمان المرتبطة بميراث الأرض له وللمؤمنين معه، تبين أن الميراث في الدنيا وليس كما يريد بعضهم أن يفسره بالخلود الأخروي: ((أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. أَبْصَرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيَحْطُمُ طَرْفِي مَوَّابَ، وَيَهْلِكُ كُلُّ بَنِي الْوَعَى. وَيَكُونُ أَدُومٌ مِيرَاثًا، وَيَكُونُ سَعِيرٌ أَعْدَاؤُهُ مِيرَاثًا. وَيَصْنَعُ

[1] - النور: 55.

[2] - إنجيل متى، الأصحاح الخامس والعشرون: 31 - 34.

[3] - تفسير الكتاب المقدس، وليم ماكدونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

وينظر: نفس الموقع، تفسير بنيامين بنكرتن.

[4] - القصص: 5.

إِسْرَائِيلُ بِبَأْسٍ))،^[1] سيتم ذلك بالوجه الكامل عند مجيء المسيح ثانية.^[2]

المسيح المخلص اسمه عند اليهود وفي الآرامية (الماشيح) وفي اللاتينية والعربية هو المسيح، ومعناه الممسوح بالزيت على عادة شعوب الشرق الأوسط في تتويج ملوكهم، وتطور المعنى بعد السبي البابلي لليهود، ليعني المهدي -بضم الميم - المنتظر، ومعناه: كان في البداية أنه المخلص الذي يحرر اليهود من العبودية لمضطهديهم ويعيدهم من المنفى، لكن بعد ذلك تطور هذا المعنى وصار يعني المخلص والمنقذ العالمي الذي على يديه يعم العدل ويسود السلم وتخصب الأرض.^[3]

ولكن هناك نصوصٌ في العهدين لا تُثبت بأنهم يعتقدون بالمسيح بأنه مخلصٌ يأتي في آخر الزمان وإنما يفهم منها بأنه يُخلصهم من الخطيئة الأصلية، ومن كل الخطايا التي يقعون فيها بحياتهم، ذلك عندما صار المسيح فداءً لجميع البشر بصلبه، بحسب معتقدهم في ذلك، حيث ((كان مجيئه الأول في اتضاع ليقدم ذاته فديةً للعالم وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين العظمة)).^[4] فيلاحظ ما جاء في إنجيل يوحنا، تحت عنوان (الإيمان بالمسيح المخلص): ((لأنه هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذلَ ابنه الوحيدَ، لكي لا يهلكَ كلُّ من يؤمنُ به، بل تكونَ له الحياةُ الأبدية. لأنه لم يرسلِ اللهُ ابنه إلى العالمِ ليدينَ العالمَ، بل ليخلصَ به العالمَ)).^[5] فمثل هذه النصوص موجودة لكنها تتحدث عن الخلاص والفداء الأساسي الذي أرسل لأجله، والمراد في مقام البحث والتأصيل للأطروحة المهدوية الإسلامية، نصوصٌ تثبت أن المسيح المخلص لليهودية والمسيحية هو ما يكون مخلصاً آخر الزمان ونهاية العالم.

ثالثاً - مفهوم الانتظار: هذا المفهوم الذي له علاقةٌ بانتظار الخلاص في آخر الزمان أيضاً ورد في كتب العهدين كما جاء كذلك في القرآن الكريم على عدة معانٍ منها انتظار الفرج على يد المهدي المنتظر.

[1] - سفر العدد، الأصحاحُ الرابعُ والعشرون: 17 - 18.

[2] - ظ: تفسير الكتاب المقدس، وليم ماك دونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[3] - الغندور، نبيل أنسى، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ص 16 - 17.

[4] - القس ابو الخير، عبد المسيح بسيط، كتاب المجيء الثاني وهل سينتهي العالم سنة 2001م أو 2012م؟ ص 10. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st-takla.st.

[5] - إنجيل يوحنا، الأصحاحُ الثالثُ: 16 - 17.

وجاء الانتظار مقدمة - قد تكون واجبة - لوراثة الأرض للمؤمنين الصالحين، لأن المنتظر، هو المرید الحقيقي للرب، كما ورد في سفر المزامير: ((انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ، فَيَرْفَعَكَ لَتَرِثَ الْأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ الْأَشْرَارِ تَنْظُرُ)).^[1] إذا جاء ذكر الانتظار والميراث على نحو المدح والعمل الجيد لنتيجة ثمرة جيدة، وإلا لما حثّ وهياً السبل لها: ((لَأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ)).^[2] وهو انتظار ليوم عودة السيد المسيح، حيث جاء في تفسير هذه الفقرة: ((سيأتي اليوم الذي تُصَحَّح فيه كل أخطاء الأرض. عندئذ سيقطع فاعلي الشر... وفي وقت ليس ببعيد سيختفي الأشرار من المشهد! وفي ذلك اليوم سيرث الودعاء الأرض ويتمتعون بخيرات الأرض التي لم يسبق لها مثيل... يبدأ عندما ينزل المُخَلَّص في السحب ليختطف شعبه الذي ينتظره...، فيبدأ عندما يعود الرب يسوع إلى الأرض ليسحق أعداءه وبذلك يملك ألف سنة في سلام)).^[3]

كذلك حثّ القرآن الكريم على الانتظار وجعله في خانة الحث على الصبر والتحمل وهو المطلوب في أكثر من موضع، وقرنه بالعمل والجدّ والتهيؤ تارة، وأخرى بالغيب الإلهي الذي يجب أن نرقبه ونتظره: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^[4] وقوله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمَلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)﴾^[5] ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله (123)^[5] لأن الانتظار لا يعني أن يجلس الإنسان مُقعداً بلا عمل ولا شغل يشغله، بل يجب أن يشتغل ويستعد للعمل الذي سوف يقوم به حين يأتي الموعد الذي ينتظره وخصوصاً في انتظار ذلك اليوم الموعود كما جاء ذلك على لسان السيد المسيح وهو يهيب أصحابه، ويحثهم ويشرهم بيوم الخلاص الموعود، وهنا أيضاً عبر عن الانتظار بالسهر، لذا يستوجب عليهم العمل الدؤوب لتحصيل نتيجة وثمره ذلك الانتظار بانتفاض العزائم، وشحن الهمم: ((لَتَكُنَّ أَحْقَاؤُكُمْ مُمْنَطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً، وَأَنْتُمْ مِثْلُ أَنْاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَىٰ لِأَوْلِيَّكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ

[1] - سفر المزامير، المزمور السابع والثلاثون: 34.

[2] - سفر المزامير، المزمور السابع والثلاثون: 9.

[3] - تفسير الكتاب المقدس، وليم ماكدونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[4] - يونس: 20.

[5] - هود: 121 - 122 - 123.

إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ))،^[1] نعم كان عليهم العيش متوقعين رجوعه باستمرار، لذا فإنَّ الأحقاء المنطقية تشير إلى مهمة يجب إكمالها، كما أن السرج الموقدة توحى بالشهادة التي ينبغي إعلانها. كان على التلاميذ أن يعيشوا لحظةً فلحظةً متوقعين رجوع المسيح. قلوبهم هي في انتظاره، فهو سيدهم، وهم يحبونه ويتظرونه. وما أن يقرع حتى يفتحوا له للوقت. وهي ضرورة السير في انتظار رجوعه. وأن يكون عبيده ساهرين بكل نشاط، وعلى أهبّة الاستعداد للتحرك عند أمره.^[2]

وهم فعلاً منتظرون بشوقٍ وشغفٍ لإمامهم وسيدهم حتى قال قائلهم:

يسوعُ قد طال الغيابُ والشوقُ أحشائي يذيبُ

متى تعود للأجبابِ كما وعدت يا حبيبُ؟^[3]

وهي دعوةٌ للانتظار قائمةٌ في أسفار العهد القديم أيضاً في أكثر من سفر: ((لِذَلِكَ فَانْتَظِرُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمِ أَقُومُ إِلَى السَّلْبِ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بَجَمْعِ الْأُمَمِ وَحَشْرِ الْمَمَالِكِ، ... لِأَنَّهُ بِنَارٍ غَيْرَتِي تُؤْكَلُ كُلُّ الْأَرْضِ. لِأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةِ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلَّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتْفٍ وَاحِدَةٍ))^[4]. والاستفهام أو الإشكال، الذي يرد على اليهود الذين يؤمنون فقط بالعهد القديم وأسفاره ولا يؤمنون بالإنجيل بوصفهم لا يؤمنون بنبوة عيسى المسيح، إذا كانوا يبشرون بانتظار السيد المسيح في أسفار العهد القديم وجاء السيد المسيح ولم يؤمنوا به وبنبوته، وجاءت نبوة الخاتم محمد (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولم يؤمنوا بها كذلك، بِمَ يَفْسِرُونَ هَذِهِ الْبَشَارَاتِ بِالْمَسِيحِ الْمَخْلُصِ؟ فلا يبقى إلا تفسيرها بحسب المعطيات والقرائن الداخلية والخارجية، بالأطروحة المهدوية المتمثلة بالمهدي المنتظر.

ولا بدّ من تأكيد أن الانتظار يتبلور بعد اشتداد الظلم وقسوته، فيلجأ المؤمنون إلى الأمل بالفرج، وهذه العقيدة إذا لم توضع في مسارها الصحيح قد تؤدي إلى حالةٍ من

[1] - إنجيل لوقا: الأصحاحُ الثَّانِي عَشَرَ: 35 - 37.

[2] - ط: تفسير الكتاب المقدس، وليم ماك دونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com.

[3] - من كتاب تفسير الكتاب المقدس، إنجيل متى، موقع إسلام. كوم، islameyat.com.

[4] - سفر صَفْنِيَا، الأصحاحُ الثَّلَاثُ: 8 - 9.

الركود واليأس، فهذا من سلبيات الانحراف في التصور في عقيدة الانتظار، وقد يؤدي الانتظار السلبي إلى تراجع إيمانيّ أو تخلُّ عن الإيمان، إذا لم يكن الانتظار مع ترقُّبٍ ويقظة في الوعي الإيماني، وقد حدث مثل هذه التصورات السلبية لدى اليهود والنصارى وبعض الاتجاهات السلبية عند بعض فرق المسلمين، وهو أمرٌ ساعد على ظهور موجاتٍ من الفساد والإلحاد، وفي عصرنا الحالي نشهد بعض الاتجاهات تنادي باستبعاد الدين عن الواقع بكل تفاصيله.

وجاء تبشيراً بذلك الموعود: ((يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَيَّ كَنَفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيًّا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَيْسَ السَّلَامِ. لِنُمُو رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَآيَةَ عَلَيَّ كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَيَّ مَمْلَكَتِهِ، لِيُنَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنْ الْآنَ إِلَى الْآبَدِ)).^[1]

رابعاً - علامات المسيح المنتظر:

هناك علاماتٌ وأحداثٌ، تحدث قبل اليوم الموعود للمسيح المنتظر، أغلبها تتوافق إلى حدٍّ ما، مع العلامات السابقة للمهدي الموعود في الأطروحة المهديوية الإسلامية، وأوضحها، كما هو مبين في النصوص الآتية:

ادّعاء المسحاء الذين يدعون زوراً بأنهم المسيح المخلص. ومثلهم موجودٌ وهم مدّعو المهديوية على مر العصور.

أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً وبعدها يأتي المسيح ليخلصهم من الظلم ويسود العدل.

حيث جاء: ((فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ! وَالزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ! فَلَا تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلَاقِلٍ فَلَا تَجْرَعُوا، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ الْمُنْتَهَى سَرِيعًا... وَتَكُونُ زَلَازِلٌ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ، وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبَةٌ. وَتَكُونُ مَخَافٌ وَعَلَامَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ... وَتَكُونُ عَلَامَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَعَلَى الْأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. الْبَحْرُ وَالْأَمْوَاجُ تَضْجُ، وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارٍ مَا يَأْتِي عَلَيَّ الْمَسْكُونَةَ... اسْهَرُوا إِذَا وَنَضَّرَعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ)).^[2]

[1] - سفر إشعياء، الأصحاح التاسع: 6 - 7.

[2] - إنجيل لوقا: الأصحاح الحادي والعشرون: 8 - 9 - 10 - 26 - 36.

ومن تلك العلامات التي تحدثُ سابقَةً ليوم انتظار المسيح المخلص، ويشهرهم بأنَّ من يصبر سيكون مهيناً للخلاص وسيكون معي: ((وَسَيُسَلِّمُ الْأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الْأَوْلَادُ عَلَى وَالِدِهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْعَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ... لَأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى الْآنَ، وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ يَقْصِرِ الرَّبُّ تِلْكَ الْأَيَّامَ، لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! فَلَا تُصَدِّقُوا. لَأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسْحَاءً كَذِبَةً وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةً، وَيَعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، لِكَيْ يَضَلُّوا لَوْ أَمَكَّنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا... وَأَمَّا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّيْقِ، فَالشَّمْسُ تَظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَتُجْرَمُ السَّمَاءُ تَسَاقُطًا... وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ... مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ... وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ. انظُرُوا! اسهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ... اسهَرُوا إِذَا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ،... وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسهَرُوا!))^[1].

فاعتقادهم أنه يخلصهم مرتين مرةً من الخطيئة، ومرةً أخرى يأتي في آخر الزمان: ((الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ،... هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَبُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ))،^[2] كذلك ومن تلك العلامات والأحداث التي تحدثُ وذكرت في كتب العهدين كثيرةً - لامجال لذكرها - من أهمها ظهور الدجال وقتله من قبل السيد المسيح وهذا ما يتناسب مع ما جاء في التراث الإسلامي، لكن يعبر عنه في العهد الجديد بالنبي الكذاب: ((وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ [ويقصد به عدو المسيح] وَمُلُوكَ الْأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْبًا مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ [يعني المسيح] وَمَعَ جُنْدِهِ. فَقُبِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ))^[3].

وورد اسم (الشيلون) في العهد القديم التوراة وفسروه بأنه المسيح المنتظر المخلص، فجاء في سفر التكوين ((وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: اجْتَمِعُوا لِأَبْنَيْكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ. اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ... لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى

[1] - إنجيل مرقس، الأصحاح الثالث عشر: 12 - 37.

[2] - رُؤْيَا يُوحَنَّا اللَّاهُوتِيِّ: الأصحاح الأول: 6 - 7.

[3] - رُؤْيَا يُوحَنَّا اللَّاهُوتِيِّ: الأصحاح التاسع عشر: 19 - 20 - 21.

يَأْتِي شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ))^[1] (حتى يأتي شيلون) أي (المسيا) والذي سيمتد حكمه إلى الأبد. وشعبه سيطيعه طواعيةً في يوم قوته. ومعنى اسم شيلون: رئيس السلام، وترجمها بعضهم بالمسالِم وصانع السلام فتطبق على لقب المسيح ويومئذ ولد المسيح وجاء شيلون أي صانع السلام. فلا يزول صولجان الملك وكان ذلك القضيب منقوشاً يعطيه الملك ابنه علامةً على أنه يكون خليفته في الملك. إن يعقوب يفترض أنه بمجيء شيلون (المسيح المنتظر) سيكون له خضوع الشعوب أي اجتماعهم وطاعتهم^[2].

وفي تلك المدة التي تسبق الظهور بسبع سنواتٍ يظهر عدو المسيح كملكٍ ذي بأسٍ شديد، وما يسبقه من ظلم وفساد، وتكثر الحروب والكوارث المختلفة، وستظهر الوجوه الحقيقية لعدو المسيح،^[3] كما جاء في رسالة الرسول بولس الثانية: ((أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ... أَيَّ أَنْ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ. لَا يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةِ مَا، لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الْارْتِدَادُ أَوْلًا... لِأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الْآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ... وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الإِثْمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبْدِيهِ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيَبْطُلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ. الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ كَاذِبَةٍ... وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُحِبُّونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلَاصِ))^[4] هنا عبر عنه بـ(المجيء) وذكر تعبير آخر (الظهور): ((أَنْ تَحْفَظَ الْوَصِيَّةَ بِلاَ دَنْسٍ وَلَا لَوْمٍ إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ))،^[5] أي مجيئه بالجسد ثانية ليدين العالم ويثيب المؤمنين ويعاقب الأشرار.^[6] وكذا في موضع آخر: ((هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيُّضًا، بَعْدَمَا قَدَّمَ مَرَّةً لِكِي يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيُظْهِرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيئَةٍ لِلْخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ))،^[7] وفي إنجيل متى أيضاً تذكر علاماتٌ تسبق يوم مجيء المسيح في آخر الزمان^[8].

[1] - سِفْرُ التَّكْوِينِ، الأَصْحَاحُ التَّاسِعُ والأَرْبَعُونَ: 1 - 2 - 10.

[2] - تفسير الكتاب المقدس، تفسير وليم ماكدونالد، وتفسير تشارلز ماكنوتش، وتفسير وليم مارش، موقع كلمة الحياة، www.kalimatallahayat.com

[3] - الغندور، نبيل أنسى، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ص 166 - 169.

[4] - رِسَالَةُ بُولُسِ الرَّسُولِ الثَّانِيَةِ إِلَى أَهْلِ تَسَالُونِيكِي، الأَصْحَاحُ الثَّانِي: 1 - 2 - 3 - 7 - 8 - 13.

[5] - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح السادس: 1.

[6] - إدي، وليم، الكنز الجليل في تفسير الانجيل شرح الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس / الإصحاح السادس: 14.

[7] - رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين، الإصحاح التاسع: 28.

[8] - للتفصيل يراجع: إنجيل متى، الأصحاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ، الأصحاحُ الخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ.

هذه العلامات تشبه وتتوافق مع ما جاء في التراث الإسلامي، من علاماتٍ قبل ظهور المهدي المنتظر في اليوم الموعود، من حروب واقتتال وظهور الدجال، الذي يكون في العهدين عدواً للمسيح، ويمكن أيضاً فهم هذا المعنى عند ذكر كلمة (الوحش) أو (التمرد) (وأضداد المسيح وعلى رأسهم ضد المسيح الأخير أو ما يسمى بالمسيح الكذاب أو الدجال))^[1] ومن تلك العلامات: الصيحة في السماء، والدخان والنداء أيضاً في السماء، والزلازل، وأنَّ السيد المسيح يأتي بغتةً، وهذا موجودٌ في ما يعتقد به المسلمون من أمر المهدي المنتظر، لا يعلم ساعته إلا الله تعالى، ويمكن أن تكون تأييداً في المقام، فبعد ذكر مجموعة من الحوادث، يشرهم بيوم الخلاص الموعود، عند سؤال تلاميذه عن ذلك الموعود: (وَمَا هِيَ عِلْمُهُ مَجِيئِكَ وَأَنْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انظُرُوا! لَا يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. انظُرُوا، لَا تَرْتَاعُوا. لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلِّهَا... وَتَكُونَ مَجَاعَاتٌ وَأُوبَيْتَةٌ وَزَلْزَلٌ فِي أَمَاكِنَ. وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذِبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَلِكثَرَةِ الْإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ... ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى... وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقِ عَظِيمِ الصَّوْتِ... وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ... اسْهَرُوا إِذَا لَأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ. وَعَلِمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَرَبٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهَرَ وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ يَنْقُبُ. لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ))^[2].

وفي العهد القديم من سفر دانيال: ((وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانٌ ضَيْقٍ لَمْ يَكُنْ مِنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْجِي شَعْبَكَ، كُلُّ مَنْ يُوْجَدُ مَكْتُوبًا فِي السَّفْرِ))^[3].

بعدها يذكر البشارة بتحقيق الوعد الإلهي لهم بالخلاص والفوز بالقرب وملكوت السماء:

[1] - القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، المجيء الثاني متى يكون وما هي علاماته؟: ص22. موقع: الأنبا (تكلا هيمنانوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[2] - إنجيل متى، الأصحاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: 3 - 4 - 5 - 6 - 30 - 31 - 36 - 37 - 42 - 43 - 44.

[3] - سفر دانيال النبي، الإصحاح الثاني عشر: 1.

((وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَيَّ كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ... ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنِ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمَعْدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ)).^[1]

السؤال المثير هنا: من هو ابن الإنسان المذكور في الإنجيل وبعده موارد؟ وما تفسيره في ما تقدم وفي غيره من المواضع الأخرى؟ هل هو نفسه السيد المسيح أو غيره؟ القدر المتيقن والمقصود به عن طريق النصين المذكورين، هو ذلك المخلّص والمنقذ العالمي المنتظر. بغض النظر عن مصداقه وما يراد تفسيره على وفق المعطيات الإسلامية بأنه المهدي المنتظر. أصحاب الإنجيل وتفاسيره، يفسرونه بالسيد المسيح، لكنه يجب أن يكون غيره، إذا صار القياس على وفق معتقداتهم، لأن النبوءة تقول (ابن الإنسان) وهم لا يعتقدون بالسيد المسيح بأنه (ابن لإنسان) بل هو ابن الله بحسب مدعاهم. وكذلك لو ((كان المقصود بابن الإنسان السيد المسيح كما يقول النصارى، لَمَا عَبَّرَ عَنْهُ بِصِفَةِ الْغَائِبِ، وَلَعَبَّرَ عَنْهُ بِصِفَةِ الشَّخْصِيَّةِ بِالْحَاضِرِ، وَبِالْمُتَكَلِّمِ أَيْ لِقَالَ، مَجِيئِي، وَعِلَامَتِي وَيَبْصِرُونِي))،^[2] حيث قد تحدث في الإصحاح نفسه في غير موضعٍ منه بصفة المتكلم، الحاضر، لكن عندما يذكر مجيء ابن الإنسان بصفة الغائب.

زيادةً على أن بعض مفسري الكتاب المقدس، لم يفسر (ابن الإنسان) بالسيد المسيح، بالقول: ((لسنا نعلم ما هي هذه العلامة... ويعتقد بعضهم أن ابن الإنسان هو نفسه العلامة ومهما كان معنى العلامة، فإنها ستكون واضحة للجميع عندما تظهر... تلك هي اللحظة التي كانت الخليقة تنّ لأجلها منذ آلاف السنين)).^[3]

وتفسيره بالسيد المسيح تفسيرٌ مريبٌ لا يقبله العقل والمنطق، وهو صراحةً جاء بأنه ابن آدم: ((إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ اسْتَعْمَلَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ سِوَاءً فِي سَفَرِ الْعَدَدِ أَوْ سَفَرِ الْمَزَامِيرِ أَوْ سَفَرِ أَشْعِيَاءَ أَوْ سَفَرِ حَزَقِيَالِ (ابن آدم) بِمَعْنَى عَامٍّ هُوَ الْإِنْسَانُ فِي اتِّضَاعِهِ وَضَعْفِهِ كَالْمَخْلُوقِ مِنْ تَرَابٍ بِالمُقَارَنَةِ مَعَ اللَّهِ الْخَالِقِ فِي رَفْعَتِهِ وَسَمُوهُ))،^[4] وليس ثمة معنى صحيحٌ ولا أساسٌ

[1] - إنجيل متى، الأصحاح الخامس وألْعَشْرُونَ: 31 - 32 - 34.

[2] - عمرو، يوسف محمد، المسيح الموعود والمهدي المنتظر: ص 102.

[3] - تفسير الكتاب المقدس، وليم ماك دونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[4] - القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كتاب سلسلة أسئلة عن المسيح رقم: (8): ص 20. موقع: الأنبا تكلا

لهذا التفسير، حيث تفسيره: ((ولكن عندما جاء [لقب ابن الإنسان] على لسان المسيح ولقّب به نفسه كالمسيح الآتي والمنتظر الذي هو ليس مجرد إنسان من تراب بل هو الرب الذي من السماء، استعمله ليعبر به عن نفسه كالإله المتجسد، الكامل في لاهوته والكامل في ناسوته (إنسانيته) فقد كان هو ابن الإنسان الآتي من نسل آدم)).^[1]

فكيف يُعقل أن يكون ابن الله وابن الإنسان في الوقت ذاته وتفسيراتهم التي لا تقنع أدنى صاحب مسكة من العقل؟!

فإنسانيته الخالصة تثبت من تصريح الإنجيل نفسه، وإن الرب سيبعث نبياً، وهو السيد المسيح، مثل النبي موسى، إذ ورد: ((فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يَكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لَذَلِكَ النَّبِيِّ تَبَادُ مِنْ الشَّعْبِ))^[2]. وفي موضع آخر: ((هَذَا هُوَ مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [إِنَّ] نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ)).^[3]

ويمكن القول بأن (ابن الإنسان) الذي يخبر به ويشير به السيد المسيح في الكتاب المقدس، هو المهدي المنتظر، إذ ورد على لسانه: ((أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ))^[4]، وقرأنا سابقاً ما جاء في الأحاديث أن عيسى المسيح ينزل ويصلي خلف المهدي المنتظر، ولأن رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات وما بشر به النبي الأكرم هي خاتمة البشارات؛ فيمكن أن يكون مصداق (ابن الإنسان) عند التبشير به كمخلص في آخر الزمان، هو المهدي المنتظر، وتفسير آخر في مواضع أخرى غير التبشيرية تفسرها بالسيد المسيح مثل ما يرون ذلك، تلك التي لا تعطي معنى التبشير بالخلاص في آخر الزمان.

وعلى أي حال، هي محاولة لانتزاع دليل من هنا أو هناك، لإثبات المطلوب في المقام، وإن كان البحث عموماً وهذا المطلب خصوصاً، ليس مهمته إثبات المهدي المنتظر عن طريق كتب الأديان الأخرى - لأنه يحتاج ذلك لوحده، إلى جهد مطول ومستقل - وإنما

هيمانوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[1] - المصدر نفسه: ص 20.

[2] - سفر أعمال الرسل: الأصحاح الثالث: 22 - 23.

[3] - سفر أعمال الرسل: الأصحاح السابع: 37.

[4] - إنجيل يوحنا، الأصحاح الثامن: 50.

يُراد هنا فقط التأصيل لوجود أطروحة المهدي المنتظر بمعناها العام في الديانات الأخرى والملل والنحل المختلفة، وإنَّها تجسيدٌ لحاجة إنسانية فطرية، ستتكلل وتتوج بما بشر به الخاتم (صلَّى الله عليه وآله) لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج المهدي المنتظر ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، كما في الروايات الإسلامية.

وهذا ردُّ في ما يقابل الشبهة التي أثارها بعض المستشرقين، من أن الأطروحة المهدوية في الإسلام متأثرة ومقتبسة من الديانات السماوية السابقة على الإسلام، والديانات القديمة للأمم الأخرى، حيث إنَّ الاعتقاد بالمهدي المنتظر والمنقذ والمخلص بصورته العامة، مما تلتقي وتتفق عليه هذه الرسائل السماوية، كما تشترك وتلتقي في كثير من المشتركات الأخرى، قال الله تعالى في ما يشير إلى المشتركات: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^[1]، فمحاولة تصوير أن هذه الديانات، هي دياناتٌ منفصلةٌ بعضها عن بعض بالكلية بالكامل، هي مصادرةٌ للمطلوب، فهي ليست كذلك، فقد قال الله تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^[2].

وهذا ما اعترف به المستشرق جون إسبوزيتو مع تعصبه قال: ((فالمسلمون يشاركون اليهود والمسيحيين في وجود إله واحد وأنه أرسل أنبياءه وأوحى إليهم، كما يتشاركون في المسؤولية الأخلاقية، وبتقديرهم للسلام والعدالة الاجتماعية. فجميع الأديان الثلاثة يعتقدون أن لديهم عهداً ومواثيق مع الله، وأنهم خلفاء الله في الأرض، ومأمورون بطاعة أوامره بالحفاظ على العالم وحمايته وتطويره من أجل الأجيال المستقبلية. فالأديان الثلاثة يعدُّون أنفسهم أدياناً تدعو للسلام))^[3].

[1] - آل عمران: 64.

[2] - آل عمران: 84.

[3] - إسبوزيتو، جون إل John L. Esposito، مستقبل الإسلام، ص 64.

الفصل الخامس

مسائل مرتبطة بعقيدة
المهدي المنتظر

المهدي المنتظر

توطئة:

هناك مباحثُ ومطالبُ متصلةٌ بالقضية المهدوية، من بعيدٍ أو من قريبٍ، تطرق لها المستشرقون في كتاباتهم، لذا يحسُنُ التعرضُ لها هنا، إما عرضاً أو تحليلاً أو نقداً. منها:

الفارقليط.

مدعو المهدوية.

الإسماعيلية.

ولادة المهدي المنتظر.

السفراء الأربعة.

المبحث الأول

الفارقليط

أو البارقليط: مصطلحٌ يونانيٌّ يعني عند النصارى: المُعزِّي أو المعين، استُعملَ في العهد الجديد للإشارة إلى الروح القدس في المسيحية. وترجمها المسلمون بأنَّها تعني أحمد وبذلك تعني التبشير والإخبار عن النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).^[1]

في البدء يمكننا القول كنتيجة سابقة لأوانها بأنَّ: (الفارقليط هو المهدي المنتظر) وهنا يُقصد (المهدي المنتظر) بصورته العامة، بغض النظر عن مصداقه الخارجي، لا صورته المختصة بفئة أو طائفة معينة، بصفاته العامة المتفق عليها عند عموم المسلمين، يعني: ذاك الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، والذي ينزل عيسى النبي فيصلي خلفه، والذي يواطئ اسمه اسم النبي الأكرم، والذي يحارب الظالمين وأولهم السفيناني، ويقضي على المسيح الدجال بمعية عيسى النبي، والذي يعطي المال صحاحاً، وغيرها من الصفات العامة.

هذه النتيجة جاءت لمعطيات توفرت وستعرض تباعاً بعد بيان عدة مطالب أو عدة نقاط. لكن قبل الولوج في هذا المضمرة البحثي، هناك سؤالٌ قد يسأله سائلٌ: كيف يمكن الاعتماد والاستشهاد بنصوص من الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) مع القول بأنَّ يد التحريف قد طالتها وعبثت بها؟ وهذا سيلزم نقصان أو بطلان الحجة والدليل الذي يعتمد الكتاب المقدس؟

الجواب: أولاً، يمكن الأخذ ببعض ما هو موجودٌ في كتب العهدين لأن كتب العهدين القديم والجديد، محرفةٌ، لكن لا بالجملة، أي إنَّ بعضاً منها لا كلها محرفةٌ، وهذا ثابت

[1] - ينظر: السقا، أحمد حجازي، نقد التوراة: ص 261 وما بعدها.

وينظر: القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسرد، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص 155. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: .st - takla

قرآنيًا وعمليًا، فقرآنيًا قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^[1] وقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^[2] أما عمليًا، فلا يستطيع أحد أن يجزم على نحو الكلية الموجبة، ويقول بأن كل ما جاء بكتب العهدين بكل تفاصيلها وجزئياتها محرّفٌ، ومن الثابت والمعروف أن كتب العهدين كتبت من بعد سنين بعد نزول الوحي على أنبيائها، وإلا لو كانت محرّفَةً بالكامل في كل حرفٍ منها، لما بقي حجرٌ على حجرٍ - كما يعبرون - ثانياً، يمكن الاستشهاد بكتب العهدين من باب وتحت مقولة: (الزموهم بما ألزموا به أنفسهم) فأتباع هذه الديانات يؤمنون بكل ما جاء في هذه الكتب، وعندما نستشهد بنصٍّ أو بدليلٍ منها، فليس بالضرورة أننا نؤمن بها وندين بكل ما فيها، وإنما كدعمٍ ودليلٍ للقضايا والمفردات المراد إثباتها وتأكيداها.

وهناك روايةٌ حديثةٌ في صحيح البخاري: ((فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾^[3]))،^[4] أي لا تصدقوهم بكل شيء؛ لئلا تُصدّق مسألةً محرّفَةً، ولا تكذبوهم بكل شيء، لئلا تُكذّب مسألةً صادقةً. يعني: ((إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه)).^[5]

وسيتّم بيان مدى صدق أو درجة هذه النتيجة المتقدمة الذكر (الفارقليط هو المهدي المنتظر) ضمن عدة نقاط:

أولاً - عدد مرات هذه الكلمة في كتب العهدين: أنّ كلمة الفارقليط - على اللفظ المشهور - أو البارقليط - على اللفظ الأصح، غير المتعارف، وسيتبين صحة هذا اللفظ من ذلك - ((حيث وردت كلمة باراقليط paraklhton، حرفياً باراقليتوس - Parakletos، في العهد الجديد وبالتحديد في الإنجيل بحسب القديس يوحنا والرسالة الأولى للقديس يوحنا خمس مراتٍ فقط، أربع مرّاتٍ في الإنجيل ومرةً واحدةً في رسالته الأولى. ولم ترد ثانيةً في

[1] - النساء: 46.

[2] - البقرة: 75.

[3] - البقرة: 136.

[4] - صحيح البخاري: ج6، ص20، رقم الحديث: 4485. كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾.

[5] - العيني، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ج18، ص93، رقم الحديث: 4485. كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾.

بقية العهد الجديد)).^[1] وستذكر النصوص الواردة فيها تباعاً. لكن عندما ترجموها للعربية تلاعبوا بترجمتها وقالوا تعني (المُعزِّي).

ثانياً - ترجمة الكلمة ومعناها، وهل أنها تعني اسم النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ (المُعزِّي) الذي بشرَّ به السيد المسيح قبل رفعه إلى السماء، ترجمة للكلمة الإغريقية (البارقليط) ومعناها في قاموس اللغة اليونانية: (المُعزِّي). المحامي. الشفيح. المحمود) وورد اسم بارقليط. فارقليط. باراكليط. والمُعزِّي. والمحامي. والمؤيد، في تراجم إنجيل يوحنا. والحق أن المسيح نطق لفظ (بيرقليط) وهو يترجم: أحمد. ويقول النصراني أن المسيح نطق (باراقليط) وعلى ذلك فليس هو أحمد. أي إنَّ الخلاف في الكسرة والفتحة. فعلى الكسرة يكون اسم أحمد. وعلى الفتحة لا يكون اسم أحمد. بل صفته هي المُعزِّي. وهم يعتمدون رواية الفتحة.^[2]

وكتبت دائرة المعارف الفرنسية حول هذا التفسير والاختلاف فيه عن اعتماد رواية الفتحة أو الكسرة ((تقول دائرة المعارف الفرنسية الكبيرة في جزئها 23/ص 4174 عند شرحها لكلمة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو مؤسس الدين الإسلامي ومبعوث الله وخاتم الأنبياء وجاءت كلمة محمد من الحمد واشتقاقها من حمد يحمد الذي هو معنى التمجيد والتجليل. ومن الصدف العجيبة أن هناك اسماً آخر مشتقاً من الحمد وهو مرادف للفظ (محمد) وهو كلمة (أحمد) التي يغلب على الظن أن المسيحيين في الجزيرة العربية كانوا يستعملونها مكان فارقليط. وأحمد معناه المحمود كثيراً والمحترم جداً وهو ترجمة لكلمة بريكلتيوس [بكسر الباء] التي أخطؤوا فوضعوا مكانها كلمة باركليتيوس [بفتح الباء]).^[3] إذ جاء في إنجيل يوحنا: ((وَأَمَّا الْمُعزِّي [البارقليط] الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ)).^[4]

ولكن عندما تم كتابة تلك القصص عن يسوع اختلطت ثم حُرِّقت في ما بعد وأصابها

[1] - القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسرد، كتاب: هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ ص 155. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[2] - ظ: السقا، أحمد حجازي، نقد التوراة: ص 261 وما بعدها.

[3] - موقع الأبحاث العقائدية، الشبكة العنكبوتية الإنترنت.

[4] - إنجيل يوحنا: الأصحاح الرابع عشر: 26.

تشويش هائل فقد ترجموها (المُعزِّي أو المسلي أو الروح القدس) في حين أن جميع المعاجم لا زالت تشهد بأن معناها (أحمد). المفسرون هنا يقولون بأن هذا البارقليط هو (معز أو مُسل وهو يسوع أو الروح القدس) ولكن هذا كله كذب، فمن أتى بعد المسيح فهِم هذه الكلمة على أنها بشارةٌ بنبي يأتي بعد رحيل يسوع.^[1]

مفسرو الإنجيل ورواد التبشير يحاولون إبعاد هذا التفسير، أي ما فسره المسلمون (البارقليط) بلفظ (محمد وأحمد) كما جاء في كتاب (هَلْ تَبَيَّنَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ نَبِيِّ آخَرَ يَأْتِي بَعْدَ الْمَسِيحِ؟) محاولاً هذا الكتاب، الرد على المسلمين بكل ما أوتي من فذلكة بحثية جدلية، وأن المسلمين تصوّروا، أو هكذا أرادوا أن يتصوّروا، أو يُصوّروا لأنفسهم ولغيرهم، أن البارقليط مشتق لغوياً من الحمد ويعني (الحماد) المحمود أو الممدوح أو الممجّد، ويُشير إلى نبي يُشتق اسمه من الحمد، وأن ما أطلقه المسيح من صفات على البارقليط هي صفات هذا النبي وتشير إلى أعماله وشريعته وما شهد به المسيح عنه!! وتخيّلهم أن البارقليط الذي وعد بمجيئه، حجة على صحّة مزاعمهم وقالوا - أي المسلمون - أن البارقليط هو ترجمة له ويشير إلى ذلك النبي الموعود!! ونقول لهم أن الروح القدس لم يحلّ على التلاميذ إلا بعد هذا الوعد الذي وعدهم به لا قبله.^[2]

وكذلك من جملة الردود على المسلمين في هذا الشأن: بأن المسلمين متأثرون بما سمّاه الكتاب المزيّف والمدعو زوراً بإنجيل برنابا والذي أكّد زيفه كلّ العلماء المسيحيين وبعض الكتاب من الإخوة المسلمين وتجاهلته الغالبية العظمى من العلماء المسلمين إمّا لثقتهم بأنه كتابٌ مزيّف أو على الأقل لشكّهم في صحّته أن المسيح يسوع ليس هو المسيح المنتظر إنّما المسيح المنتظر هو نبيّ المسلمين!! وأن كل نبوءات التوراة عن محمدٍ مذكورة في كتب اليهود، في دائرة المعارف تحت كلمة المسيا أو كلمة المسيح، أما المسلمون من قبل ظهور إنجيل برنابا فإنهم كانوا يعرفون آيات من النبوءات، ويفسّرونها على محمد تحت لقب (النبي) لا المسيح ولا المسيا.^[3]

[1] - ظ: بنيامين، إيزابيل، كتاب: ما لا تعرفه عن الكتاب المقدس: ص 126.

[2] - ظ: القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، كتاب: هَلْ تَبَيَّنَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ نَبِيِّ آخَرَ يَأْتِي بَعْدَ الْمَسِيحِ؟ ص 146 - 154. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: st - takla.

[3] - ظ: القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، كتاب: هَلْ تَبَيَّنَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ نَبِيِّ آخَرَ يَأْتِي بَعْدَ الْمَسِيحِ؟ ص 98. موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع:

وردًا على ذلك في المقابل: إنَّ كلمة البرقليط الواردة في إنجيل يوحنا باللغة العبرية أو الآرامية - لأن السيد المسيح لا يتكلم اليونانية أو العربية - هي لا تعني معزياً أو محامياً أو وسيطاً كما جرى تشويهاها، والاسم مركب من مقطعين Peri والثاني Kleitos مشتق من التمجيد والثناء ويكتب Periqlytos أو Periqleitos، الترجمة اللاتينية المعتمدة ترجمتها (المُعزِّي) لكن الكلمة الآرامية الأصلية لم تكن سوى (محمّده) أو (حمده) وهي تقابل كلمة (محمد) أو (أحمد) بالعربية كما إنها تقابل كلمة (البرقليطوس) اليونانية.^[1]

وليس هي الروح القدس كما فسرها المسيحيون، فمن أتى بعد المسيح فهَمَ هذه الكلمة على أنها بشارَةٌ نبيي يأتي بعد رحيل يسوع ولذلك نرى (ماني) - مؤسس الديانة المانوية وسميت هذه الديانة باسمه، وهي من الديانات الفارسية القديمة - زعم في كتابه أنه هو الفارقليط الذي بشر به يسوع ولذلك اشتهر عنه هذا القول: (أنا البارقليط الذي أعلنت رسالته من زمن قديم بواسطة يسوع والذي كان يجب أن يأتي ليقنع العالم).^[2]

إذاً الفهم والتفسير العام لهذه الكلمة عند المسلمين أو عند قليلٍ ممن لا ينتمي للإسلام، أنها تعني (محمدًا أو أحمدًا أو شيئاً مشتقاً من الحمد) وبذلك فهي تعني التبشير والإخبار عن نبيي يأتي بعد المسيح وهو الخاتم محمد (صلَّى الله عليه وآله).

إذا تم تفسيرها بالعزاء والمُعزِّي، وإذا كان أحد معاني العزاء: الصَّبْرُ، و(تَعَزَّى تَعَزَّيًّا) أي تَصَبَّرَ تَصَبَّرًا،^[3] وَعَزَّه يَعُزُّه عَزًّا: أَعَانَهُ وَيَعِينُهُ إِعَانَةً، وبه فَسَّرَ من قرأ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾^[4] فيكون هو أمل المستضعفين في الأرض جميعاً، لأنه سييسط العدل الإلهي بإذن الله تعالى وهو الاعتقاد الإنساني القادم بأنَّه سيأتي في يوم ما، إما هو المسيح المنتظر بنفسه، بحسب تفسير التبشير المسيحي، وإما النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله) بحسب المعطيات للتفسير الإسلامي، وإما البارقليط الذي سيخرج في آخر الزمان هو المهدي المنتظر، لأن المهدي

.st - takla

[1] - داود، البرفسور عبد الأحد: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى: 199 - 201.

[2] - بنيامين، إيزابيل، كتاب: ما لا تعرفه عن الكتاب المقدس: 126 - 127.

[3] - ظ: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج15، ص52، مادة: (عزأ). وينظر: الزبيدي أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس: ج39، ص39، مادة: (عزي).

[4] - سُورَةُ يَسَّ: 14.

[5] - ينظر: الزبيدي أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس: ج15، ص233، مادة: (عزَّ).

المنتظر أيضاً اسمه (محمد) فقد قرأنا يواطئ اسمه اسم النبي، ولأنه هو من سيخلص العالم من برائن الظلم والجور الذي يملأ الأرض بعدلٍ وقسطٍ نقيضه، أي أنه المفهوم نفسه باختلاف المصاديق.

ولا يُراد هنا الممازجة بين الأحداث وتفصيل النصوص على وفق مقياس المصداق الذي نَصَبُو إليه، بل بحسب المعطيات المتوافرة، ويبقى هو رأيٌ يسمح بالنقاش والمطارحة، والنصوص تحتمل هذا المعنى، وهو رأيٌ قابلٌ للاستدلال والمراجعة، أو بالإمكان الاستئناس به وتعزيز موضوع الكتاب. وهو ليس قرآناً منزلاً يجب الإذعان له، ما دام هو من مكونات الغيب، التي عادةً ما تكون عُرضَةً للتأويلات والتفسيرات المختلفة.

ثالثاً - إذا تناولنا مفهوم البارقليط كمفهوم لا كمصداق محدّد أو كلفظ، سنصل إلى نتيجة مفادها: على أنه البشارة بالبارقليط هي بشارة المهدي المنتظر نفسها، إذا اتكأنا على مفهوم البارقليط كمخلص ومنقذ ومصلح عالمي، سيأتي في الفصل الأخير من عمر هذه الدنيا، وهذه الجدلية بين المفهوم والمصداق قائمة على قدم وساق كما يعبرون، لأننا إذا تمسكنا بظاهر اللفظ ووقت النزول للآية أو الرواية أو حتى النص الإنجيلي، سوف لا نحصل إلا على مصداق واحد، وهو الذي تحدثت عنه الآية أو الرواية أو النص الإنجيلي، فقد جاء ((عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ... فقال: رحمك الله يا أبا محمد لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل، ماتت الآية، مات الكتاب ولكنه حيٌّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى)).^[1]

فالغاية ومقصد النص، والعامل المشترك، الذي جاء من أجله النص، بخصوص (المهدي المنتظر، والفارقليط، والمخلص المسيح، والتبشير بنبوّة خاتم الرسل) هو الخلاص من الظلم والوعد للبشرية بمستقبل سعيد آمن ينتهي فيه الظلم من غير رجعة، هذا العامل المشترك والغرض الأساس للمفهوم، هو الذي يمكن أن يُنشئ لنا أكثر من مصداق، طبعاً بحسب المعايير والضوابط الصحيحة العلمية المنهجية المتبعة، لا كما يشاء الهوى النفسي والتنظيري.

والمقصود هو أن النص يبقى ينتج معاني عدةً وبحسب تطور المفاهيم والمعارف كما

[1] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي: ج1، ص192، رقم الحديث: 3، باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

فسرت (القوة) في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^[1] فإنها في عصر النبوة ونزول الآية، كان من بين ما تشتمل عليه الرمي والسهم والسيف والنبل، ثم تطورت إلى قوة مفتوحة متطورة، بتطور العصور والأزمان، فصارت تشمل الأسلحة الحالية الحديثة.

وحتى وإن فسرها مفسرو الإنجيل التبشريين بالعزاء والمُعزّي، أي هو الأمل والاعتقاد القادم، بأنه سيأتي يوماً ما، فهو سيكون (المُعزّي) إما هو المسيح المنتظر بنفسه، وإما النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) وإما البرقليط الموعود سيأتي.

النبي محمد (صلّى الله عليه وآله)، خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات والشرائع، لكن المهدي المنتظر، خاتم الأولياء الصالحين، يمكن القول خاتم الولاية التشريعية والتكوينية، وهنا ليست مقارنة أو مفاضلة بينهما إطلاقاً، وإنما تعدد أدوار ومسؤوليات ومهام، كما كان للعبد الصالح الخضر وموسى عليهما السلام لكل واحد دوره ومسؤوليته المنوطة به. وكل ذلك نؤمن به لوجود نصوص دينية تعزز رصيد هذا المفهوم، وليس ذلك من باب الاجتهاد الشخصي، ولكن النية التي ترتبط بالله تعالى هي التي تحدد مقاصد هذا التأويل الذي يتحملة النص، لأننا نؤمن بأن الله تعالى هو الفاعل، وهو القادر على كل شيء.

كيف لا يكون (المهدي المنتظر) كذلك وخاتماً بهذا المعنى، وقد هيأ له وبشّر به النبي الخاتم بأن (المهدي المنتظر) هو الذي ستختم به هذه الدنيا بالعدل والقسط والصلاح، ففي الحديث ((قال رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم: بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء))،^[2] ولفظ آخر ويزيادة جاء في سنن الترمذي (ت 279هـ): ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي)).^[3]

[1] - الأنفال: 60.

[2] - صحيح مسلم: ج 1، ص 130، رقم الحديث: 145، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

[3] - سنن الترمذي: ج 4، 314، رقم الحديث: 2630. أبواب الإيمان عن رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً. قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرجه قريب من هذا اللفظ صاحب كتاب (مستدرک الوسائل) ميرزا حسين النوري: ج 11، ص 422، باب وجوب إصلاح النفس عند ميلها إلى الشر.

إذاً لا بدّ من مُصلِحٍ يُصلِح ما أفسده الناس من بعد شريعة الهدى للنبي الكريم يعيد لهذا الدين أصلته ووجاهته، فيرجع حكم الله تعالى على الأرض غصّاً طرياً، ويعيد للأمة الإسلامية وللكون عموماً كلّ حقٍّ مغتصبٍ، وينصف كلّ مظلومٍ، فقد قرأنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. وبذلك يكون الإيمان بوجود الإمام المهدي (عليه السلام)، مشروعاً إصلاحياً يعيد الأمة إلى طريق الحق.

وهذا المفهوم العام، ما يدل عليه أيضاً معنى جذر الكلمة اللغوي، إذ ورد في تاج العروس ومن أسمائه صلّى الله عليه وآله وسلّم في الكتب السالفة (فارق ليطا) أي يفرق بين الحق والباطل. ونصه في إنجيل يوحنا أنّ الفارقليط روح الحق الذي يرسله أي: هو الذي يعلمكم كل شيء والفارقليط عندهم الحماد وقيل: الحامد. وجمهورهم أنه المخلص صلّى الله عليه وآله وسلّم.^[1]

رابعاً - النصوص الإنجيلية التي ذكرت البارقليط: استعراضٌ وتحليلٌ بحثيٌّ لها، ومواءمتها مع مفهوم المخلص لآخر الزمان (المهدي المنتظر) والنبي الخاتم لآخر الأمم:

النص الأول: ((إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا [بارقليطاً] آخَرَ لِيَمَكْتُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكْتُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ)).^[2]

1 - الظاهر من هذا النص أن هناك إثنين من البارقليط، لا واحداً فقط، لأنه قال (آخر) وعليه سيكون بأن الأول هو النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) والثاني هو المهدي المنتظر، لأنّ بقوله (آخر) لم يقصد أن البارقليط الأول، هو السيد المسيح نفسه، وكذلك قد تحدث بصيغة الغائب، وقال في نهاية النص (إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ) بصيغة المتكلم. فيكون في هذا النص على ظاهره: هناك بارقليط أول وثانٍ، والسيد المسيح نفسه.

2 - والبارقليط الذي يراد هنا إجبار النصوص وترويضها على إحدى مصاديقه، لكونه المهدي المنتظر، سيمكث إلى الأبد، فهل المراد منه الأبد، بمعنى الذي لا نهاية له؟ أو الأبد

[1] - ظ: الزبيدي، أبو الفيض محمد (ت 1205هـ) تاج العروس من جواهر القاموس: باب القاف فصل الفاء (فرق): ج 26، ص 276.

[2] - إنجيل يوحنا، الأصحاح الرابع عشر: 15 - 16 - 17 - 18.

بمعنى إلى يوم القيامة؟ القدر المتيقن من هذا النص، أن البارقليط حتماً سيختتم الفصل الأخير من هذه الدنيا، وهو المحطة الأخيرة التي يكون بعدها يوم القيامة، وهذا ما ينطبق على أطروحة المهدي المنتظر، وأنه من أشراط الساعة - كما قرأنا - ودلالة خروجه وبعد انتهاء مهمته، هو قرب الساعة يوم القيامة.

3 - نقطة أخرى في النص (لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ) فالمهدي المنتظر، لا يقبله أكثر الناس، بسبب أن العالم لم يره، ولا يستطيع أن يراه، إما لأنه غائبٌ عن الأنظار، وهذا الغياب، سواءً على الإيمان القائل بوجود المهدي المنتظر وأنه حيٌّ وأنَّ العالم فقط ينتظر خروجه، أم غائب بنحو ثانٍ ومعنى آخر للغياب، على الإيمان القائل بأنه غير موجود الآن وليس حياً، وإنما يولد بأجلٍ غير مسمّى.

ولم يقبله العالم ولم يؤمن به كثيرٌ من الناس، ذلك إذا قسّمنا العالم إلى مسلمين وغير مسلمين وهم - غير المسلمين - الأعم الأغلب، وهؤلاء من باب أولى ألا يقبلوا، لأنهم غير مسلمين أصلاً، وهنا في هذه الدراسة وهذا الكتاب، مثالٌ حيٌّ على ذلك، هو إنكار المستشرقين لهذه العقيدة، ومحاولة تسفيهاها لدى معتنقيها، وقد عقدت هذه الدراسة من أجل دفع شبهاتهم حول ذلك.

والقسم الثاني، المسلمون - بالصورة العامة الغالبة، دون الدخول بالتفاصيل الجزئية لجميع الملل والنحل - أيضاً منقسمون على شطرين، شطر لا يقبل هذه المفردة العقدية وينكرها، ويشكك بما ورد فيها من أحاديث، لأنه قد يعدها من الأمور الغيبية التي يصعب تصديقها في مقابل الحسية، أو لأنه بتصوره لم يرد ذكرها صريحاً في القرآن الكريم، والشطر الآخر يقبلها سواءً بالإيمان القائل بوجود المهدي المنتظر وأنه حيٌّ وسيخرج في آخر الزمان، أم بالإيمان القائل بأنه غير موجود الآن وليس حياً، وإنما يولد ويظهر بأجلٍ غير مسمّى.

4 - وعبرة (وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَا كَثُرَ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ) باعتبار أن السواد الأعظم من النصارى سيؤمنون بالبارقليط (المهدي المنتظر) لأنَّ السيد المسيح سينزل معه قوله (لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ).

وجاء في الموسوعة المهدوية إلى أن وجود السيد المسيح مع الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) سيؤثر إيجاباً في إيمان اليهود والنصارى بالمهدي المنتظر، وهم يمثلون قسماً

كبيراً من البشرية، وذلك حين يثبت لهم بالحجة الواضحة أنه هو المسيح يسوع الناصري نفسه، وأنَّ الإنجيل والتوراة إنما هي هكذا على شكلها الواقعي، وأنَّ ملكوت الله الذي بشر به هو في حياته الأولى على الأرض قد تحقَّق فعلاً، متمثلاً بدولة العدل العالمية. ولن يبقى منهم شخصٌ من ذلك الجيل المعاصر للظهور إلاَّ ويؤمن به - باليسوع - كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.^[1] فَإِنَّ الاستثناء بعد النفي يفيد العموم.^[2]

أقول: وقد يطبق الآية بعض المفسرين مصداقاً على النبي الأكرم (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وإنَّ أهل الكتاب سيؤمنون به - بالنبي الأكرم - فهذا لا ينافي ما يستفاد من الآية لكون أهل الكتاب سيؤمنون بالنبي عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبالمهدي المنتظر، لأنَّ إيمانهم الأولي - بالنبي - شاملٌ لإيمانهم الثاني بعيسى والمهدي المنتظر، وصدقهم هذا وإيمانهم تابعٌ لإيمانهم بالنبي الأكرم بحسب تفسير الآية به.

وقد جاء عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((إِنَّ عِيسَى يَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى الدُّنْيَا فَلَا يَبْقَى أَهْلُ مِلَّةٍ يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَصْلِي خَلْفَ الْمَهْدِيِّ)).^[3]

وجاء في صحيح البخاري ذكر الآية أعلاه بأنَّ أبا هريرة جعل قول النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، تفسيراً للآية القرآنية، المراد منها أنَّ اليهود والنصارى سوف يؤمنون بالسيد المسيح قبل موته وقبل يوم القيامة، وهذا يفيد بالتبع، بأنَّهم سوف يؤمنون بالمهدي المنتظر، لأنَّهم سوف يرون نبيهم من أنبياء أولي العزم سيصلي خلف المهدي المنتظر، ما يعطي الشرعية التامة والأولية والقيادة لذلك، حيث ورد: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَقْرَبُوا إِنَّ شِئْتُمْ ﴿وَإِنْ

[1] - النساء: 159.

[2] - ظ: الصدر، السيد محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الكتاب الثالث تاريخ ما بعد الظهور: ص 605.

[3] - القمي، علي بن إبراهيم (ت 329 هـ)، كتاب تفسير القمي: ج 1، ص 158.

وينظر: المجلسي، محمد باقر (ت 1110 هـ)، بحار الأنوار: ج 14، ص 350.

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا^[1])).^[2]

ثم يعلق المحقق في الحاشية شارحاً قول أبي هريرة: (إِنْ شِئْتُمْ): أي إن شئتم أن تتأكدوا من معنى وصدق ما أروي فهذه الآية تؤكد لكم ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: وما من أحدٍ من اليهود والنصارى ﴿بِهِ﴾ بعيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الموت العادي المألوف بعد نزوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ).^[3]

النص الثاني: ((وَأَمَّا الْمُعْزِّيُّ [البارقليط]، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيَّرْهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُمْ لَكُمْ)).^[4]

جاء التفسير المسيحي في هذه اللفظة (معزٌّ) بارقليط، تعني من يدعى إلى جانب شخصٍ آخرَ لمساعدته. كما أنها تترجم أيضاً (شفيع) فاليسوع هو شفيعنا أو معزينا، والبارقليط هو معزٌّ آخرٌ، لا بمعنى أنه من صنفٍ آخر، بل بوصفه شخصاً آخر له الصفات عينها، والبارقليط المُعْزِّي سيمكث مع المؤمنين إلى الأبد.^[5] فمعناها مَنْ يمسك بأمورنا لكي يساعدنا ويعيننا.^[6] وفي معنى الروح القدس الذي أراد التفسير المسيحي أقنوماً ثالثاً وإبعاده عن التفسير الإسلامي للبارقليط، قال المستشرق كوربان: ((كان فكرة تطور الإنسانية الذي هو العمل المستمر للروح القدس، والذي سيكون مآله النهائي سيادة البارقليط المُبَشِّر به في إنجيل يوحنا)).^[7]

وهنا أراد أن يقول السيد المسيح لهم، إنهم سيدخلون إلى دائرةٍ أعمق من الفهم عند مجيء ذلك المُعْزِّي، فهو يعلمهم كل شيءٍ، أي يقودهم إلى فهم المكتوب فالواسطة الوحيدة لتعليمنا هي البارقليط، المُعْزِّي.^[8]

[1] - النساء: 159.

[2] - صحيح البخاري: ج4، ص168، رقم الحديث: 3448. كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.

[3] - ظ: تعليق، د. مصطفى ديب البغا، صحيح البخاري: ج4، هامش ص168، رقم الحديث: 3448. كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.

[4] - إنجيل يوحنا، الأصحاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ: 26.

[5] - ظ: تفسير الكتاب المقدس، وليم ماكدونالد، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[6] - ظ: تفسير الكتاب المقدس، بنيامين بنكرتن، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

[7] - كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص228.

[8] - ظ: تفسير الكتاب المقدس، هلال أمين، موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

وهذا النص الإنجيلي وهذه التفسيرات المسيحية للبارقليط، جاءت قريبةً وتشير إلى تكاليف وبعض مهام المهدي المنتظر، التي من ضمنها يقود الناس ويبسط العدل باسم الدين الإسلامي وعلى وفق الأطروحة الإسلامية العادلة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقد روى الكليني بسنده: عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((... إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً منّا أهل البيت يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكراً إلا أنكره)).^[1]

ويرى كوربان كعادته في مسألة الروح القدس، بأنّه إذا كانت أطروحة الإمامة في الإلهيات الشيعية نظير مبحث المسيح في اللاهوت المسيحي، فيظهر أن الأولى أن تكون نظير لاهوت الروح القدس بوصفه البارقليط.^[2]

وقد يُتصور أن المهدي المنتظر سوف يأتي بشيءٍ جديدٍ من عندياته الخاصة، لا ليس الأمر كذلك كما أكّد قولاً فيه كوربان: ((يدرك حكماؤنا المتألهون الشيعة [أي علماء الإلهيات] أن الإمام المنتظر، الفارقليط لن يأتي بشريعةٍ جديدةٍ، بكتابٍ جديدٍ، ولكن سيأتي بكشف المعنى الكامل في كل النصوص المقدسة. وهذا المعنى يكون هو الإمام، بما أنه الإنسان الكامل)).^[3]

وإنّه - المهدي المنتظر - سيهدي الناس إلى طريق الهدى والحق ويبيدهم عن جادة الضلالة والردى، وتماهياً مع البشارة الإنجيلية بالبارقليط بأنّه سيذكرهم بالإنجيل ويعلمهم كل ما يحتاجونه، عن طريق محاججتهم بكتبهم، فقد جاء من طريق الإمامية عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((قال إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية وعدل في الرعية،... وإنما سمي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلى أمرٍ خفيٍّ... ويحكم بين أهل التوراه بالتوراه وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن...))^[4] لكن يبقى تفسير البارقليط عند بعض علماء المسلمين بأنه النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو المصداق الأتم والأوحد. وللحق لا بدّ أن نؤكد أنّ حقيقة الإمام المهدي تستمد مبرراتها الشرعية من النبوة والرسالة المحمدية، ومن شخصية النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

[1] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 8، ص 328.

[2] - ظ: كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 235.

[3] - كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 238.

[4] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 663.

بينما المستشرق كوربان يرى أنه لا إشكال في اعتقاد بعض الحكماء المتألهين الشيعة -علماء الألهيات - الذي يماهي الإمام الثاني عشر بالبارقليط المُبشَّر به في إنجيل يوحنا، هذا الاعتقاد ليس فيه غرابة، فهناك نصوص تنطوي على هذا التماهي، كآية القرآنية ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^{[1][2]} (ويعدُّ التفسير الإسلامي السائد أن اسم البارقليط (مشجع، معز) تحريفٌ لاسم بارقليط (مرادفه بالعربية أحمد = محمد) وقد اقترفه المسيحيون لتفادي أن تُفهم الآيات من إنجيل يوحنا على أنها تبشير بخاتم النبيين. على وفق هذا التفسير، فإنَّ البارقليط المبشر به هو النبي محمد. ولا غضاضة في نقل هذا التوصيف ما دام أن النبي، إذ بشر بمجيء القائم علة أنه من ولده، فقد تحدّث عنه كأنه هو (اسمه اسمي كنيته كنيته) لكن البارقليط المبشر به لن يكون مبلغاً بشريعة جديدة، بل سيكون من يكشف الحجاب عن المعنى الداخلي الباطن لكل الشرائع السابقة)).^[3]

النص الثالث: ((وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي [البارقليط] الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْأَبِ يَنْبِتُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي)).^[4]

يقول هنري كوربان: ((كان فكرة تطور الإنسانية الذي هو العمل المستمر للروح القدس، والذي سيكون مآله النهائي سيادة البارقليط المُبشَّر به في إنجيل يوحنا)).^[5]

نعم فالمهدي المنتظر سوف يشهد للسيد المسيح، من كون مهمة قتل الأعداء الدجال قد أُنيطت به -بالسيد المسيح - وإذا ما جعلنا المهدي المنتظر عبر بوابة هذه الآية القرآنية المباركة شاهداً على السيد المسيح، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^[6] وبعد الحصول على تفسير أن أمة محمد (صلّى

[1] - الصف: 6.

[2] - ظ: كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 220.

[3] - المصدر نفسه: ص 220 - 221.

[4] - إنجيل يوحنا، الأصحاح الخامس عَشْرَ: 26.

[5] - كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 228.

[6] - البقرة: 143.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سيشهد للأنبياء كما ورد هذا التفسير عند بعض علماء المسلمين،^[1] على وفق ما روي ذلك في كتب الحديث وعلى رأسها صحيح البخاري: ((قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم: يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغْتُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^[2] وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ))^[3] هم أمة محمد صلَّى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم، وقالوا ذلك هم شهداء على سائر الأمم، أي: يوم القيامة تشهدون يا أمة محمد للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغهم إليهم، ويكون الرسول شهيداً على أمتهم بأنهم قد فعلوا ما أمره بتبليغهم إليهم.^[4]

بعد ما تقدم سيكون الطريق معبداً للقول بأن المهدي المنتظر يشهد للمسيح في آخر

[1] - وإن كان هنا التحفظ التام واردة على هذا التفسير، إذ إنه يوجد في الأمة الإسلامية من المذنبين، المجرمين، والطغاة الظالمين؛ ونحن نعرف أن الشهادة ملائكتها وقوامها العدالة والتزكية؛ فكيف لمن أذنب وظلم وعمل الفاحشة والكبائر، أن يشهدوا للأنبياء مع رسولنا الكريم صفاً صفاً، على حد سواء؟

وكيف يشهدون بما لم يروا ولم يسمعوا ولم يشاهدوا منه شيئاً؟ وهم لم يكونوا على مستوىٍ روحيٍّ عالٍ، كي يلهمهم الله تعالى بما بلغ به الأنبياء؟ ولم لم يشهد الله تعالى لهم وهو تعالى أولى بالشهادة لأنبيائه؟ والآية والتفسيرات التي مرت عليها، لم تبعض وتعين لنا من الذي سيشهد من هذه الأمة، بل جاءت مطلقة، على حد زعم تلك التفسيرات.

إلا أن يُقال هذا المعنى والتفسير يتناسب مع ما ورد عند مفسري الإمامية، بأن الأمة الوسط الذين يشهدون على الناس هم فئةٌ مخصوصةٌ من هذه الأمة، أهل بيت النبوة عليهم السلام، بوصفهم معصومين من الذنوب وأذهب الله عنهم الرجس وطهرهم الله تطهيراً، والألف واللام هنا في كلمة (الرجس) لاستغراق الجنس، أي جميع أنواع الرجس المادي والمعنوي.

[2] - البقرة: 143.

[3] - صحيح البخاري: ج 4، ص 134، رقم الحديث: 3339. كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

[4] - ظ: الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن: ج 3، ص 50 - 51.

وينظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد، (ت 427 هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج 2، ص 8. وينظر: الفخر الرازي، (ت 606 هـ) تفسير مفاتيح الغيب: ج 4، ص 87.

وينظر: أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)، البحر المحيط في التفسير: ج 4، ص 346.

وينظر: السيوطي، جلال الدين (ت 911 هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج 1، ص 352.

وينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250 هـ)، فتح القدير: ج 1، ص 175.

الزمان عند خروجهما في آخر الزمان، تماهياً مع النص الإنجيلي (فَهُوَ يَشْهَدُ لِي) أعلاه سالف الذكر، مضافاً إلى ما ورد عن طريق الإمامية، قد يكون قريباً من هذا التفسير المتقدم القائل بأنَّ أمة محمد شاهدة أيضاً، لكن تنحصر الدائرة بالمعصومين من أهل بيت النبي (صلَّى الله عَلَيْهِ وآله) وليس لكل الأمة الإسلامية بملياراتها العددية، ففي (الكافي) بسنده ((عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبدالله [الصادق] عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، ... (ليكون الرسول عليكم شهيداً) فرسول الله (صلَّى الله عَلَيْهِ وآله) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزَّ وجل ونحن الشهداء على الناس)).^[1]

أقول إذا كانت الأمة الإسلامية تشهد للأبياء بحسب تفسير ما، فمن باب أولى يكون المهدي المنتظر شهيداً يشهد للسيد المسيح، كونه، والقدر المتيقن هو من أمة محمد، إذا لم يكن أحد الأئمة الأطهار بحسب اعتقاد الإمامية.

وقد يقول قائل: إن هذه الشهادة التي تحكي عنها الآية القرآنية، إنما هي في الآخرة، في يوم القيامة، لهذا لا يمكن حمل النص الإنجيلي (البارقليط) على المهدي المنتظر؟

أقول: لا منافاة بين الشهادتين في دار الدنيا وفي يوم القيامة، كما قرر ذلك الفخر الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب: إن أداء هذه الشهادة إنما يكون في الدنيا وتقديره: أن الشهادة والمشاهدة والشهود هو الرؤية إنَّ كل من عرف حال شيء وكشف عنه كان شاهداً عليه، والله تعالى وصف هذه الأمة بالشهادة، فهذه الشهادة إما أن تكون في الآخرة أو في الدنيا، لا جائز أن تكون في الآخرة، لأن الله تعالى جعلهم عدولاً في الدنيا لأجل أن يكونوا شهداء وذلك يقتضي أن يكونوا شهداء في الدنيا، لأنه تعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً﴾ وهذا إخبار عن الماضي فلا أقل من حصوله في الحال، ورتَّب بوصفهم شهداء على صيرورتهم وسطاً، ترتيب الجزاء على الشرط، واعلم أن الدليل الذي ذكرناه على صحة هذا القول لا يبطل القول الأول لأننا بيننا بهذه الدلالة أن الأمة لا بد وأن يكونوا شهداء في الدنيا وهذا لا ينافي كونهم شهداء في القيامة.^[2]

[1] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي: ج1، ص190، رقم الحديث: 2. باب في أنَّ الأئمة شهداء الله عزَّ وجل على خلقه. والرواية معتبرة معتمدة، فقد نقلها جاءت بعد دراسة وتحقيق سندها في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسني: ج2، ص50.

[2] - ظ: الفخر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ج4، ص88.

وهناك أهم مصداق للشهادة للسيد المسيح، هي الصلاة خلف المهدي المنتظر، تكرمةً لهذه الأمة، فجاءت الشهادة أيضاً تكرمةً لهذه الأمة، ما جاء في صحيح مسلم ((... فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة))،^[1] كما قرأنا في الصلاة فحسب، بل لكل العالم، الذي سيقع تحت سيطرته وعدله وحكمه، كما قرأنا في شرح مفردة (الإمام) للمنظومة السفارينية ((الإمام: يعني الذي يؤم الناس، لا في الصلاة ولكن في القيادة، فيكون إماماً لهم أعظم كالخليفة، وهذا الإمام يقول: إنه (الخاتم) أي للأئمة، لأنه لا إمام بعده، فهو خاتم الأئمة، واسمه يقول: محمد ولقبه المهدي)).^[2]

وقال ابن حجر في فتح الباري: ((وفي صلاة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خلف رجلٍ من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة، دلالةٌ للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو من قائمٍ لله بحجةٍ)).^[3]

النص الرابع: ((إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ [البارقليط] الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ)).^[4]

يرى المستشرق هنري كوربان عن طريق هذه النصوص حول البارقليط، أنَّ هناك علاقةً بين المسيحية والتشيع، بين المسيح والإمام، في العلاقة التي تمثل سرَّ الإمام المهدي في أكثر من إشارة - ومنها هذه النصوص البارقليطية - إلى أطروحة المسيح التي نجدها في أطروحة الإمامة الشيعية، إذ إن المسيح لم يمتْ على الصليب، بل رفعه الله إليه كما رفع إدريس وإلياس من قبل، وكذا سيرجع الإمام المنتظر ويؤدي المسيح الصلاة خلفه، فعصر البارقليط بحسب الشيعة ومجيء الإمام البارقليط يفتح عصر المعنى الروحي المحض للرسالات الإلهية، وهذا الجناس مذهلٌ ومن الممكن

[1] - صحيح مسلم: ج 1، ص 137، رقم الحديث: 156. كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[2] - العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة السفارينية - الدررة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية: ص 450.

[3] - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 6، ص 494.

[4] - إنجيل يوحنا، الأصحاحُ السَّادِسُ عَشَرَ: 7 - 8.

الحديث عن وضع تأويليٍّ مشتركٍ، أي (طريقة فهم) مشتركة بين هؤلاء وأولئك.^[1]

وإنَّ حَقْبتي (الأب) و(الابن) المسيحية تؤديان إلى حقبة الروح التي هي عصر البارقليط وسيادته، وإنَّ دائرة النبوة ودائرة الإمامة الشيعية تقودان إلى الخاتم النهائي للولاية الذي هو الإمام الثاني عشر الذي يرى الحكماء المتألهون أنه هو البارقليط.^[2]

وإذا كانت أطروحة الإمامة في الإلهيات الشيعية نظير مبحث المسيح في اللاهوت المسيحي، فيظهر أن الأولى أن تكون نظير لاهوت الروح القدس بوصفه البارقليط.^[3]

إذ إن التمسك بالإمامة والخلافة الإلهية المزعومة من الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^[4] ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^[5] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^[6] هذا إنما (يبرز التماهي بين الإمام والبارقليط لدى حكمائنا [الحكماء] المتألهين الشيعة بما له من دلالة، بل دلالة محررة. إن هذا التماهي هو في اتفاق كامل مع تماهي العقل الفعّال بالروح القدس، لأن هذا التماهي يجعل كل فلسفة على تواصل مباشر مع العالم الروحي، دون أن تتوسط بينهما سلطة عقائدية لا إكليريكية^[7] ولا علمانية^[8])).

إذًا بحسب الحكمة الإسلامية إيقاع التاريخ القدسي يقع على زمانين، زمان المبدأ وزمان المعاد، زمان التنزيل وزمان التأويل، ولا يمكن لهذا التاريخ أن يعرف عصر (الابن)، لأن الوحي القرآني هو وحيٌ بعد مسيحيٍّ، لاحقٌ على عصر الابن وتاريخه. إنه يعبرٌ مباشرةً من دائرة النبوة، عصر الشريعة التي أتى الأنبياء بها، إلى دائرة الولاية أو العلم الروحي دائرة الإمامة، التي خاتمها الإمام الثاني عشر. وليس ثمة مجالٌ للقول

[1] - ظ: كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 226 - 228.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص 232.

[3] - ظ: كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 235.

[4] - البقرة: 124.

[5] - البقرة: 30.

[6] - سورة ص: 26.

[7] - كلمة يونانية معناها مختصٌ بالنصيب أو القرعة. فالإكليريكي هو نصيب الرب، والمدرسة الإكليريكية: مدرسةٌ تعلّم وتفقه وتربّي الفتيان للارتقاء إلى الكهنوت. وهذه الكلمة تأتي من اللغة اللاتينية وتعني المشتل حيث تشير إلى البيئة الملائمة لنمو الدعوات الكهنوتية والخدمية. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة - شبكة الأنترنت.

[8] - كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 236.

هنا أن عصر الروح الخلاق يفترض مسبقاً (الخلاص) أنه هو (الخلاص) بعينه^[1].

وأخبر وبشّر به السيد المسيح: ((لأنّ جميع الأنبياء والنّاموس إلى يوحنّا تَبَوُّوا. وإنّ أردتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا هُوَ إِيْلِيَا الْمُرْمَعُ أَنْ يَأْتِي. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ))^[2].

فإنّ الحكمة الإلهية الإسلامية - كما الحكمة الإلهية المسيحية - ستواصل المبحث الميتافيزيقي في الروح القدس. لقد خلفت دائرة الولاية دائرة شريعة الأنبياء، في التاريخ القدسي الوجودي، ومع ذلك فإنّهما في الزمان التاريخي تتجاوزان، لأنّ عصر الشريعة يستمر حتى ظهور الإمام الفارقليط^[3].

وأخيراً يرى المستشرق الفيلسوف الفرنسي كوربان، أنّه من الإنصاف عدم إهمال الرؤية الشيعية بالنسبة للإمام المهدي المنتظر وعصر البارقليط ((فإنّ كلّ ما ظهر ويستمر في الظهور على الوعي الشيعي في صورة الإمام الثاني عشر وأحداث سيرته: ولادته، غيبته، ظهوراته، مجيئه كبرقليط، حتى وإن كان كلّ هذا أحداثاً رؤيوية أكثر من كونها أحداثاً تاريخية بالمعنى العادي للكلمة، أي حتى وإن كانت هذه السيرة بمعظمها، تُنبئنا بما ظهر على الوعي الشيعي وبما اختبره واقعاً، أنّ كل ذلك ينبغي من الآن فصاعداً أن يكون له معنى عند الغربي، ومن الآن فصاعداً ينبغي ألا يكون الطرح الشيعي عن الإمام الغائب قصياً عن دراستنا في الميتافيزيقا الأخروية))^[4].

وهذا الكلام يعكس العقل الاستشراقي في نظره إلى الإسلام على أنّه نسخة من المسيحية، وفي الحق أن المهدي المنتظر في الإسلام، لا يشبه الرؤية اللاهوتية للسيد المسيح، فالمهدي المنتظر في الشريعة الإسلامية، مشروعٌ إصلاحيٌّ وليس معنى رؤيويّاً، كما ذكر ذلك، أي معنى غيبياً ميتافيزيقياً، بل إنّ مهمة الإمام المهدي المنتظر ومن يؤمن به، هي مهمة الإصلاح وتغيير الواقع الفاسد المليء بالظلم، وفي عصر غيبته (عليه السّلام) تقع مهمة الإصلاح على من يؤمن بالنبوة والرسالة والعقيدة المهدوية.

[1] - ظ: المصدر نفسه: ص 236.

[2] - إنجيل متى، الأصحاح الحادي عشر: 13 - 14 - 15.

[3] - (ظ: كوربان، هنري، الكتاب السابع الإمام الثاني عشر: ص 238).

[4] - المصدر نفسه: ص 239. ولمن أراد المزيد فقد خصص كوربان الكتاب السابع والأخير من سلسلة دراسته عن عقيدة المهدي المنتظر، فيه تفصيل أكثر من تلك الكتب التي سبقته، عن سيرة الإمام، والغيبة الكبرى، وعقد فصلاً بعنوان: (الإمام الثاني عشر وعصر البارقليط). الصفحات: 212 - 240.

المبحث الثاني 2

مَدْعُو المهدوية

هذا المبحث يرتبط بهذه الأطروحة المهدوية، سواء أكان ارتباطاً قريباً أم بعيداً، فهناك من ادعى المهدوية وهم كثر، وهناك من ادّعت له المهدوية وهو يعلم أو لا يعلم بذلك. ولما كتب المستشرقون عن هذه المسائل؛ ولما كانت هذه الدراسة يُراد ويُتأمل منها أن تكون مرجعاً يُعتمد به في لملمة آراء المستشرقين في هذا الشأن وما يرتبط به، فكان لزاماً التعرض ولو إجمالاً لمثل هذه المباحث.

يبتدأ المستشرق الألماني هاينس هالم في كتابه (الغنوصية^[1] في الإسلام) على خلفية جعله كون الغنوص الإسلامي ظاهرةً شيعيةً، لما يكتنف بعض فرق الشيعة من الباطنية في تعاليمهم وأبجدياتهم، وتوظيفها سياسياً لمصلحة البيت العلوي، ما جعله يقول، بأن الإمام علياً (عليه السلام) هو (المهدي الغائب) وقد أخطأ في قوله، تاريخياً ومعرفياً، لأنه لم يحدد الغلاة منهم، أو الإسماعيلية عملياً أصحاب المذهب الباطني المعروف، وإنما شمل الشيعة بكل أصنافها، بل عنى وخصص الإمامية منهم، وهذا خطأ من مئات الأخطاء التي أثبتت بها

[1] - كلمة (الغنوصية) مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعني (المعرفة) وقد أطلقت على حركة دينية ظهرت في شكلها المسيحي في القرن الثاني، وهو مذهب فلسفي ديني صوفي يمزج الفلسفة بالدين عرف في القرنين الأولين من العهد المسيحي بخاصة، يذهب إلى أن المعرفة الحقة هي المعرفة الحدسية العاطفية التي توصل إلى معرفة الله، وكان هؤلاء المبتدعون يهتمون بصفة خاصة بالمعرفة (غنوصية Gnosis) والتي كانوا يعتقدون أنها معرفة معلنة لهم عن الله وعن البشرية، وعن طريق هذه المعرفة ينال العنصر الروحي في الإنسان الفداء.

ينظر: كتاب العلامة ترتليان، من آباء أفريقيا - القمص أنثاسيوس فهمي جورج.

موقع: <https://st-takla.org/books>

الغنوصية: تعني المعرفة الحدسية الباطنية، أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي، فالعارفون هم الغنوصيون - Gnostics الذين يتواصلون مع الحقيقة الكلية عن طريق بصيرتهم الداخلية، فإن الخلاص عند الغنوصي يتأتى عن طريق فعالية روحانية داخلية تقود إلى معرفة النفس، ومعرفة النفس تقود إلى معرفة الطبيعة الإنسانية، ومصير الإنسان؛ وفي أعماق مستوياتها تقود إلى معرفة الله، ذوقاً وكشفاً وإلهاماً.

ينظر: السواح، فراس، طريق إخوان الصفاء مدخل إلى الغنوصية الإسلامية: ص 27. وينظر: السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح ومقدمة في المسيحية الغنوصية: ص 66.

المنظومة الإسلامية عموماً والشيعية الإمامية على وجه التحديد، من استهداف المستشرقين للإسلام.

وهذه مناسبةٌ أخرى أيضاً لا بأس التذكير فيها، بالعرض الأساس لمثل هؤلاء المستشرقين في نماذج كتاباتهم، وهو إيجاد الثغرة، وتعميق الفرقة دائماً بين طوائف المسلمين، قوله: ((من الممكن أن يقوم الشيعة (حزب عليّ، شيعة عليّ) بحركة سياسية هدفها ذنيويٌّ محضٌ: أن يُسقطَ أحدُ أحفادِ عليّ الأمويين الكفار، مغتصبي عرش الخلافة ويعيد لـ(أهل البيت) حقوقهم المتوارثة، فالعلويون هم وحدهم الأئمة الحقيقيون والقادة الشرعيون لكافة الأمة الإسلامية. ولكن بُعِدَ موت عليّ أينعت الآمال بأنّ (أمير المؤمنين) عليّاً الميت في ظاهره والغائب في الحقيقة، سوف يرجع شخصياً ويرأس حزبه وهو مظفّرٌ بالنصر. وأصبح هذا الإيمان برجعة الإمام الغائب لاعتباره هو (المهدي) وتقدم الزمن، يُسندُ تبعاعاً إلى العديد من أحفاد عليّ، وهو بمثابة العلامة المميزة للفرق والنحل الشيعية عامة، وللشيعية المتمزتين على وجه الخصوص، أي للشيعية الإمامية أو الاثني عشرية)).^[1]

وكذلك تطرق هاينس هالم إلى محمد بن الحنفية، فهو لم يدعِ المهديوية، ولكنه ممن ادعى لهم ذلك، فينقل نصّاً كاملاً بخصوص محمد بن الحنفية، من كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي - وهو من أقدم المصادر في هذا الشأن - بأن ابن الحنفية لم يدعِ المهديوية ولكن الفرقة التي تبعته هي من جعلته إماماً غائباً.^[2] وكتاب النوبختي أقدم كتاب في هذا الشأن، فهو من أعلام القرن الثالث و(هالم) نقل ذلك بقوله: ((يظهر أن محمد بن الحنفية بعد فشل المختر في الكوفة عام 67هـ عن كل الطموحات في السلطة السياسية - إذا كان لديه مثل هذه الطموحات - ... كان بعضهم الآخر لا يريد تصديق خبر موته وانتظروا عودة الغائب الظاهرة. واتخذ انتظار المنتقد المستقبلي - المهدي - في آمال الفرق والمجموعات الكيسانية لأول مرة شكلاً مذهلاً))^[3] حيث كان قد أُطلق لقب المهدي سنة 66هـ على محمد بن الحنفية

[1] - هالم، هاينس، الغنوصية في الإسلام: ص 19 - 20.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص 36 - 37. ويراجع النص كاملاً في كتاب فرق الشيعة، للنوبختي، أبي محمد الحسن بن موسى: ص 26.

[3] - هالم، هاينس، الغنوصية في الإسلام: ص 36 - 37. وتطرق المستشرق هالم إلى بعض الفرق التي اعتقدت بمهدوية ابن الحنفية ومنهم الكيسانية، وينقل نصوصاً كثيرة للنوبختي وللقمّي، لمن أراد المزيد مراجعة كتابه الغنوصية في الإسلام: ص 19 - 60.

وسمي المهدي ابن الوصي، فلما مات ودُفن عند جبل رضوى بالحجاز قال أصحابه برجعته فأصبح بذلك عندهم المهدي المنتظر.^[1]

ومونتكمري وات أيضاً ينقل في بحث له بعنوان: (التشيع في عهد الأمويين) يستشهد بكتاب النوبختي (فرق الشيعة) والأشعري القمّي وكتابه (المقالات والفرق) يستشهد على أبي مسلم الخراساني ودعوى المهديّة: ((ولعل يمكن القول أنّ أبا مسلم قد تعلّم بعض الأفكار المسيحية المتداولة بين صفوف الشيعة ... وأتته بعد وفاته فإنّ بعض أتباعه جزموا بأنّه كان الإمام الغائب، وأنّه المهدي))^[2] ويتحدث آخر عن إنكار الناس أو قل سخطهم للعقيدة المهديّة من جرّاء ادعاءات المهديّة، حيث ((يمكن ملاحظة السخط على عقيدة الإمام الغائب في محاولات بعض الجماعات ... إذ جمعت الحركة التي قاده [أحد الموالين للعباسيين] لصالح العباسيين في صفوفها خيوطاً عديدةً من الحركة الشيعية وعقائدها، وكانت عقيدة الإمام الغائب واضحة فيها)).^[3]

وكذلك بروكلمان وهو يتحدث عن المغزى السياسي السلطوي وراء ادعاء المهديّة وأنّ التشيع أول ما بدأ خالصاً، لكن انضوى تحت لوائه الداخلون حديثاً في الإسلام ليناضلوا ضد السياسة القائمة و((كان [التشيع] في كثير من الأحيان ستاراً يستعمله الانتهازيون الذين لا ذمة لهم ولا ذمام، لتحقيق أهدافهم الأنانية الصرّفة، المناهضة للحكومة. وكان في جملة دعاة الشيعة المتنقلين في البلاد، في عهد ملكشاه [ملك امبراطورية السلاجقة] لاجتذاب الغوغاء من طريق التبشير بقرب ظهور المهدي الذي سينتقم لهم من حكامهم الظالمين، رجل يدعى الحسن بن الصباح)).^[4] وكان الحسن بن الصباح هذا رئيس (فرقة الحشاشين).^[5]

[1] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 231.

[2] - وات، مونتكمري، التشيع في عهد الأمويين، بحث ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق - حفرات إستشراقية، لنخبة من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي، ص 107.

ويراجع: النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة: ص 47. ويراجع: الأشعري القمّي، أبو خلف سعد بن عبد الله، كتاب المقالات والفرق: 64.

[3] - وات، مونتكمري، الإسلام واندماج المجتمع: ص 131.

[4] - بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية: ص 281.

[5] - الحشاشون: هي طائفة متفرعة عن الإسماعيلية نزارية، انفصلت عن الفاطميين في أواخر القرن الخامس هجري - الحادي عشر ميلادي لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله، وكانت معارقلهم الأساسية في بلاد فارس وفي الشام. أسس الطائفة الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة الموت في فارس مركزاً لنشر دعوته، وترسيخ أركان دولته.

أوردَ المستشرق برنارد لويس كتاباً كاملاً عن هذه الفرقة التي انشقت عن الإسماعيلية وادعت المهديونية لمؤسسها، أطلق عنواناً على كتابه: (فرقة الحشاشين: مذهب راديكالي)^[1] في الاسلام) كان قد ادعى بأنه هو الحجة الإمام ومصدر معرفة للإمام المستور في ذلك الوقت، في فترة اختفاء الإمام، وهو الرابط الحي بين الأئمة الظاهرين في الماضي وفي

اتخذت دولة الحشاشين من القلاع الحصينة - إذ أنشأت شبكةً من القلاع في قمم الجبال - معقلاً لنشر الدعوة الإسماعيلية.

كانت الاستراتيجية العسكرية للحشاشين تعتمد على الاغتيالات التي يقوم بها فدائيون لا يأبهون بالموت في سبيل تحقيق هدفهم.

التسمية: هم طبعاً لا يرضون ولم يسموا أنفسهم بهذه التسمية، ولكن القصة جاءت [وتبين أيضاً وسائلهم] في القلعة التي كانوا يتحصنون بها لوقت طويل في بلاد فارس قلعة (آلموت) فيها عمد شيخ الجبل إلى إقفال منافذ واد يقع بين جبلين وحوله إلى حديقة كبيرة وجميلة وغرس فيها مختلف أنواع أشجار الفاكهة، ثم بني القصور الجميلة وكساها بالرسوم الرائعة وكان هناك أيضاً مجار يتدفق فيه النبيذ واللبن والعسل والماء وفيها عددٌ من أجمل النساء اللواتي يعزفن على جميع الآلات ويعنين بأصواتٍ حلوةٍ ويرقصن على هيئةٍ مدهشةٍ.

وكان شيخ الجبل يبقي في بلاطه عدداً من الشبان تتراوح أعمارهم بين 12 و20 سنة وكان يحدثهم باستمرار عن الجنة ونعيمها فيقتنعون ويؤمنون بكلامه أشد الإيمان، عندها يأتي بعضهم أربعة أو ستة أو عشرة منهم، فيسقيهم شراباً مخدرأ يؤدي بهم إلى نوم عميق [حشيش مخدر] ثم يأمر بحملهم إلى الحديقة، وهكذا عندما يفيقون من غفوتهم يرون أنفسهم في مكانٍ ساحرٍ ويعتقدون أنهم فعلاً في الجنة وتقوم النساء بمداعبتهم وملاطفتهم بحيث يحصلون على ما يحصل عليه الشباب، مما يجعل هؤلاء البسطاء يصدقون ويعتقدون أنه نبي أو إمامٌ عظيمٌ.

وعندما كان يريد إرسال أحد الحشاشين في مهمة، يعطيه الجرعة التي تؤخذ عادةً قبل الذهاب إلى الحديقة ثم يأمر بإخراجه ويحمل وعندما يفيق الشاب يجد نفسه في القلعة وأنه لم يعد في الجنة وتسوء حالته، وبعدها ينحني أمام الشيخ بوقار شديد، معتقداً أنه بحضرة نبي أو إمام حقيقي، عندما يسأله من أين أتيت؟ فيجيبه أنه جاء من الجنة التي وصفها القرآن في شريعته وبذلك يشجع الشباب الآخرين الذين لم ينضموا ويزيد في رغبتهم في الانضمام إلى الجماعة.

وهكذا عندما يريد الشيخ اغتيال وقتل أحد الأمراء يقول لأحد الشباب: اذهب واقتل فلاناً وفلاناً وعندما تعود، سوف تحملك الملائكة إلى الجنة وأنتك لن تموت وإذا مت فسأرسل الملائكة لتعود بك إلى الجنة.

قضى المغول بقيادة هولاكو على هذه الطائفة في فارس سنة 1256م بعد مذبحةٍ كبيرةٍ وإحراقٍ للقلاع والمكاتب الإسماعيلية، وسرعان ما تهاوت الحركة في الشام أيضاً سنة 1273م.

ينظر ويراجع: كتاب فرقة الحشاشين لبرنارد لويس، حيث أشبع الموضوع بحثاً وتفصيلاً، يقع الكتاب في 170 صفحة وترجم الكتاب بترجمتين: الأولى ترجمة المقدم الركن الياس فرحات، دار البيضاء، بيروت - لبنان، والثانية: تعريب محمد العزب موسى، الناشر: مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 2006.

[1] - الراديكالية (الجدرية) أو الأصولية هي تعريب للكلمة الإنجليزية (بالإنجليزية: Radicalism) وأصلها كلمة "Radical" ينبع من الكلمة اللاتينية Radix وتقابلها باللغة العربية بحسب المعنى الحرفي للكلمة (أصل) أو (جذر) ويقصد بها عموماً التوجه الصلب والمتطرف والهادف للتغيير الجذري للواقع السياسي أو التكلم على وفق ذلك الواقع، وتوصف بأنها (كلٌ مذهبٍ متصلبٌ في موضوع المعتمد السياسي).

ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

المستقبل وزعيم الدعوة الإسماعيلية، إذ كان تحويل الولاء إلى إمامٍ غائبٍ غامضٍ مستورٍ قد ألهب شعور الإسماعيليين وحماسهم وتولى الحسن الصباح قيادتهم وحث همهم كإمامٍ أو كمثل للإمام.^[1]

وكتب المستشرق توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام، بقوله أن زيدا بن علي (ابن الحسين بن علي بن أبي طالب) ادعى المهديوية: ((زيد بن علي حفيد الحسين، كما هو أحد أحفاد علي ابن عم محمد، وقد ادعى في عهد الخليفة هشام أنه الإمام المهدي، وأشعل نار الثورة بين حزب الشيعة، ولكنه هُزِمَ وقُتِلَ سنة 122هـ))^[2] مع أن زيدا بن علي لم يدعِ بنفسه الإمامة هذا ما أكد عليه أصحاب الملل والنحل.

وإدعى بعض النزاريين - إحدى الفرق الإسماعيلية - عندما كان نزار الإمام الشرعي بعد المستنصر الخليفة الفاطمي الذي كان يحكم القاهرة وهو إمام ذلك الزمان والرئيس الروحي للمذهب الإسماعيلي، فعندما قتل نزار في السجن في الإسكندرية، ادعوا أن نزاراً لم يمت فعلاً وأنه متخفٍ وسيعود بصفة المهدي.^[3]

المستشرق جفري في كتابه (أصول التشيع الإسلامي وتطوره المبكر) ذكر فيه أن ((المجموعة الأولى الغلاة ذابت في الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية وهم يعتقدون بمهدويته ومن ثم اتبعوا ابنه أبا هاشم عبد الله)).^[4] هذه الفئة التي غالت في معتقداتها وعزّت إلى محمد بن الحنفية الإحاطة بالمعرفة العظمى وبجميع العلوم، وأن أخويه الحسن والحسين قد عهدا إليه بالعلم الحقيقي في التأويل والباطن، وذلك من منطلق اعتقادهم بتفوق الإمام علي في تفسير الشريعة الإلهية، وهذا ما يميزهم عن الشيعة المعتدلين.^[5]

[1] - ط: لويس، برنارد، كتاب فرقة الحشاشين: ص 82.

[2] - أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام: ص 286.

[3] - ط: لويس، برنارد، كتاب فرقة الحشاشين: ص 66.

[4] - جفري S.H.M، أصول التشيع الإسلامي وتطوره المبكر: ص 391.

وممن كتب عن مدعي المهديوية (ومحمد بن الحنفية) المستشرق كولن تيرنر، في كتابه: التشيع والتحول في العصر الصفوي، في الفصل الخامس منه، ضمن عنوان: التطور التاريخي لعقيدة الرجعة: ص 351.

[5] - ط: فلوتن، فان، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ص 80. وكان فلوتن أكثر تفصيلاً عن مدعي المهديوية في الكتاب نفسه، ضمن عنوان: المهديون من غير أهل البيت. ص 131-134.

كذلك المستشرق برنارد لويس عندما يعزو مجيء تسمية المهدي بالمعنى الخلاصي من ((مبدأ استعمالها بالمعنى (المسيحي) فقد ظهر -بلا جدال- في ثورة المختار سنة 66هـ الذي ادعى أن محمد بن الحنفية -أحد أبناء عليٍّ من أمِّ حنفية- هو المهدي المنتظر... كانت الكوفة حينما بدأ المختار ثورته فيها، كانت مرتعاً مدهشاً لحركات مختلفة العناصر، مصطبغة بفكرة ظهور المسيح... ولم يجد المختار رجلاً في سنِّ موافقة من سلالة فاطمة فاختر محمد بن الحنفية ليكون إمامه المهدي، وجعله أسمى ممثلاً للحكومة الإلهية على الأرض... وادعى كثيرٌ من أتباعه أن محمداً لم يمت حقاً، لكنه في غيبة وسيعود يوماً... ومن هنا ظهرت لأول مرة عقيدة الغيبة والرجعة المهديتين))،^[1] وانتظار رجعة الإمام الغائب يمكن أن يظهر مستقلاً عن الاستشهاد كما يدل على ذلك القول بغيبة المهدي محمد بن الحنفية.^[2]

أقول: قد يكون نسبت الدعوة المهدوية لمحمد بن الحنفية، لأن المختار في مراسلاته السرية عندما أراد أن يثور للأخذ بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، كان يُلقب ابن الحنفية باسم حركي متفق بينهما (المهدي) كما ذكر فلهاوزن، وهو ينقل نصوصاً من تاريخ الطبري، إذ ((قام المختار يدعو باسم محمد بن الحنفية، ويسميه (المهدي)... وادعى المختار أنه (أمينه) و(وزيره). فشك نفرٌ من الشيعة في صحة هذه الدعوى... وأخيراً وصله [أي وصل كتاب إلى أحد الذين شكوا بالمختار] كتابٌ يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبي عبيد. ولكنه تضايق [الشخص الشاك] من كون ابن الحنفية يُلقب نفسه في هذا الكتاب بلقب (المهدي)).^[3] وقد أخذ على المختار ((إنه استعان بالتنبؤ للوصول إلى الحكم... هو أن تستر وراء شبح وناطور خيالي هو (محمد بن الحنفية) لم يشأ أن يعلم عن أمره شيئاً، ولكن الظروف في ذلك الحين لم تسمح له -بوصفه مسلماً وشيعياً- أن يظهر باسمه الخاص، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز (أمين) للمهدي المستتر)).^[4] إذاً هو لم يدع المهدوية لنفسه.

[1] - لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية: ص 61 - 62.

وينظر: وات، مونتكيري، الإسلام واندماج المجتمع: ص 130 - 133.

[2] - ظ: شتروثمان، رودولف، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الرابع عشر، ص 61. مادة (الشيعة). وينظر: ص 62، ص 64.

[3] - فلهاوزن، بليوس، أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة: ص 204 - 206.

[4] - المصدر نفسه: ص 236.

وحول مدعي المهودية كتب دوغلاس كرو، Douglas K - crow، المستشرق الأمريكي، تحت عنوان: (ابن الحنفية، اليسوع والقرآن) حيث كان رأي الكيسانية ((بأنَّ) محمد بن الحنفية) قد اختفى عن الأنظار وأنه يعيش ويطعم بمعجزة في ظروف شبه فردوسية على جبل رضوى، يغذى بالماء والعسل، وأنه سوف يظهر كمهدي ... وهذه [الدعوى] قد دحضها أو كذبها المذهب الاثني عشري في الحقب المتأخرة))^[1] وقد ذكر محاوره جرت بهذا الخصوص، تبين دحض الإمامية وتكذيبهم لهذا الشيء.^[2]

وقد عزا المستشرق دومينيك أرفوا، في كتابه تاريخ الفكر العربي والإسلامي، إلى دور الوعي والتعلق بأحاديث النبي التي لا تزال المادة الغضة الطرية ولم تفسد، مما يفتح الشبهة - إن جاز التعبير - على ادعاء المهودية بيسر وسهولة، فـ ((بعد ثورة المختار، مرَّ أكثر من

[1] - كرو، دوغلاس Douglas K - crow، مقتل الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة، ورقة بحث ضمن كتاب حفريات استشراقية - إعادة قراءة التشيع في العراق، لنخبة من المستشرقين: ص 189.

[2] - ظ: كرو، دوغلاس، مقتل الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة، ورقة بحث ضمن كتاب حفريات استشراقية - إعادة قراءة التشيع في العراق، لنخبة من المستشرقين: ص 189 - 191. حيث قال: ((ونذكر إحدى الروايات عن مناقشة جرت بين كيسانٍ هو حيان السراج وجعفر الصادق، الذي وجه سؤالاً إلى حيان بشأن ما كان أصحابه يقولون بخصوص ابن الحنفية؟

حيان: يقولون: إنه حيّ يرزق.

الصادق: أخبرني أبي أنه كان من بين أولئك الذين كان حاضراً أثناء مرضه، وهو الذي أغمض عينيه (عند موته) وهو الذي وضعه في قبره ...

حيان: يا أبا عبد الله، محمد بن الحنفية يشبه بالمسيح ابن مريم Mary في أمته، وإن أمره سيظهر (شبه له أمر وهو يموت) أمام الناس (شبه أمره للناس).

الصادق: هل شبه أمره أو ظهر أمره (شبه أمره للناس) إلى أصدقائه أو إلى أعدائه (شبه أمره على أوليائه أو على أعدائه)؟

حيان: الأحرى إلى أعدائه.

الصادق: هل أنت تزعم أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر هو عدو عمه من أبيه محمد بن الحنفية؟

حيان: كلا.

الصادق: يا حيان أنت وأصحابك يحجبون أو يصدون عن آيات الله الرحيم الكريم، الذي قال عزّ من قائل (سوف تكافئ أو نجازي أولئك الذين صدّوا أو صرفوا عن آياتنا شرّ العقاب بما كانوا يصدّون) يقصد المستشرق الآية 157 من سورة الأنعام ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾. انتهى.

نصف قرن من غير تمرد مسلح، في المقابل ظهرت حركاتٌ خلاصيةٌ. فقد أعلنت مجموعةٌ محبطةٌ لاختفاء إمامها بأنه (مستورٌ) مؤقتاً فحسب: اختبأ في جبلٍ وسيعود في الوقت المناسب! وقد لعب الدور الأساسي في هذه العملية أعضاء طبقة المحدثين الجديدة، ممن نالوا الاحترام بوصفهم حافظي أقوال النبي)).^[1]

وإشارةً إلى تأثير المهودية بالخلاص المسيحي، أو تشبيهها به، وهذا التأثير جاء مبكراً متمثلاً بآبن الحنفية، فعندما ((اختص الاثنا عشرية بقبول فكرة الاختفاء المؤقت للإمام الأخير الذي يضمن رجوعه المنتظر انتصار الحق على الباطل والعدل على الجور، ظهر هذا الميل المسيحاني مبكراً، منذ العصر الأموي فيما يبدو، عند أصحاب محمد بن الحنفية)).^[2]

وينفس الخلاص المسيحاني كذلك ممن ادعى المهودية عندما تحولت إيران إلى المذهب الشيعي ((ادعى الشاه إسماعيل أنه من تجليات الله، وأنه نار الإمام الغائب الإلهية، وأنه المهدي. أطلق على نفسه لقب ظل الله على الأرض، حاذياً حذو أباطرة الفرس وأكاسرتهم)).^[3] وفي ختام نقل هذه الآراء نجد أن المستشرقين في تحليلهم يستندون على جانبين:

محاولة ربط الفرق الغالية والمنشقة وإثبات اعتقاداتهم، كأنها متفقٌ عليها بين فرق الشيعة، وكما نقل برنارد لويس عن الحشاشين وغيره عن الكيسانية.

والإمامية وهي أكبر الفرق، وهي الفرقة التي جمعت بين الرواية والعقل وأخذت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حقائق هذه العقائد، أكدوا الإمامية على أن هذه الفرق مثل الإسماعيلية الحشاشين وغيرها، لا تمثل العقيدة الصحيحة التي استقر عليها التشيع الإمامي، بينما المستشرقون يحاولون الإساءة إلى التاريخ وتشويهه كلياً.

أن الخلفية العلمية للمستشرقين حتى لو سلّمت نيّتهم فإنهم لا يعرفون معرفة دقيقة بعقائد الإسلام وغلب عليهم أن أكثر عقائد الإسلام مأخوذة من المسيحية أو الأديان الأخرى.

وهنا تعقيبٌ يجدر التوقف عنده، وهو أن ظروف الأمة وظهور التتار واضطراب الأحداث وظهور الفتن، شجّع كثيراً من المسلمين على التثبث بمفاهيم وعقائد تمنحهم شعوراً بالأمل

[1] - أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص 85.

[2] - دومينيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي: ج 1، ص 135.

[3] - لايبس، أيرا، تاريخ المجتمعات الإسلامية: ج 1، ص 420.

والطمأنينة أمام هذه التحديات والانحرافات واستبداد السلاطين وضعف الوازع الديني، كل ذلك قد -وقد هنا تفيد التقليل - يدفع إلى تبني بعض العقائد الخاطئة والتي لا تستند إلى دليل شرعيٍّ موثَّق، ويكثر أدياء الدين والدجالون الذين يُلبسون الدين لباسَ الخرافة والأسطورة؛ ولذلك نحن لا ننكر أن قراءة المستشرقين قد يكون فيها بعض الاستدلالات العقلية، لكن ارتباط هؤلاء بالمنظومة الفكرية الغربية لا يوفر لهم قدرة على الحيادية والعلمية، وينساقون وراء بعض الأخبار الضعيفة، فبينوا عليها آراءهم التي تجمع بين الغثِّ والسمين، والصحيح والسقيم، وقد تُنقل صورةٌ مشوهةٌ، يُراد أن تُسوَّق عن الإسلام وبعض الفرق الإسلامية، لتأكيد تأثير الإسلام بالفرق المسيحية واليهودية والأديان القديمة السابقة عليه، ويجب التأكيد هنا أن الدراسات العلمية المحايدة والمنصفة تؤكد على أن العقيدة المهديّة، تعبر عن مفهومٍ تحتاج إليه الأمة في كل عصرٍ، بل الإنسانية أجمع.

3 المبحث الثالث

المستشرقون والاسماعيلية^[1]

كان من المفترض أن يكون هذا المطلب مُدرجاً تحت عنوان (مدعو المهديّة) السابق، لأنَّ الإسماعيلية ادَّعوا الإمامة المهديّة والغيبة ومن ثمَّ العودة لإسماعيل بن الإمام الصادق (عليه السَّلام)، ولكن لكثرة ما كتب المستشرقون عن هذا الموضوع، صار من الصحيح أنَّ ينعقد مطلبٌ خاصٌّ به.

كتب المستشرق توماس أرنولد بإسهابٍ طويلٍ، عن الإسماعيلية في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) قائلاً: وقد بدأت في فارس حول أواسط القرن الثامن عشر الميلادي حركةً تثير الاهتمام في تاريخ الدعوة الإسلاميّة، وهي ظهور طائفة الإسماعيلية، والذي يسترعي

[1] - الإسماعيلية: إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثني عشرية. يشترك الإسماعيلية مع الاثني عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أنَّ الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريقٌ من الشيعة آنذاك أن الإمامة في ابنه الأكبر إسماعيل، بينما رأى فريقٌ آخر أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك.

ويسمون الواقعة وقفوا على إمامة إسماعيل قالوا: إنَّ الإمام بعد جعفر الصادق: إسماعيل نصّاً عليه باتفاق من أولاده إلا أنَّهم اختلفوا في موته في حال أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلا أنَّ جعفر الصادق أظهر موته تقيّةً من خلفاء بني العباس وأنَّه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة. وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنَّه هو القائم. ثم منهم من وقف على محمد ابن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته.

ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية. وإنَّما مذهب هذه الفرقة: الوقف على إسماعيل بن جعفر أو محمد بن إسماعيل.

قالوا: وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام وإنَّما تم دور السبعة به ثم ابتدأ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سراً، ويظهرون الدعاة جهراً، وقالوا: لن تخلو الأرض قط من إمامٍ حيٍّ قائمٍ: إما ظاهر مكشوف وإما باطنٍ مستور. فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً. وإذا كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين. سُموا بالسبعة إذ قالوا: إنَّ الأمة تدور أحكامهم على سبعة: كأيام الأسبوع والسماوات السبع والكواكب السبعة والنقبا تدور أحكامهم على إثني عشر. وأشهر ألقابهم الباطنية وإنَّما لزمهم هذا اللقب لإيمانهم بأنَّ لكل ظاهرٍ باطناً ولكل تنزيلٍ تأويلاً.

ينظر: النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة: 68 - 76. وينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج1، ص167 - 168. والصفحات: 191 - 192.

ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة - شبكة الأنترنت.

اهتمامنا حقاً هو ذلك النظام المدهش من حيث دقة النظر في الطبيعة الإنسانية والمهارة التامة في تلقين مبادئ هذا المذهب للناس، كلُّ على حسب قدرته وميوله.^[1]

وخصص هاينس هالم كتاباً بعنوان (الفاطميون وتقاليدهم في التعليم) يخص مناهجهم في الدعوة لمذهبهم، إذ عمل أئمتهم على نشر (العلم) و(الحكمة) عن طريق دعواتهم، الذين كانوا يدعون الناس لاتباع الإمام الحق، وأهم تعليم وما يدعون إليه منذ البدايات الأولى، كان الدعوة يترحلون في طول البلاد وعرضها في سبيل نشر البشائر بقرب ظهور المهدي. والدعوة وأخذ العهد للإمام المهدي، الذي لم يكن قد تم الإفصاح عن اسمه بعد.^[2]

وكذلك له كتابٌ آخرُ بعنوان: (إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين) إذ ((كان المحرك الرئيس لهذا الانتشار الواسع يعود إلى فكرة المهدي أو القائم، وهو السابع والأخير محمد بن إسماعيل، الغائب أو المستتر مؤقتاً والذي سيعود في يوم ما ويملاً الأرض عدلاً وخيراً كما هي مملوءة الآن ظلماً وجوراً. هذه الشخصية للمخلص المنتظر))^[3] كانت تكمن فيها القوة التفجيرية الحقيقية للرسالة الإسماعيلية. والتي اتخذت من عقيدة المهدي المنتظر سمةً متميزةً كلياً للدعاية باسمها.^[4]

وقد استطاع هؤلاء الدعوة أن يأسروا العامة بما كانوا يقومون به من الأعمال الخارقة للمألوف التي كانت في أعينهم كمعجزات، وأن يجذبوا جميع الطبقات إلى رئيس الدعوة الإسماعيلية، وكانوا يتظاهرون للأتقياء بالتقوى والتحمس الديني، ويظهرون للزهاد المثل الأعلى للفضيلة والحماس الديني، ويُجلِّون للصوفيين ما غمض عليهم من التعاليم المعروفة،^[5] ((ومن ثمَّ أخذ هؤلاء وأولئك يوحون إلى المتشوقين بظهور منقذ الأديان

[1] - ظ: أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام: ص 183.

[2] - ظ: هالم، هاينس، الفاطميون وتعاليمهم في التعليم: ص 38 - 46.

[3] - هالم، هاينس، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين: ص 9.

وخصص أيضاً المستشرق ميرسيا إلياد، جزءاً من كتابه (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية) عن الإسماعيلية، تحت عنوان: الإسماعيلية، وتمجيد الإمام، البعث الكبير، المهدي. ينظر: ص 135 - 137.

وكذلك عن هذا الموضوع خصص المستشرق الروسي بندلي الجوزي، فصلاً بعنوان: (الإسماعيلية) في كتابه: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ينظر: ص 95 - 123.

[4] - ظ: هالم، هاينس، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين: ص 9.

[5] - ظ: أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام: ص 183 - 184.

العديدة السائدة في ذلك الحين فأعلنوا للمسلمين قرب ظهور المهدي المنتظر، ولليهود ظهور المسيح، وللنصارى المُعزِّي. بيد أنهم لقنواهم أنَّ ما يطمح إليه كل فرد لا يمكن أن يتحقق إلا برجعة عليّ المنقذ الأكبر وكان على الداعي الإسماعيلي، أن يظهر بمظهر المتحمس لجميع العقائد الشيعية، ويشير قسوة السنين وظلمهم لـ (عليّ) وأولاده، ويجاهر بالخطأ من شأن الخلفاء السنين)).^[1]

وهذه الرؤية تؤكد منهج المستشرقين في التركيز على إثارة مشاعر الكراهية بين طوائف المسلمين، عن طريق التركيز على إثارة موضوع قسوة السنّة - بحسب ادعائهم - وكذلك هذا الاتجاه يؤكد على أنَّ المستشرقين متفقون على أنَّ الإسلام في معظم تعاليمه وعقائده متأثر بالديانات السابقة له من اليهودية والمسيحية، ويُشعر كلام المستشرقين إلى عدم حياديتهم وموضوعيتهم واعتمادهم على تفسيرات مُسبقة وأحكامٍ سطحية، وقد درسوا هذه العقائد وتفاصيل الدعوة الإسماعيلية لهذه الأسباب.

فإذا ما مهّد الإسماعيلي السبيل على هذا النحو، وجب عليه أن ينتقل على وفق ما تتطلبه مبادئ الطائفة الإسماعيلية العميقة في التأويل. وإذا ما خاطب اليهودي أظهر احتقاره للنصارى والمسلمين، ووافق المدعو في تطلعه إلى قرب ظهور المسيح المنتظر، ولكنه يتدرج معه في الحديث حتى يعتقد أنَّ هذا المسيح لا يمكن أن يكون سوى علي بن أبي طالب، وهو المهدي الأكبر عند طائفة الإسماعيلية. كما يجب عليه أيضاً أن يشير في حذر وحرص إلى أنَّ المسيحيين قد أساؤوا نوعاً ما تأويل نظرية المسيح المنتظر (البرقليط) Paraclete، وأنَّ هذا المسيح المنتظر لا يوجد إلا في شخص علي بن أبي طالب. ومن ثمَّ جمع الناس تحت لواء واحد جعلهم ينتظرون قرب ظهور الإمام المهدي.^[2] ((وإنَّ إسماعيل غاب، مخلفاً الشيعة الإسماعيلية، فكذلك المهدي غادر الأرض والبشر ليقودهم على وجه

وكذلك ممن تطرق لموضوع مدعي المهودية والإسماعيلية الذين ادعوا لإسماعيل المهودية، المستشرق دومينيك سورديل، في كتابه: (الإسلام، العقيدة السياسية، الحضارة) ضمن فصل تحت عنوان: الحركة الشيعية، ص 105 - 108.

وممن كتب عن الإسماعيلية وادعاء المهودية من قبل الفرقة الإسماعيلية، المستشرق جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام: ص 212 - 222.

[1] - أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام: ص 184.

[2] - المصدر نفسه: ص 184.

أفضل تاركاً وراءه الشيعة الاثني عشرية))،^[1] وما يميزهم جوهرياً عن الاثني عشرية تسميتهم بالسبعية، لوقوفهم على سلسلة الأئمة الظاهرين عند الإمام السابع إسماعيل وعدوه المهدي المحتجب.^[2]

وكذلك المستشرق برنارد لويس بحث وكتب كثيراً عن الإسماعيلية: بأنها شكلت مذهباً وعملت بسرية وتنظيم وتماسك وتفوقت على جميع الفرق المنافسة لها، في عام 909م أصبح الإسماعيليون أقوىاء لدرجة أن الإمام المستور ظهر وأعلن نفسه خليفة في شمال أفريقيا واتخذ لقب المهدي، وبهذا أنشأ دولةً وراثيةً عُرِفَت بالفاطمية في إشارة إلى تحدر الخلفاء من نسل فاطمة ابنة النبي محمد.^[3] ((ففي هذا القرن العاشر الميلادي قَدَّمَ أحد الوعاظ الإسماعيليين نفسه ويدعى عبيد الله، على أنه من نسل فاطمة بنت النبي محمد ووريث إسماعيل بن جعفر الصادق ... بأنه المهدي الموعود وأسس سنة 909 ميلادية خلافةً منشقةً عن الخلافة السنيّة العباسية)).^[4] ولقّب عبيد لله الفاطمي نفسه بأمر المؤمنين بعد أن كان مكتفياً بلقب المهدي، وأمر ببناء المهديّة ليتخذها تختاً وموطناً.^[5]

وفي عام 969م احتلت القوات الفاطمية وادي النيل وبنى القادة الفاطميون - الإسماعيليون - مدينةً جديدةً سميت القاهرة وأصبحت عاصمةً لإمبراطوريتهم، وأصبح جامع الأزهر مركزاً دينياً وعلمياً لمذهبهم. لكن شيئاً فشيئاً فشل الفاطميون واستمرت الخلافة العباسية، من جراء الانشقاق الديني والغزو الأجنبي والانحراف السياسي والنزاعات الداخلية، وواجه

[1] - تويال، فرانسوا، كتاب الشيعة في العالم: ص 39.

وينظر: فلهاوزن، يليوس، أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة: مقدمة الكتاب: صفحة حرف (با).

[2] - دومينيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي: ج 1، ص 140. وللمزيد عمّا كتبه هذان المستشرقان عن الإسماعيلية وارتباط فرقتهما بالمهدوية، يراجع المصدر نفسه: الصفحات 139 - 143.

[3] - ظ: لويس، برنارد، كتاب فرقة الحشاشين: الصفحات 5 - 52.

[4] - فودانو، مكسيم - Maxime Vaudano، المسلمون الشيعة العرب هم أصل التشيع، بحثٌ أو مقالٌ ضمن كتاب (المسألة الشيعية - رؤية فرنسية) من إعداد وتحرير وترجمة د. جواد بشارة: ص 169. وللمزيد مراجعة المقال في نفس الكتاب ضمن عنوان عريض: (الإسماعيليين والفاطميين والنزاريين): ص 165 - 170.

ضمّ الكتاب مجموعةً من المقالات المترجمة لعدد من المستشرقين والباحثين، منهم: هنري كوربان، يان ريشارد، بيير جون لويزار، انطوان صفير، مكسيم فودانو، بيير مارتان... وغيرهم.

[5] - سيديو، لويس، خلاصة تاريخ العرب: ص 155.

الخليفة الفاطمي الرابع المعزّ صعوباتٍ في أوج انتصاره وذلك في أثناء فتح مصر، وحدث انشقاقٌ آخرٌ أيضاً بعد اختفاء الخليفة الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله عام 1021م في ظروفٍ غامضةٍ، فقد كانت مجموعةٌ من المؤمنين به تعتقد أنّ الحاكم بأمر الله لم يمّت وأنّه استتر وسيعود. وأثناء المدة الطويلة لحكم الخليفة الفاطمي الثامن، المستنصر (1036م - 1094م) وصلت الإمبراطورية الفاطمية إلى ذروتها ثم تبع ذلك انحدارٌ كبيرٌ، وبعد موته تمزقت الدعوة الإسماعيلية وشهدت انشقاقاً داخلياً كبيراً. وفي عام 1094م حدثت تغييراتٌ طفيفةٌ في شؤون الدولة وتوفي الخليفة المستنصر، كان هناك نزار في جانب وهو الابن الأكبر للمستنصر وفي جانبٍ آخر كان هناك المستعلي وهو شابٌ وتم اختيار المستعلي خليفةً وأدى هذا الأمر إلى انقسامٍ كبيرٍ في المذهب الإسماعيلي، وبذلك تكرر الخلاف وقطع الإسماعيليون علاقاتهم مع النظام الجديد في القاهرة، وفي عام 1130م بعد مقتل ابن المستعلي على يد أتباع النزارية رفض هؤلاء الاعتراف بالخليفة الجديد وتبنوا الاعتقاد القائل بأنّ ابناً صغيراً مفقوداً للأمير يدعى الطيب هو الإمام المستور والمنتظر ولن يكون هناك أئمةٌ من بعده. عام 1171م وعندما مات آخر الخلفاء الفاطميين في قصره، أصبح القائد الكردي صلاح الدين الأيوبي سيد مصر الحقيقي، وهكذا أُلغيت رسمياً الخلافة الفاطمية وجمعت الكتب الإسماعيلية (المهرطقة) في كومٍ ثم أُحرقت، وما يزالون حتى اليوم في اليمن والهند حيث يُعرفون (بالبهرة) ويطلق على عقيدتهم الإسماعيلية اسم (الدعوة القديمة). في القرن الحادي عشر ضَعَفَ العالم الإسلامي بعد تعرضه لسلسلة من الغزوات أهمها من السلاجقة الأتراك، ولم يعد أمام المفكرين الدينيين المتشددين تحدياتٌ كبيرةٌ، لكن هناك طرائقٌ أخرى للهجوم رأى فيها الإسماعيليون أسلوباً مغريباً للثورة ضد السلاجقة بعد فشل الدعوة القديمة وهذا ما أظهر الحاجة إلى طريقةٍ جديدةٍ وإلى (دعوةٍ جديدةٍ) وقد ابتكرها ثائرٌ عبقرىٌ هو (الحسن الصباح). وانبثقت فرقة الحشاشين.^{[1][2]}

وكتب المستشرق دومينيك أورفوا كتابه في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، في فصلٍ

[1] - ظ: لويس، برنارد، كتاب فرقة الحشاشين: الصفحات 5 - 52.

وكذلك أفرَدَ المستشرق مونتكيري وات، فصلاً عن ذات الموضوع في كتابه: الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي، ضمن عنوان (الإسماعيلية) ينظر: ص 215 - 220.

[2] - كان هذا موجزاً سريعاً عن الإسماعيلية، وكيف انبثقت عنها ما يُعرف بفرقة الحشاشين، وإلا فتاريخ الإسماعيلية تاريخٌ طويلٌ حافلٌ بالأحداث والأسماء والأشخاص والأماكن والعقائد.

تحت عنوان: (العرفانية الإسماعيلية) عن الإسماعيلية من جانب الصبغة العرفانية والباطنية، لأبجديات عقائدهم في عودة الإمام السابع لديهم بعد غيابه، وإنَّ أول مجيء للإمام السابع قد أنهى الحقبة التي دشَّنها النبي محمد [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] وهي الحقبة السادسة في التاريخ الكوني، فابتدأت حينذاك الحقبة السابعة، حقبة أبطال الشريعة.^[1]

ويرى المستشرق هنري ماسي في كتابه (الإسلام) الذي ضمَّه عنواناً: (القرامطة والإسماعيلية)، يرى أنَّ أساس بناء الفرقة الإسماعيلية هي فكرة الإمام المختبئ المستنبطة من عقيدة المهدي المنتظر الشيعية، واستُعملَ على أنَّه وسيلةٌ للاشتراكية والثيوقراطية،^[2] وهاتان المنشودتان هما ضالتا الجماعتين الشيعيتين الرئيسيتين (الإسماعيلية والقرامطة).^[3]

وكذلك بالتمطية نفسها كتبت المستشرقة الأمريكية أيرا لايدس، بأنَّ توجه الإسماعيلية المهدي القوي أفضى إلى إحداث تغييراتٍ عقائدية، مذهبية، كما إلى حركةٍ سياسية،^[4] و((قامت الإسماعيلية بالمزاوجة بين نوع من المفهوم التاريخي الدوري للنبوة من جهةٍ وبين النزعة المهديوية، الخلاصية المسيحانية الأخروية من جهةٍ ثانية)).^[5]

لكن ما كتبه المستشرق (أنتوني نتنج) في شأن الإسماعيلية في كتابه (العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام) كان فيه شيءٌ من التجني والأخطاء المطبعية تاريخياً - إن صح التعبير - عندما يقول: ((ولكن اسم إسماعيل كان كريهاً إلى غيرهم من الشيعة بسبب ما زعموا من إدمانه الخمر، ومن ثمَّ وقع اختيارهم على أخيه الأصغر (محمد المنتظر) ويشغل المركز

[1] - ظ: أورفوا، دومينيك، تاريخ الفكر العربي والإسلامي: ص 367 - 373.

وينظر: عن الإسماعيلية وتوجههم المهدي، لايدس، أيرا م. Ira M. Lapidus، في كتابها: تاريخ المجتمعات الإسلامية: ج1، ص 297 - 201.

[2]- الثيوقراطية: (بالإنجليزية: Theocracy) تعني حكم الكهنة أو الحكومة الدينية أو الحكم الديني. تتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدمجتين في اللغة اليونانية هما (ثيو) وتعني الدين و(قراط) وتعني الحكم وعليه فإنَّ الثيوقراطية هي نظامٌ حكمٍ يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، حيث تكون الطبقة الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين الذين يعدون موجهين من الإله أو يمثلون لتعاليم سماوية، وتكون الحكومة هي الكهنوت الديني ذاته أو على الأقل يسود رأي الكهنوت عليها.

ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة - شبكة الأنترنت.

[3] - ظ: ماسي، هنري، كتاب الإسلام: ص 200 - 210.

[4] - لايدس، أيرا، تاريخ المجتمعات الإسلامية: ج1، ص 197 - 201.

[5] - المصدر نفسه: ج1، ص 200.

الثاني عشر في سلسلة النسب العلوي، ومن هنا عرفت الجماعة باسم الاثني عشرية ... وكان المنتظر وهو آخر الباقيين على قيد الحياة من سلالة عليّ، قد كسب لنفسه في عام 878 م مركز الشهيد بسبب اختفائه ... ولما كان الشيعة يعدّون أن الأئمة لا يجوز عليهم الموت، لهذا أعلن الإسماعيلية والاثنا عشرية على التوالي أن إسماعيل الذي توفي سنة 760م، والمنتظر؛ هما في (غيبية) أو (ستر) وكان يشار إلى كلّ منهما بأنه الإمام الغائب أو (المستور) الذي سيعود يوماً إلى الظهور ويعيد الدين الصحيح ويغزو العالم)).^[1]

أولاً، تاريخياً لم يثبت ولم يذكر أحدٌ أنّ إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كان يشرب الخمر، ولم يثبت ذلك، بغض النظر عن أن الإمامة المهدوية ادعاها أو ادعت له، وهو بعيدٌ كل البعد عن عمل حرام كهذا يغضب الله تعالى، بنظر كلّ مسلم، كيف وإذا كان هو ربيب بيت الإمام الصادق (عليه السلام). حتى إنّ المستشرق شتروثمان استدل على ذلك عندما كتب عن الإسماعيلية في دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان (السبعية) إذ قال: ((ويظهر أن الأدلة الزائفة التي جاؤوا بها لإثبات ذلك [إمامة إسماعيل] قد انطلت على الناس، حتى على خصومهم، إلى درجة أن هؤلاء وجدوا أنفسهم مضطرين في رفضهم لإمامة إسماعيل إلى الطعن في شخصه، فزعموا أنّ أباه جعفر بعد أن عهد له بخلافته خلعه منها لسوء سيرته. ولكن هذا الطعن على إسماعيل، ولا سيّما التشنيع عليه بشرب الخمر، يمكن تعليله بأنّه في الحقيقة طعن على الشيعة السبعية ...))^[2]

وثانياً، الخطأ الواضح والصريح، أنّ (محمداً المنتظر) لم يكن أحاً لإسماعيل ابن الإمام الصادق (عليه السلام)، بل كان ابن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (عليه السلام) من سلسلة الأئمة الاثني عشر.

[1] - نتنج، أنتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص 217.

وينظر: غارديه، لويس، في كتابه: أثر الإسلام في العقلية العربية، فقد كتب فصلاً فيه بعنوان: الإسماعيلية في مبادئها: ص 228 - 235.

[2] - شتروثمان، رودولف، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الحادي عشر، ص 245، مادة (السبعية).

فقد كتب شتروثمان هذه المادة وتضمنت ادعاء الإسماعيلية للمهدوية ((فكانت هناك فرقة تسمى المباركية، وقفت أيضاً عند إمامة إسماعيل بحيث كان يعتبر عندهم أنه آخر الأئمة وأنه المهدي. ولكن معظم الشيعة السبعية يسوقون الإمامة إلى ابنه محمد، وهو الذي عُرف بالإمام التام ولُقّب بقائم الزمان)). المصدر نفسه: ص 245. وللمزيد مراجعة المصدر نفسه: الصفحات 245 - 251.

وثالثاً، وهو عادة المستشرقين التي تعودنا عليها، بعدم الإتيان بدليل أو الإحالة إلى مصدر للتأريخ الذي يسطرونه والمعلومات التي يكتبونها، بأنه لا يوجد من يقول من الشيعة، ولا سيّما الإمامية، على أنّ الأئمة لا يجوز عليهم الموت، لأنّهم سيجابهن بهذه الآية القرآنية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^[1] حتى المهدي المنتظر الذي ينتظرونه، عندما سيظهر ويؤدي المهمة المناطة به، (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً) سيموت في النهاية بالأجل الحتمي الذي كتبه الله تعالى له، كما للخلق جميعاً، ويكون يوم القيامة.

وقد يكون تركيز المستشرقين على هذا المطلب والجانب من القضية المهدوية، وهو إدعاء ومدعو المهدوية، هو لتسفيه هذه العقيدة عند معتققيها من المسلمين وتشويشها تأريخياً وعقائدياً، لجعل الصورة ضبابية أكثر مما هي عليه.

أقول: إنّ مجرد ادعاء الشيء، لا يعني انتسابه حقيقةً لذاك المدعي، ويجب الإشارة إلى أنّ هذا الأمر - ادعاء المهدوية - لا يوهن ولا يُضعف أبداً هذه العقيدة الحقة، العقيدة المهدوية لدى المسلمين، أو يقلل من شأنها أو شأن أدلتها، لأنّ مجرد ادعاء الشيء وانتحاله وتقمصه، لا يعني سلبه من الأول صاحب الدعوة الأصل وجعله عند الآخر مدعي الكذب، وأقرب شاهد على ذلك ادعاء مسيلمة الكذاب للنبوّة، لم يجعل منه نبياً حقاً ولم يؤثر في أصل النبوّة، وادعاء فرعون للربوبية، لم يصيرّه ربّاً بالمعنى، ولم يهتز عرش الله تعالى من جراء ذلك الادعاء.

4 المبحث الرابع

ولادة الإمام المهدي المنتظر وغيبته

إنَّ الحديث عن الولادة مرتبطٌ غالباً بالغيبة، وذلك لأنه بحسب ما يعتقد به الشيعة الإمامية، هو في الوقت الذي ولد فيه الإمام الحجة المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الوقت نفسه هو مغيبٌ ومحتجبٌ عن الناس إلا على الخواص من شيعة وأتباع والده الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - على ما سنقرأ بعد قليل - .

هذا المطلب قد يكون من أوضح مختصات الشيعة الإمامية عن غيرهم، ولا سيّما يعدُّ أهمَّ نقطة افتراق مع عموم المسلمين من أهل السنة والجماعة، بل وحتى من فرق الشيعة الأخرى كالإسماعيلية والزيدية، لكون عموم المسلمين من أهل السنة والجماعة، بحسب المعطيات والأدلة المتوافرة لديهم يؤمنون بأنَّ المهدي المنتظر بعدُ غير مولودٍ وليس موجوداً الآن، وأنَّه سوف يولد في ما بعد عند أجلٍ غير مسمّى، بخلاف الشيعة الإمامية الذين يعتقدون بولادته ويومها وقصة الولادة، وقيمونها عليها الدليل تلوَ الدليل ويشبونها بحسب الأدلة التي يسوقونها، ومن ثمَّ سوف يؤمنون بوجوده ما دام هو مولودٌ، وبعيبيته بالتبع، وانتظاره إلى أن يظهر آخر الزمان.

إذاً هو كما قرأ غارديه عقيدة الإمامية بـ((أنَّه غائبٌ)) لكنه لم يمت أبداً. فالاعتقاد الإمامي يؤمن ببقائه حيّاً في الخفاء، ويأمل رجوعه وينتظرها ... والذي سيملاً الأرض عدلاً، عند الرجعة الألفية للمسيح، قبل أن تقوم القيامة. فغيابه وهو يمدد انتظار المخلصين، إنّما (يمدّد) يوم العالم الأخير. لأنّ الأمة لا يمكنها أن تعيش بلا إمام. وهكذا يظل (محمد المهدي) حيّاً وحاضراً حضوراً غير منظور، لكنه حضورٌ حقيقيٌّ^[1]. ويكمل غارديه ببعض تجنُّ استشراقي لا يقف عند حدٍّ معيّن، بقوله: ((وعبادته [محمد المهدي] لا تزال حيّة، وربما أكثر حيويةً من عبادة فاطمة وعليّ والحسين))،^[2] لكن الجميع يعرف ويدرك أنّ المسلمين جميعاً باختلاف مشاربهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له ولا يحتاج أن يقيم الفرد

[1] - غارديه، لويس، أثر الإسلام في العقلية العربية: ص 227.

[2] - المصدر نفسه: ص 227.

على مثل هذه الأبجدية أدنى دليل، وإن يقصد المستشرق بعض الممارسات العبادية - مهما بلغت تلك الممارسات - التي يؤديها الإمامية تجاه أئمتهم والتي لديهم المسوغات الشرعية لأدائها - ليس محل ذكرها هنا - فهذا لا يصير الإمام إلهاً يُعبد بأيِّ حالٍ من الأحوال.

على أيِّ حال إذا أنكر المستشرقون عقيدة المسلمين في الأطروحة المهدوية جملةً، والمهدي المنتظر أصلاً، بشتى أنواع الإنكار والتسفيه، فمن باب أولى إنكار ولادته وغيبته وسفراته، وصولاً إلى انتظاره والإيمان بخروجه آخر الزمان. فـ((من المشكوك فيه كل الشك أنّ الحسن الخالص [الحسن العسكري] وهو الإمام الحادي عشر، قد خُلف ولداً على الإطلاق لما مات عام (873 م). لكن سادَ بين الشيعة الإمامية، الاعتقاد بوجود ابن له هو محمد حجة الله الذي قيل أنه اختفى على نحو غير معروف وأنه سيظهر على صورة المهدي وهكذا يصير الأئمة اثني عشر وإن كان الخلاف مدةً طويلةً حول مسألة هي: هل كان ثمة إمامٌ ثالث عشر؟))^[1] وهذا الخلاف في عدد أئمة الإمامية الاثني عشر، لم يُذكر ولم ينقله أيُّ أحدٍ لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، الظاهر أنه من عنديات هذا المستشرق بما يحلو له، إلا أن يكون يقصد به ما يوجد عند الإسماعيلية أو الزيدية، فأضافه إلى الأئمة الاثني عشر.

وينقل المستشرق دوايت دونالدسون قصة ولادة الإمام المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^[2] بكل تفاصيلها وجزئياتها - وسيأتي ذكرها في معرض جواب إشكال الولادة والغيبة - في كتابه المهم والمعروف (عقيدة الشيعة) ضمن الباب الحادي والعشرين منه تحت عنوان: (الإمام الغائب المنتظر) ينقل القصة التي يعتمد عليها الشيعة الإمامية من مصادرهم، وهو بالتأكيد ينقلها بصيغة التشكيك والإنكار، لا بصدد إثباتها والاستفادة منها في موضوع البحث، بحيث كأنه يريد القول بأنَّ الإمامية جعلوا من هذه القصة مطابقاً لما جاء في الأخبار والأحاديث الواردة، فيُعبّرُ عنا بصيغة (يُقال) بما فيها من تضييفٍ وازدراء: ((يقال أنَّ الإمام الثاني عشر وهو صاحب الزمان ولد في سامراء سنة 255 أو 256هـ. أي قبل وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري بأربع أو خمس سنوات. ونلاحظ أن ما روي عن الطفل كان قد جعل لينطبق على ما كان منتظراً من المهدي، وأنَّ الحقيقة نفسها تلقى شكاً على الأخبار التي تُهيئُ الدليل الوحيد على حياته، فقد أخبر الرسول قبل ذلك بأكثر من مائتي عام، أو قيل عنه بأنَّ (اسمه

[1] - شتروثمان، رودولف، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الرابع عشر، ص 64 - 65. مادة (الشيعة).

[2] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 234 - 237.

اسمي واسم أبيه اسم أبي وألقابه المهدي والحجة والمنتظر وصاحب الزمان) فلا عجب إذا سمعنا بتكرار إطلاق هذه الأسماء عليه في الأخبار^[1].

كان الاعتقاد العام عند الشيعة اليوم، وهو يتفق مع ما ذكره الأقدمون، بأنه غاب في سامراء إلا أن ابن خلدون يرى أنه غاب في الحلة، فيذكر ابن خلدون: بأنه عندما حُبِسَ مع أمّه دخلا سرداباً أو حفرةً في الدار التي سكنها أهله بالحلة واختفى هناك وأنه سيظهر آخر الزمان.^{[2][3]}

كذلك المستشرق جرهارد كونسلمان في كتابه (سطوع نجم الشيعة) تحدث عن ولادة الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بشكلٍ كاملٍ ووافٍ، وبالتأكيد ينقله من مصادر الإمامية أيضاً، منذ بدء زواج الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من أمِّ الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى حين ولادة الإمام، لا بداعي الإثبات، ولكنه يصفها بالأسطورة،^[4] إذ ((استطاع مؤرخو الشيعة عن طريق مثل هذه الأسطورة التأكيد على نبل سلالة النبي. فحسن بن علي [العسكري] زوجٌ ذو نسبٍ شريفٍ والأميرة الزوجة تنتسب إلى أنبل أسرةٍ مسيحيةٍ في العالم: فوحَّدَ ابْنَهُمَا [المهدي] الإسلامَ والمسيحية. وبهذا يصير مُخْلِصاً لِأَتْبَاعِ الديانتين وبذلك العالم كله. وليس هنا من شكٍّ في أنَّ الأساطير حول النسب وحول القدرة العجيبة في رؤية الأمور الإلهية، التي وصف بها ابن الإمام الحادي عشر، قد نشأت في حياة الإمام الحادي عشر))^[5].

وإنَّ قصة نرجس خاتون أمِّ الإمام المنتظر وأنها كانت أميرة و بنت قيصر ملك الروم البيزنطي، قد تكون من وضع الخيال، زيادةً في تعظيم الإمام الثاني عشر.^[6] (تلك هي عقيدة وأمل الاثني عشرية، الشيعة الذين يعتقدون باثني عشر إماماً، ويقولون بأنَّ الإمامة

[1] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 233.

[2] - ظ: المصدر نفسه: ص 237.

[3] - ذُكِرَ هذا الأمر في مطلبٍ سابقٍ من هذا الكتاب، وقد ثبت بطلان قول ابن خلدون ومن معه، فلا إعادة، راجع الصفحة: 198 وما بعدها.

[4] - ظ: كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة: ص 107. وللمزيد مراجعة نفس المصدر الصفحات: 104 - 112. تحدث عن أئمة الشيعة الإمامية واحداً بعد واحدٍ، وبضمنهم وآخرهم، الإمام المنتظر. بعنوان: (الإمام الثاني عشر - المهدي الذي اختاره الله).

[5] - كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة: ص 107.

[6] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 227 - 228.

انتقلت من عليٍّ إلى وَكَدَيْهِ الحسن والحسين، ثم من الحسين إلى عليٍّ زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق ثم إلى ابنه موسى الكاظم ثم إلى عليٍّ الرضا ثم إلى ابنه محمدٍ التقي ثم إلى ابنه عليٍّ النقي ثم إلى ابنه محمدٍ العسكري، وأخيراً بحسب الروايات التي يصعب البرهنة على صحتها، إلى محمد المهدي الذي اختفى وسيظهر في آخر الزمان قرب قيام الساعة فيملاً الأرض عدلاً^[1].

وهنا من حقنا بوصفنا متلقين أو مجادلين، أن نسأل المستشرق روندلسن - علي أنه سيعرض بعد قليل كل ما جاء من شبهات لإنكار الولادة ووجود الإمام المنتظر وغيبته حياً - فالسؤال موجّه للمستشرق: أي المقياس الصحيح للبرهان الذي تعتقد وتؤمن بصحة الروايات فيه؟ حتى تقتنع به؟ وحتى يمكن أن نهىء له لوازم ومباني الصحة؟ وعن طريقه تنقل لنا صورةً منك إلى قرائك في الغرب، بأن مثل هذه العقائد، هي عقائدٌ محترمةٌ للمسلمين يجب احترامها واحترام معتنقيها، لأن لديهم أدلتهم وثوابتهم التي استندوا عليها.

وما هي الآلية للبرهان الذي يمكن أن يكون صحيحاً على وفق القواعد التي تؤمن بها؟ وأنت في أيِّ طرفٍ وفي أيِّ جهةٍ من الخطاب؟ وما مباني الصحة لديك، حتى نلزمك إياها على وفق قاعدة ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم؟

وماذا نفعل للحديث الذي صحَّ عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنَّ الخلفاء أو الأمراء أو الأئمة من بعدي اثنا عشر؟ أين سنذهب بهذا الحديث وكيف يكون مصداقه ليكون مقياساً لصحة البرهان الذي تقتنع به؟ وهل يفيدك أيها المستشرق لو طبقنا رقم الاثني عشر على الخلفاء المباشرين بعد النبي، ومن بعدهم معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وبعده مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك إلى أن يكتمل العدد اثنا عشر، وصولاً إلى الخليفة الذي أحيا عصر الخلافة الراشدة عمر بن عبد العزيز؟ هل هذا التطبيق والمصداق سينسجم مع قواعد البرهان التي تؤمن أنت بصحتها والتي لا نعرف لها طريقاً؟.

هذه إثاراتٌ مهمةٌ، يُراد منها تذكير القارئ اللبيب بغرض المستشرقين الأساسي وبالمشكلة الأساسية، وهي الإتيان والتأكيد على ما هو مختلفٌ به عند المسلمين في هذه العقيدة، لكي

[1] - ظ: دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 251.

تنتفي بالتبع وبحركة بحثية انسيابية، عقيدة المهدي المنتظر برمتها. لكن هنا لا بدّ أن نقرر بأنّ منهج المستشرقين، منهجٌ يصدر عن عقلٍ غربيٍّ مادّيٍّ تأثر بيئته العلمانية، ومن شأنه أن ينكر الأمور التي لا تنسجم مع تصوره المادي، حتى ولو ثبتت بالنقل الصحيح، فهم لا ينظرون إلى النصوص القرآنية والحديثية على أنها نصوصٌ مقدسةٌ أو تتضمن الأخبار عن حقائق الوجود، زد على ذلك تأثير الثقافة المسيحية، اليهودية، التبشيرية، التي ترفض التصديق بوجود دينٍ إسلاميٍّ سماويٍّ أصلاً.

أما عن أمر التشكيك في وجود وولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وتعدد الأقوال والظنون والشكوك، فليس بالأمر الجديد، فقد أخبر عنه أبأوه الطاهرون من قبل، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) ما جاء في الكافي الشريف بسنده: ((... ثم قال: يا زارة وهو المنتظر، وهو الذي يُشكُّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خَلْفٍ ومنهم من يقول: حمل [أي مات أبوه وهو حمل] ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بستين، وهو المنتظر غير أن الله عزّ وجل يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون...)).^{[1][2]}

لذا نجد المستشرق هيوار Huart قسّم الشيعة إلى عدة فرق بحسب القول في ولادة وحياة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)، وهذه الفرق ((ليس لها أسماء خاصة بها بل كانت تتميز إحداهما عن الأخرى بما يأتي: الأولى قالت أنّ الحسن العسكري لم يمت ولكنه غائبٌ فقط. الثانية قالت أنّ الحسن قد مات ولا ولد له ولكنه يجيء بعد الموت. الثالثة قالت

[1] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج1، ص337، باب في الغيبة. وهذه رواية صحيحة معتمدة؛ إذ جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسني: ج2، ص320. وحققتها ودرس سندها وصححتها الشيخ أحمد الماحوزي قال: ((مرتبة الحديث: حسن، بل صحيح، رجاله أجلاء)). الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص22.

وأخرجه: النعماني، الشيخ محمد بن إبراهيم (المتوفى حدود سنة 360 هـ) كتاب الغيبة، ص166.

ونقلها الشيخ الصدوق، ينظر: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ) كمال الدين وتمام النعمة: ص241.

ونقل الرواية الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت406 هـ) كتاب الغيبة: ص333.

وينظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، (ت 548 هـ). إعلامُ الورى بأعلام الهدى: ج2، ص342.

[2] - ملحوظة مهمةٌ يجب الإشارة إليها: في كل أمرٍ وشأنٍ من هذا المطلب (الولادة) يستشهد عليه بالأخبار والأحاديث، توجد منه كثيرٌ من الشواهد، لكنه سيقتصر على اثنين منها أو واحدٍ فقط، طلباً للاختصار.

أن الحسن قد مات وأوصى إلى جعفر أخيه. الرابعة قالت أن الحسن قد مات دون أن يترك وارثاً له في الإمامة. الخامسة قالت أن محمد بن علي [الهادي] هو الإمام. السادسة قالت أن للحسن ابناً ولد قبل وفاة أبيه بستين واسمه محمد. السابعة قالت أن للحسن ابناً ولكنه ولد بعد موت أبيه بثمانية أشهر. الثامنة قالت بصحة وفاة الحسن من غير أن يعقب نسلاً، والأب الإمام بعده على أهل الأرض لمعاصيهم. التاسعة قالت أن الحسن قد ولد له ابن ولكنه غير معروف. العاشرة قالت أن الحسن قد مات ولا بد للناس من إمام، ولا ندري أهو من ولد الحسن أم من ولد غيره)).^[1] هذه الأقاويل موجودة أصولها في التراث الشيعي، لكن التحقيق يؤكد عدم وجود مثل هذه الفرق كما سيثبت في هذا المطلب الآتي.

جواب إشكالات المستشرقين

هذا التفريق والتقسيم أعلاه، للمستشرق هيوار ليس رسمياً معتدّاً به بحسب الفرق والملل والنحل، لكنه جاء من طريق أن ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، كان يكتنفها كثير من الاحتجاب والاختفاء، حذراً من السلطات الحاكمة آنذاك -على ما سنقرأ بعد قليل - فما يشاع من أقوال متعددة في الولادة، نابع من الظروف التي أحيطت بولادته (عليه السلام)، وجاءت الشواهد في هذا المجال، كثيرة لا حصر لها، حيث جاء في الكافي للكليني: ((... عن أحمد بن محمد بن عبد الله قال: خرج عن أبي محمد [العسكري] عليه السلام حين قُتل الزبيري^[2] لعنه الله، هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله فيه، وولد له ولد سماه (محمد) في سنة ست وخمسين ومائتين))،^[3]

[1] - هيوار Cl. Huart دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الأول، ص 429 - 430. مادة (اثني عشرية).

[2] - الزبيري كان لقب بعض الأشقياء من ولد الزبير كان في زمانه (عليه السلام) فهدد الإمام، وقتله الله على يد الخليفة أو غيره، وصحّف بعضهم قرأ بفتح الزاء وكسر الباء من الزبير (الزبيري) بمعنى الداهية كناية عن المهدي العباسي حيث قتله الموالى. ينظر: كتاب الكافي للكليني: هامش رقم (1) جزء 1، صفحة 329.

[3] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج1، ص 329، باب مولد الصاحب (عليه السلام).

حكم الرواية: صحيحة معتبرة، حققها ودرس سندها وصححها الشيخ أحمد الماحوزي قال: (مرتبة الحديث: حسن، بل صحيح على الأقوى. رجاله أجلاء) الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 33.

وأخرج الرواية الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) في كتابه: كمال الدين وتمام النعمة: ص 429، باب ما روي في ميلاد القائم صاحب الزمان حجة الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

صحح الرواية الشيخ أحمد الماحوزي (معاصر: هو الشيخ أحمد ابن الحاج عبد الحسن بن مهدي بن ناصر القيدوم الماحوزي البحراني).

وكذلك جاء في كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق: ((حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: كنت مع أحمد بن إسحاق عند العمري، فقلت للعمري: إني أسألك عن مسألة... هل رأيت صاحبني [الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام]؟ فقال لي: نعم وله عنقٌ مثل ذي - وأوماً بيديه جميعاً إلى عنقه - قال: قلت: فالاسم؟ قال: إياك أن تبحث عن هذا فإنَّ عند القوم [يعني السلطات الحاكمة] أنَّ هذا النسل قد انقطع)).^[1]

فالسلطات الحاكمة وأغلب الناس كانوا لا يعلمون بولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَام)، بسبب التحفظ والتخفي الذي عمل عليه الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام، ما جعلهم يظنون والحال هذه، بأنَّ الإمام العسكري ليس له ولدٌ، ما أوجد التعدد في الأقوال بشأن ذرية الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَام)، لأنَّ الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام هيَّا لهذا الأمر وهو اختفاء الإمام المهدي وغيبته خوفاً وحذراً من السلطات الحاكمة، لكون السلطات على علم بما أخبر به النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأخبروا به الأئمة بأنَّ المهدي المنتظر من ولد النبي ومن ولد فاطمة وأهل بيت النبي صلوات الله عليهم، وهو الإمام الثاني عشر، ما جعل السلطات تتربص وتضع الإمام العسكري تحت المراقبة، فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده ((... عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: دخلت على سيدي علي بن - محمد عليهما السلام [وسأل الإمام مسائل]... فقال عَلَيْهِ السَّلَام: ومن بعدي الحسن ابني فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: لأنه لا يرى شخصه ولا يحلُّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...))،^[2] (لا ترون

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 241. ومن حيث الاعتبار؛ فقد جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني: ج 2، ص 317.

وجاءت هذه الرواية في كتاب المعتبر من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله، ج 2، ص 182.

وصححه الماحوزي، قال: وسنده من أصح الأسانيد، ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 569.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 379. رقم الحديث: 1. باب ماروي عن أبي الحسن علي بن محمد الهادي في النص على القائم (عَلَيْهِ السَّلَام) وغيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

شخصه) لأنه سيكون في احتجابٍ واختفاءٍ منذ اللحظة الأولى، كما سيتضح.

ونجد أن الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أرسل إلى أحد أصحابه ((كتاباً فإذا فيه مكتوبٌ بخط يده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذي كان ترد به التوقعات عليه، وفيه: ولد لنا مولودٌ فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به)).^[1]

وهنا ينبري القول والسؤال: لِمَ البحث ينصبُّ حول ولادة المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دون غيره من الأئمة، أو الأنبياء؟ كيف ثبتت ولادات الأئمة أو الأنبياء أو كيف ثبت وجودهم؟ لم تثبت بذكر قصة الولادة أو اسم القابلة أو اليوم والساعة، سوى بذكر أسمائهم إما في القرآن أو في الأحاديث، أو هذا ما تواتر وتم التسليم بوجوده، وكيف ثبت لنا ولادة الخضر ووجوده وحياته، ولم يرو لنا أحدٌ كيفية ولادته ولم يذكر اسمه في القرآن الكريم، بل وأغلب الأنبياء لم تذكر حتى أسماءهم في القرآن، ولم تذكر روايات متواترةٌ توجب القطع واليقين عن ولاداتهم بما فيهم النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

حكم الحديث: حسنه الماحوزي بعد أن ذكر طريقتين له ودرس رجاله قال: والحديث بكلا طريقيه كالحسن إن شاء الله. ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه المسمّى: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص 138.

ومثله روى الكليني في الكافي الشريف عن الإمام علي الهادي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يحذر ويهيبُ لذلك بإسناده (...). عن داود بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري [الإمام الهادي] عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: الخَلْفُ من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخَلْفِ من بعد الخَلْفِ؟ فقلت: ولم؟ جعلني الله فداك، قال: إنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف تذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه)). الكليني، محمد بن يعقوب (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص 332. باب في النهي عن الاسم [تسمية الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ]

وأخرجه: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 381. رقم الحديث: 5. باب ماروي عن أبي الحسن علي بن محمد الهادي في النص على القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وغيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

صحح الحديث الماحوزي قال بعد دراسة رجاله: سنده حسنٌ بل صحيحٌ، ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: هامش ص 254.

وأخرجه: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 1263 هـ)، إعلامُ الورى بأعلام الهدى: ج 2، ص 136.

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 234. والرواية معتبرة صحيحة، صححها ونقلها الشيخ أحمد الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 38.

لَمْ لا أحد يكذب الشيعة الإمامية في ولادة الإمام جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مثلاً؟ ما الدليل على ولادة الإمام الباقر والجواد والرضا والكاظم عليهم السلام؟ بل ما الدليل المتواتر القطعي على ولادة النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟

إنَّ الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شخصٌ وُلِدَ كما وُلِدَ باقي الأئمة، الفرق أنَّ الأئمة ثبت أنهم ماتوا وتوفوا، وهو لم يثبت ولم يقف أحدٌ على موته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بقي حياً غائباً عن الأنظار، أما كيف يتسنَّى له هذا العمر الطويل وهذه الغيبة الإعجازية؟ فهذه أمور لها أدلتها في مظانها عند الإمامية، ولها خصوصيتها التي يختصُّ بها ويحتاجها هذا القائد العالمي الذي سيحكم الأرض بأقاليمها السبعة فيملاًها قسطاً وعدلاً، ولها إعجازها الإلهي وعنايتها الإلهية الخاصة، التي يعتقدون بها ويستدلون عليها.

على أنه تمَّ نقل بعض الأخبار والروايات لبيان عقيدة الإمامية في هذا الأمر (ولادة وحياة ووجود الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ) وسيتم نقلها بتفصيلٍ مُقَلِّ غيرٍ مُخَلٍّ من داخل الحرم الإمامي والمصادر الشيعية المعتمدة، لإثبات هذه العقيدة نقلاً موثقاً. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا﴾.^[1] أما أن تقرأ أيها المستشرق عقيدة المهدي المنتظر للشيعة الإمامية قراءةً مغلوطةً، وتفسِّر وتبين الأحداث وتنقلها للقارئ الغربي، على وفق أهوائك وأغراضك الاستشراقية، من غير مصادر الشيعة الإمامية التي يعتمدونها، فهذا شأنك، وهو بعيد كل البعد عن البحث الموضوعي الذي طالما أنت تدعيه، كما ذُكِرَ سابقاً.

ولا زال الحديث عن جواب إشكالات المستشرقين حول ولادة وحياة المهدي المنتظر، فيكون ضمن عدة نقاط:

أولاً - عوامل التشكيك في وجود وحياة الإمام المهدي المنتظر:

هناك عوامل عدة يمكن ذكر اثنين منها طلباً للاختصار:

الاحتجاب والغيبة:

قد يكون هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى الشك من بعضهم بولادة الإمام، وهو اختفائه واحتجابه من السلطات والتكتم منذ الولادة أدى إلى عدم الاعتراف بذلك. بل حتى

قبل الولادة - على ما سنقرأ - وهذا الاختفاء كان من تخطيط الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وقد أخبر به الأئمة من قبل، ممّا جاء عن الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يسأله أحد أصحابه ((... فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منّا... الذي تخفى على الناس ولادته، ولا يحلُّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزَّ وجلَّ فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)).^[1]

وروى الشيخ الصدوق ما جاء عن الإمام موسى الكاظم جدُّ الإمام المهدي عليهما السلام في ظروف التهيئة والتعبئة لمولد الإمام، بإسناده قال: ((... عن العباس بن عامر القصباني قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: صاحب هذا الأمر من يقول الناس [عنه]: لم يولد بعد))،^[2] والأسباب والعوامل والظروف التي أدت إلى غيبة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) متعددة، منها على نحو الاختصار: الخوف والحذر من السلطة الحاكمة، لأنها كانت تتوقع ذلك، لأنها كباقي المسلمين يعرفون ويعلمون بأخبار المهدي المنتظر الذي سيقوم بالسيف ضد الظالمين ويحق الحق ويدحض الباطل، ويطيح بدولة الظلم الباطلة. فكانوا يتوجسون ويتحسسون أخبار مولودٍ جديدٍ من أهل البيت وبالتحديد بيت الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ). ((فإذا ما كان أهل بلاد الرافدين مؤمنين بمجيء المهدي والذي أعطاه الله - طبقاً لعقيدتهم - سلطةً واجبةً على الناس، فكان على هؤلاء القواد أن يخشوا أن يتبع الناس هذا الإمام بصورة أكثر إصراراً عن اتباعهم لكل الأئمة الآخرين في الماضي، ولذا جعلت مراكز القوى في العاصمة تراقب بيقظة منزل الإمام الحادي عشر -

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 368.

وأخرجه المجلسي، محمد باقر في كتاب بحار الأنوار: ج 51، ص 150. باب: (ماروى عن الكاظم صلوات الله عليه في ذلك). ومن حيث اعتبار الرواية؛ فقد جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسنى: ج 2، ص 316 - 317.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 360. رقم الحديث: 2. باب ما روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر في النص على القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وغيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة.

وأخرجه: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 548هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج 2، ص 247.

الحديث صحيح، قال الماحوزي: سنده صحيح، رجاله ثقاتٌ أجلاء. ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 555.

الحسن بن علي - في المدينة ليلَ نهارَ. فكان يجب ملاحظة كل صوت له علاقةٌ بمسلك أحفاد النبي نحو النساء، وباحتمالات الحمل، على أن يُبلَّغ هذا إلى سامراء فوراً)).^[1] يقصد المستشرق بكلمة (سامراء) مركز الحكم والقرار العباسي آنذاك، لأن بيت الإمام العسكري كان في سامراء أيضاً.

ادّعاء جعفر ابن الإمام الهادي بعدم وجود ولدٍ لأخيه العسكري:

جعفر، هو أخو الإمام الحسن العسكري وعمّ الإمام المهدي عليهما السلام وقد ادعى الإمامة بعد موت أخيه الحسن العسكري، لذا عُرِفَ بـ(جعفر الكذاب)، وحاول تزعم أمر الإمامة وكذلك قام بأخذ التركة والميراث بأمر من الدولة، وأول تصرف قام به جعفر، هو محاولة الصلاة على جنازة الإمام العسكري، لما لها لهذه الصلاة من أهمية ودلالة على الإمامة بعده، كما سنقرأ في الرواية القادمة والتي تبين أيضاً ظهور الإمام الحقيقي بعد الإمام العسكري.

فإنّ ادعاء الإمامة من جعفر، كان له دلالةٌ للعامة آنذاك، بعدم وجود خَلَفٍ وولد للإمام العسكري، لذا كان الشكُّ وارداً من العامة حول ولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وجاء هذا الادعاء بارزاً بشكلٍ إجرائيٍّ واضحٍ في أثناء تصرفاتٍ ومواقفٍ ثلاثة:

محاولة الصلاة (صلاة الجنازة) على أخيه الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ما يعطيه الشرعية الرسمية في حق الإمامة:

جاء عن الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) بسنده ((... قال عقيد الخادم: وُلِدَ ولي الله الحجة [المهدي] بن الحسن بن علي [الهادي] بن محمد [الجواد] بن علي [الرضا] بن موسى [الكاظم] ابن جعفر [الصادق] بن محمد [الباقر] بن علي [السجاد] بن الحسين [الشهيد] بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ... وقد اختلف الناس في ولادته، فمنهم من أظهر، ومنهم من كتم، ومنهم من نهى عن ذكر خبره، ومنهم من أبدى ذكره ... فكتب [الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ] معي كتاباً وقال: امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى سُرٍّ من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل قال أبو الأديان : فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمن [يعني الإمام بعدك]؟ قال:

[1] - كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة: ص 104.

من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي، فقلت: زدني، فقال: من يصلي عليّ فهو القائم بعدي... فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدار والشيعية من حوله يعزّونه [على وفاة أخيه] ويهتّونه [على منصب الإمامة] فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأنني كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزّيت وهنّيت فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيداً فقال: يا سيدي قد كُفّن أخوك فقم وصلّ عليه فدخل جعفر بن عليّ والشيعية من حوله... إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً فتقدم جعفر بن عليّ ليصلي على أخيه، فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره ققط، بأسنانه تفليج، فجبذ برداء جعفر بن عليّ وقال: تأخر يا عم فأنا أحقّ بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه واصفرّ فتقدم الصبي وصلّى عليه ودُفِنَ إلى جانب قبر أبيه عليهما السلام ثم قال: يا بصريّ [أبو الأديان]، هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيّتان بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه (...)[1]

ب - ادعاؤه الوراثية بأنه الوارث الوحيد والشرعي للإمام العسكري:

وفي إجراء وتصرف آخر من جعفر أدى النتيجة السابقة نفسها، وهي إيهام أغلب الناس بأن الإمام الحسن العسكري لا عَقَبَ له ولا ولد، والذي يجعل من هذه الإجراءات والتصرفات من جعفر سريعة الانتشار والفعالية، بوصفه أخوا الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وله ارتباط بهذا البيت الشريف، له أثره الناجع والفعال عند أغلب الناس.

فقد نقل الصدوق حادثة ادعاء جعفر لميراث أخيه الإمام العسكري باعتباره هو الوارث الشرعي الوحيد وذلك بمساعدة السلطة الحاكمة، وتم تقسيم الميراث على ذلك، فقد ورد على السلطان في وقت وفاة أخيه الحسن العسكري (عليه السلام)، فلما دفن وتفرق الناس، ظهر اضطراب السلطان وأصحابه في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا على قسمة ميراثه، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وثبت ذلك عند القاضي. وبذلك خرج صاحب الزمان على جعفر الكذاب من موضع لم يعلم به عندما نازع في الميراث بعد مضي

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 475. والرواية معتبرة صحيحة، صححها ودرس سندها الشيخ أحمد الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 45 - 46.

أبي محمد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له: يا جعفر مالك تعرض في حقوقي؟ فتحير جعفر وبهت، ثم غاب عنه، فطلبه جعفر بعد ذلك في الناس فلم يره.^[1]

فهذا الادعاء الذي جاء بدعم من السطلة الجائرة، اتخذ منحى رسمياً عند العامة من الناس بعدم وجود الولد للإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقد نقل الكليني في الكافي الشريف ما يُنبئ عن ذلك، عندما ينقل سؤالاً موجهاً لأحد سفراء الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، عن اسم الخلف والحجة بعد الإمام العسكري الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إذ أجاب: ((فلاسم؟ قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم، ولكن عنه عَلِيُّ السَّلَامُ، فَإِنَّ الأمر عند السلطان، أن أبا محمد [الإمام العسكري] مضى ولم يخلف ولداً وقُسم ميراثه وأخذ من لا حق له فيه وهو ذا، عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك)).^[2]

ج - محاولة استلامه الحقوق الشرعية من الموالين للإمام العسكري:

جاءت الروايات^[3] كثيرة تحكي عن هذا المعلم، ولكن أبرز ما جاء فيها: روى الصدوق

[1] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 43، ص 442. والرواية معتبرة صحيحة، صححها الشيخ أحمد الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 50.

[2] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص 330.

باب في تسمية من رآه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [تسمية الإمام المهدي عَلِيُّ السَّلَامُ]. ينقل الشيخ الكليني هذه الرواية، عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً عن عبد الله بن جعفر الحميري. ينظر: الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص 330.

وهذا السند في غاية الصحة والثاقفة، فالشيخ الكليني معروفٌ إذا حدّث هو مباشرةً بكلام يحصل من نقله اليقين، ومحمد بن عبد الله هو محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري من الثقات الأجلة الأعظم، ومحمد بن يحيى العطار هو أستاذ الشيخ الكليني من الأعظم الأجلة، فإثنان من أعظم مشايخ الكليني الكبار ينقل عنهما، وعبد الله بن جعفر الحميري معروفٌ بالوثاقفة والجلالة. ينظر: الإيرواني، محمد باقر، الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين التواتر وحساب الاحتمال: ص 34.

صحح الرواية اليهودي، كتاب صحيح الكافي، للشيخ محمد باقر اليهودي: ج 1، ص 39.

وقد جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني: ج 2، ص 314.

[3] - هذه الروايات التي تخص جعفر، ليست بعيدة، جاءت هنا لأنها تخص موضوع ولادة المهدي المنتظر، وهي من قبيل المناقشة والجواب لما أورده المستشرقون من التشكيك والإنكار الذي حصل حولها، زيادة على ذلك لها

في روايةٍ طويلةٍ الذيل، بسنده قال: ((لما قُضِيَ سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما وفد من قم والجبال وفودٌ بالأموال التي كانت تُحمَل على الرسم والعادة... سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فقيل لهم: إنه قد فُقد، فقالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي فسألوا عنه... وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعةٌ من الشيعة وغيرها وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الأموال فقال [جعفر]: وأين هي؟ قالوا: معنا، قال: احملوها إليّ، قالوا: لا، إنّ لهذه الأموال خبراً طريفاً، فقال: وما هو؟ قالوا: إنّ هذه الأموال تُجمَع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران، ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه وكنا إذا وردنا بمال على سيدنا أبي محمد (عليه السلام) يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً،... فقال جعفر: كذبتُم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله... قال: فدخل جعفر على الخليفة - وكان بسرٍ من رأى - فاستعدى عليهم، فلما أحضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنّنا قومٌ مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي وداعةٌ لجماعةٍ وأمرونا بأن لا نسلّمها إلا بعلامةٍ ودلالةٍ، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه [الإمام العسكري]، وإلاّ رددناها إلى أصحابها فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إنّ هؤلاء قوم كذابون يكذبون على أخي وهذا علم الغيب فقال الخليفة: القوم رسلٌ وما على الرسول إلا البلاغ المبين قال: فبهت جعفر ولم يرد جواباً...))^[1] الروايةُ طويلةٌ، أوردنا فقط محل الشاهد منها.

دلالاتٌ متعددةٌ لو أُريد الاستفادة منها. مثلاً هي تبين الجو العام الذي كان يحيط بالإمام المهدي (عليه السلام)، وتبين شهادة عددٍ كبيرٍ على حياة وجود الإمام المهدي (عليه السلام).

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 476. الرواية طويلةٌ وإكمالها هنا في الهامش لارتباطها بالموضوع: ((... فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يدي رقنا حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها، فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلامٌ أحسن الناس وجهاً، كأنه خادمٌ، فنادى يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيئوا مولاكم، قال: فقالوا: أنت مولانا، قال: معاذ الله: أنا عبد مولاكم فسيروا إليه، قالوا: فسرنا إليه معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليهما السلام، فإذا ولده القائم سيدنا (عليه السلام) قاعدٌ على سرير كأنه فلقة قمر، عليه ثيابٌ خضراءٌ، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: جملة المال كذا وكذا ديناراً، حمل فلان كذا، وحمل فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع ثم وصف ثيابنا ورحالتنا وما كان معنا من الدواب، فخرنا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرفنا، وقبّلنا الأرض بين يديه، وسألناه عمّا أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم (عليه السلام) أن ألاّ نحمل إلى سرٍّ من رأى بعدها شيئاً من المال، فإنّه ينصب لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات، قالوا: فانصرفنا من عنده...))

أقول: في ما تقدم من قضية جعفر (الكذاب) وادعاءاته المتعددة والمتكررة للإمامة بعد أخيه العسكري، ودعواه في التوريث بوصفه الوريث الوحيد، وعدم الاعتراف بوجود ولد من صلب أخيه العسكري، بصيغة رسمية من الدولة، كل هذا بحوادثه ورواياته ومناسباته المتعددة بأكثر من مصدر، كل هذا جاء ونُقِلَ في الكتب والمصادر والتراث الشيعي الإمامي، فإذا كان ما يسميه المستشرقون في قضية الولادة قد تكون ((من وضع الخيال، زيادةً في تعظيم الإمام الثاني عشر))^[1] أو ما أطلقوا عليها أسطورة ولادة المهدي المنتظر^[2] كذلك أرادوا أن يسموها، والسؤال التعجبي أو الاستنكاري هنا: كيف يكون أو يصح للإمامية إذا أرادوا أن يثبتوا ولادة ووجود وحياة المهدي المنتظر، بأن ينقلوا شيئاً ضدّهم ويضعف أدلتهم؟ بل ويصحح ويؤكد تشكيك المشككين ويثبت كلامهم بما سمّوه (الأسطورة والكذبة)؟ لكون ادعاءات جعفر (الكذاب) هي عين ما يقوله المشككون من عدم وجود المهدي المنتظر أساساً، وتصبّ في تعزيز موقفهم، ولأنه جاء من داخل عائلة ومنزل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، بوصفه شقيقه. كيف يمكن أو يكون ذلك إذا أرادوا وضع أسطورة وكذبة؟

لم يبق إلا أنّها جاءت كذلك لأن ولادة ووجود وحياة الإمام المهدي (عليه السلام) لها حقيقة أصيلة متجذرة في رحم التاريخ الواقعي الحاصل آنذاك، لذلك جاءت هذه الأحداث ونقلت على حقيقتها كما هي، غير مُنمّقة، وإلا كيف يمكن لكذبة أن تعيش طوال هذه السنين ويؤمن بها الناس ويصدقونها؟ وإذا كان الشيعة أرادوا تزوير الحقائق بنقلهم الأحاديث التي تؤيد مدعياتهم بوجود ولادة الإمام المهدي المنتظر، ولو كانت قصة الولادة من مخترعات وخيال الشيعة الإمامية أو مفبركة، لما نقلوا ذلك في روايات تخص جعفر (الكذاب) وهو يجاهر بعدم ولادة المهدي المنتظر.

وهنا لا بدّ من التوقف عند قضية تُعدُّ مهمةً في سياق قصة الإمام الغائب (عليه السلام)، وهي علاقة السلطة ومتابعتها ودعمها لشخص ادعى الإمامة وهو غير مستحق لها، وهذه القضية مرتبطة بالوضع السياسي، إذ إنّ السلطة العباسية كانت تراقب البيت العلوي منذ التأسيس، وهناك مخاوف حقيقية من ظهور رمز يجتمع حوله المسلمون، ولا سيّما الشيعة، فيقوّض أمر السلطة السياسية لبني العباس، لذلك يحاولون بشتى الوسائل منع ظهور مثل الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 476.

[1] - دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة: ص 227 - 228.

[2] - ظ: كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة: ص 107. وللمزيد مراجعة نفس المصدر الصفحات: 104 - 112.

هذه الشخصية، ومن وسائلهم استمالة بعض الأشخاص المرتبطين نسباً بأهل البيت والتأثير عليهم للانشقاق عن البيت العلوي والتخلي عن قضية الإمامة وهي الحجر الأساس في عقيدة الإمامية. ولذلك نجد أن تبني السلطة لروايات تشوُّش على الولادة للإمام الغائب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ودعمها لأشخاص آخرين غير الإمام المعين، وغيرها من الروايات التي تشبث بها أيضاً المستشرقون، كل ذلك أدى إلى هذا الاضطراب في الروايات.

ثانياً - (أي النقطة الثانية لجواب إشكال المستشرقين عن الولادة) ذكر مجموعة روايات عن ولادة وحياة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

الروايات التي تحكي عن إثبات ولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كثيرةٌ ومستفيضةٌ ومتواترةٌ عند الشيعة الإمامية في أهم المصادر المعتمدة، لأنها من أبجديات عقائدهم الضرورية، ويجب الإشارة هنا إلى أن أحاديث أئمة أهل البيت، توارثوها ونقلوها عن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذ ورد ((... عن أبي حمزة الثمالي عن جابر قال: قال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا جابر والله لو كنا نحدِّث الناس أو حدَّثناهم برأينا لكنا من الهالكين. ولكننا نحدِّثهم بأثار عندنا من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يتوارثها كابرٌ عن كابرٍ نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)).^[1]

فتعددت تلك الروايات منها:

الروايات الدالة على أنه من ذرية الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

ذكر الشيخ الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) أخبار وبشارات النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في

[1] - الصفار، الثقة الجليل والمحدث شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ من أصحاب الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ (المتوفى 290هـ)، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ج1، ص 313، رقم الحديث: 1. باب في الأئمة أن عندهم أصول العلم ما ورثوه عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لا يقولون برأيهم.

وأخرجه: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج2، ص 173، رقم الحديث: 4. باب إنهم عليهم السلام عندهم مواد العلم وأصوله، ولا يقولون شيئاً برأي ولا قياس، بل ورثوا جميع العلوم عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأنهم آمناء الله على أسراره.

صحح الحديث الشيخ الماحوزي، قال: (وسنده من أصح الأسانيد، أحمد بن محمد هو الأشعري شيخ القميين ووجههم، والأحاديث بهذا المضمون مستفيضةٌ) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص6.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والأئمة الأطهار بالنص على الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وتعيينه بأنه التاسع من ولد الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والحادي عشر من تعداد الأئمة، فجعلها أبواباً (باب ما روي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في النص على القائم) و(باب ما أخبر به أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من وقوع الغيبة بالقائم الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام) وهكذا إخبارات باقي الأئمة إلى الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

روى الشيخ الصدوق وكذلك والده بإسناده: ((عن سلمان الفارسي (رض) قال: دخلت على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فإذا الحسين بن علي علي فخذه، وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام أبو أئمة، أنت حجة الله ابن حجته، وأبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم)).^[1]

((عن أبي جعفر [الباقر] عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم)).^[2]

[1] - ابن بابويه القمي، المحدث أبو الحسن علي بن الحسين (المتوفى 329 هـ) والد الشيخ الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة: ص 110، باب أن المهدي من ولد الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، رقم الحديث: 96.

ينظر: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 262، باب ما روي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في النص على القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام. رقم الحديث: 9.

حكم الحديث: صححه الماحوزي، قال: سنده صحيح رجاله ثقات، وقد توهم بعضهم أن ثمة تصحيفاً وأن المقصود أن ابن أبان هو بن أبي عياش، وهو ليس بصحيح، فإن ابن مسكان لا يروي عن أبان بن أبي عياش، وابن تغلب أدرك عصر سليم بن قيس. ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص 226.

[2] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص 533. باب ما جاء في الإثني عشر والنص عليهم، عليهم السلام.

وأخرجه: النعماني، الشيخ محمد بن إبراهيم (المتوفى حدود سنة 360 هـ) كتاب الغيبة، ص 94.

وأخرجه: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ)، كتاب الخصال: ص 480.

وأخرجه: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406 هـ)، كتاب الغيبة: ص 139.

وأخرجه: المجلسي، محمد باقر، (ت 1110 هـ) بحار الأنوار: ج 36، ص 395.

وحكم الرواية: صححها أبو الهدى الكلباسي (المتوفى 1356 هـ) في كتابه: سماء المقال في علم الرجال: ج 2، ص 352، عندما نقل الرواية كاملة من كتاب الكافي وقال: (كما يشهد به ما في الصحيح).

روى الشيخ الصدوق بإسناده قال: ((حدثنا أحمد بن محمد [بسنده إلى الأئمة] عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها)).^[1]

روايات صريحة بولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن حكيمة بنت الإمام الجواد وعمّة الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وهي تُعد القابلة التي شهدت الولادة، وهي الرواية المعتمدة والمتعارف عليها عند الإمامية، مع الإشارة إلى أن إيراد مثل هذه الرواية، ليس لازماً في مقام الاستدلال هنا، لأن المهم هنا إثبات أنه مولودٌ وموجودٌ في الحياة، المهم أنه قد وُلد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فعلاً، وليس المهم كيف ولد، بالليل كان أو بالنهار، ومن هي القابلة التي أولدته، ومن هي أمه وما نسبها، وهكذا باقي تفاصيل حدث الولادة: ((قالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي [العسكري] عليهما السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنّها ليلة النصف من شعبان فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهرُ في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه [وفي رواية سيولد الليلة المولود الكريم]^[2]) قالت: فقلت له: ومن أمّه؟ قال لي: نرجس، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثرٌ [يعني لا توجد آثار الحمل عليها] فقال: هو ما أقول لك، ... قالت: فقلت لها: يا بنية إنّ الله تعالى سيهبُ لك في ليلتك هذه غلاماً سيبدأ في الدنيا والآخرة قالت: فحجلتُ واستحيتُ فلما أن فرغتُ من صلاة العشاء الآخرة أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدتُ، فلما أن كان في جوف الليل قمتُ إلى الصلاة ففرغتُ من صلاتي وهي نائمةٌ ليس بها حادثٌ ثم جلستُ معقبةً [أي تعقيب الصلاة] ثم اضطجعتُ

وصححها الماحوزي، قال: سنده صحيحٌ رجاله ثقاتٌ، ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه المسمى: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: هامش ص 223.

وما يؤيد صحتها أنّها قد استشهد بها السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، حين اعترض على رواية ضعيفة السند معارضة لها. ينظر: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، زعيم الحوزة العلمية، معجم رجال الحديث: ج 21، ص 88.

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 282. ومن حيث اعتماد الرواية واعتبارها؛ فقد جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسني: ج 2، ص 316. وصححه الماحوزي قال: سنده صحيحٌ رجاله ثقاتٌ. الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه المسمى: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: هامش ص 217.

[2] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 427.

ثم انتبهتُ فزعةٌ وهي راقدةٌ، ثم قامت فصلتُ ونامت، قالت حكيمة: وخرجتُ أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان وهي نائمة فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد [العسكري] عَلَيْهِ السَّلَامُ من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فإنَّ الأمر قد قرب. قالت: فجلستُ وقرأتُ آلم السجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذا انتبهتُ فزعةٌ فوثبتُ إليها فقلتُ: اسم الله عليك، ثم قلتُ لها: أتَحسِّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة، فقلتُ لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلتُ لك، لا خوف عليك إن شاء الله، وأخذتُ وسادةً فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلستُ منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة فقبضتُ على كفي وغمرتُ غمزةً شديدةً ثم أتتُ أنهً وتشهدتُ ونظرتُ تحتها، فإذا أنا بولي الله صلوات الله عليه متلقياً الأرض بمساجده. فأخذتُ بكتفيه فأجلسته في حجري، فإذا هو نظيف مفروغ منه، فناداني أبو محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا عمة هلمِّي فأنييني بابني فأنيته به، فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحها ثم أدخله في فيه فحنَّكه ثم في أذنيه، وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى وليُّ الله جالساً فمسح يده على رأسه وقال له: يا بني انطق بقدرة الله فاستعاذ ولي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشيطان الرجيم واستفتح: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾^[1] وصلى على رسول الله (صلَّى الله عَلَيْهِ وآله) وعلى أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، فناولنيه أبو محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يا عمة رديه إلى أمه حتى (تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، فرددته إلى أمه وقد انفجر الفجر الثاني فصليتُ الفريضة وعقبتُ إلى أن طلعت الشمس، ثم ودعتُ أبا محمد [العسكري] عَلَيْهِ السَّلَامُ وانصرفتُ إلى منزلي^[2].

[1] - القصص: 5 - 6.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 424 - 425. باب: ما روي في ميلاد القائم صاحب الزمان حجة الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: 234 - 237.

وينظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 548 هـ). إعلامُ الورى بأعلام الهدى: ج 2، ص 214 - 215.

وينظر: المجلسي، محمد باقر (ت 1110هـ)، بحار الأنوار: ج 51، ص 2 - 3.

ومن حيث اعتبار واعتماد الرواية: صحيحةٌ فقد حققها وصححها وعمل على دراسة جميع رجال السند، الشيخ أحمد

هذه الرواية تؤكد ولادة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)، بحضور والده والعمّة حكيمة، وهو كعادة أيّ مولود يولد بين أهله وفي منزله، لا كما يتصور بعضهم بأنّه يجب أن يولد وسط تجمع كبير وحاشد أو في مسجد مليء بالناس لكي يشهدوا على ولادته، أما في ما يوجد فيها من تفاصيل إعجازية فيطول المقام لو أريد التعليق عليها، فالمهم فيها هو الشاهد الأبرز، وهو ولادة الإمام المهدي (عليه السلام).

روايات دالة على رؤية أصحاب الأئمة للإمام المهدي (عليه السلام):

ولذكر واحدة منها: روى الصدوق بسنده حدّث أصحاب الإمام العسكري ومنهم ((...)) محمد بن عثمان العمري قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي [العسكري] عليهما السلام ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا...))^[1] فهذا الخبر يبين شهادة أربعين رجلاً أو يزيدون على ولادة وحياة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام).

الماحوزي قال: ((مرتبة الحديث: حسن، بل صحيح، رجاله ثقات)). وخرج لهذه الرواية عشرة طرق. الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 22 - 27.

وكذلك ينظر كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: ص 255.

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 435. رقم الحديث: 2. باب ذكر من شاهد القائم (عليه السلام) ورآه وكلمه.

صححه الماحوزي، قال بعد دراسة رجال السند: سنده حسن، بل صحيح، رجاله ثقات، ينظر الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه المسمى: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: هامش ص 235.

وكشاهد آخر نقل الشيخ الطوسي (ت 406هـ) في كتاب الغيبة خبراً شهادة عن جماعة من أصحاب الإمام ذكر أسماءهم ((قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه عليه السلام) أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني. فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج فقال: لا يخرجن أحدٌ فلم يخرج منّا أحدٌ إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان، فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي؟ قالوا: نعم، فإذا غلامٌ كأنه قطع قبر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمرٌ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه)). الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: ص 357 - 358. وأخرجه: المجلسي، محمد باقر، (ت 1110هـ) بحار الأنوار: ج 51، ص 346.

صحح الحديث الشيخ الماحوزي، قال: (سنده حسن كالصحيح) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 595.

فمن هي الأفضل أو الأهم، الشهادة على العدم أو الشهادة على الوجود؟! قال الشيخ الصدوق: قد ثبت أنّ الحسن العسكري (عليه السلام) كان له خَلْفٌ من عقبه، بشهادة من أثبت له ولدًا من الفضلاء والشيعة وغيرهم من الأخيار، لأنّ الشهادة التي يجب قبولها هي شهادة المَثْبُت لا شهادة النافي وإن كان عدد النافين أكثر من عدد المثبتين.^[1]

رواياتٌ تعيّنُ بأنّه ابن الإمام العسكري (عليه السلام):

وهنا التأكيد مرةً أخرى على أنّ كل باب من هذه الروايات فيه رواياتٌ كثيرةٌ ومستفيضةٌ لكن هنا يتم نقل أنموذجٍ واحدٍ أو إثنين، اختصاراً، وقد تم سالفاً نقل روايةٍ في هذا الشأن،^[2] فعن الشيخ الصدوق بإسناده ((... عن أحمد ابن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت علي أبي محمد الحسن بن عليّ عليهما السلام فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض (عليه السلام) مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزّ وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سَمِيَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكَنِيَّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً (...))^[3] وهذه المجاميع من أنواع الروايات تتداخل في ما بينها، ومن الصعوبة بمكان العزل والفصل بينها، فبينما نراها تدل على تعيين الإمام المهدي بوصفه ابن الإمام العسكري عليهما السلام، نجدها تدل على تعمّد عرض الإمام العسكري ولده لبعض خواصه من الشيعة وإراءتهم إياه. وبالوقت نفسه حجب الإمام المهدي عن عيون السلطة والمحافظة على حياته من الأعداء والسلطة الحاكمة.

[1] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 80.

[2] - راجع هامش صفحة 308، من هذا الكتاب منها حديث (إنكم لا ترون شخصه). وفي المتن، حديث (ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً) ص: 308.

[3] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 384، باب ما روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عيها السلام من وقوع الغيبة بابنه القائم (عليه السلام) وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

حكم الحديث: (صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ أجلاء) كما قال الماحوزي، فقد حققها ودرس رجال سندها واحداً واحداً، ينظر: الشيخ أحمد الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة: ص 16.

الروايات التي تصرح بغيبته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبل وبعد وقوعها:

مثل هذه الروايات حتماً تدل بالدلالية الإلزامية على حياة ووجود الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التي هي أعم من ولادته، لأنه كيف يمكن أن يغيب لو لم يكن موجوداً وحيّاً ومولوداً أصلاً؟!!

روى الكليني في الكافي الشريف خبراً بإسناده في سؤالٍ موجهٍ للإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حول الدنيا، نستقي الشاهد منه: ما روى الصدوق (ت 381هـ) بإسناده ((عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليٍّ عليهما السلام قال: قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبنَّ القائم من ولدي بعهدٍ معهودٍ إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجةٌ، ويشك آخرون في ولادته، (...)).^[1]

وروى الكليني بإسناده: ((قال أبو عبد الله عَلِيُّ السَّلَامُ: للقائم غيبتان: إحداها قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه)).^[2]

السفراء الأربعة والغيبة الصغرى ودلالاتها على المطلوب:

فكما تبين سالفاً أن الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كانت السلطات تبحث عنه وعن أيِّ

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ) كمال الدين وتمام النعمة: ص 51. وكذا ورد الحديث في بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 51، ص 68. باب: (ما ورد من إخبار الله وأخبار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالقائم عَلِيُّ السَّلَامُ من طرق الخاصة والعامة). والحديث معتبرٌ، فقد حقق الحديث الشيخ آصف محسني، وذكره في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني: ج 2، ص 325. وكذلك جاءت هذه الرواية في كتاب المعتبر من بحار الأنوار، إعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله: ج 2، ص 184.

وصححه الشيخ الماحوزي، قال: (سنده صحيحٌ رجاله ثقاتٌ) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 580.

[2] - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت 328 هـ)، الأصول من الكافي: ج 1، ص 340. الرواية صحيحة؛ فقد أخرجها وصححها البهبودي في كتابه صحيح الكافي، للشيخ محمد باقر البهبودي: ج 1، ص 40.

وكذلك جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسني: ج 2، ص 321.

وصححه الشيخ الماحوزي، قال: (سنده صحيحٌ رجاله ثقاتٌ) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 587.

إشارة تدل عليه منذ أن عرفوا بولادته عن طريق عمه جعفر، لذا كان الطريق الوحيد وهو الذي كان مُتَّبَعًا من أبيه الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هو طريق الثقات الذين نصبهم أبوه لهذه المهمة ومن قبل ذلك جدُّه الإمام الهادي عليهما السلام.

ادعى بعض المستشرقين بأنَّ هؤلاء نصبوا أنفسهم بدون تنصيبٍ من أحد، وعن غيبة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وسفارتهم قال شتروثمان: ((كان ينوب عنهم سفراء ووكلاء، أو يزعمون أنهم ينوبون عنهم. وكان منصب الوكيل يصبح أعظم شأنًا عندما يكون الإمام غائبًا، فهو عند ذلك يدعي أنه الوحيد الذي يعرف الإمام الغائب. وقد أفلح أربعة أشخاص منذ عام 260هـ في أن يدَّعوا ذلك لأنفسهم. ولمَّا مات رابعهم، وهو علي بن محمد السامراتي [السمري] سنة 334هـ انتهت الغيبة المسماة: الغيبة الصغرى. وأعقبها الغيبة الكبرى التي تمتد إلى أيامنا)).^[1]

وهذه قراءة خاطئةٌ مستمرةٌ، من المستشرقين، فهؤلاء الوكلاء والسفراء لم ينصبوا أنفسهم، بل نصبهم الأئمة وهيؤوا لذلك الأمر المهم، وهو غيبة الإمام الثاني عشر منهم، إذ جاء في غيبة الطوسي (ت406هـ) بإسناده: ((... حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: دخلت على أبي الحسن علي ابن محمد [الهادي] صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد [أشهد: أحضر] ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلِّ وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه. فلما مضى أبو الحسن [الهادي] عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ذات يوم فقلت له عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا)).^[2]

[1] - شتروثمان، رودولف، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الرابع عشر، ص68. مادة (الشيعة).

[2] - الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت406هـ)، كتاب الغيبة: ص238. فصل: السفراء الممدوحون في زمان الغيبة. وينظر: المجلسي، محمد باقر (1110هـ) بحار الأنوار: ج51، ص344.

وصحح الرواية السيد الخوئي، قال: الرواية صحيحة، ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج12، ص123. وممن حكم بصحة الرواية السيد محمد علي الأبطحي في كتابه: (تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال) للشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي النجاشي: ج3، ص463. وكذلك جاءت في الروايات المعتمدة في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسني: ج2، ص350.

وكذلك وردت في كتاب المعتمد من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إعداد وتنظيم:

ونقل الشيخ الصدوق (ت 381هـ) والشيخ الطوسي (ت 406هـ) بأنَّ السفراء في زمان الغيبة أربعة:

الأول: من نصَّبه الإمام علي الهادي والحسن العسكري ابنه عليهم السلام، وهو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.^[1] كما في الرواية المتقدمة آنفاً.

الثاني: [والكلام للصدوق] فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، ((أبو جعفر بن محمد بن عثمان العسكري المعروف بالسمان، ويُعرف أيضاً بالعمري، رئيس الإمامية، وكان يدعي أنَّه الباب إلى الإمام المنتظر، وأوصى إلى أبي القاسم بن الحسين بن روح)).^[2] حيث نصَّبه الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سفيراً له، لا كما يشتهي أن يقرأها المستشرق بقراءة خاطئة بأنَّهم نصَّبوا أنفسهم بأنفسهم، فجاء عن الشيخ الصدوق بإسناده: ((قال عبد الله بن جعفر الحميري: وخرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه: ... أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رُزئتَ ورُزنا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عزَّ وجل ولدًا مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره ... توقيع من صاحب الزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان خرج إلى العمري وابنه)).^[3]

الشيخ عمار الفهداوي، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله: ج 2، ص 194 - 195.

وصححه الشيخ الماحوزي، قال: (وسنده من أصح الأسانيد رجاله ثقات أجلاء عيون عظام) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 592.

[1] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 432 - 433. باب ما روي في ميلاد القائم صاحب الزمان حجة الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محم دبن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: ص 353.

وصححه الماحوزي، ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 566.

[2] - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج 6، ص 655.

[3] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 510. رقم: 41، - باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وأخرجه: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: ص 361.

الثالث: وأوصى أبو جعفر السفير الثاني إلى أبي القاسم الحسين بن روح [والكلام للصدوق وروى بإسناده] ((... قال: لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري [السفير الثاني] الوفاة... قال لي: قد أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح...))^[1]

الرابع: [والكلام للصدوق] وأوصى أبو القاسم [السفير الثالث] إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري، فلما حضرت السمري الوفاة سُئِلَ أن يوصي [لسفير آخر بعده] فقال: لله أمرٌ هو بالغه، فالغيبية التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري.^[2] وروى الشيخ الصدوق:

صحح الحديث الشيخ الماحوزي، قال: (سنده صحيح رجاله ثقات أجلاء عيون) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 598.

ومما يؤيد صحته، فقد أخرجه السيد الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث) في ترجمته لمحمد بن عثمان العمري، ج 17، ص 295.

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 503. رقم: 33، باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

الرواية معتبرة، اعتمدها واعتبرها الماحوزي ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: ص 607.

ومما يؤيد صحة واعتبار الرواية السيد الخوئي، إذ أخرجه في ترجمته (جعفر بن أحمد بن متيل) وقال: أقول في هذه الرواية أيضاً دلالة على جلالته جعفر بن أحمد بن متيل. ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج 5، ص 19 - 20.

[2] - ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 432 - 433. باب ما روي في ميلاد القائم صاحب الزمان حجة الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محم دبن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: ص 400.

والسيد الخوئي نقل رواية صحيحة السند تأييداً لهذا المعنى في كتابه (معجم رجال الحديث) في ترجمة محمد بن عثمان العمري. قال: العمري: يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، وكيلان من جهة صاحب الزمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ولهما منزلة جليلة عند الطائفة. والروايات في جلالته وعظمته مقامة متضاربة، قال منها: ما رواه الكليني بسند صحيح، عن أحمد بن إسحاق أبي علي، أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي العسكري، فقال: من أعامل أو عمّن أخذ، وقول من أقبل؟ فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) له: العمري (عثمان بن سعيد) وابنه ثقتان، فما أدباً إليك فغني يؤديان، (الحديث). الكافي: الجزء 1، ص 331، كتاب الحجّة، باب في تسمية من رآه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، رقم الحديث: 1. ينظر: معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 17، ص 294.

الرواية صححها الشيخ الماحوزي، قال: (وسنده من أصح الأسانيد كالشمس، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 597.

((حدثنا أبو محمد الحسن ابن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً [من الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ] نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري ... ولا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً...))^[1]

روايات التوقيعات التي صدرت من الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

والتوقيعات: تعني مجموعةً من الكتب والرسائل والمكاتبات بينه وبين أتباعه ومريديه، وهي عبارة عن أسئلة أو استفتاءات، أو طلب دعاء وغيره، كانت تصدر من الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والتي كانت تأتي بالطبع عن طريق وبواسطة سفرائه، روى الصدوق بإسناده: ((... قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه بعد موت محمد بن عثمان العمري [السفير الثاني] أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو الله عز وجل أن يرزقه ولداً ذكراً قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاده...))^[2]

وفي سؤالٍ موجّهٍ من أحدهم إلى الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((كتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين ابن روح [سفير الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ] يستأذن في الخروج إلى الحج. فخرج في الجواب [من الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ] لا تخرج في هذه السنة...))^[3] ومثل

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 516. رقم الحديث: 44، باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

صحح الرواية الشيخ الماحوزي، قال: (سنده الصحيح) ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، كتابه: النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة: هامش ص 610.

ومما يؤيد صحة الرواية أخرجه السيد الخوئي في ترجمة (علي بن محمد السمري). ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج 13، ص 182 - 183.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 502. باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ). والرواية معتبرة، إذ جاءت من ضمن الروايات المعتمدة في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسن: ج 2، ص 335.

[3] - الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت 406هـ)، كتاب الغيبة: ص 324. وينظر رواها: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج 51، ص 293. والرواية معتبرة، جاءت هذه الرواية في كتاب معجم الأحاديث المعتمدة، للشيخ محمد آصف محسن: ج 2، ص 331.

هذه الروايات تُبنى بوضوح عبر الدلالة الإلزامية على أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مولودٌ، وموجودٌ، بل ويمارس دور الإمامة، حيث كانت توقيعات صاحب الأمر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تخرج على أيدي سفرائه الأربعة بالأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال.

ثالثاً - شهادات من غير الشيعة الإمامية:

شهادات مهمة على ولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وتشمل المؤرخين وعلماء التراجم والسير والنسابة وعلماء المسلمين عموماً.

ويجب الإشارة إلى نقطة مهمة قبل الولوج في نصوص تلك الكلمات، بأنها لا تدل أكثر من أنه وُلِدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بغض النظر عن معتنقي هذه الحقائق في الشهادات الآتية، فمنهم من يقررون حقيقة الولادة ويقولون بأنه مات وتوفي، يعني ليس لديهم إشكال في أنه قد ولد، كما سنقرأ، ولكن إشكالهم في مسائل أخرى كطول عمره وغيبته وعصمته وبقاءه حياً إلى يومنا هذا، كما هو اعتقاد الإمامية.

وهذه الكلمات التاريخية مهمة في اعتبارها مؤيدات وافية لما تقدم من الروايات التي أُريدَ منها إثبات ولادته (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

الكامل في التاريخ لابن الأثير (المتوفى: 630هـ) قال: ((الحسن [العسكري] بن علي [الهادي] ابن محمد [الجواد] بن علي [الرضا] بن موسى [الكاظم] بن جعفر [الصادق] بن محمد [الباقر] ابن علي [السجاد] بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو أبو محمد العلوي العسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامرا)).^[1]

مفتي دمشق وخطيبها كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت 652هـ) في كتابه (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) أيضاً يذكر النسب كاملاً.^[2]

العلامة المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي (ت 654 هـ) ذكر

[1] - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج6، ص320.

[2] - ظ: الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ص311 - 312.

النسب كاملاً في تذكرة الخواص، بأنَّ الإمام محمد المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ابن الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ).^[1]

الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي - (المقتول سنة 658 هـ). في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ). ذكر في ترجمة ((الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ... وخلف ابنه الإمام المنتظر)).^[2]

ابن خلكان (ت 681 هـ) المشهور بكتابه وفيات الأعيان قال في ترجمة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي، وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى. كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أمه خمط، وقيل نرجس)).^[3] وهذا تصريح واضح من هذا المؤرخ المعتمد في تأريخه. ونلاحظ هنا هو يثبت الولادة لكنه ينفي أموراً أخرى، ويعترض على مسائل أخرى، والمهم هنا إثبات الولادة.

الذهبي (ت 748 هـ) في تاريخه (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) قال في ترجمة الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ... ويقال له: الْحَسَنُ العسكري لكونه سكن سامراء... وهو والد منتظر الرافضة... وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين. عاش بعد أبيه ستين ثم عُدِم، ولم يعلم كيف مات. وأمه أم وُلِد)).^[4] هنا المهم هو الشاهد في ولادته لا يهم في المقام أن يقول عنه بعد ذلك مات وعُدِم، لأنه لا يعتقد ببقائه حياً ولا يعتقد بغيبته، فالمهم هنا إثبات المطلوب وهو الولادة.

[1] - ظ: سبط ابن الجوزي، المؤرخ شمس الدين أبو المظفر الحنفي، تذكرة الخواص: ص 63 - 64.

[2] - الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف، البيان في أخبار صاحب الزمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ص 458. يذكر أن هذا الكتاب مجموع مع كتاب (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ) للمؤلف نفسه.

[3] - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج 4، ص 176.

[4] - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج 19، ص 79.

وكذلك قال في ترجمته للإمام المهدي (عليه السلام): ((محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي ... خاتم الاثني عشر إماماً للشيعة ... وهو منتظر الرافضة الذي يزعمون أنه المهدي. وأنه صاحب الزمان، وأنه الخلف الحجة)).^[1]

وفي كتابه سير أعلام النبلاء ((المنتظر أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري... خاتمة الاثني عشر سيدياً، الذين تدعي الإمامية عصمتهم - ولا عصمة إلا لبي - ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت حتى يخرج، فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً)).^[2] إذاً عنده الولادة ثابتة وأنه ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، لكن باقي الأمور لم تثبت لديه ولم يعتقد بها.

كتاب (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان) لليافعي (المتوفى: 768هـ) قال: ((سنة ستين ومائتين وفيها توفي الشريف العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وهو والد المنتظر عندهم صاحب السرداب، ويعرف بالعسكري)).^[3]

كتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي (المتوفى: 764هـ) قال: ((العسكري والد الإمام المنتظر الحسن بن علي ... أبو محمد العسكري أحد أئمة الشيعة الذين يدعون عصمتهم ويُقال له الحسن العسكري لكونه نزل سامرا وهو والد منتظر الرافضة)).^[4] ويلحظ في هذه النصوص هو يعترف بأنه ولد، لكن لا يعترف بغير ذلك من شؤون العصمة أو الإمامة، وهذا هو المراد هنا في المقام، أما باقي الأمور لها مقامات أخرى للبحث فيها.

النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسنى (المتوفى 828هـ) المعروف بابن عنبه، في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) أيضاً أثبت النسب، وقال عن

[1] - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء: ج20، ص111.

[2] - المصدر نفسه: ج25، ص111.

[3] - اليافعي، أبو محمد عفيف الدين، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: ج2، ص127.

[4] - الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرئوط وتركي مصطفى: ج12، ص70.

الأُمور الزائدة على النسب: هي من عند الإمامية^[1].

ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي الحنفي (ت 855هـ) في كتابه (الفصول المهمة في معرفة الأئمة). ذكر بأنَّه ابن الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ولم يخلف أبوه ولدًا غيره.^[2]

تحفة الطالب في معرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب للسمرقندي المدني (ت 996هـ) في ترجمته: ((أبو محمد الحسن الخالص وهو الحسن العسكري ... وأما ولده محمد المهدي بن الحسن العسكري ... ولد يوم الجمعة منتصف شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين ... وكان عمره حين توفي أبوه خمس سنين ... والشيعية يقولون: إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه ... وهم ينتظرون خروجه من السرداب في آخر الزمان، وذلك في سرٍّ من رأى، وأقاربهم فيه كثيرة، والله أعلم أني ذلك كان)).^[3]

ابن طولون شمس الدين محمد الحنفي الدمشقي الصالحي، (المتوفى 953هـ) في الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية) قال: ((ابنه محمد بن الحسن ... ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، على اعتقاد الإمامية ... كانت ولادته، رضي الله عنه، يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين)).^[4]

ابن حجر الهيتمي (المتوفى: 974هـ) في (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه) يثبت ولادة وحياء ابن للإمام العسكري اسمه محمد، لكن لا يعتقد بأنَّه المهدي المنتظر، الذي تحدثت عنه الأحاديث، قال ذلك وهو في معرض الاحتجاج بأنَّ المهدي المنتظر ليس هو محمد بن العسكري كما تدعيه الشيعة ((لَا حُجَّةَ فِيهِ لِمَا زَعَمْتَهُ الرَّافِضَةُ أَنَّ الْمُهَدِيَّ هُوَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ ثَانِي عَشَرَ الْأَئِمَّةِ ... وَيَرُدُّهُ أَيْضًا قَوْلُ عَلِيِّ مَوْلِدِ الْمُهَدِيِّ بِالْمَدِينَةِ وَمُحَمَّدَ الْحُجَّةَ هَذَا إِنَّمَا وَلِدَ بِسُرٍّ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ خَمْسِ

[1] - عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب لابن عتبة: ص 199.

[2] - ظ: ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي الحنفي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج 2، ص 1096.

[3] - السمرقندي المدني، العلامة النسابة محمد بن الحسين بن عبد الله (ت 996هـ): تحفة الطالب في معرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب: ص 54 - 55.

[4] - ابن طولون، شمس الدين محمد الحنفي الدمشقي، الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية: ص 117.

وخمسين ومائتين ... وَأَنَّ الْجُمْهُورَ غَيْرَ الْإِمَامِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ غَيْرَ الْحُجَّةِ هَذَا)).^[1] إِذَا هُوَ لَيْسَ لَدَيْهِ اعْتِرَاضٌ عَلَى وُجُودِ وَلَدٍ لِلْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ، إِنَّمَا الِاعْتِرَاضُ عَلَى اعْتِبَارِهِ هُوَ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ: ((أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْخَالِصِ وَجَعَلَ ابْنَ خَلْكَانٍ هَذَا هُوَ الْعَسْكَرِيُّ ... إِلَى أَنْ مَاتَ بَسْرًا مِنْ رَأْيِ وَدَفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَعَمْرُهُ ثَمَانِيَّةٌ وَعَشْرُونَ سَنَةً وَيُقَالُ إِنَّهُ سَمَّ أَيْضًا وَلَمْ يَخْلَفْ غَيْرَ وَكَدَّهُ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ الْحُجَّةِ وَعَمْرُهُ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ خَمْسَ سِنِينَ)).^[2]

وكذلك، عبد الملك بن حسين العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ) في كتابه: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.^[3]

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ للقرماني أحمد بين يوسف (المتوفى 1019هـ) في الفصل الحادي عشر ((في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين ... وزعم الشيعة أنه غاب في السرداب)).^[4]

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد العكري الحنبلي (المتوفى: 1089هـ) وهو يذكر رقم السنة وما حدث فيها من أحداث أو وفيات: ((سنة ستين ومائتين، وفيها [توفي] الحسن [العسكري] ابن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة فيهم العصمة، وهو والد المنتظر محمد صاحب السرداب)).^[5]

كتاب: مختصر تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، للمدني ضامن بن شدم (كان حياً سنة 1090هـ) اختصر ذلك على شكل شجرة الأنساب.^[6]

خير الدين الزركلي (المتوفى: 1396هـ) في كتابه المشهور (الأعلام) في ترجمته يقول:

[1] - ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ج2، ص481 - 482.

[2] - المصدر نفسه: ج2، ص599 - 600.

[3] - ظ: العصامي المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ج4، ص150.

[4] - القرماني، أحمد بين يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: ج1، ص353.

[5] - الحنبلي، أبو الفلاح ابن العماد العكري (المتوفى: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرئوط: ج3، ص264 - 265.

[6] - ظ: المدني، ضامن بن شدم، مختصر تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار: ص775.

((المَهْدِي المُنْتَظَر (256 - 275 هـ) محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن علي الهادي، أبو القاسم: آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر... ولد في سامراء. ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين)).^[1] فهنا هو يثبت سنة الولادة ومعها سنة الوفاة بحسب ما يدعيه. يعني يعتقد بأنه وُلِد، وبالحين نفسه يعتقد موته.

وفي ترجمة الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((الحَسَن الخَالِص (232 - 260 هـ) الحسن ابن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي: أبو محمد، الإمام الحادي عشر عند الإمامية)).^[2]

كتاب: الأصول في ذرية البضعة البتول، للنسابة الشريف أنس يعقوب الكتبي (معاصر) ذكر النسب بالتفصيل.^[3]

يكتفى بهذا القدر من ذكر استشهاد العلماء على ولادة الإمام المهدي المنتظر، وأنَّ الولادة ليست أسطورةً كما عبّر عنها المستشرقون، وهذه الكلمات والشهادات التاريخية سألقة الذكر، إذا لم تُعدَّ أدلَّة واضحةً على المطلوب، فهي لا بدَّ وأنَّ تشكِّل مؤيداتٍ مهمَّة لما ورد في روايات الإمامية على ولادة المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وهنا يجب التوقف والإشارة إلى مسألتين:

الأولى: مسألة التواتر المعنوي، وهو أن ينقل جماعةٌ يستحيل تواطؤهم على الكذب كاستحالة تواطئهم في المتواتر اللفظي، فينقلون وقائعٍ مختلفةً تشترك في أمر يتواتر منه ذلك القدر المشترك، كما إذا نقل رجلٌ عن حاتم مثلاً أنه أعطى جملاً وآخر أنه أعطى فرساً وآخر أنه أعطى ديناراً وهلمَّ جراً، فيتواتر القدر المشترك بين أخبارهم وهو الإعطاء، لأن وجود الإعطاء مشتركٌ في جميع هذه القضايا، إذاً هو ما تواتر معناه لا لفظه، كأحاديث رفع اليدين في الدعاء فقد ورد عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم نحو مائة حديثٍ فيه رفع يديه في الدعاء، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية

[1] - خير الدين الزركلي، الأعلام: ج6، ص80.

[2] - خير الدين الزركلي، الأعلام: ج2، ص200.

[3] - الكتبي الحسيني، الشريف أنس يعقوب، الأصول في ذرية البضعة البتول: ص98 - 99.

منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيها وهو الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع.^[1]

فلو سُئِلَ جدلاً^[2] بأنَّ هذه الروايات المتقدمة الذكر ومعها الروايات التي لم تُذكر والتي بقيت في بطون الكتب - طلباً للاختصار - لو أنَّها ليست متواترةً بالتواتر اللفظي إذا أفردنا كلَّ واحدة على جانب، لكنها يمكن أن تشترك بقدر متيقن في أمر ما، وهو وجود وولادة وحياء الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على أقلِّ التقادير.

ويبقى سؤال: هل يجب ويلزم في الخبر المتواتر لفظياً كان أو معنوياً، أن يكون المخبر ثقةً؟

الجواب: لا يلزم في الخبر المتواتر أن يكون المخبر من الثقات، فذلك يلزم في خبر الأحاد غير المتواتر، كما إذا جاءنا شخصٌ واحدٌ أو اثنان أو ثلاثة وأخبرونا بقضية، هنا يشترط أن يكون المخبر عادلاً، أما لو كانت القضية أخبر بها جماعةٌ كثيرةٌ يستحيل تواطؤهم على الكذب، يعني العدد كان يشكّل التواتر فالمسألة تختلف، فالعدالة والثقة هي شرطٌ في الخبر غير المتواتر. ولماذا لا نشترط في الخبر المتواتر العدالة والثقة؟ النكتة هي: أنَّ الخبر المتواتر حسب الفرض يفيد العلم، لكثرة المخبرين، وبعدها أفاد العلم لا معنى لاشتراط الثقة والعدالة، إذ المفروض أن العلم حصل، وليس بعد العلم شيءٌ يُقصد، فلا معنى إذاً لاشتراط الثقة والعدالة في باب الخبر المتواتر، وهذه قضيةٌ بديهيةٌ وواضحةٌ في سوق العلم.^[3]

فإذا لوحظ كثرة الأحاديث والطرق والأسانيد المتعددة المتكثرة، في أقدم الكتب والمصادر الأساسية ومنها المعاصرة لعصر الغيبة (غيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ الصغرى) كما تقدم النقل منها، كتاب الكافي للكليني، وكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، وله أيضاً كتاب الخصال، وكتاب عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وكتاب آمالي الصدوق، وكتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ومؤلفات محمد آصف محسني: (مشرة البحار) و(معجم الأحاديث المعتمدة)، وكذلك ما يعرف بكتاب (صحيح الكافي) للشيخ محمد باقر البهبودي، وكتاب (المعتبر من بحار الأنوار).

[1] - ظ: السيوطي، جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج2، ص631.

[2] - جدلاً: تُعرب مفعول لأجله (فلو سُئِلَ جدلاً) أي من أجل الجدل فقط.

[3] - ظ: الإيرواني، محمد باقر، الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين التواتر وحساب الاحتمال: ص17.

وعند الإمامية ما نقل من أخبار، عن ولادة وغيبة الإمام الغائب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، مستفيضة، بل متواترة، لذلك أصبحت عقيدة يؤمن بها الإمامية إيماناً قاطعاً لا مجال للشك فيه.

والسؤال هنا الذي يفرض نفسه: هل يصح أن نرفض الأحاديث التي يراد منها أن تثبت وجود وولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لمجرد وجود بعض الأسانيد الضعيفة أو مجهولٌ هنا أو هناك فيها؟

الجواب: ((هذا ليس بصحيح، فإنَّ هذا صحيحٌ لو فرض أنَّ الرواية كانت واحدةً أو اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر، أما بعد فرض أن تكون الروايات الدالة على ولادة الامام المهدي سلام الله عليه قد بلغت حد التواتر، لا معنى أن نقول: هذه الرواية الأولى ضعيفة السند، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة هكذا، فإنَّ هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر، أما في الخبر المتواتر فلا معنى لها)).^[1]

الثانية: لو سُلمَّ جدلاً أنَّ هذه القضية في تلکم الأحاديث - المدعاة أنها متواترة إما باللفظي أو بالمعنوي - لو أنها كانت ليست متواترةً بذینک القسمین اللفظي والمعنوي، يمكن أن نستعين بقرائن وشواهد، ثابتة صحيحة، تاريخية أو عقلية أو غير ذلك، تقوي وتعزز وتعزّز موقف تلك الأحاديث، التي عن طريقها يمكن إثبات ولادة وجود الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وليس بالضرورة هنا في مقام إثبات ولادته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأنَّ هذه الأحاديث التي نريد منها أن تثبت ولادته وحياته (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، نطلب منها أن تثبت غير ذلك من الأمور كإمامته أو عصمته، أو طول عمره، فإنَّ هذه الأمور في بعض الروايات قد تحتاج إلى أدلةٍ أخرى تنضم معها وهي ليست محل البحث هنا، لأن المستشرقين لم يتطرقوا لها.

فلو فرضنا أنَّ الأحاديث التي استشهدنا بها على ولادة الإمام وحياته، آحادٌ وقليلةٌ وظنيّةٌ غير متواترة ((ولكن انضمت إلى ذلك قرائن من هنا وهناك، يحصل العلم بسببها على مستوى حساب الاحتمال. فلنفترض أنَّ هناك شخصاً مصاباً بمرض عضال، وجاء شخصٌ وأخبر بأنَّ فلاناً قد شفي من مرضه، يحصل احتمال أنه شفي بدرجة ثلاثين بالمائة مثلاً، لكن إذا انضمت إلى ذلك قرائن فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية من ثلاثين إلى أربعين وإلى خمسين

[1] - الإيرواني، محمد باقر، الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين التواتر وحساب الاحتمال: ص 18.

وإلى أكثر، افترض أننا شاهدناه لا يستعمل الدواء بعد ذلك [يعني بعد أن أخبر المخبر بأنه قد شُفي، وهذه إحدى القرائن] وكان حينما يحضر في مكان يستعمل الدواء، فهذا يقوي احتمال الشفاء، وإذا كانت القيمة الاحتمالية للشفاء بدرجة ثلاثين الآن ترتفع وتصير بدرجة أربعين مثلاً، وأيضاً شاهدناه يجلس في المجلس ضاحكاً مستبشراً [هذه قرينة أخرى] هذه الظاهرة أيضاً تصعد من القيمة الاحتمالية لهذا الخبر، وهكذا حينما تنضم قرائن من هذا القبيل، فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية للخبر إلى أن تصل إلى درجة مائة بالمائة. هذا الخبر هو في الحقيقة ليس خبراً متواتراً، لكن لانضمام القرائن حصل العلم. فهنا حصول العلم يحصل بحساب الاحتمال، يعني بتقوي القيمة الاحتمالية بسبب انضمام القرائن)).^[1] وهذا من قبيل نظرية حساب الاحتمال^[2]

وإن من تلك القرائن التي تقوي صدق ثبوت الولادة هي:

منها: شهادة وكلمات المؤرخين وعلماء غير الإمامية.

[1] - الإيرواني، محمد باقر، الإمام المهدي (عليه السلام) بين التواتر وحساب الاحتمال: ص 16.

[2] - نظرية حساب الاحتمال: عند السيد محمد باقر الصدر: مفادها أن ((كل خبر حسيّ يحتمل في شأنه - بما هو خبرٌ - الموافقة للواقع والمخالفة له، واحتمال المخالفة يقوم على أساس احتمال الخطأ في المخبر، أو احتمال تعمّد الكذب لمصلحة معينة له تدعوه إلى إخفاء الحقيقة، فإذا تعدد الإخبار عن محور واحد، تضاعف احتمال المخالفة للواقع، لأن احتمال الخطأ أو تعمّد الكذب في كل مخبر بصورة مستقلة إذا كان موجوداً بدرجة ما، فاحتمال الخطأ أو تعمّد الكذب في مخبرين عن واقعة واحدة معاً أقل درجة، لأن درجة احتمال ذلك ناتج ضرب قيمة احتمال الكذب في أحد المخبرين بقيمة احتمال في المخبر الآخر، وكلما ضربنا قيمة احتمال بقيمة احتمال آخر، تضاعف الاحتمال، لأن قيمة الاحتمال تمثل دائماً كسراً محدداً من رقم اليقين. فإذا رمزنا إلى رقم اليقين بواحد، فقيمة الاحتمال هي

$$\frac{1}{2} \text{ أو } \frac{1}{3} \text{ أو أي كسر آخر من هذا القبيل، وكلما ضربنا كسراً بكسرٍ آخر خرجنا بكسرٍ أشد ضآلة كما هو واضح.}$$

وفي حالة وجود مخبرين كثيرين لا بد من تكرار الضرب بعدد إخبارات المخبرين لكي نصل إلى قيمة احتمال كذبهم جميعاً، ويصبح هذا الاحتمال ضئيلاً جداً، ويزداد ضآلة كلما ازداد المخبرون حتى يزول عملياً، بل واقعياً لضآلته، وعدم إمكان احتفاظ ذهن البشري بالاحتمالات الضئيلة جداً. ويسمى حينئذ ذلك العدد من الإخبارات التي يزول معها هذا الاحتمال عملياً أو واقعياً بالتواتر، ويسمى الخبر بالخبر المتواتر. ولا توجد هناك درجة معينة للعدد الذي يحصل به ذلك. لأن هذا يتأثر إلى جانب الكم بنوعية المخبرين، ومدى وثاقهم ونباهتهم وسائر العوامل الدخيلة في تكوين الاحتمال. وبهذا يظهر أن الإحراز في الخبر المتواتر يقوم على أساس حساب الاحتمالات... وكلما كان المحور أكثر تحديداً كان حصول التواتر الموجب لليقين بحساب الاحتمالات أسرع، إذ يكون افتراض تطابق مصالح المخبرين جميعاً بتلك الدرجة من الدقة رغم اختلاف أحوالهم وأوضاعهم أبعد في منطوق حساب الاحتمالات)). الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول: ج 1، الحلقة الثانية، ص 241 - 241. وللزيد بالتفصيل حول نظرية حساب الاحتمال، مراجعة كتاب الأسس المنطقية للاستقراء، للمؤلف نفسه السيد محمد باقر الصدر:

منها: تسليم الأجيال عبر الأجيال بولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولا سيّما عند الإمامية، وإلا كيف يمكن لكذبته أن تعيش طوال هذه السنين ويؤمن بها الناس وتصدّقها الأجيال؟

منها: مسألة التوقيعات والسفارة التي دامت سبعين سنة.

منها: تفتيش السلطة لبيت الإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والبحث بعد إخبار جعفر وهو أخو الإمام العسكري، يفتشون عن وجود ولد للإمام العسكري.

وغيرها من القرائن الأخرى يطول المقام فيها، كضم حديث الثقلين وما يحويه من مضامين ودلالات مهمة في المقام.

أقول: توجد نقطة مهمة، ويمكن جعلها نقطة خامسة في النقاط الأساسية السابقة للجواب عن إثبات ولادة الإمام المهدي المنتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهي: هناك عاملٌ من العوامل التي يمكن أن تدل على ولادة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هو عدم وجود ولد يُذكر للإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غير (محمد المهدي المنتظر) فعلماء الأنساب وأرباب التاريخ لم يذكروا إطلاقاً ذلك، فإذا افترضنا بأن الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يكن له ولدٌ، بذلك سوف يكون تعداد الأئمة أحد عشر إماماً، وهذا خلاف ما عليه تعداد الأئمة بحسب التسلسل الإمامي المعروف، كون العدد اثني عشر إماماً، وكون الثاني عشر يجب أن يكون ابناً للإمام العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ لأن الإمام العسكري هو صاحب الرقم الحادي عشر، وبذلك يثبت وجود ولد اسمه (محمد) وهو الوحيد للإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

لكن هذا يحتاج إلى دليل خارجي يثبت أن عدّة الأئمة اثنا عشر، وليس أقل أو أكثر، وأن يكون هذا العدد مختصاً بهؤلاء الأئمة، لا بغيرهم، وإلا سيلزم منه الدور، لأنه سيتوقف إثبات النتيجة المطلوبة على فرضية المسألة نفسها، وهذا معنى الدور بأن يتوقف وجود الشيء على نفسه.

- جملةٌ معترضةٌ: المراد هنا في هذا المقام، فقط إثبات تعداد الأئمة من حيث هم كأشخاص بتسلسل تواريخ وجودهم واحداً بعد الآخر، بغض النظر عن إثبات الإمامة وشؤونٍ أخرى لهم عن طريق العدد اثني عشر، لأن المراد هنا إثبات ولادة المهدي

المنتظر في مقابل نفي وتشكيك المستشرقين - الدليل الخارجي الذي يمكن أن يُساق هنا، هو حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر، الذي يساوق العدد المشهور للأئمة الإمامية اثني عشر، إذ ورد في صحيح البخاري (المتوفى : 256هـ) ((قال: سمعت النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم، يقول: يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا، فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ)).^[1]

وفي صحيح مسلم التعبير عنهم بالخلفاء، عن أحد الصحابة ((قال: دخلت مع أبي على النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم، فسمعتة يقول: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَتَّى يَمُضِيَ فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ)).^[2]

لكن هذا الدليل أيضاً يحتاج إلى بيان ودليل آخر، يثبت أن الاثني عشر خليفة المذكورة في الحديث، مصداقها أئمة أهل البيت التي يعتقد بها الإمامية، ويمكن تطبيق ذلك عن طريق عدة نقاط بإيجاز:

لا يمكن تطبيق هذا الحديث على اثني عشر خليفة استلموا الحكم السياسي بعد النبي، لأن الحديث يقول (كلهم من قريش) وأولئك فيهم من بني أمية ومن بني العباس، وكذلك وافق خليفين في آن واحد وهما: عبد الملك بن مروان في الشام، وعبد الله بن الزبير في مكة، بالإضافة إلى أن فيهم يزيد بن معاوية، وهو مشهور ومتفق على ما هو مشهور به من الفسق والفجور وشرب الخمر والجواري وملاعبة القروء، وواقعة قتل الإمام الحسين (عليه السلام) واستباحة المدينة في واقعة الحرّة، ورميه بيت الله بالمنجنيق، ولا يصح ولا يمكن عقلاً ومنطقاً وشرعاً ذلك في خلافة الله ورسوله.

وإذا كمل العدد اثنا عشر لخامس الخلفاء الراشدين - كما يعبرون - عمر بن عبد العزيز، سيكون بعده خلوة الزمان والدهر كله من الخلفاء الذين يجب أن يستمروا إلى يوم القيامة كما سنقرأ في النقطة التالية.

[1] - صحيح البخاري: ج 9، ص 81، رقم الحديث: 7222. كتاب الأحكام، باب الاستخلاف.

[2] - صحيح مسلم: ج 3، ص 1452، رقم الحديث: 1821. باب: كتاب الإمارة، الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش. وجاء في نفس الباب من صحيح مسلم بالفاظ أخرى مختلفة: (لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا) وكذا: (لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً) وكذا: (لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً). ينظر: صحيح مسلم: ج 3، ص 1453.

يجب عدم خلو أي زمان من هؤلاء الاثني عشر خليفة إلى قيام الساعة، إذ جاء في صحيح مسلم أيضاً عن أحد الصحابة رضي الله عنهم: ((سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش...))^[1] وكذلك جاء أيضاً: ((قال رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)).^[2] وهذا ينطبق على المهدي المنتظر بوصفه إماماً ثاني عشر، وإنه سيخرج آخر الزمان، وهو من أشراف الساعة.

يعني يجب ألا تخلو الأرض من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، وإن بقي من الناس اثنان يجب أن يكون أحدهما خليفة لله ولرسوله. وهذا ما يؤكد معنى الحديث الوارد في صحيح مسلم بسند متصل عن ((رسول الله صلّى الله عليه وآله [وآله] وسلّم يقول: من خلّع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وكيس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية))^[3] والمراد بالميتة الجاهلية، حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، ويحتمل التشبيه، ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي.^[4]

بالإضافة إلى ما يؤكد هذا المعنى - وهو لا بد من وجود إمام وخليفة - صلاة عيسى وهو نبي من أنبياء أولي العزم مأموماً، خلف المهدي المنتظر إماماً، وهو إمام آخر الزمان، كما أكد هذا المعنى ابن حجر العسقلاني: ((وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة)).^[5]

التعبير عن المهدي المنتظر في الأحاديث بأنه (خليفة) هو نقطة جديدة بأن تفيد في المقام بوصفه هو الثاني عشر من الخلفاء المقصودين في حديث الخلفاء من بعدي اثني عشر، إذ جاء في الحديث: ((عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةَ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ... فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ))^[6]

[1] - صحيح مسلم: ج3، ص 1453، رقم الحديث: 1822. كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

[2] - صحيح مسلم: ج3، ص 1452، رقم الحديث: 1820. كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

[3] - صحيح مسلم: ج3، ص 1478، رقم الحديث: 1851. كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

[4] - ظ: بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج13، ص7.

[5] - المصدر نفسه: ج6، ص494.

[6] - سنن ابن ماجه: ج5، ص 211، رقم الحديث: 4084. أبواب الفتن، باب خروج المهدي.

انطباق حديث (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، ليس مجرد مصادفة حدثت وموافقة بين شيء حدث في الخارج وتم تطبيقه وحمله على الأحاديث، بل هو إخبارٌ بالغيب، وهذه من معاجز النبوة المحمدية، وهذا الإخبار تحقق واقعاً، فلا يوجد أيُّ مصداق واقعيٍّ للعدد اثني عشر الذي أخبر به النبي، إلا أن يكون رقم الثاني عشر هو (خليفةُ الله المَهديُّ) بحسب تعبير الأحاديث عنه. خصوصاً أن المهدي المنتظر من عترة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والتعبير بالعترة يكون أخص من التعبير بأهل البيت، جاء في مسند أحمد ((عن أبي سعيد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: تَمْلَأُ الْأَرْضَ ظِلْمًا وَجورًا ثم يخرج رجلٌ من عترتي يملك سبعمائة أو تسعمائة فيملا الأرض قسطاً وعدلاً))^[1] وفي سنن أبي داود بإسناده ((عن سعيد بن المسيّب عن أم سلمة، قالت: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: المهديُّ من عترتي من ولدِ فاطمة)).^[2] فقد يكون التعبير (بأهل البيت) تعبيرٌ عامٌّ وشاملٌ، لكن التعبير بالعترة خاصٌّ لا يتعدى علياً (عليه السَّلَام) وولديه وصولاً إلى المهدي المنتظر عليهم السلام.

وأخيراً، ما تواتر وتسالم عليه الإمامية في المصادر المعتمدة، من أن الثاني عشر من الأئمة هو محمد المهدي المنتظر ابن الإمام العسكري عليهما السلام ((... سئل أبو محمد الحسن [العسكري] بن علي عليهما السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية فقال (عليه السَّلَام): إن هذا حقٌّ

قال البوصيري (المتوفى: 840هـ) في كتابه مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ((هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَّاهُ ثِقَاتٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَفْصِ بْنِ سُوَيْبَانَ بِهِ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ وَلَقِظَهُ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّأْيَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ خُرَّاسَانَ فَأَتَوْهَا فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ)) البوصيري، أبو العباس شهاب الدين، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ج4، ص204.

وقد تم دراسة الحديث في موضع سابق من هذا الكتاب، راجع الصفحة: 88.

[1] - مسند أحمد بن حنبل: ج3، ص28، رقم الحديث: 11239. مسند أبي سعيد الخدري (رض). قال شعيب الأرناؤوط في الصفحة نفسها: صحيح دون قوله (يملك سبعمائة أو تسعمائة) رجاله ثقات رجال الصحيح غير (مطر بن طهمان).

[2] - سنن أبي داود، أول كتب المهدي: ج6، ص341، رقم الحديث: 4284. وهذا الحديث صحيح، إذ تم دراسته في موضع سابق من هذا الكتاب، راجع الصفحة: 173.

كما أنَّ النهار حقٌّ، فقليل له: يا بن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال ابني محمد، هو الامام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتةً جاهليةً...)).^[1]

وكذلك أخرج الصدوق بإسناده: ((حدثنا أحمد بن محمد... عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا عليُّ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها)).^[2]

خلاصة التحقيق في المسألة: أنَّ الأدلة على ولادة الإمام الثاني عشر ووجوده وغيبته، حقيقةً ثابتةٌ - على الأقل لدى معتقبيها - ولكن عندما يعتقد ويؤمن بولادته من آمن، بما توارد لديه من الأخبار وما عاضدها ما يحقق دليلاً واضحاً على هذه المسألة، لا بدَّ أن نؤكد أنَّ الإيمان بها لن يخرج الآخرين ممن لم يؤمنوا بها، لن يخرجهم عن دائرة الإيمان العامة بالعقائد الأخرى، كالإيمان بالله تعالى والرسول واليوم الآخر، والمسألة مرتبطة بالتصديق الإيماني، وقد جادل المنكرون من المستشرقين في هذه المسألة، وإنَّ قَدَمَ المنكرون أدلَّةً يظنون أنها عقليةٌ لإبطالها، فقد سبق في هذا الفصل من الأدلة العقلية والنقلية ما يعزِّزها. وإذا جادل بعض من ينكر وجود الله، فليس بمستغرب أن يجادل بعض آخر أيضاً في مسائل عقديَّة أخرى، مثل البعث والمعاد واليوم الآخر والنبوات وعقيدة المهدي المنتظر، ونحن في عصرنا نودُّ أن نؤكد: بأنَّ الإيمان مسألةً قلبيةً، فإنَّ آمن بها القلب وصدقها العقل، تحققت فيه صفات المؤمنين بالمنهج الذي أمر به ودعا إليه، وإنَّ لم يؤمن فهو حرٌّ في

[1] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 409. وينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج 51، ص 160.

والرواية معتبرة معتمدة؛ جاءت بعد دراسة وتحقيق سندها في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسنی: ج 2، ص 327.

وصححها الماحوزي، قال: سنده صحيحٌ رجاله ثقاتٌ، ينظر: الماحوزي، الشيخ أحمد بن عبد الحسن البحراني، في كتابه: أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم: هامش ص 230.

[2] - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة: ص 282. وينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج 52، ص 378.

والرواية معتبرة معتمدة؛ جاءت بعد دراسة وتحقيق سندها في كتاب معجم الأحاديث المعتبرة، للشيخ محمد آصف محسنی: ج 2، ص 316.

ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^[1]، فلا إكراه في الدين ولا إلزام.

ويمكن هنا إضافة حقيقة مهمة اتفق عليها المسلمون جميعاً وهي ((أنَّ الحكمة في عدم تعيين وقت ظهور الإمام المهدي، هي نفسها الحكمة في عدم تعيين يوم القيامة وتلخص بما يأتي: أنَّ كل وقت وعصر بحاجة إلى معنى المهدي الذي يكون أساساً للقوة المعنوية وخلصاً من اليأس، فيلزم أن يكون لكل عصر نصيباً من هذا المعنى))،^[2] نعم لأن الظلم والطغيان لا زالا يعيشان في الأرض فساداً وظلماً وجوراً، والمهدي المنتظر هو الأمل والخلص الذي بشرت به الأديان السماوية، ولا سيّما خاتمة الرسالات.

الخلاصة الأخيرة

وفيها أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، مع الأخذ بنظر الاعتبار نقطتين مهمتين:

أَنَّ النتائج لا تُذكر معها تفصيلاتها وأسبابها، ودواعي الوصول لها، فهذه أمورٌ ذُكرت مراراً في صفحات الكتاب، يعني فقط تُذكر النتيجة التي هي أشبه بعنوان (المانشيت) إن صح التعبير.

وكذلك تُعدُّ هذه النتائج جهداً بشرياً قابلاً للخطأ والصواب، فإن كانت صائبةً فالشكر والحمد لله، وإن خاطئة فالرجاء العذر من القارئ والدعاء من الله تعالى بالمغفرة وهو حسبنا.

النتيجة الأولى: نجح المستشرقون في إيهام عقل المتلقي الغربي، وكذلك إيهام قرائهم ومعتنقي أفكارهم من العالم الشرقي، العربي والإسلامي ممن يتلقفون الأفكار المستوردة والجاهزة: بأنَّ المهدي المنتظر أسطورةٌ وخرافةٌ ليس لها وجودٌ وأساسٌ أصلاً، وأنها مسألةٌ غريبةٌ عن الجسد الإسلامي لا يؤمن بها من العالم الإسلامي إلا الشيعة فقط، وهذا بسبب النتيجة التالية التي استنبطتها وجاءت تباعاً.

النتيجة الثانية: وهي بحسب التبع والاستقراء، لا يوجد أيُّ مستشرق كتب عن (المهدي المنتظر) عند المسلمين من أهل السُّنة والجماعة، وإذا يوجد أحدٌ قد كتب، فلا يتعدى ما كتبه

[1] - الكهف: 29.

[2] - النورسي، بدیع الزمان، (ت 1960م) السنة النبوية مرقاة ومنهاج: ص 126.

بضعة أسطر، بينما تجد العشرات - إذا لم نُقلُ المئات - من مؤلفات أو بحوث أو مؤتمرات عُقدت أو دراسات للمستشرقين عن المهدي المنتظر عند الشيعة ولا سيَّما الإمامية. وهذه تحتاج إلى توقُّفٍ، أحسبُ أنَّ هذا الكتاب قد أغناها وناقشها بالتفصيل وتابع آثارها.

النتيجة الثالثة: مفردة المهدي المنتظر، من الأمور الإيمانية العقائدية، لا الفرعية، ويجب الإيمان بها كالإيمان بوجود الأنبياء السابقين والإيمان بالمعاد ويوم القيامة.

النتيجة الرابعة: عقيدة (المهدي المنتظر) عقيدة حيَّةٌ متجددةٌ ومعاصرةٌ، ويجب الإعداد والتهيؤ ليوم خروجه، على كافة المستويات والأصعدة، وهذا الوجوب بالانتظار والتهيؤ سواءً على الإيمان القائل بأنَّه بعدُ لم يولد وغير موجود حالياً، أم على الإيمان القائل بأنَّه موجودٌ الآن، مولودٌ حيٌّ غائبٌ، ومن ثمَّ هي من أهم المفردات الإيمانية العقائدية في الوقت المعاصر، التي يمكن الاصطفاً والالتفاف حولها في تقريب وجهات النظر بين المذاهب والطوائف الإسلامية، بل بين الأديان السماوية، ويمكن أن تدخل في حوار الأديان. وذلك بسبب النتيجة التالية.

النتيجة الخامسة: بأنَّ الأمور والمحاور والنقاط المشتركة بين المسلمين في الأطروحة المهدوية، أكثر بكثير من تلك التي يختلفون فيها، منها نقاطٌ أساسيةٌ متفقٌ عليها بين المسلمين، ومنها فرعيةٌ جزئيةٌ. وليس معنى هذا أنَّ المسلمين جميعاً يؤمنون بمصداق خارجيٍّ واحدٍ مشتركٍ للمهدي المنتظر، وهذا - أي عدم الإيمان الآن بمصداق خارجيٍّ واحد - لا يضر بالإيمان بأصل العقيدة المهدوية وببشارة النبي الخاتم به. ولن يكون سبباً في تأجيج الخلاف بين المسلمين، بل هو عاملٌ إيجابيٌّ في تقريب اتجاهات الإسلاميين على اختلاف مذاهبهم.

النتيجة السادسة: (المهدي المنتظر) المذكور بصورة عامة في الأحاديث النبوية الشريفة عند المسلمين، مصداقه الأكمل والأوحد والأتم - بحسب ما توصلت إليه المعطيات والأدلة المسوقة في ثنايا هذه الوريقات - هو الإمام الثاني عشر من الأئمة التي تعتقد بها الشيعة الإمامية (محمد المهدي بن الحسن العسكري).

النتيجة السابعة: كتابات المستشرقين بهذا الكم الهائل والتنوع بالأساليب والطرق وبهذه التفصيلات المتعددة والجزئيات المتناهية، جاءت ضمن الدور الذي يلعبه المستشرقون غالباً

- من حيث يعلمون أو لا يعلمون - والذي تستفيد منه الحكومات الاستعمارية والاحتلالية، عندما تريد السيطرة على إحدى بلدان الشرق الأوسط، فتستفيد من سيل المعلومات المتوافرة عند المستشرقين، لكن هذه المرة جاءت هذه المعلومات ضمن تلك المؤلفات المتعددة، قد يكون للتهيؤ لضربة (عسكرية) لهذا الرجل القائد المصلح الذي يعتقد به المسلمون، سوف يخرج في آخر الزمان ليقضي على الظلم والظالمين، والكفر والكافرين، ولما كان هو -أي المهدي المنتظر - من المسلمين فسوف يقضي على بلدان الغرب لكونها -ولو في الظاهر - تمثل الكفر في مقابل الإسلام، والمعروف أن الاستعمار والاحتلالات التي حدثت في الشرق الأوسط قد أفادت من كتابات علمائهم وما نصطلح عليهم اليوم (بالمستشرقين). لقد استفاد الاستعمار منهم للتعرف على طبيعة البلدان المراد استعمارها، ومعرفة طبيعة الناس وتوجهاتهم على كافة المستويات الدينية والمذهبية والثقافية عامة، حتى الطبيعة الجغرافية والعمرانية وتفصيلات كثيرة، قبل الدخول في عمل عسكري عادةً، وهناك كلمة مشهورة قيلت في هذا المجال: أساطيل المستشرقين دائماً تسبق الأساطيل العسكرية.

النتيجة الثامنة: عقيدة المهدي المنتظر لها أصل قرآني واضح، وإن لم يذكر صريحاً، فيكفي فيه الآية القرآنية ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: آية 7، لأن مسألة المهدي المنتظر، مما أتى به الرسول.

النتيجة التاسعة: أن الصراع العالمي القائم اليوم الذي تغذيه وسائل الإعلام المرتبطة بالنظام العالمي الجديد والصهيونية العالمية، تقوم قاعدته الإيديولوجية على تحطيم معنويات المسلمين وتدمير ثرواتهم وأمتهم، وأن عقيدة المهدي المنتظر من شأنها - إذا ما توجّه الانتظارُ التوجه الصحيح الإيجابي لا الانتظار السلبي - أن تعطي الأمل للأمة الإسلامية وتمنحهم القوة المعنوية لمواجهة هذه المؤامرة العالمية التي أسست على البعد الديني لتعبئة المجتمعات الغربية، ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية تعيش تراجعاً إيمانياً في قضيتها العقدية، والتي تُعدُّ من قضاياها المهمة هي إعادة الثقة في نفوس المؤمنين بالإيمان بالظهور الإيماني للإمام المهدي الذي يمثل رمز التوحيد والإسلام في آخر الزمان والذي ستتحطم أمامه أعتى القوى المادية من الصليبية والصهيونية العالمية، وإن غداً لناظره قريب. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود: 81.

تم الكتاب ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: 88

قائمة المصادر والمراجع

• كتب أهل الشرائع السماوية والأديان والمِلِك.

• القرآن الكريم

• الكتاب المقدس: كتب ورسائل وأسفار العهدين القديم والجديد (الإنجيل، التوراة).

• الدامابادا، كتاب بوذا المقدس، ترجمة: سعدي يوسف، دار تكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 2010م.

• أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، الناشر: روافد للثقافة والفنون، سوريا - دمشق، الطبعة الثانية، 2008م.

المصادر والمراجع العربية

• الأبري، محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم، أبو الحسن السجستاني.

• مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: د. جمال عزون، الناشر: دار الأثرية، الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م.

• الأبطحي، السيد محمد علي الموحد.

• تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال للشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي النجاشي، الناشر: ابن المؤلف السيد محمد - قم المقدسة، الطبعة الثانية - مصححة قم المقدسة 1417هـ.

• أبو ليلة، د. محمد محمد.

• كتاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الحقيقة والافتراء، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

• أبو داود: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، السجستاني الأزدي المعروف بأبي داود، (275هـ).

• سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009.

- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلبي التميمي.
- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق - سورية، الطبعة الأولى - 1984م.
- الأشعري القمّي، أبو خلف سعد بن عبد الله (المتوفى 299هـ).
- كتاب المقالات والفرق، صححه وقدم له وعلّق عليه: د. محمد جواد مشكور، منشورات: مركز انتشار علمي فرهنكي - إيران، الطبعة والسنة: بلا.
- الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني.
- موسوعة العلامة محمد ناصر الدين الألباني، موسوعةٌ تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسةً حول العلامة الألباني وتراثه الخالد، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن، الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م.
- ضعيف سنن الترمذي، أشرف على استخراج وطباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة الأولى - 1991م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر: جزء 1 إلى 4: 1415هـ - 1995م جزء 6: 1416هـ - 1996م. جزء 7: 1422هـ - 2002م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الناشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
- الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ.

- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
- الأربعون حديثاً في المهديّ: من إخراج وتحقيق: أبي يعلى البيضاوي، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار الثاني.
- الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى، أبو الفتح الإربلي.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - دار التعارف، بيروت - لبنان، 1433 هـ - 2012 م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270 هـ).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
- الإيرواني، محمد باقر (معاصر).
- الإمام المهدي (عليه السلام) بين التواتر وحساب الاحتمال، مركز الأبحاث العقائدية، إيران - قم المقدسة، الطبعة الأولى - سنة ١٤٢٠ هـ.
- الإيمان، مهدي الفقيه.
- كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) عند أهل السنة، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، دار التعارف، الطبعة الثالثة، 2010 م.
- باقر، طه.
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد - شارع المتنبى، الطبعة الأولى، 2011 م.
- بدوي، عبد الرحمن.
- مناهج البحث العلمي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت - شارع فهد السالم، الطبعة الثالثة، 1977 م.

- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (ت 256هـ).
- الجامع الصحيح المختصر، المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورةً عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)
- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (المتوفى: 606هـ).
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، السنة: بلا.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
- البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ).
- تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء. المتوفى 516هـ
- معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ - 1997م.
- مصابيح السنة، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي - محمد سليم إبراهيم سمارة - جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.

- شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
- ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت 327هـ).
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419هـ.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت 235هـ).
- المصنف في الأحاديث والآثار، المعروف بمصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
- ابن بابويه القمي، المحدث أبو الحسن علي بن الحسين (المتوفى 329هـ) والد الشيخ الصدوق.
- الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - قم المقدسة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - قم المقدسة، الطبعة: الأولى 1404هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ).
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1986م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ).
- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي، سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنفي، المعروف العلامة سبط الجوزي (654هـ).
- تذكرة الخواص، المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، تحقيق ودراسة: الدكتور عامر النجار، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة قناة السويس، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م.

- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي السجستاني (ت 354هـ).
- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - 1988م.
- ابن حنبل، أحمد: أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (ت 241هـ).
- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
- ابن حماد، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزازي المروزي. (ت: 228هـ)
- كتاب الفتن تحقيق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. (ت 808هـ).
- مقدمة ابن خلدون، وهي مقدمة تاريخه المسمى بـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) تحقيق كتاب مقدمة ابن خلدون: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، 2004م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1971م.
- ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الحنفي (ت 855هـ).
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق وتعليق: سامي الغريبي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو، المعروف بابن الصلاح. (ت: 643هـ).

- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، 1406هـ - 1986م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد الحنفي الدمشقي، مؤرخ دمشق (ت 953هـ).
- الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، منشورات الرضى، قم - إيران، الطبعة والسنة: بلا.
- ابن فارس، أحمد أبو الحسين بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1979م.
- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الأولى، 1390هـ - 1970م.
- البستوي، عبد العليم عبد العظيم، (معاصر).
- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، المكتبة المكية، مكة المكرمة - السعودية، دار ابن حزم للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1999م.
- البرزنجي، محمد بن رسول، البرزنجي الحسيني (ت 1103هـ).
- الإشاعة لأشراط الساعة، تعليق: العلامة محمد زكريا الكاندهلوي، قابله واعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2005م.
- ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين، (المتوفى: 385هـ).
- تاريخ أسماء الثقات، صبحي السامرائي، الناشر: الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984م.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (المتوفى بعد سنة 880هـ).
- تفسير اللباب لابن عادل، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة والسنة: بلا.

مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة الإصدار العاشر.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ).
- غريب القرآن لابن قتيبة، المحقق: سعيد اللحام، من إعداد المكتبة الشاملة نسخة الإصدار العاشر.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ).
- تفسير ابن كثير: تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر - بيروت، الطبعة الثانية، 1999م.
- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.
- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ).
- سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت 711 هـ).
- لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
- ابن عنبه، النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسنى، المعروف بابن عنبه (المتوفى سنة ٨٢٨ هـ).
- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة: الثانية، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.
- البهودي، الشيخ محمد الباقر. (1929 - 2015م)
- صحيح الكافي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ - 1981م.
- البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الكنانى الشافعي (المتوفى: 840هـ).

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تقديم: الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)
- البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بلا، 1420 هـ.
- أبو الفيض العُمّاري، أحمد بن الصديق (المتوفى 1380 هـ)
- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، مطبعة الترقى، دمشق - الشام، 1347هـ.
- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى: 1414هـ).
- الموسوعة القرآنية، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: بلا، 1405هـ.
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، (المتوفى: 741هـ).
- مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله. (ت ٧٩٣ هـ)
- شرح المقاصد في علم الكلام، الناشر: دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة: بلا، 1401هـ - 1981م.
- التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن (المتوفى: 1413هـ).
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1414 هـ.
- الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1403 هـ - 1983 م.

• فؤاد، د. عبد المنعم، معاصر.

• من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان، 2001م.

• الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي النصيبي الشافعي (ت 652هـ).

• مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، مؤسسة البلاغ، الطبعة والسنة: بلا. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

• الشافعي السلمي، يوسف بن يحيى المقدسي (ت بعد 658هـ).

• عقد الدرر في أخبار المنتظر، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: الشيخ مهيب بن صالح بن عبد الرحمن البوريني، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، الطبعة الثانية، 1410هـ - 1989م.

• الشافعي الكنجي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت 658هـ).

• البيان في أخبار صاحب الزمان (عليه السلام). يُذكر أنّ هذا الكتاب مجموعٌ مع كتاب (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام) للمؤلف نفسه، تحقيق: الدكتور الشيخ: محمد هادي الأميني، الناشر: دار إحياء تراث أهل البيت، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، 1404هـ.

• البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ).

• أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ(تفسير البيضاوي) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

• البيهقي: علي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (المتوفى: 458هـ).

• السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك (المتوفى 279هـ).
- سنن الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.
- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ).
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - 2002م.
- الجرجاني: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد، (ت 365هـ).
- الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1988م.
- الجصاص: أحمد بن علي المكنى بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت 370هـ)
- أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى - 1994م.
- الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري. (ت 405هـ).
- المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
- سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار النشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م
- الحسيني المدني، ضامن بن شدقم، (كان حيًّا سنة 1090هـ).
- مختصر تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، مكتبة جل المعرفة، الرياض - السعودية، مكتبة التوبة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.
- الحلبي، يوسف كركوش. (المتوفى 1990م)

- تاريخ الحلة، الناشر: محمد صادق الكُتبي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، 1385هـ - 1965م.
- الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1986م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (المتوفى 741هـ).
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار النشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، 1399 هـ - 1979م.
- الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان (المتوفى 334هـ).
- الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة 1411 هـ - 1991م.
- الخزاز، أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي الرازي (من علماء القرن الرابع).
- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، حققه العلم الحجة: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى الخوئي الناشر: انتشارات بيدار مطبعة الخيام - مدينة قم - 1401 هـ.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي (ت 1413هـ).
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطبعة الخامسة، طبعة منقحة ومزينة، السنة: 1413 هـ - 1992م.
- الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (المتوفى: 444هـ).
- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1416م.
- الداماد، المير محمد باقر الحسيني. (المتوفى 1041هـ).

- الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى، قم المقدسة - إيران 1405هـ.
- الدروبي، الشيخ محمد غازي.
- كتاب كلمات القرآن، وهو من الطلاب القدامى للشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني عندما كان في دمشق. واعتمد في تفسير كلمات القرآن على الأحاديث الصحيحة على وفق منهج أهل السنة والجماعة. إعداد: المكتبة الشاملة. نسخة الإصدار العاشر.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م.
- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - 1998م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405هـ - 1985م.
- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين (ت 606هـ).
- تفسير مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.
- الراوندي: هو أبو الحسين، وقيل أبو الحسن قطب الدين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الراوندي الكاشاني، المشهور بقطب الدين الراوندي (ت 573 هـ).
- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر - بيروت دار الهداية، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت 1396 هـ).
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم

- للملايين، بيروت - لبنان الطبعة الخامسة عشر، أيار - 2002م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. (ت 538هـ).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407هـ.
- الساعدي، د. نور مهدي كاظم (معاصرة).
- وراثه الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، طبع مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام)، النجف - العراق، الطبعة الأولى: 1434 هـ.
- سالم، د. الحاج ساسي. (المتوفى 1998 / 5 / 26 م).
- نقد الخطاب الاستشراقي، دار المداد الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - 2002م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: 902هـ).
- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
- السقا، د. أحمد حجازي أحمد علي.
- نقد التوراة، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة - مصر، الطبعة والسنة: بلا.
- السمرقندي المدني، العلامة النسابة محمد بن الحسين بن عبد الله الحسيني السمرقندي (ت 996هـ).
- تحفة الطالب في معرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب، تحقيق: الشريف أنس الكتبي الحسيني، منشورات الخزانة الكتبية الحسينية الخاصة، الطبعة والسنة: بلا.
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، السنة: بلا.

- السيوطي: جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، السنة: بلا.
- جامع الأحاديث صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني، هذا الكتاب الإلكتروني، يمثل جميع أحاديث الجامع الصغير وزيادته للسيوطي، مع حكم الشيخ ناصر من صحيح أو ضعيف الجامع الصغير، وهو متنٌ مرتبطٌ بشرحه، من فيض التقدير للمناوي، الكتاب مرقم آليا، فهو - بهذا الترتيب - إلكتروني فقط، لا يوجد مطبوعاً.
- الدر المنثور، دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة: بلا، 1403 هـ.
- العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي، الدار البيضاء 16 صفر 1426 هـ.
- الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت 1401 هـ - 1981 م.
- الشايب، أحمد، أستاذ بجامعة القاهرة سابقاً.
- أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: العاشرة، 1994 م.
- الشبلنجي، مؤمن بن حسن بن مؤمن (ت 1291 هـ).
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قدم له: دكتور عبد العزيز سالم، المكتبة التوفيقية، مصر - أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين، الطبعة والسنة: بلا.
- الشربيني الخطيب، محمد بن أحمد شمس الدين.
- تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة والسنة: بلا.
- الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) (ت 406 هـ).
- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام وخطب سيدنا أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده: تحقيق: الشيخ فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، إيران - قم المقدسة، العراق - النجف الأشرف، المطبعة: ستارة، الطبعة الأولى، 1419 هـ.

• الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (المتوفى: 548هـ).

• الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاي، الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة: بلا، 1404هـ.

• الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)

• فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة الأولى، 1414هـ.

• الشيرازي، السيد صادق الحسيني.

• المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في القرآن والسنة، دار الأمين بيروت - لبنان الطبعة الأولى، 2004م.

• الشيرازي: ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم (1345 هـ شيراز معاصر).

• الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الأميرة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية - 2009م.

• الصالح، د. صبحي إبراهيم (المتوفى: 1407هـ)

• علوم الحديث ومصطلحه، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة عشر، 1984م.

• الصدر: محمد باقر بن السيد حيدر. (ت 1980م).

• الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط5 - 1986م.

• دروس في علم الأصول، الناشر: دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان، مكتبة المدرسة، بيروت

- لبنان، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م.

• الصدر: السيد محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل. (المتوفى: 1990م)

• موسوعة الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مركز بني الزهراء عليها السلام للطباعة والنشر، إيران - قم

المقدسة، الطبعة: الثانية، 1427هـ.

- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت 381هـ).
- كتاب الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، سنة الطبع: بلا.
- كمال الدين وتمام النعمة تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، المطبعة: بلا، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، محرم الحرام 1405هـ.
- عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م.
- الصفار، الثقة الجليل والمحدث شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ من أصحاب الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ (المتوفى 290هـ).
- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار الثاني.
- الصفدي، صلاح الدين خليل، بن أبيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ).
- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنبوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م.
- الصغير: د. محمد حسين علي، أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة. (معاصر)
- المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.
- الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني.
- المصنف، المعروف بمصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1403هـ.
- الطباطبائي: محمد حسين، (ت 1402هـ).

- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط1، 1997م.
- القرآن في الإسلام، مؤسسة المحيين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى - 2004م.
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (المتوفى: 360هـ).
- المعجم الأوسط، تحقيق: جمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، السنة: بلا.
- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، السنة: بلا.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت 548 هـ).
- إعْلَامُ الْوَرَى بِأَعْلَامِ الْهُدَى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار الثاني.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.
- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت 310هـ).
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى - 2000م.
- الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري المعروف بالطحاوي (ت 321هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية، شرحها: الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، السنة: بلا.
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة. (ت 406هـ)
- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى - 1409هـ.

- كتاب الغيبة، تحقيق: الشيخ عبد الله الطهراني - الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية الطبعة المحققة الأولى، قم المقدسة - إيران 1411هـ.
- العاملي، الفقيه المحدث الأديب الشيخ حسين بن عبد الصمد (ت 984هـ).
- وصول الأخبار الى أصول الأخبار، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري نشر: مجمع الذخائر الإسلامية، مطبعة الخيام، قم - إيران 1041هـ.
- عبد النور، جبور (1913م - معاصر).
- المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية - 1984م.
- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (معاصر)
- شرح العقيدة السفارينية - الدررة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1426 هـ.
- مصطلح الحديث، مكتبة العلم، القاهرة - مصر الطبعة الأولى 1994م.
- العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر الشافعي (ت 852 هـ).
- تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند، الطبعة الأولى - 1326هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1379هـ.
- العسكريُّ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَرْبٍ، السَّمْسَارُ (المتوفى: بعد 282هـ)
- مسند أبي هريرة، تحقيق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى 1427 هـ - 2006 م.
- العصامي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (المتوفى: 1111هـ)
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد

- معوّض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: 322هـ)
 - الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
 - عمرو، يوسف محمد.
 - المسيح الموعود والمهدي المنتظر، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
 - العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي (المتوفى: 855هـ).
 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، السنة: بلا.
 - الكتبي الحسني، النسابة الشريف أنس يعقوب الكتبي الحسني.
 - الأصول في ذرية البضعة البتول، منشورات الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة، الناشر: دار المجتبي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
 - الفهداوي، الشيخ عمار. (معاصر)
 - المعتبر من بحار الأنوار، على وفق نظريات الشيخ محمد آصف محسني، إشراف ومراجعة: الشيخ حيدر حب الله، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1437هـ - 2016م.
 - فوزي، فاروق عمر.
 - الاستشراق والتاريخ الاسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، 1998م.
 - القرمانبي، أحمد بين يوسف، (ت1019هـ).
 - أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: د. فهمي سعد - د. أحمد حطييط، دار عالم

الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.

• القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ).

• تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الأولى، 1964م.

• التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1425هـ.

• القشيري، أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن (المتوفى: 334هـ)

• تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتابعين والفقهاء والمحدثين، تحقيق: إبراهيم صالح الناشر: دار البشائر، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

• القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري (ت454هـ).

• مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1986م.

• القمّي: أبي الحسن علي بن إبراهيم، (من أعلام القرنين 3 - 4هـ)

• تفسير القمي، تصحيح السيّد طيب الموسوي الجزائري، طبعة قم، 1404هـ. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار الثاني.

• القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي. (المتوفى: 1294هـ)

• ينايع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1416هـ.

• القنوجي، محمد صديق حسن البخاري (ت1307هـ).

• الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، نشر المكتبة العلمية بالمدينة، مطبعة المدني، القاهرة، 1391هـ - 1971م.

- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسيني الإدريسي (المتوفى: 1345هـ).
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تحقيق: شرف حجازي، الناشر: دار الكتب السلفية - مصر، الطبعة: الثانية المصححة ذات الفهارس العلمية. السنة: بلا.
- الكليني، ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت 329 هـ).
- الأصول من الكافي، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2007م.
- الماحوزي الشيخ أحمد (معاصر).
- ولادة القائم المهدي بالروايات الصحيحة الصريحة، تحرير: السيد مصطفى المزيدي، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام) - النجف الأشرف، الطبعة والسنة: بلا.
- أربعون حديثاً معتبراً في النص على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم، حرره وأعدّه للطباعة: جاسم بو كنان، الناشر: مدينة العلم - مدينة قم، 2008م.
- النصوص على أهل الخصوص بالروايات المتواترة والمستفيضة والمعتبرة، الناشر: فاروس، دار زين العابدين، إيران - قم، الطبعة الأولى، 1393هـ.
- المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهان فوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.
- محسني، الشيخ محمد آصف.
- معجم الأحاديث المعتمدة، دار النشر الأديان، الطبعة الثانية، قم - إيران 1437هـ - 2016م.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، (ت 1110هـ).
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.

- مركز الرسالة.
- المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، الناشر: مركز الرسالة، قم - إيران، المطبعة: مهر - مدينة قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.
- المزيني، خالد بن سليمان.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراسة، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
- المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (المتوفى: 742هـ).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 - 1980م.
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261هـ).
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، السنة: بلا.
- المظفر: محمد رضا (ت 1383 هـ).
- المقرر في توضيح منطق المظفر مع متن منطق المظفر، السيد رائد الحيدري. الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.
- المقدسي الحنبلي، مرعي بن يوسف، من علماء القرن الحادي عشر الهجري.
- فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر، تحقيق: سامي الغريبي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003م.
- المقدم، محمد بن أحمد إسماعيل. (معاصر).
- كتاب المهدي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، الطبعة الحادية عشر، 1429هـ - 2008م.

- المناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1030هـ).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356 هـ.
- مهدي، فالح.
- البحث عن منقذٍ دراسةً مقارنةً بين ثمانِي دِياناتٍ، دار ابن رشد، الطبعة الأولى، 1981م.
- ناجي، د. عبد الجبار، (معاصر).
- الاستشراق في التاريخ، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 2013م.
- التشيع والاستشراق، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2011م.
- الناصري، محمد أمير. (معاصر)
- الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، إشراف: الشيخ محمد علي التسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الطبعة الثانية، 2007م.
- ناصف الشيخ منصور علي من علماء الأزهر الشريف.
- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة: بلا.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ).
- معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1409.
- إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، المعروف بابن أبي زينب النعماني. (المتوفى حدود سنة 360هـ).

- كتاب الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم، الناشر: مؤسسة مدين، قم المقدسة - إيران، المطبعة: النهضة، الطبعة الأولى، 1426هـ.
- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، (من أعلام القرن الثالث).
- فرق الشيعة، صححه وعلّق عليه: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، الناشر: المكتبة الرضوية، النجف الأشرف - العراق، طبع: المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1355هـ - 1936م.
- النورسي، بديع الزمان (ت 1960م).
- السنة النبوية مرقاة ومنهاج: ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - القاهرة - 1997م.
- النوري، خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (المتوفى 1231هـ).
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة المحققة الأولى 8041 هـ - 7891 م. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة، نسخة الإصدار الثاني.
- النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجّة الغائب (عج) تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق: السيّد ياسين الموسوي، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة نسخة الإصدار الثاني.
- النملة، علي بن إبراهيم. (معاصر).
- كُنه الاستشراق - المفهوم الأهداف الارتباطات، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 2011م.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: 850هـ)
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، المعروف بتفسير النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
- الهيثمي: ابن حجر أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري الهيثمي (ت 974 هـ).

- الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - 1997.
- القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.
- الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، (ت 807 هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة - مصر، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990م.
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، السنة: بلا.
- الوادعي، مُقْبَلُ بِنِ هَادِي بِنِ مُقْبِلِ بِنِ قَائِدَةِ الْهَمْدَانِي (ت 1422 هـ).
- الصحيح المسند من أسباب النزول، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1408 هـ - 1987 م.
- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: 768 هـ).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- يوسف، جمشيد.
- الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع - الجزائر، منشورات: زين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2012م.

الكتب الأجنبية والمترجمة

- إدي، وليم.
- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، شرح الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت - لبنان، 1973م.
- آرنولد، السير توماس.
- الخلافة، ترجمة: محمد شكري العزاوي - الأستاذ غانم النقاش، دار الوراق، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2016م.
- وتوجد طبعةٌ أخرى، ترجمة: حسن حيدر الشيباني، مطبعة دار التضامن، بغداد - العراق، الطبعة: بلا، 1961م.
- الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: الدكتور حسن إبراهيم حسن - الدكتور عبد المجيد عابدين - إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1947م.
- إسبوزيتو، جون إل.
- مستقبل الإسلام، ترجمة: دار النشر للجامعات، المطبعة: دار النشر للجامعات، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 2011م.
- إلياد، ميرسيا.
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق - شارع بور سعيد، الطبعة: الأولى، 1987م.
- أورفوا، دومينيك.
- تاريخ الفكر العربي والإسلامي، ترجمة: رندة بعث، مراجعة: د. سهيل سليمان، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2010م.
- بارت، رودي.

• الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة - مصر، الطبعة: بلا، 1967م.

• بارندر، جفري.

• المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، لسلسلة عالم المعرفة، عدد: 173، لسنة 1995م، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، صدرت هذه السلسلة في عام 1978م، بإشراف أحمد مشاري العدواني (المتوفى: 1990م).

• بريستد، جيمس هنري.

• تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: د. حسن كمال، مراجعة وتصحيح: محمد حسنين الغمراوي، الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الثانية، 1416هـ 1996م.

• انتصار الحضارة، ترجمة: أحمد فخري، تقديم: ممدوح محمد الدمياطي، المركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة: بلا، 2011م.

• بلر. جون John C. Blair

• مصادر الإسلام، ترجمة: مالك مسلماني، مجتمع الأدب المسيحي للهند، الله أباد - كولمبو 1925م.

• وتوجد نسخة بالإنكليزية:

• SOURCES OF ISLAM. AN INQUIRY INTO THE SOURCES OF THE FAITH AND PRACTICE OF THE MUHAMMADAN RELIGION BY. THE REV. JOHN C. BLAIR

• بل، ألفرد.

• الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد

- الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، دار صادر بيروت - لبنان الطبعة: الرابعة، 2010م.
- الجوزي، بندلي.
- تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، الناشر: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الأمانة العامة - جمعية الصداقة الفلسطينية السوفياتية، الطبعة الثانية - 1981م.
- بوكاي، موريس.
- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.
- بويرينغ، غيرهارد.
- القرآن في محيطه التاريخي، كتاب يتضمن مجموعة من البحوث، إعداد: جبرئيل سعيد رينولدز، ترجمة: سعد الله السعدي، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2012م.
- تسدل، كلير (ت 1928م).
- مصادر الاسلام، منشورات أسمار - باريس طبعة: بلا، 2007م.
- تويال، فرانسوا.
- الشيعة في العالم، ترجمه عن الفرنسية: نسيب عون، دار الفارابي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2007م.
- توينبي، آرنولد.
- دراسة للتاريخ، تقديم وعرض: فؤاد محمد شبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة والسنة: بلا.
- تيرنر، كولن.
- الإسلام الأسس، ترجمة: نجوان نور الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2009م.

- التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبد الساتر، تقديم: الشيخ حيدر حب الله، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) - بغداد 2008م.
- غولدتسيهر، إغناس (ت 1921م).
- العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسين عبد القادر، دار الرائد العربي، القاهرة، طبعة: بلا، 1946م.
- د. جيتين سايا، گوگهان.
- مشكلة الشيعة، بحثٌ قدمه كجزءٍ من متطلبات أطروحة الدكتوراه إلى جامعة مانشستر في بريطانيا في سنة 1996. وهو موجودٌ ضمن كتاب: مشكلة الشيعة والتشيع في العراق العثماني، تأليف لثلاثة باحثين: د. گوگهان جيتين سايا - د. سليم ديرنگل - د. كارين كيرن، ترجمة وإعداد: علي أبو طحين، دار ميزوبوتاميا، بغداد - شارع المتنبى، الطبعة: الأولى، 2015م.
- جفري S.H.M.
- أصول التشيع الإسلامي وتطوره المبكر، ترجمة: مهيب عيزوقي، الناشر: دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان، طبع: دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، 2008م.
- حتي، فيليب.
- الإسلام منهج الحياة، ترجمه عن الإنكليزية: د. عمر فَرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، السنة: بلا.
- حوراني، ألبرت.
- تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: أسعد صقر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سورية، الطبعة الأولى، 1997م.
- داود، البرفسور عبد الأحد، قسيس إرميا في إيران سابقاً.
- محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة: محمد فاروق الزين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

- ديدات، أحمد.
- حوارٌ مع مبشِّرٍ، ترجمة: علي عثمان، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة - مصر، طبعة: بلا، السنة: بلا.
- دومينيك، سورديل.
- الإسلام، العقيدة السياسية، الحضارة، ترجمة: د. علي مقلد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية - 1998م.
- دومينيك وجانين سورديل.
- الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة: حسني زينة، دار الحقيقة للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، كانون الثاني 1980م.
- ديورانت، ول وإيريل.
- قصة الحضارة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة والسنة: بلا.
- روجرسون، برنابي.
- ورثة محمد، جذور الخلاف السني الشيعي، ترجمة: د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 2010م.
- دونالدسون، دوايت.
- عقيدة الشيعة، ترجمة: (ع. م) مكتبة الخانجي ومطبعتها، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، السنة: بلا.
- سعيد، إدوارد.
- الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية، 1984م.
- السواح، فراس (معاصر).

- كتاب موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الرزاق العلي - محمود منقذ الهاشمي، طبع: دار التكوين، الناشر: مكتبة الفكر الجديد - 2018م.
- الوجه الآخر للمسيح ومقدمة في المسيحية الغنوصية، منشورات: دار علاء الدين، سورية - دمشق، الطبعة الأولى، 2004م.
- سيديو، لويس - أميلي (Louis - Amélie Sédillot) (ت 1875 م)
- خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار الآثار للطباعة - بيروت، الطبعة والسنة: بلا.
- علي، د. جواد (ت 1987 م).
- المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية، ترجمه عن الألمانية: د. أبو العيد دودو، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، كولونيا (ألمانيا) - بغداد 2005م. أصل الكتاب أطروحة دكتوراه من جامعة هامبورغ عام 1939م.
- غارديه، لويس .
- أثر الاسلام في العقلية العربية، ترجمة: د. خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1992م.
- الغندور، نبيل أنسى .
- المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، 2007م.
- فان إس، جوزيف (Josef van Ess) وهانس كونغ .
- التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1994م.
- عنوان هذا الكتاب الأصل هو: (المسيحية وديانات العالم - Christentum und Weltreligionen) تأليف البرفيسور هانس كونغ Hans Kung وجوزيف فان إس وآخرين. وأصل هذا الكتاب، إحدى ندوات الحوار التي نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ما بين عام 1982م - 1984م بين

أحد أشهر مستشرقى ألمانيا المعاصرين مع أحد أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية (هانس كونغ) ونشر هذا الكتاب دار بيبر Piper للنشر بمدينة ميونخ بألمانيا الاتحادية سنة 1984م وطبع في فيينا، وقد عرضه لنا معرباً لأهم ما ورد في النص الأصلي الدكتور السيد محمد هاشم، بعنوان: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام.

• فلوتن، فان. (المتوفى: 1903م).

• السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات (المهدية) في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: الدكتور إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة: بلا، 1996م.

• فوك، يوهان.

• تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2001م.

• فودانو، مكسيم - Maxime Vaudano.

• المسلمون الشيعة العرب هم أصل التشيع، بحثٌ أو مقالٌ ضمن كتاب (المسألة الشيعية - رؤيةٌ فرنسيةٌ) من إعداد وتحرير وترجمة د. جواد بشارة، ضم الكتاب مجموعةً من المقالات المترجمة لعدد من المستشرقين والباحثين. دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر، بغداد - العراق، 1436هـ - 2015م.

• فلهاوزن، يليوس.

• أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمه عن الألمانية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة: بلا، 1958م.

• كارل، بروكلمان (ت 1956م).

• كتاب بروكلمان الكبير والمشهور، (تاريخ الشعوب الإسلامية) نقله للعربية: نبيه أمين فارس - ومنير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، وقد طُبِع الكتاب خمس طبعات آخرها الطبعة الخامسة، تموز 1968.

• كرو، دوغلاس.

• مقتل الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة، ورقة بحثٍ ضمن كتاب (إعادة التشيع في العراق: حفرياتٌ إستشراقيةٌ) لخبذة من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي، الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق - تورنتو - كندا، الطبعة: الأولى، 2015م.

• كوربان، هنري.

• الكتاب السابع الإمام الثاني عشر، ترجمة: نواف محمود الموسوي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 2007م.

• تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة - حسن قيسي، راجعه وقدم له: السيد موسى الصدر - الأمير عارف تامر، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة: بلا، السنة 2004م.

• كولر، جون.

• الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، لسلسلة عالم المعرفة، عدد: 199، لسنة 1993م، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، صدرت هذه السلسلة في عام 1978م، بإشراف أحمد مشاري العدواني (المتوفى: 1990م).

• كونسلمان، جرهارد.

• سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1992م.

• لايدس، أيرام.

• تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة، فاضل جتكر، دار الكتاب العربية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 2011م.

• لوبون، غوستاف.

• الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعيتير، طبع: كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة - مصر، السنة: بلا.

- لويس، برنارد.
- فرقة الحشاشين، ترجمة وتحقيق: المقدم الركن إلياس فرحات دار البيضاء، بيروت - لبنان، السنة: بلا. وتُرجم الكتاب بترجمتين: الأولى ترجمة المقدم الركن إلياس فرحات، دار البيضاء، بيروت - لبنان، والثانية: تعريب محمد العزب موسى، الناشر: مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 2006.
- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمظية، راجعه وقدم له: د. خليل أحمد خليل، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية، دار الحدائث، الطبعة الأولى، 1980م.
- العرب في التاريخ (The Arabs in History) ترجمه إلى العربية: نبيه أمين فارس ومحمد يوسف زايد، بيروت، الطبعة الخامسة، 1970م.
- ماسيه، هنري (ت 1969م)
- الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت - باريس، الطبعة الثالثة - 1988م.
- متز، آدم.
- الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، أعدَّ فهرسه: رفعت البدرابي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة، السنة: بلا.
- د. نيكلسون، ر. أ.
- الصوفية في الإسلام، ترجمه وعلق عليه: نور الدين شرييه، خريج كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، 1422هـ - 2002م.
- هاينه، بيتر.
- الإسلام، ترجمة: أسامة الشحمان، مؤسسة شرق غرب، ديوان المسار للنشر، الإمارات-دبي، الطبعة: الأولى، 2012م.
- هالم، هاينس.
- إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين 875م - 973م، عنوانه بالألمانية:

• Der Aufstieg der Fatimiden (875 - 973) Das Reich des Mahdi

- ترجمه للعربية: محمود كبيبو، الناشر: دار الوراق للنشر عام 2013م.
- الشيعة (DIE SCHIITEN)، ترجمه للعربية: محمود كبيبو، أُلّف هذا الكتاب عام 1988م، وصدر الكتاب الأصلي عام 2005م، الناشر: دار الوراق للنشر عام 2011م.
- الغنوصية في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، مراجعة: سالمه صالح، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2010م.
- الفاطميون وتقاليمهم في التعليم، ترجمة: سيف الدين القصير، مراجعة: د. مجيد الراضي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق، الطبعة الأولى - 1999م.
- وتوجد النسخة الإنكليزية: **The Fatimids and Their Traditions of Learning**، أصل هذا الكتاب، بحثٌ أطروحةٌ ثانيةٌ يتطلبها نظام الجامعات الألماني لإتمام التأهيل العلمي، فطُلبَ منه في جامعة طوبنجن سنة 1969. ترجمه للعربية: سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق، الطبعة: الأولى، 1999م.
- هاملتون جبّ، وهارولد بوون.
- المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: د. أحمد عزت عبد الكريم، مكتبة الأسرة، القاهرة - مصر، الطبعة: بلا، 2014م.
- نتنيج، أنتوني.
- العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة: بلا، 1974م.
- وات، مونتكيري.
- الفلسفة وعلم الكلام الاسلامي، ترجمة كاظم سعد الدين، الناشر: بيت الحكمة - بغداد، الطبعة: بلا، 2010م.
- الإسلام واندماج المجتمع، ترجمة: د. علي عباس مراد، أستاذ الفكر السياسي المشارك - جامعة

قاريونس، مراجعة: أ. م. د. ستار جبار علائي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.

• إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، بحثٌ ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق: حفرياتٌ إستشراقيةٌ، لنخبةٍ من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي، الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق - تورنتو - كندا، الطبعة: الأولى، 2015م.

• التشيع في عهد الأمويين، بحثٌ ضمن كتاب: إعادة التشيع في العراق: حفرياتٌ إستشراقيةٌ، لنخبةٍ من المستشرقين، تعريب وتقديم وتعليق، د. عبد الجبار ناجي، الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق - تورنتو - كندا، الطبعة: الأولى، 2015م.

البحوث والمقالات في المجالات والنشرات

• روزنتال، فرانز،

• (الأدب) بحثٌ ضمن كتاب: تراث الإسلام الجزء الثاني، لسلسلة عالم المعرفة، عدد: 234، لسنة 1998م، لعدة مؤلفين، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، صدرت هذه السلسلة في عام 1978م، بإشراف أحمد مشاري العدواني (المتوفى: 1990م)

• ناجي، د. عبد الجبار.

• (الإبستمولوجيا العربية والإسلامية) بحثٌ منشورٌ في مجلة دراسات تاريخية، مجلة فصلية محكمة تصدر عن قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة - بغداد: العدد 37 لعام 2014.

• العباد، عبد المحسن بن حمد.

• (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) رسالةٌ أو محاضرةٌ، منشورةٌ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: العدد: 3، السنة الأولى، شباط 1969م.

• (الرد على من كذب الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) وأصل الكتاب، رسالةٌ ومقالةٌ

منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 45، والعدد 46.

• الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني.

• مقالة بعنوان: (حول المهدي) منشورة في مجلة التمدن الإسلامي: عدد 22، دمشق - سورية.

• الصدر: محمد باقر بن السيد حيدر (ت 1980م).

• (بحث حول المهدي) عَلِيهِ السَّلَامُ، جاء كتقديم لكتاب تاريخ الغيبة الصغرى، من موسوعة

الامام المهدي (عَلِيهِ السَّلَامُ) للسيد الصدر، محمد محمد صادق، مركز بني الزهراء (عَلِيهِ السَّلَامُ)

للطباعة والنشر، إيران - قم المقدسة، الطبعة الثانية، السنة: بلا.

دوائر المعارف

• شتروثمان، رودولف.

• دائرة المعارف الإسلامية الألمانية، المجلد الرابع عشر، مادة (الشيعة) تعريب: أحمد الشتتاوي

- إبراهيم زكي خورشيد - عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة 1969م.

• دائرة المعارف الإسلامية الألمانية: المجلد الحادي عشر، مادة (السبعية). تعريب: أحمد الشتتاوي

- إبراهيم زكي خورشيد - عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة 1969م.

• هيوار Cl Huart. (ت 1927م)

• دائرة المعارف الإسلامية الألمانية: المجلد الأول، مادة (اثني عشرية). تعريب: أحمد الشتتاوي

- إبراهيم زكي خورشيد - عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة 1969م.

مواقع شبكة الانترنت

- بنيامين، إيزابيلا،
- كتاب: ما لا تعرفه عن الكتاب المقدس:
- مصدر الكتاب من الموقع الرسمي للمؤلفة على شبكة الإنترنت: <http://izapilla.blogspot.com>
- موقع: الأنبا (تكلا هيمنوت) القبطي الأرثوذكسي، رابط الموقع: [st - takla](http://st-takla.com).
- كتاب إلكتروني بعنوان: هل نبأ الكتاب المقدس عن نبيٍّ آخر يأتي بعد المسيح؟ القس أبو الخير، عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد. الطبعة الأولى، 2004/1/7.
- كتاب: المجيء الثاني وهل سينتهي العالم سنة 2001م أو 2012م؟ القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، مطبعة المصريين، 1999م.
- كتاب: سلسلة أسئلة عن المسيح رقم: (8). القس عبد المسيح بسيط أبو الخير.
- سل، كانون إدورد
- تدوين القرآن، ترجمة: مالك مسلماني، من موقع: www.muhammadanism.org طبع في: s.p.c.k. press,vepery,madras 1909.
- موقع الأبحاث العقائدية: www.aqaed.com
- موقع عن اللاهوت المسيحي: <https://www.difa3iat.com>
- موقع مكتبة الكتب المسيحية | كتب قبطية | المكتبة القبطية الأرثوذكسية.
- موقع إسلاميات. كوم، islameyat.com تفسير الكتاب المقدس، إنجيل متى.
- الموقع الرسمي للسيد كمال الحيدري: السيد كمال بن باقر بن حسن (معاصر).
- كتاب مناهج تفسير القرآن، من أبحاث السيد الحيدري، بقلم الدكتور الشيخ طلال الحسن.

• موقع كلمة الحياة، www.kalimatalhayat.com

• تفسير الكتاب المقدس، وليم ماكدونالد.

• تفسير الكتاب المقدس، بنيامين بنكرتن.

• تفسير الكتاب المقدس، تشارلز ماكتوش.

• تفسير الكتاب المقدس، وليم مارش.

• تفسير الكتاب المقدس، هلال أمين.

• موقع الشيخ أحمد ديدات: [http://ahmed - deedat.net](http://ahmed-deedat.net)

هذا الكتاب

هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، سيمثل مطارحاتٍ علميةً لعرضٍ وتحليلٍ ونقدٍ موضوعيٍّ ببناءٍ لكلمات المستشرقين حول القضية المهدوية، وكيف فهموا هذه القضية، ومن ثمَّ توصلهم إلى تلك النتائج، ومحاولة نقد هذا النتاج الفكري ومدى استيعابه لمفهوم العقيدة المهدوية، وسيمثل مطارحةً بحثيةً مع علماء الغرب من المستشرقين المختصين، الذين لا يُستهان بنتائجهم الفكري، لخوض غمار البحث والفكر والعلم فيها ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: 24.



تطبيق المركز



<http://www.iicss.iq>

info@iicss.iq

islamic.css.lb@gmail.com

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية